التذكرة الحمدونية

تصنيف

ابن حمدون

محمد بن الحسن بن محمد بن علي

تحقيق

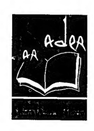
إحسان عباس و بكر عباس

المجلد التاسع

دار صادر
بيروت

الطبعة الأولى

1996

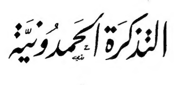


P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر

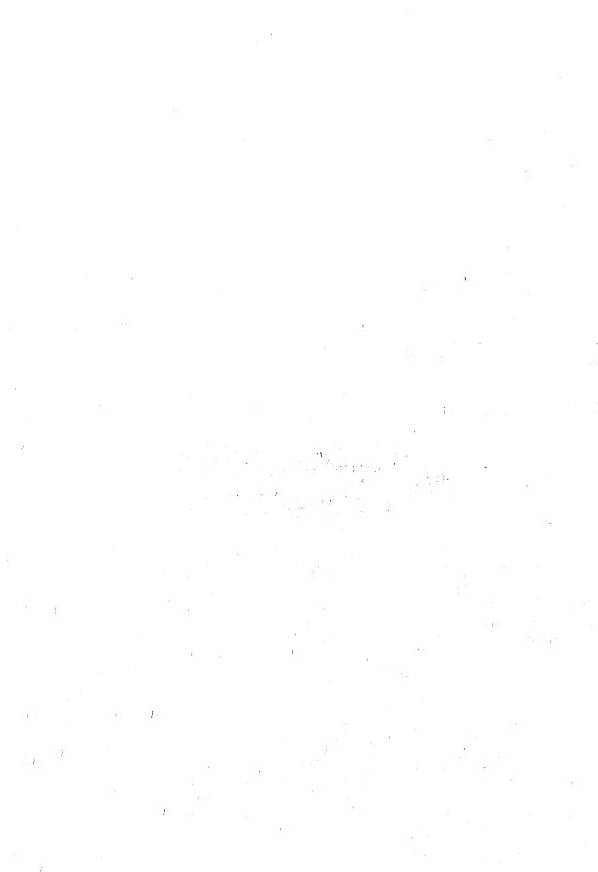
ص . ب ١٠ بيروت ، لبنان

Tel & Fax (961) 4-920978 / 4-922714 / 1-448827 هاتف وفاكس


التذكرة الحمدونية
٩



البَابُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ
فِي الغِنَاءِ وَالقِيَانِ



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أثق

الحمدُ للهِ العظيمِ شأنُه ، القاهر سلطانُه ، العَفُوِّ عن الخطايا والذنوبِ ، الساترِ على مرتكبِ الدنايا والعيوبِ ؛ نهى عن لَهْوِ الحديثِ ، وماز الكَلِمَ الطيِّبَ من الخَبيث ، وضرب لهما الأَمثالَ من حكمته تأديباً ، وبيَّنَ لنا ما أَلْهَمَنا إرهاباً وترغيباً . أَحْمَدُهُ مُسْتَمِداً حُسْنَ المزيدِ بحَمْدِهِ ، وأَستَصْرِف به مَخوفَ وعيده وأَتـنجَّزُ صادِقَ وَعْدِه ؛ وأَعوذُ به من مقامِ الهاذي الهازِلِ ، والانقيادِ إلى طَواعيةِ الهوى واتباعِ الباطلِ ؛ وأَسألُه أن يجعلنا ممَّن أَصلح سِرَّهُ وعَلَنَهُ ، واستمع القولَ فاتَّبع أَحسَنَهُ . وأَشْهَدُ أَنَّ محمَّداً نبيُّه ورسولُه ، وصَفيُّه وخَليلُه ، أَرسله بالدينِ القيِّمِ فلا عِوَجَ ، وبعثه بالحنيفيةِ السَّهْلَةِ فلا حَرَجَ . صلى الله عليه وعلى آله ما صَعِدَ إليه الكَلِمُ الطَّيبُ ونَفع ، وتَقبَّلَ العملَ الصالحَ ورفَعَ ، وسلَّمَ تَسْليماً كثيراً .

الباب الخامسُ والأَربعون
ما جاء في الغناء وأَخبارِ المُغَنِّين والقيان

نذكر فيه ما جاء في حَظْرِهِ وإباحَته ، وأَخبارَ مَنْ سامحَ نَفْسَه في استماعِه ، وأَهواءَ الناسِ فيه ، ومُلَحاً من أَخبارِ المُغَنِّين والقِيان . ونسأَلُ من اللهِ حُسْنَ التجاوزِ والغُفران ، وأَن يُسْبِلَ على ما أَفَضْنا فيه من اللَّغْوِ أَستار الصَّفْحِ والعَفْوِ ، إنَّه جواد كريم .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ومن الناسِ مَنْ يشتري لَهْوَ الحديثِ ليُضلَّ عن سبيل اللهِ بغيرِ علمٍ ويتَّخذَها هُزُواً﴾ (لقمان : ٦) قال ابن مسعود رضي الله عنه : لَهْوُ الحديث : الغِناءُ .

١ – وروى ابن مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قال : «الغناءُ يُنْبتُ النفاقَ في القَلْبِ كما يُنبتُ الماءُ البَقْلَ» . وروى أَبو أُمامةَ الباهليُّ أَنَّه ﷺ نهى عن بيع المُغنّياتِ وشرائِهنَّ والتجارةِ فيهن وأَكْلِ أَثمانِهن ، وثَمنهنَّ حرام .

٢ – قال الشافعي رضي الله عنه : الغناءُ بغيرِ آلةٍ مكروه . وحُكي عن سعيد ابن ابراهيم الزُّهري وعبدالله بن الحسنِ العنبريِّ أَنَّهما قالا : ليس بمكروهٍ .

٣ – ورُوِي أَن ابنَ مُلَيْكَة بَيْنا هو يُؤذِّنُ إذ سَمِع الأَخْضَرَ الجُدّيَّ يُغَنِّي من دار العاص بن وائل : [من الطويل]

تعلَّقْتُ ليلى وهي ذاتُ ذؤابةٍ ... ولم يَبْدُ للأَتْرابِ من ثَدْيِها حَجْمُ

---

١ نهاية الأرب ٤ : ١٢٤ ، ١٤٧ .
٢ انظر نهاية الأرب ٤ : ١٣٦ .
٣ الأغاني ٢ : ١٣ والبيتان لمجنون ليلى في ديوانه : ٢٣٨ .

صغيرين نَرْعى البَهْمَ يا ليْتَ أنَّنا إلى اليومِ لم نكبرْ ولم تكبَر البَهْمُ

فأراد أن يقولَ : حيَّ على الصلاةِ ، فقال : حيَّ على البَهْمِ ، حتى سَمِعَه أهلُ مكةَ ، فغدا يعتذرُ إليهم .

٤ – قيل إلتقى ابنُ سلمة الزُّهْريُّ والأخضر الجدّيُّ ببئر النضيخ ، فقال ابن سلمة : هل لك في الاجتماع لنَسْتَمتع بكَ ؟ فقال الأخْضَرُ : لقد كُنْتُ إلى ذلك مُشتاقاً ، قال ، فقعدا يتحدَّثان ، فمرَّ بهما أبو السائبِ فقال : يا مُطْرِبَيْ الحجازِ ، ألِشَيءٍ كان اجتماعُكما ؟ فقالا : لغير موعدٍ كان ذلك ، أفتُؤْنِسُنا ؟ قال : نعم . فقعدوا يتحدَّثون ، فلما مضى بعضُ الليل قال الأخضَرُ لابن سلمة : يا أبا الزهري[1] ، قد ابهارَّ[2] الليلُ وساعَدَكَ القَمَرُ ، فرجِّع[3] بقَهْقَهةِ ابن سُرَيْج وانصب[4] مَغنَاك ، فاندفع يُغَنّي : [من الطويل]

تجنَّت بلا جُرْمٍ وصدَّتْ تَغَضُّباً وقالت لتِرْبَيْها مقالةَ عاتبِ
سيعلمُ هذا أنني بنتُ حرَّةٍ سأمنع نفسي من ظنون الكواذبِ
فقولي له عنَّا تَنَحَّ فإنَّنا أبِيَّاتُ فُحْشٍ طاهراتُ المَناسبِ

فجعل أبو السائب يَزْفِنُ[5] ويقول : أبْشِرِ حبيبي فَلأنْتَ أفْضَل من شهداء قَزْوين ! ثم قال ابن سلمة للأخضرِ : نِعمَ المُساعدُ على همِّ الليل أنْتَ ، فوقِّع بنوحِ ابن سُرَيْج ولا تَعدُ مغناك ، فاندفع يُغَنّي : [من الطويل]

٤ الأغاني ١ : ٢٧٢–٢٧٣ .

١ الأغاني : يا أبا الأزهر .
٢ ابهار الليل : انتصف أو ذهب أكثره .
٣ الأغاني : فوقع .
٤ الأغاني : وأصب .
٥ يزفن : يرقص .

فلمّا التقينا بالحَجُونِ تَنَفَّسَتْ تَنَفُّسَ محزونِ الفؤادِ سقيمِ
وقالت وما يَرْقا من الخوفِ دَمْعُها أَقاطِنُها أَم أَنْتَ غيرُ مُقيمِ
فإنّا غداً تُحدى بنا العِيسُ بالضُّحى وأَنْتَ بما نلقاه غيرُ عَليمِ
فقطَّع قَلْبي قولُها ثمَّ أَسْبَلَتْ محاجرُ عَيْني دَمْعَهَا بسُجومِ

فجعل أَبو السائبِ يتأفف : أَعتق ما يملك إن لم تكن فردوسيةَ الطينةِ ، وأَنَّها بعملها أَفضل من آسية امرأة فرعون .

٥ - ويُروى أَنَّ أَبا دَهْبَل الجُمحيَّ قال : كنتُ وأَبو السائبِ المخزومي عند مُغَنِّيةٍ بالمدينةِ يقال لها الذَّلْفاء ، فغَنَّتْنا بشعر جميل بن معمر : [من الطويل]

لـهُنَّ الوَجا لِمْ كُنَّ عَوْناً على النَّوى ولا زال منها ظالعٌ وحسيرُ[١]
كأَنِّي سُقيتُ السَّمَّ يومَ تحمَّلوا وجدَّ بهم حادٍ وحان مسيرُ

فقال أَبو السائبِ : يا أَبا دَهْبَلٍ ، نحن واللهِ على خَطَرٍ من هذا الغِناء ، فنسأَلُ اللهَ السلامةَ ، وأَن يكفيَنا كلَّ محذورٍ فما آمنُ أَن يهجمَ بي على أَمْرٍ يهتكني ، قال : وجعل يبكي .

٦ - قال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قَدِم جرير بن الخطفى المدينةَ ونحن يومئذٍ شُبَّان ، فطلب الشعراء فاحتَشَدْنا له ومعنا أَشْعَبُ ، فبَيْنا نحن عنده إذ قامَ لحاجةٍ وأَقمْنا لم نَبْرَحْ ، ويجيءُ الأَحوصُ بن محمد الشاعرُ من قُباء على حمارٍ ، فقال : أَين هذا ؟ قُلْنا : قد قامَ لحاجةٍ فما حاجتُك إليه ؟ قال : أُريدُ واللهِ أَن

٥ الأغاني ١ : ٢٧٣-٢٧٤ وبيتا جميل في ديوانه : ٩٥ .
٦ الأغاني ١ : ٢٧٦-٢٧٨ وانظر أيضاً ٨ : ١٢-١٣ وديوان الأحوص : ٤٥ وبيته في الأغاني ١٦ : ١١٠ منسوب لكثيّر وليس في ديوانه وبيتا جرير في ديوانه ٢ : ٩٣٩-٩٤٠ وفيه في البيت الثاني «ما لم أفعل» .

١ الأغاني والديوان : وكسير .

أُعْلِمَهُ أنَّ الفرزدقَ أَشرف منه وأَشعر ، قُلْنا له : ويحك ، لا تَعْرِض له فانْصَرِفْ . وخَرَج جريرٌ ، فلم يكُ بأَسرعَ من أَن أَقْبَلَ الأَحوصُ ، فوقف عليه فقال : السلام عليك ، فقال جرير : وعليك السلام ، فقال : يا ابنَ الخَطَفى ، الفرزدقُ أَشْرَفُ منكَ وأَشْعَرُ ، قال جرير : مَنْ هذا أَخزاه الله ! قُلْنا : الأَحوص بن محمد بن عبدالله ابن عاصم بن ثابت بن أَبي الأَقلح ، فقال : نعم ، هذا الخبيث ابن الطيِّبِ ، أَنت القائل : [من الطويل]

يقَرُّ بعيني ما يقرُّ بعَيْنِها وأَحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

فقال : نعم ، قال : فإنَّه يقرُّ بعَيْنِها أَن يدخلَ فيها مِثْلُ ذِراعِ البَكْرِ ، أَفيقرُّ ذاك بعَيْنِك ؟ وكان الأَحوصُ يُرمى بالحِلاقِ ، فانصرف فبعث إليه بتَمْرٍ وفاكهة . وأَقبلْنا على جريرٍ نسألُه وأَشْعَبُ عند البابِ وجريرٌ في مؤخَّرِ البيتِ ، فأَلحَّ عليه أَشْعَبُ يَسْأَلُه ، فقال : واللهِ إني لأَراك أَقبحهم وَجْهاً ، وأَراك أَلأَمَهُم حَسَباً ، قد أَبْرَمْتَني منذ اليومِ ، فقال : إني والله أَنْفَعُهُم وخَيْرُهم لك ، فانتبه جريرٌ وقال : ويحك ، وكيف ذاك ؟ قال : إني أُملِّحُ شِعْرَك وأُجيدُ مقاطِعَه ومبادِئَه ، قال : قُلْ ، وَيْحَك ! فاندفع أَشعب فتغنَّى بلحنٍ لابن سُرَيْجٍ في شِعْرِهِ : [من الكامل]

يا أُخْتَ ناجيةَ السلامُ عليكم قَبْلَ الرحيلِ وقَبْلَ لومِ العُذَّلِ
لو كُنتُ أَعلمُ أنَّ آخرَ عهدكم يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم يُفْعَلِ

فطرب جرير وجعل يزحف حتى مسَّتْ رُكْبَتُه رُكْبَتَه ، وقال : لعمري لقد صَدَقْتَ ، إنَّك لأَنْفَعُهم لي ، وقد حسَّنْتَه [وأجدته] وزيَّنْتَه ، أَحسنت واللهِ ! ووصله وكساه . فلما رأَينا إعجابَ جريرٍ بذلك الصوتِ قال له بعضُ أَهل المجلس : فكيف لو سمِعْتَ واضعَ هذا الغناء ؟ قال : وإنَّ له لَواضِعاً غَيْرَ هذا ؟ قُلْنا : نعم ، قال : وأَيْنَ هو ؟ قُلْنا : بمكَّةَ ، قال : فلستُ بمفارقٍ حجازَكم حتى أَبْلُغَه . فمضى ومضى معه جماعةٌ ممَّن يرغَبُ في طلبِ الشِّعْرِ في صحابتِه وكنتُ فيهم . فقَدِمْنا مكَّةَ فأَتيناه بأَجْمعِنا فإذا هو في فِتْيةٍ من قريشٍ كأَنَّهم المَها مع ظَرْفٍ كثيرٍ ،

فرحَّبوا وأَذنوا وسأَلوا عن الحاجةِ ، فأَخبرناهم الخبرَ ، فرحَّبوا بجريرٍ وأَدْنَوْهُ وسُرُّوا بمكانِه ، وأعظم عُبَيْد بن سُرَيْج موضِعَ جَريرٍ وقال : سَلْ ما تُريدُ جُعِلْتُ فِداكَ ، قال : أُريد أَن تُغنِّيَني لحناً سَمِعْتُه بالمدينةِ أَزْعَجَني إِليك ، قال : وما هو ؟ قال :

يا أُخْتَ ناجيةَ السلام عليكم

فغنَّاه ابن سُرَيْجٍ وبيدِهِ قَضيبٌ يُوَقِّعُ به وينكُت ، فواللهِ ما سَمِعْنا شيئاً قطُّ أَحسنَ من ذلك ، فقال جرير : للهِ دَرُّكم يا أَهل مكَّةَ ، ماذا أُعطيتم ! واللهِ لو أَنَّ نازِعاً نزعَ إِليكم ليقيم بين أَظهركم يسْمعُ هذا صباحَ مساءَ لكان أَعظمَ الناسِ حظّاً ونَصيباً ، ومع هذا بيتُ اللهِ الحرامِ ، ووجوهكم الحسان ، ورِقَّةُ أَلسنتِكم ، وحُسْنُ شارَتِكم ، وكَثْرةُ فوائدِكم .

٧ – رُوِي أَنَّ ابن عائشة كان واقفاً بالموسمِ مُتَحَيِّراً ، فمرَّ به بعضُ أَصحابِهِ ، فقال له : ما يُقيمُكَ ههنا ؟ قال : إِني أَعرِفُ رجلاً لو تكلَّم لحَبَسَ الناسَ ههنا ؛ فلم يذْهَبْ أَحدٌ ولم يجيء ، فقال له الرجلُ : ومَنْ ذاك ؟ قال : أَنا ، ثم اندفع يُغَنِّي : [من الوافر]

جرَتْ سُنُحاً فقُلْتُ لها أَجيزي … نوًى مشمولةً فمتى اللقاءُ
بنَفْسي مَنْ تذكُّرُهُ سَقامٌ … أُعانيهِ ومَطْلَبُهُ عَناءُ

البيتُ الأَولُ لزهيرٍ ، والثاني أَلحقه به المُغنُّون . فحُبِس الناسُ فاضطربت المَحامِلُ ، ومدَّت الإِبلُ أَعناقَها ، وكادَت الفتنةُ أَن تَقَعَ ، فأُتِيَ به هشام بن عبد الملك فقال له : يا عدوَّ اللهِ ، أَرَدْتَ أَنْ تَفتِنَ الناسَ ؟ قال : فأَمْسَكَ عنه وكان تَيَّاهاً ، فقال له هشام : ارفق بتيهِك ، فقال : حُقَّ لمن كانت هذه مقدرته على القلوبِ أَن يكون تيَّاهاً . فضحك منه وخلَّى سبيلَه .

---

٧ الأغاني ٢ : ١٧٥–١٧٦ وانظر ٢٠ : ٣١٩ ونهاية الأرب ٤ : ٢٨٤–٢٨٥ والبيت الأول في شرح ديوان زهير : ٥٩ .

٨ – والموصوفون بحُسْنِ الصوتِ من المُغَنِّين : ابن سُرَيجٍ وقد مرَّ بعضُ أخبارِهِ الدالةِ على ذلك ، وابن عائشة وهذا الخبرُ كافٍ في ما ذُكِر عنه ، وعمرو بن أَبي الكَنّاتِ ، وابن تيزن ، وإِسماعيل بن جامع ، ومخارق ، وابراهيم بن المهديّ .

٩ – فأَما عمرو بن أَبي الكَنّات ، فإِن عليَّ بنَ الجَهْم حدَّثَ عمَّن يَثِقُ به قال : واقَفْتُ ابن أَبي الكَنّاتِ على جِسرِ بغداد أَيام الرشيد ، فحدَّثْتُه بحديثٍ اتَّصل بي عن ابن عائشة أَنَّه فعله أَيام هشامٍ ، وأَنَّه حبس الناسَ بغِنائه ، واضطربت المحامِلُ ومدَّت الإِبلُ أَعناقَها حتى كادت الفتنةُ أَن تَقَعَ . قال : فَبَرَقَ ابن أَبي الكَنّاتِ وقال : فأَنا أَفعلُ كما فعل ، وقُدرتي على القلوبِ أَكثر من قُدْرَتِه كانت ، ثم اندفع يُغَنِّي : [من الخفيف]

عَفَت الدارُ بالهضابِ اللواتي بين ثَوْرٍ[1] فمُلْتقى عَرَفات

ونحن على جِسْرِ بغداد . وكان إِذ ذاك على دجلةَ ثلاثة جُسورٍ معقودةٍ ، فانقطعت الطرقُ ، وامتلأَت الجسورُ بالناسِ ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتى خِيفَ عليها أَن تنقطعَ لثقل ما عليها من الناسِ . فقُبِض عليه وحُمِل إِلى الرشيدِ فقال له : ويلك ! أَرَدْتَ أَن تَفْتِنَ الناسَ ؟ فقال : لا واللهِ يا أَميرَ المؤمنين ، ولكنه بلغني أَنَّ ابنَ عائشةَ فعل مِثْلَ هذا في أَيامِ هشام ، فأَحبَبْتُ أَن يكونَ في أَيامِك مِثْلُه . فأَعجبه ذلك من قولِهِ وأَمرَ له بمالٍ ، وأَمره أَن يُغَنِّيَ ، فسمع شيئاً لم يسمع مِثْلَه ، فاحتَبَسَهُ عنده شَهْراً .

قال هذا المُخبرُ : وكان ابنُ أَبي الكَنّاتِ كثيرَ الغشيان لي ، فلما أَبطأَ توهَّمْتُه قد قُتِل ، فصار إِليَّ بعد شَهْرٍ بأَموالٍ جَسيمةٍ ، وحدَّثني ما جَرى بينه وبين الرشيد .

---

٩ الأغاني ٢٠ : ٣٢٩–٣٣٠ ونهاية الأرب ٤ : ٣١٠ مع اختلاف في الصوت الذي غناه ابن أبي الكنات .

١ الأغاني : بسوار .

١٠ – وأما ابن جامعٍ فغنّى ذاتَ يومٍ صوتاً يرثي به أُمَّه ، وكان أحسنَ الناسِ صوتاً إذا حَزِنَ ، فلم يملك الحاضرون أَنْفُسَهم ، وضربَ الغلمانُ برؤوسهم الحيطانَ والأَساطين . وأَخباره دالَّةٌ بأَنَّه كان إذا عارضَ المُغَنِّين بذَّهم بصَوْتِه في مجلسِ الرشيد ، وكان في وَقْتِه فُحولُهم وذوو النباهةِ منهم مثل إبراهيم ، وحكم الوادي وأَمثالهما .

١١ – وأَما ابراهيم بن المهديِّ فكان إذا غَنَّى أَنْصتَ له الوَحْشُ وجاء حتى يَقِفَ قريباً من المجلسِ الذي يكون فيه حتى يَنْقضيَ غِناؤُهُ ، فإذا سكت عاد الوَحْشُ إلى أَماكنِه من البستان أَو الحائرِ الذي يكونُ فيه .

ويقال : إنَّه كان إذا تَنَحْنَحَ أَطْرَبَ ، وكان يُخاطبُ وكيله من رَوْشَنَةٍ على دِجْلَةَ فيسمعه من الجانبِ الآخرِ من غيرِ أَن يُجْهِدَ نَفْسَهُ .

١٢ – وأَما مُخارق فرُوِي أَنَّه خرج إلى بعضِ المتنزَّهاتِ ، فنظر إلى قوسٍ مُذْهَبَةٍ مع أَحدِ مَنْ خَرَجَ معه ، فسأَله إيَّاها فضنَّ بها ، وسَنَحَتْ ظباءٌ بالقُرْبِ منه ، فقال لصاحبِ القَوْسِ : أَرَأَيْتَ إنْ تَغَنَّيْتُ صوتاً يَعْطِفُ عليك خُدودَ هذه الظباء أَتـدْفَعُ إليَّ هذه القَوْسَ ؟ قال : نعم ، فاندفع يُغنِّي : [من المجتث]

ماذا تقولُ الظِّباءُ أَفُرْقَةٌ أَم لقاءُ
أَم عَهْدُها بسُلَيْمى وفي البيانِ شِفاءُ
مرَّت بنا سانحاتٍ وقد دنا الإمساءُ
فما أَحارَتْ جَواباً وطال فيها العَناءُ

فعطفت الظِّباءُ راجعةً إليه حتى وقفت بالقُرْبِ منه مُصْغِيَةً إلى صَوْتِهِ ، فعجبَ مَنْ حضر من رُجوعِها ووقوفِها ، وناوله الرجلُ القَوْسَ .

---

١٠ انظر الأغاني ٦ : ٢٩٠ ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٧ .
١١ الأغاني ١٠ : ١١٦ ونهاية الأرب ٤ : ٢١٠ .
١٢ الأغاني ١٨ : ٢٧٣–٢٧٤ ونهاية الأرب ٤ : ٣١٨ .

١٣ - غَضِبَ المعتصمُ على مخارقٍ ، فأَمرَ أَن يُجْعَلَ في المؤذِّنين ، فأمهل حتى علمَ أَنَّ المعتصمَ يشربُ وأُذِّنَت العصرُ ، فدخل إلى السِّتْرِ حيث [يَقِفُ] المؤذِّنُ للسلامِ ، ثم رفع صوته وقال : السلام عليك يا أَميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله ، فبكى حتى جَرَتْ دُموعُه وبكى كلُّ مَنْ حَضَر ، ثم قال : أَدْخِلوه إليَّ ، وأَقبل على الحاضرين وقال : سَمِعْتُم هكذا قَطُّ ؟ هذا الشيطان لا يترك أَحداً يغضبُ عليه ! ورضي عنه وغنَّاه ، وأَعاده إلى مَرْتَبَتِه .

١٤ - يُروى أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه قال في بعضِ أَسفاره لرباحِ ابن المُعْتَرف : غَنِّ ، فغنَّاه : [من الطويل]

أَتعْرِفُ رَسْماً كاطِّرادِ المذاهبِ لعَمْرَةَ قَفْراً غير موقِف راكبِ

فأَصغى إليه عمر فقال : أَجدْتَ بارك الله عليك ، فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، لو قُلْتَ : «زِهْ» كان أَعجبَ إليَّ ؛ قال : وما «زِهْ» ؟ قال : كلمةٌ كان كِسْرى إذا قالها أَعطى مَنْ قالَها أَربعةَ آلافِ درهم . قال : إن شئتَ أَن أَقولها لك فَعَلْتُ ، فأَمّا إعطاءُ أَربعة آلاف درهم فلا يجوز لي من مالِ المسلمين ، قال : فبعضها من مالك ، فأَعطاه أَربعمائة درهم ، فقال يَرْفَـأُ : أَتصِلُ المُغَنِّي ؟ قال : خدعني .

١٥ - قيل لإسحاق المَوْصلي : كيف كانت حالُ بني مروان في اللهو ؟ قال : أَما معاويةُ وعبد الملكِ والوليد وسليمان وهشام ومروان فكانت بينهم وبين النّدماء والمغنين ستارَةٌ لئلّا يظهرَ منهم طلبُ الخلفاء اللذَّةَ والغِناء ، وأَما أَعقابُهم فكانوا لا يتحاشَوْن ، ولم يكن منهم في مِثْلِ حال يزيد بن عبد الملكِ في السُّخْفِ .

١٣ الأغاني ١٨ : ٢٨٣ ونهاية الأرب ٤ : ٣١٩ .

١٤ الاستيعاب ٢ : ٤٨٦ والخبر فيه عن عبد الرحمن بن عوف ورباح بن المعترف والبيت لقيس بن الخطيم في الأغاني ٣ : ٩ وديوانه : ٧٦ .

١٥ انظر محاضرات الراغب ٢ : ٦٩٤ .

قيل : فعمر بن عبد العزيز ؟ قال : ما أُظنُّ [أنه] سمع حرفاً قطّ من الأغاني بعدما أُفْضَتْ إليه الخلافةُ ، وقَبْلَها كان يَسْمَعُ جَوارِيَه خاصَّةً . قيل : فيزيد الناقصُ ؟ قال : ما بلغني أَنَّه سَمِع الغناءَ قطُّ ؛ كان يُظْهِرُ التألُّهَ ، وهو يقولُ بالقَدَرِ .

١٦ — عن حذيفةَ قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم : «يجيءُ قَوْمٌ من بَعْدي يُرَجِّعون بالقُرآنِ ترجيعَ الغناء والرهبانيةِ والنَّوْحِ لا يُجاوزُ حناجرَهم . مَفْتونةٌ قلوبُهم وقلوبُ الذين يُعجبهم شأنُـهم» .

١٧ — وسُئِل الفُضَيلُ رحمه الله عن قراءةِ القُرآن بأَلحانٍ ، فقال : إنَّما أُخذَ هذا من الغِناء قومٌ اشتَهَوا الغِناءَ فاستحَبُّوا فحوَّلوا نَصْبَ الغِناء على القُرآنِ ، وعسى أن يقرأَ رجلٌ [ليس] له صَوْتٌ فلا يُعجبهم وهو خيرٌ من صاحبِ الصوتِ ؛ ويقرأُ الآخر فيُعجبُهم صوتُه فيقولون : ما أَحسنَ قُرآنَه ! ولعله لا يُجاوزُ قُرآنُه حُنْجَرَتَه .

١٨ — وقال رجلٌ للحسنِ : ما تقولُ في الغناء ؟ فقال : نِعْمَ الشيءُ الغِنى ! تُوصَلُ به الرَّحِمُ ، ويُنَفَّسُ به عن المكروبِ ، ويُفْعل فيه المعروفُ ، قال : إنَّما أعني الشَّدْوَ ، قال : وما الشَّدْوُ ؟ أتعرفُ منه شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فما هو ؟ فاندفع الرجلُ يُغنِّي ويلوي شِدْقَيْهِ ومنْخرَيْه ويكسرُ عَيْنَيْه ، فقال : ما كنتُ أرى أنَّ عاقِلاً يبلغُ من نَفْسِه ما أَرى .

١٩ — وقال نافع : سمع ابن عمر مزماراً فوضع أُصبَعَيْه في أُذُنَيْه ونأى عن الطريقِ وقال : يا نافعُ ، هل تَسْمَعُ شيئاً ؟ فقال : لا ، فرفع أُصبعيه من أُذُنَـيْهِ وقال : كنتُ مع النبيِّ ﷺ وعلى آلِهِ وصحبه فسَمع مِثْلَ هذا فصنع مِثْلَ هذا .

٢٠ — قال الأَصمعيُّ : قلتُ لأعرابيٍّ : أَلكَ شِعْرٌ ؟ قال : قلتُ أَبياتاً ، فتغنَّى بها حكمُ الوادي فما حرَّك بها قَصَّابَةً إلا خِفْتُ النارَ ، فأَبغضتُ قَوْلَ الشِّعْرِ .

---

١٨ نثر الدر ٥ : ١٩١–١٩٢ والعقد ٦ : ١٠ مع اختلاف في اللفظ .
١٩ نهاية الأرب ٤ : ١٤٢ و١٨٩ .

٢٠ أ – [قال عبد الرحمن بن عوف][١] : أتيتُ بابَ عمرَ رضي الله عنه فسمعتُه يُغنِّي بالرُّكبانيَّةِ : [من الطويل]

فكيف ثوائي بالمدينةِ بَعْدَما قَضى وَطَراً منها جميلُ بن مَعْمَرِ

هو جميلُ الجُمحيُّ وكان مختصّاً به . فلما استأذَنْتُ عليه قال لي : أَسمعتَ ما قُلْتُ ؟ قلتُ : نعم ، قال : إنَّا إذا خَلَوْنا قُلْنا ما يقولُ الناسُ في بيوتهم .

٢١ – وعن عبدالله بن عوف : قال أفلاطن : من حَزِنَ فليسمع الأصواتَ الحسنةَ ؛ فإن النَّفْسَ إذا حَزِنَتْ خَمَدَ نورُها ، وإذا سَمِعَتْ ما يُطربُها ويَسرُّها اشتعل منها ما خَمَدَ .

وما زالت ملوكُ فارس تُلْهي المحزونَ بالسماعِ ، وتُعَلِّلُ به المريضَ ، وتَشْغَلُه عن التفكُّرِ .

٢٢ – قال سلام الخالدي رحمه الله للمنصورِ – وكان يُضْرَبُ بحُدائِهِ المَثَلُ : مُرْ يا أَميرَ المؤمنين أن يُظْمِئوا الإبلَ ثم يُوردِوها الماءَ ، فإنِّي آخُذُ في الحُداءِ فترفع رؤوسها وتتركُ الشُّرْبَ حتى أَسْكُتَ .

٢٣ – وأذَّن البَعْلَبكيُّ مؤذِّنُ المنصورِ فرجَّع وجاريةٌ تصبُّ الماءَ على يَدَيْهِ ، فارتعدت حتى وقع الإبريقُ من يَدِها ، فقال للمؤذِّنِ : خُذْ هذه الجاريةَ فهي لك ، ولا تُرَجِّع هذا الترجيعَ .

٢٤ – رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ المحدِّثين سمع غناءً بخُراسان ، فلم يَدْرِ ما هو ، غَيْرَ أنّه شَوَّقه وأشجاه بحسنه فقال في ذلك : [من الوافر]

٢٠أ الكامل للمبرد ٢ : ٥٦٤–٥٦٥ وانظر الحاشية ٢ فيه .
٢٤ الكامل للمبرد ٢ : ١٠٣ ومحاضرات الراغب ٢ : ٧١٩ والأبيات لأبي تمام .

---

١ زيادة من الكامل .

حَمِدْتُك ليلةً شرُفَتْ وطابَتْ أَقامَ سُهادُها ومضى كَراها
سمعتُ بها غِناءً كان أَوْلى بأن يعتادَ نَفْسي من عَناها
ومُسْمِعَةٍ يحارُ السمعُ فيها ولم تصممه ، لا يُصمم صَداها
ولم أَفهم معانيها ولكن وَرَتْ كبدي فلم أَجْهَلْ شَجْاها
فكنتُ كأَنَّني أَعمى مُعَنًّى بحُبِّ الغانيـاتِ ولا يـراها

٢٥ – قال أَبو عثمان الناجم : بحوحةُ الحَلْقِ الطيِّبِ تُشْبهُ مَرَضَ الأَجفانِ الفاترةِ .

٢٦ – وقال مالك بن أَبي السَّمْحِ : سأَلْتُ ابنَ سُرَيْجٍ عن قولِ الناسِ : فلانٌ يُصيبُ وفلانٌ يُخْطِئُ ، وفلانٌ يُحْسِنُ وفلانٌ يُسيءُ ، فقال : المصيبُ المُحْسِنُ من المُغَنِّين هو الذي يُشْبِعُ الأَلحانَ ، ويملأُ الأَنفاسَ ، ويُعدِّلُ الأَوزانَ ، ويُفَخِّمُ الأَلفاظَ ، ويعرِفُ الصوابَ ، ويُقيمُ الإعرابَ ، ويستوفي النَّغَمَ الطِّوالَ ، ويُحَسِّنُ مقاطع النَّغَمِ القِصارِ ، ويُصيبُ أَجناسَ الإيقاعِ ، ويَخْتلِسُ مواضع النَّبْراتِ ، ويستوفي ما يُشاكِلُها من النَّقَراتِ . فعرضتُ ما قال على معبدٍ فقال : لو جاء في الغناء قُرآنٌ ما جاء إلا هكذا .

٢٧ – وقال إبراهيم المَوْصليُّ : الغِناءُ على ثلاثةِ أَضْرُبٍ : فَضَرْبٌ مُلْهٍ مُطْرِبٌ يُحرِّكُ ويُسْخِفُ وضربٌ ثانٍ له شَجًى ورِقَّةٌ ، وضربٌ ثالثٌ حكمةٌ وإتْقانُ صَنْعَةٍ . وقال : كان هذا كلُّه مجموعاً في غناء ابن سُرَيْج .

٢٨ – قال عُكَاشةُ العميُّ : [من الكامل]

من كفِّ جاريةٍ كأَنَّ بنانَها من فِضَّةٍ قد طُرِّفَتْ عُنَّابا
وكأَنَّ يُمناها إذا نطقت[1] بها تُلْقي على يَدِها اليسارِ حِسابا

---

٢٦ الأغاني ١ : ٢٩٦ .
٢٨ العقد ٦ : ٧٤ ورسائل الجاحظ ٣ : ١٤٤–١٤٥ وزهر الآداب : ٦٦٣ .

---

١ العقد : ضربت .

٢٩ – وقال ابن الروميّ وذكر مُغَنِّياتٍ : [من الخفيف]

وقِيانٍ كأنَّها أُمَّهاتٌ عاطفات على بنيها حواني

مُطْفِلات وما حَمَلْنَ جنيناً مرضعات ولسن ذات لبانِ

كلُّ طفل يدعى بأسماء شَتَّى بين عودٍ ومزهر وكِرانِ

أُمُّه دَهْرَها تُتَرْجِمُ عنه وهو بادي الغِنى عن التَّرْجُمانِ

٣٠ – وقال أيضاً : [من السريع]

كأنَّما رقَّـةُ مسموعِهـا رِقَّةُ شكوى سبقت دَمْعَه

٣١ – وقال : [من السريع]

غَنَّيْتَ فلم تَحْتَجْ إلى زامرٍ هَلْ تُحْوَجُ الشمسُ إلى شَمْعَهْ

كأنَّما غَنَّتْ لشَمْسِ الضُّحى فألبَسَتْها حُسْنَها خِلْعَـهْ

٣٢ – وقال ابن كشاجم : [من الكامل المجزوء]

تأتي أغاني عاتبٍ أبداً بأفراحِ النُّفوسِ

تشدو فنرقص بالرؤو سِ لها ونزمر بالكؤوس

٣٣ – وقال أيضاً : [من المتقارب]

لقد جاد من عاتبٍ ضَرْبُها وزاد كما زاد تغريدُها

إذا نَوَتِ الصوتَ قبل الغنا ءِ أَنْشَدَنا شِعْرَها عودُها

٣٤ – وقال أيضاً : [من المنسرح]

ما صَدَحَتْ عاتبٌ ومِزْهَرُها إلا وَثِقْنا باللَّهْوِ والفَرَحِ

---

٢٩ زهر الآداب : ٦٦٥ وديوان ابن الرومي : ٢٤٩٨ .

٣٠-٣١ ديوان ابن الرومي : ١٤٩٩ .

لها غناءٌ كالبُرْءِ في جَسَدٍ أضناهُ طولُ السَّقامِ والتَّرَحِ
تعيدها الراح فهي ما صَدَحَتْ إبريقُنا ساجدٌ على القَدَحِ

٣٥ – وقال : [من الخفيف]

ما تغنَّت إلا تكشَّفَ همٌّ عن فُـؤادٍ [مبرَّحٍ] أحـزانُ
تَفضُلُ المُسْمِعين طيباً وحُسْناً مِثْلَما يَفْضُلُ السماعَ العِيانُ

٣٦ – وقال : [من الكامل المجزوء]

شَدْوٌ أَلذُّ من ابتدا ءِ العينِ في إغْفائِها
أَحْلى وأشْهى من مُنى نَفْسٍ وصدْقِ رَجائِها

٣٧ – وقال ابن المعتزِّ يصفُ مجلساً وذكر الغناءَ في الجملةِ : [من الخفيف]

وندامايَ في شبابٍ وعَيْشٍ أتْلَفَتْ وَفْرَهُم نفوسٌ كرامُ
بين أقداحِهِم حديثٌ قَصيرٌ هو سِحْرٌ وما سواه كلامُ
وغِناءٌ يستعجلُ الراحَ بالرا حِ كما ناحَ في الغُصونِ الحَمامُ
وكأنَّ السُّقاةَ بين الندامى أَلِفاتٌ على سطورٍ قِيامُ

٣٨ – وكتب يحيى بن عليّ إلى ابنِ المعتزِّ : [من الخفيف]

سيِّدي إنَّ عنْدَنـا زِرْيابـا ملأَتْنـا رِوايـةً وصوابـا
أخْلقَتْ سنَّها ، وإحسانها في السْـ ـسَمعِ يزدادُ جِـدَّةً وشَبابـا

٣٩ – وقال أبو الجهم الكاتب في بنات جارية محمد بن حمّاد : [من الرجز]

أَقْفَرَ إلا من بناتٍ منزِلُـهْ ودَرَسَتْ آياتُه وطَلَلُـهْ
قد بان منها كلُّ شيءٍ حَسَنٍ إلا الغِناءَ نَصْبُـه ورَمَلُـهْ

---

٣٧ ديوان ابن المعتز ٢ : ٢٣٤–٢٣٥ .

٤٠ – وقال آخر في مُغَنٍّ : [من الوافر]

فوجْهُكَ نُزْهةُ الأَبصارِ حُسْناً وصَوْتُك مُتْعَةُ الأَسماعِ طيبا
رنا ظَبْيـــاً وغَنَّى عَنْدَليبـــاً ولاحَ شقائقاً ومشى قَضيبا

٤١ – قال علي بن عبد الكريم : زار إسماعيل بن جامع إبراهيمَ المَوْصليَّ ، فأخرج إليه ثلاثين جاريةً فضَرَبْنَ جميعاً طريقةً واحدةً وغَنَّيْنَ ، فقال ابن جامعٍ : في الأَوتارِ وَتَرٌ غيرُ مستوٍ ، فقال إبراهيم : يا فُلانةُ ، شُدِّي مُثَنَّاكِ ، فشدَّتْـهُ فاستوى . فعَجِبْتُ أَوّلاً من فِطنَةِ ابنِ جامعٍ لوترٍ في مائةٍ وعشرين وَتَراً غيرِ مُسْتَوٍ ، ثم ازداد عجبي من فطنة إبراهيم له بعَيْنِه .

٤٢ – وحُكي مِثْلُ ذلك عن إسحاق بن إبراهيم : قال إسحاقُ : دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المَهْديِّ ، وفي مَجْلِسِه عشرون جاريةً قد أَجلسَ عَشْراً عن يمينه وعَشْراً عن يَسارِهِ ، ومعَهُنَّ العيدان يضرِبْنَ بها : فلمّا دَخَلْتُ سمعتُ من الناحيةِ اليُسْرَى خطأً فأَنكَرْتُـهُ ، فقال المأمون : يا إسحاقُ ، أَتسْمَعُ خطأً ؟ قُـلْتُ : نعم يا أَميرَ المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم : هل تَسْمَعُ خَطَأً ؟ قال : لا ، فأَعاد عليَّ السُّؤالَ فقُلْتُ : بلى والله يا أَميرَ المؤمنين ، وإنَّه لفي الجانبِ الأَيْسَرِ ، فأَعار إبراهيم سمعه إلى الناحيةِ اليُسْرَى ثم قال : لا واللهِ يا أَميرَ المؤمنين ما في هذه الناحيةِ خطأٌ ؛ فقلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، مُر الجواري اللواتي عن اليمينِ يُمْسِكْنَ [فأمرهن فأمسكن ؛ فقلت لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما ههنا خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، يمسكن][1] وتَضْرِبُ الثامنةُ ، فأَمسَكْنَ وضربت الثامنةُ ، فعرف إبراهيمُ الخَطأَ فقال : نعم يا أَميرَ المؤمنين ، ههُنا خطأٌ . فقال عند

٤١ الأغاني ١ : ٢١٩–٢٢٠ .
٤٢ الأغاني ٥ : ٢٥٧–٢٥٨ ونهاية الأرب ٥ : ٢–٣ .

١ زيادة من الأغاني لا بد منها لتمام الخبر .

ذلك : يا إبراهيمُ ، لا تُمارِ إسحاقَ بعدَها ؛ فإنَّ رجلاً فهم الخطأَ من ثمانين وَتَراً وعِشْرين حَلْقاً لَجَديرٌ أَن لا تُمارِيَهُ . قال : صَدَقْتَ يا أَميرَ المؤمنين ، وقال المأمونُ : للهِ دَرُّكَ يا أَبا محمد . وكَنَّاني في ذلك اليوم دَفْعَتَيْن .

٤٢ أ – وكانت لإسحاقَ نظائرُ لهذا تُنْبِئُ عن حِذْقِهِ وعِلْمِهِ بهذا الشَّأْنِ وتَبْريزِهِ على غيره . حدَّث إسحاقُ بن إبراهيم الظاهريُّ قال : حدَّثتني مُخارقُ مولاتُنا قالت : كان لمولاي الذي علَّمني الغِناءَ فَرَّاشٌ روميٌّ ، وكان يُغَنِّي بالروميةِ صوتاً مليحَ اللَّحْنِ ، فقال لي مولاي : يا مُخارقُ ، خُذي هذا اللحنَ الروميَّ فانْقُليه إلى شعرِ صوتٍ من أَصواتِك العربيَّةِ حتى أَمتَحِنَ به المَوْصليَّ إسحاقَ فأَعلم أَين تَقَعُ معرِفَتُه ، فَفَعَلْتُ ذاكَ .

وصار إليه إسحاقُ فاحتسبه مولايَ فأَقامَ ، وبعث إليَّ أَن أَدْخلي اللَّحْنَ الروميَّ في وسط غنائِك ؛ فغنَّيْتُه إيّاه في دَرْجِ أَصواتٍ مرَّت قَبْلَهُ ، فأَصغى إليه إسحاقُ وجعل يَتَفهَّمُه ويُقَسِّمُه ويتفَقَّدُ أَوزانَه ومقاطِعَه ويُوقِّع بيدِهِ ، ثم أَقبل على مولاي وقال : هذا الصوتُ روميُّ اللحنِ ، فمن أَين وقع لك ؟ وكان مولاي بعد ذلك يقول : ما رأَيْتُ شيئاً أَعجب من استخراجِهِ لَحْناً روميّاً لا يَعْرِفُه ولا العلَّةَ فيه وقد نُقِل إلى غناءٍ عربيٍّ وامتزجت نَغْمَتُهُ حتى عَرَفَهُ ولم يَخْفَ عليه .

٤٣ – ورُوِيَ أَنَّ المُغَنِّين تناظروا يوماً عند الواثِقِ فذكروا الضُّرَّاب وحِذْقَهمُ ، فقَدَّم إسحاقُ زلزلاً[١] على ملاحظ ، وللملاحظ في ذلك الرئاسةُ على جميعهم . فقال له الواثقُ : هذا حَيْفٌ وتَعَدٍ منك . فقال إسحاقُ : يا أَميرَ المؤمنين ، اجمع بينهما وامتَحِنْهُما ، فإنَّ الأَمْرَ سينكشِفُ لك فيهما . فأَمر

٤٢أ الأغاني ٥ : ٢٥٢–٢٥٣ .
٤٣ الأغاني ٥ : ٢٥٤ .

---

١ م : ربرباً والتصحيح عن الأغاني .

بهما فأُحْضِرا ، فقال إسحاقُ : إنَّ للضُّرَّابِ أَصواتاً معروفةً فأَمتحنهما بشيءٍ منها ؟ قال : أَجل افْعَلْ ، فسمَّى ثلاثةَ أَصواتٍ كان أَوَّلها ، والشعر والغناء لإبراهيم : [من السريع]

عُلِّقَ قلبي ظَبْيَةَ السِّيب جَهْلاً فقد أُغري بتعذيبي
نَمَّتْ عليها حين مرَّت بنا مجاسِدٌ يَنْفَحْنَ بالطِّيبِ[1]
تصدُّها عنَّا عجوزٌ لها مُنكَرَةٌ ذاتُ أَعاجيبِ
فكلَّما همَّتْ بإتيانِنا قالت تَوَقَّيْ عَدْوَةَ الذيبِ

فضربا عليه [فتقدَّم] زلزل وقَصَّر مُلاحظ . فعجبَ الواثِقُ من كشفِهِ عمَّا ادَّعاه في مجلسٍ واحدٍ ، فقال له مُلاحظ : فما بالُه يا أَميرَ المؤمنين يُحيلك على الناسِ ، ولم لا يضربُ هو ؟ فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّه لم يكن في زماني أَحدٌ أَضرب مني ، إلا أَنَّكم أَعفيتموني ، فَتَفَلَّتَ مني ، وعلى أَنَّ معي بقيَّةً لا يتعلَّقُ بها أَحدٌ من هذه الطبقةِ ، ثم قال : يا مُلاحظُ ، شَوِّشْ عودَك وهاتِه ، ففعل ذلك مُلاحظ . فقال إسحاقُ : يا أَميرَ المؤمنين ، هذا يخلطُ الأَوتارَ خَلْطَ مُتَعَنِّتٍ ، فهو لا يألو ما أَفْسَدَها . ثمَّ أَخذَ العودَ فجسَّه ساعةً حتى عرفَ مواقِعَهُ ، وقال لمُلاحظ : غَنِّ أَيَّ صوتٍ شِئْتَ . فغنَّى ملاحظٌ صوتاً وضرب عليه إسحاقُ بذلك العودِ الفاسدَ التَّسْوِيةِ ، فلم يُخرِجْهُ عن لَحْنِه في موضعٍ واحدٍ حتى استوفاه عن نَقْرَةٍ واحدةٍ ، ويَدُهُ تصعد وتنحدر على الدساتين . فقال له الواثقُ : لا واللهِ ، ما رأَيْتُ مِثْلَكَ ولا سمعتُ به قَطُّ ! اطرحْ هذا على الجواري ، فقال : هيهاتَ يا أَميرَ المؤمنين ! هذا شيءٌ لا يفي به الجواري ولا يصلح لهنَّ ، إنَّما بلغني أَنَّ الفلهيذ[2] ضَرَبَ يوماً بين يَدَيْ كِسْرى أَبْرَويز ، فأَحسن فحسده رجلٌ من حُذَّاقِ أَهلِ صناعته ، فترقَّبَه حتى قام لبعضِ شأْنِه ، ثم خالفه إلى عودِهِ فشوَّشَ بَعْضَ أَوتارِهِ ، فرجع

١ المجاسد : القمصان .
٢ م : الفلهند والتصحيح عن الأغاني .

وضرب وهو لا يدري ، والملوكُ لا تُصْلَحُ العيدانُ في مجالسِها ، فلم يزلْ يضرب بذلك العودِ إلى أَن فرغ ، ثم قام على رِجْلَيْهِ فأَخبر الملكَ بالقِصَّةِ فامتحن العود فعرف ما فيه ، فقال له : «زِهْ وزهان زِهْ» ووصله بالصلةِ التي كان يصلُ بها من يُخاطبه بهذه المخاطبةِ ، فلما تواطأَت الرواياتُ بذلك ، أَخذْتُ به نَفْسي ورُضْتُها عليه وقُلْتُ : لا ينبغي أَن يكون الفِلْهيذُ أَقوى على هذا منِّي ، فما زِلْتُ أَستَنْبطُه بِضْع عشرة سنةً حتى لم يَبْقَ في الأَوتارِ موضعٌ على طبقةٍ من الطباقِ إلا وأَنا أَعرِفُ نَغَمَتَه كيف هي والمواضعَ التي تخرج النغمة كلّها من أَعاليها إلى أَسافِلها ، وكل شيءٍ منها يُجانِسُ شيئاً غَيْرَهُ ، كما أَعرِفُ ذلك في مواضعِ الدَّساتين ، وهذا شيءٌ لا يفي به الجواري . فقال له الواثقُ : لعمري لقد صَدَقْتَ ، ولئن مِتَّ لتموتَنَّ هذه الصناعةُ معك . وأَمر له بثلاثين أَلف درهم .

٤٤ – قال أَحمد بن حَمْدون : سمعتُ الواثِقَ يقول : ما غنَّاني إِسحاقُ قَطُّ إلا ظَنَنْتُ أَنَّه قد زِيدَ لي في مُلْكي ، ولا سمِعْتُه يُغنِّي غناءَ ابن سُرَيْجٍ قطُّ [إلا ظننتُ أَنَّه] قد نُشِرَ ؛ وإنَّه ليحضرني غيره إذا لم يكُن حاضراً فيتقدَّمُه عندي وفي نَفْسي بطيبِ الصوتِ ، حتى إذا اجتمعا عندي رأَيْتُ إِسحاقَ يعلو ، ورأَيْتُ مَنْ تقدَّمَ يَنْقُصُ ، وإنَّ إِسحاقَ لنِعْمَةٌ من نِعَمِ المُلْكِ التي لم يَحْظَ أَحدٌ بمِثْلِها ، ولو أَنَّ العُمُرَ والشبابَ والنَّشاطَ ممَّا يُشْترى لاشتريتُهُنَّ له بشطر مُلكي .

٤٥ – قال دَحْمان الأَشْقَرُ : كتب عاملٌ لعبد الملك بن مروان بمكَّةَ إليه أَنَّ رجلاً أَسودَ يقالُ له سعيد بن مِسْجَح قد أَفسد فِتيانَ قُريشٍ وأَنْفقوا عليه أَموالَـهم ، فكتب إليه : أَن اقبِض مالَه وسَيِّرْهُ إليَّ . فتوجَّه ابن مِسْجَح إلى الشامِ ، فصحبه رجلٌ له جَوارٍ مُغَنِّياتٌ في طريقِه ، فقال له : أَين تُريدُ ؟ فأَخبره خَبَرَهُ وقال له : أُريدُ الشامَ ، قال له : فتكونُ معي ؟ قال : نعم . فَصَحِبَه ثم بلغا دِمَشْقَ

---

٤٤ الأغاني ٥ : ٢٥٨ ونهاية الأرب ٥ : ٣ .
٤٥ الأغاني ٣ : ٢٧٧–٢٩٩ ونهاية الأرب ٤ : ٢٤١–٢٤٣ .

فدخلا مَسْجِدَها فسألا : مَنْ أَخصُّ الناسِ بأَميرِ المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفرُ من قُرَيْشٍ وبنو عمِّه . فوقف ابن مِسْجَحٍ عليهم ، فسلَّم ثمَّ قال : يا فِتيانُ ، هل فيكم مَنْ يُضيفُ رجلاً غريباً من أَهلِ الحجازِ ؟ فنظر بعضُهم إلى بعضٍ ، وكان عليهم موعدٌ أن يذهبوا إلى قَيْنَةٍ يُقال لها : «بَرْقُ الأُفق» . فتثاقلوا به إلا فتًى منهم تذمَّم فقال له : أَنا أُضيِّفُكَ ؛ فقال لأَصحابه : انطلقوا أَنتمُ ، وأَنا أَذهبُ مع ضَيْفي . فقالوا : لا ، بل تجيءُ معنا أَنْتَ وضَيْفُكَ . فذهبوا جميعاً إلى بيتِ القَيْنَةِ . فلما أُتوا بالغَداءِ قال لهم سعيد : إني رجلٌ أَسودُ ، ولعلَّ فيكم مَنْ يَقْذَرُني ، فأنا أَجلِسُ وآكُلُ ناحيةً ، وقامَ ، فاستَحْيَوْا منه ، وبعثوا إليه بما أَكلَ . فلما صاروا إلى الشَّرابِ قال لهم مِثْلَ ذلك ، ففعلوا به ، وأَخرجوا جاريَتَيْن فجلستا على سَريرٍ قد وُضع لهما تُغنِّيان ، فغنَّتا إلى العِشاء ، ثم دخلتا ، وخرجَتْ جاريةٌ حَسَنَةُ الوَجْهِ والهيئةِ وهما معها ، فجلستا أَسْفَلَ السريرِ وجلست هي على السريرِ ، قال ابن مِسْجَح : فتمَثَّلْتُ بهذا البيتِ : [من الطويل]

فقُلْتُ أَشَمْسٌ أَم مصابيحُ بِيعةٍ بَدَتْ لكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَم أَنْتَ حالمُ —

فغضبت الجاريةُ وقالت : أَيضربُ مثلُ هذا الأَسودِ بي الأَمثال ! فنظروا إليَّ نظراً منكراً ، ولم يزالوا يُسكِّنونَها ، ثم غَنَّت صوتاً . قال ابن مِسْجَحٍ : فقلتُ أَحسنتِ واللهِ ! فغضب مولاها وقال : أَمِثْلُ هذا الأَسودِ يُقْدِمُ على جاريتي ! فقال لي الرجلُ الذي أَنزلني عنده : قُم فانصرف إلى منزلي ، فقد ثَقُلْتَ على القَوْمِ ، فذهبتُ أَقومُ ، فتذمَّم القومُ وقالوا لي : أَقِمْ وأَحْسِنْ أَدَبَك . فأَقَمْتُ ، وغَنَّتْ فقلتُ : أَخطأْتِ واللهِ يا جاريةُ يا زانيةُ وأَسَأْتِ ، واندَفعْتُ فغنَّيتُ الصوتَ ، فوثبت الجاريةُ وقالت لمولاها : هذا أَبو عثمان سعيد بن مِسْجَح ؛ فقلتُ : أَيْ واللهِ أَنا هو ، واللهِ لا أُقيمُ عندكم ! ووثبتُ ، فوثب القُرشيُّون ، فكُلٌّ قال : هذا يكون عندي ، فقلتُ : واللهِ لا أُقيمُ إلا عند سيِّدِكم — يعني الرجلَ الذي أَنزله منهم — وسألوه عمَّا أَقْدَمَهُ ، فأَخبرهم الخبرَ . فقال له صاحبُه : إني أَسمُرُ الليلةَ مع

أميرِ المؤمنين ، فهل تُحْسِنُ أن تَحْدُوَ ؟ فقال : لا ، ولكني أستعملُ حداءً . قال : فإنَّ منزلي بحذاءِ منزلِ أميرِ المؤمنين ، فإذا وافَقْتُ منه طيبَ نَفْسٍ أرسلتُ إليك . ومضى إلى عبد الملكِ ، فلما رآه طيِّبَ النَّفْسِ أرسل إلى ابنِ مِسْجَح ، فأخرج رأسَه من وراءِ شُرَفِ القَصْرِ ثم حدا : [من الرجز]

إنك يا عبد المليك المُفْضَل[1] إن زُلْزِلَ الأقدامُ لم تُزَلْزَلِ
عن دينِ موسى والكتاب المنزل تُقيمُ أصداغَ القُرونِ المُيَّلِ
للحقِّ حتى يَنْتَحوا للأعدَلِ

قال عبدُ الملك للقرشيِّ : مَنْ هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيٌّ قَدِمَ عليَّ ، قال : أَحْضِرْهُ ، فأحضَرَهُ ثم قال له : أُحْدُ مُجِداً ، ثم قال له : هل تُغَنّي غِناءَ الركبانِ ؟ قال : نعم ؛ قال : غَنِّه ، فتغنَّى ، قال له : فهل تُغَنِّي الغناءَ المتقَنَ ؟ قال : نعم ، قال : غَنِّه ، فغنَّى ، فاهتزَّ عبدُ الملكِ طرباً ، ثم قال له : أُقسِمُ أنَّ لك في القومِ أسماءً كثيرةً ، مَنْ أنْتَ ، ويلك ! ؟ قال : أنا المظلومُ المقبوضُ مالُه المُسَيَّرُ عن وطنِه سعيد بن مِسْجَحٍ ، قبض عاملُ الحجازِ مالي ونفاني . فتبسَّم عبد الملكِ ثم قال : قد وضح عُذْرُ فتيانِ قريشٍ في أن يُنْفِقوا عليك أموالَهم ، وأمَّنه ووصله ، فكتب إلى عاملِهِ يردُّد ماله وأن لا يَعْرِضَ له بسُوءٍ .

٤٦ – روي أنَّ سليمان بن عبد الملكِ كان في باديةٍ له يَسْمُرُ ليلةً على ظهرِ سطحٍ ، ثم تفرَّق عنه جلساؤه ، فدعا بوضوءٍ فجاءَتْهُ جاريةٌ له به ، فبينا هي تصبُّ على يدِهِ إذ أومى بيدِهِ وأشار بها مرَّتين أو ثلاثاً فلم تصبَّ عليه ، فأنكر ذلك فرفع رأسَه فإذا هي مُصْغِيَةٌ بسَمْعِها إلى ناحيةِ العسكرِ ، وإذا صوتُ رجلٍ يُغَنّي ، فأنْصَتَ حتى تسمَّع جميعَ ما يُغَنَّى به ، فلما أصبح أذِنَ للناسِ ثم أجْرى ذِكْرَ الغناءِ حتى ظنَّ القومُ أنَّه يشتهيه ويُريدُه ، فأفاضوا فيه بالتسهيلِ وذِكْرِ مَنْ كان يسمعُه . فقال رجلٌ من القومِ : عندي يا أميرَ المؤمنين رجلان من أهلِ أيْلَةَ مُجيدان

---

١ الأغاني ونهاية الأرب : انك يا ابن الفضّل المفضل .

مُحْكِمان ، قال : وأَيْنَ منزِلُكَ ؟ فأَوماً إلى الناحيةِ التي كان منها الغناءُ قال : فابعثْ إليهما فجئني بهما ، ففعل . فوجد الرسولُ أَحدَهما فأَدخلَه على سليمان ، فقال له : ما اسمُكَ ؟ قال : شمير ، فسأله عن الغناء ، فاعترفَ به . فقال له : متى عهدُكَ به ؟ قال : الليلة الماضية ، قال : وأَينَ كُنْتَ ؟ فأَشار إلى الناحيةِ التي سمع سليمان منها الغِناء . قال : فما غَنَّيْتَ به ؟ فأخبره بالشعرِ الذي سمعه منه سليمان . فأَقبل على القومِ فقال : هدر الجملُ فضبعت الناقةُ ، ونبَّ التَّيْسُ فشكِرَتْ الشاةُ ، وهدر الطائرُ فزافت الحمامةُ ، وغَنَّى الرجلُ فطربت المرأةُ ، ثم أَمر به فخُصي .

٤٧ – وسأل عن الغناء ، وأَيْنَ أَصلُه ؟ فقيل : بالمدينةِ في المخنَّثين ، وهم أَئمَّتُه والحذَّاقُ به ، فكتب إلى أَبي بكر بن عمرو بن حَزْمٍ ، وكان عامِلَه عليها : أَن اخْصِ مَنْ قِبلِكَ من المُغَنِّين المخنثين ، فخصى تسعةً ، منهم : الدلال ، وطريفة ، وحبيب ، ونَوْمة الضُّحى .

٤٨ – وقد رُوِي في خبرِ سليمان غير هذا ، وأَنَّه شكَّ في الجاريةِ لَمّا أَلهاها الغِناءُ ، وكانت إلى جَنْبِهِ ، وظنَّ أَنَّ بينها وبين المغَنِّي شيئاً ، وكان سليمان شديد الغَيْرَةِ ، فكشف عن أَمرِهما فلم يكن بينهما سَبَبٌ ولا معرِفَةٌ ، فلم تَطِبْ نَفْسُه أَن يتركَهُ سوِيّاً فخصاه .

والشعر الذي غنَّى فيه : [من البسيط]

محجوبةٌ سمعت صوتي فأَرَّقها	مِن آخرِ الليلِ لمّا طلَّها السَّحَرُ
تثني على جيدِها ثِنْي مُعَصْفَرَةً	والحَلْيُ منها على لَبّاتِها خَصِرُ
في ليلةِ النصفِ ما يدري مُضاجعُها	أَوَجْهُها عنده أَبْهى أَم القمرُ ؟
لو خُلِّيَتْ لمشَتْ نحوي على قَدَمٍ	يكادُ من رِقَّةٍ للمَشْيِ ينفطرُ

٤٩ – قال إسحاق بن إبراهيم المَوْصليُّ : لم يكن الناسُ يُعلِّمون الجاريةَ

---

٤٨ المستطرف ٢ : ١٧٧–١٧٨ وانظر العقد ٦ : ٦٦–٦٩ ومصارع العشاق ١ : ٧٨–٨٠ .
٤٩ الأغاني ٥ : ١٥٦ .

الحسناءَ الغناءَ ، وإنَّما كانوا يعلّمونه الصُّفْرَ والسودَ ، وأَوَّلُ مَنْ علَّم الجواري المُثَمَّناتِ الغناءَ أَبي ؛ فإنه بلغ بالقيانِ كلَّ مبلغٍ ورفع من أَقدارِهِنَّ .

وفيه يقول أَبو عُيَيْنَةَ بن محمد بن أَبي عُيَيْنَةَ المهلبيُّ ، وكان يهوى جاريةً يقال لها أَمان ، فأَغلى بها مولاها السَّوْمَ وجعل يُرَدِّدُها إلى إبراهيم وإسحاقَ ابنه ، فتأخذ عنهما ، وكلَّما زادت في الغناءِ زاد سَوْمُه ؛ فقال أَبو عُيَيْنَةَ : [من الخفيف]

قلتُ لمّا رأَيْتُ مولى أَمانٍ　　قد طغى سَوْمُه بها طغيانا

لاجزى الله الموصليَّ أَبا إسـ　　ـحاقَ عنّا خَيْراً ولا إحسانا

جاءَنا مُرْسَلاً بوحيٍ من الشيـ　　ـطانِ أَغلى به علينا القِيانا

من غناءٍ كأَنَّه سَكَراتُ الـ　　ـحبِّ يُصبي القلوبَ والآذانا

٥٠ – قال إبراهيم بن المهديِّ : انصرفتُ ليلةً من الشمَّاسيَّةِ ، فَمَرَرْتُ بدارِ إبراهيم المَوْصليِّ ، وإذا هو في رَوْشَنٍ له ، وقد صنع لحْنَه في قوله : [من الطويل]

أَلا رُبَّ نَدْمانٍ عليَّ دُموعُه　　تَفيضُ على الخدَّيْنِ سحّاً سُجومُها

فهو يُعيدهُ ويلعبُ به بنَغَمتِه ويكررُّه ليستويَ له ، وجواريه يضربن عليه ؛ فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أُخذْتُه وانصرفت إلى منزلي ، فما زِلْتُ أُعيدهُ حتى بلغتُ فيه الغايةَ ، وأَصبَحْتُ فَغَدَوْتُ إلى الشَّماسيَّةِ واجتمعنا عند الرشيد ، فاندفع إبراهيم فغنَّاه أَوَّل شيءٍ غَنَّى ، فلما سمعه الرشيدُ طرب واستحسنه وشَرِبَ عليه ، ثم قال : لِمَنْ هذا يا إبراهيم ؟ فقال : لي يا سيِّدي صنَعْتُهُ البارِحةَ ؛ فقلتُ : كذبَ يا أَمير المؤمنين ، هذا الصوتُ قديم وأَنا أُغنِّيه ، فقال لي : غَنِّه يا حبيبي ، فغنَّيْتُه كما غَنَّاه ، فبهت إبراهيمُ وغضب الرشيدُ وقال له : يا ابنَ الفاجرةِ ، أَتكذِبُني وتدَّعي ما ليس لك ! ؟ قال : فظَلَّ إبراهيم بأَسوَإِ حالٍ ؛ فلما صُلِّيَتْ العصر قلتُ للرشيدِ : الصوتُ – وحياتِك – له ، وما كذب ؛ ولكني مرَرْتُ به البارحةَ ، وسمعته يكررُه

٥٠ الأغاني ٥ : ١٥٨ .

ويردِّدُهُ على جاريةٍ له ، ووَقَفْتُ حتى دار لي واستوى فأَخذْتُه منه ، فدعا به الرشيدُ ورضيَ عنه وأَمر له بخمسة آلاف دينار .

٥١ — ورُوي أَن الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعُنا لهذه العصابةِ على اختلاط الأَمرِ فيها ، فهلُـمَّ أُقاسِمْكَ إيّاها وأُخايِرْكَ ، فاقتسما المُغَنِّين على أن جَعَلا بإزاء كلِّ رجلٍ نظيرَهُ ، وكان إسماعيل بن جامع في حيِّزِ الرشيد ، وإبراهيم الموصليُّ في حيِّزِ جعفر ، وحضر الندماء لمحنةِ المغنِّين . وأَمر الرشيدُ ابنَ جامعٍ بالغناء ، فغنَّى صوتاً أَحسَنَ فيه كلَّ الإحسانِ ، وأَطربَ الرشيد كلَّ الإطرابِ . فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هاتِ يا إبراهيم هذا الصوتَ فَغَنِّهِ ، فقال : لا والله يا أَميرَ المؤمنين ما أَعرفُه ! وظهر الانكسارُ فيه . فقال الرشيد لجعفرٍ : هذا واحدٌ . ثم قال لابن جامعٍ : غَنِّ يا إسماعيلُ ، فغنَّى صوتاً ثانياً أَحسنَ من الأَولِ وأَرضى في كلِّ حالٍ . فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم قال : ولا أَعرف هذا . قال : هذان اثنان ، غَنِّ يا إسماعيلُ ، فغنَّى ثالثاً يتقدَّمُ الصوتين الأَوَّلَيْنِ ويفضلُهُما ، فلما أَتى على آخرِهِ قال : هاتِه يا إبراهيم ، قال : لا ، ولا أَعرِفُ هذا أَيضاً . فقال له جعفر : أَخزيتنا أَخزاكَ اللهُ ! قال : وأَتمَّ ابن جامعٍ يومَه والرشيدُ مسرورٌ به ، وأَجازه الجوائزَ الكثيرةَ وخلع عليه خِلَعاً فاخرةً . ولم يزلْ إبراهيم مُنْخَزِلاً مُنكَسِراً حتى انصرفَ ، فمضى إلى منزلِهِ ، فلم يستقرَّ فيه حتى بعث إلى محمدٍ المعروفِ بالزَّفِّ ، وكان محمد من المُغَنِّين المحسنين ، وكان أَسرعَ من عُرِف في أَيّامِهِ بأَخْذِ الصوتِ يريدُ أَخْذَهُ ، وكان الرشيدُ وجَد عليه في بعضِ ما يجدهُ الملوك على أَمثالِهِ ، فأَلزمه بَيْتَه وتناساه . فقال إبراهيمُ للزَّفِّ : إني اختَرْتُك عمَّن هو أَحبُّ إليَّ منك لأَمْرٍ لا يصلحُ له غيرُكَ ، فانظر كيف تكون . قال : أَبلغُ في ذلك محبَّتَك إن شاءَ الله . فأَدَّى إليه الخَبَرَ وقال : أُريدُ أَن تمضيَ من ساعتِك إلى ابن جامع فتُعلمه أَنَّك صِرْتَ إليه مهنِّئاً

---

٥١ الأغاني ٥ : ١٨٩–١٩١ .

بما تهيّأ له عليَّ ، وتتنقّصني وتثلبني وتشتمني وتحتال في أن تَسْمَعَ منه الأصواتَ وتأخذَها ولك كل ما تُحبُّه من جهتي من عَرَضٍ من الأعراضِ مع رِضاء الخليفةِ إن شاءَ الله .

قال : فمضى من عندهِ فاستأذن على ابنِ جامعٍ فأَذِنَ له ، فدخل عليه وقال : جئتُكَ مهنّئاً بما بلغني من خبَرِكَ ، والحمد لله الذي أخزى ابن مفاضة[1] على يدِكَ ، وكشف الفَضْلَ في محلّك من صناعتِك . قال : وهل بلغك خبرُنا ؟ قال : هو أشْهَرُ من أن يَخْفى على مثلي ، قال : وَيْحَكَ ! إنَّه يقصر عن العيان ، قال : أيُّها الأستاذُ ، سُرَّني بأنْ أسْمَعَه من فيك حتى أرويه عنك وأُسقِط بيني وبينك الأسانيدَ . قال : أقِمْ عندي حتى أفعل ، فقال : السمع والطاعة . فدعا ابنُ جامعٍ بالطعامِ فأكلا ، ثم دعا بالشرابِ ، ثم ابتدأ وحدَّثه بالخبرِ حتى انتهى إلى خبرِ الصوتِ الأولِ ، فقال له الزَّفُّ : وما هو أيّها الأُستاذُ ؟ فغنّاه ابن جامعٍ إيّاه ، فجعل محمد يُصَفِّقُ وينْعَرُ ويشربُ وابن جامعٍ مجتهدٌ في شأْنهِ حتى أخذه . ثم سأله عن الصوتِ الثاني فغنَّاه إيّاه ، وفعل مِثْلَ فِعْلهِ في الصوتِ الأولِ ، وكذلك في الصوتِ الثالث . فلما أخذ الأصوات وأحكمها قال له : يا أستاذُ ، قد بلغْتُ ما أُحبُّ ، فأْذَنْ لي في الانصرافِ ، قال : إذا شِئْتَ . فانصرف محمد من وَجْهِه إلى إبراهيم ، فلما طلع من بابِ دارِهِ قال له : ما وراءَك ؟ قال : كلُّ ما تحبُّ ، ادعُ لي بعودٍ . فدعا له به فضرب وغنَّاه الأصواتَ ، فقال إبراهيم : هي وأَبيك ! هي بصُوَرِها وأعيانِها ، ردِّدْها عليَّ ، فلم يزلْ يردِّدُها حتى صحَّت لإبراهيم .

وغدا إبراهيم على كِبَرِ سِنِّهِ ، فلما دُعي بالمغنِّين دخل فيهم . فلما بصر به قال له : أوَ قد حَضَرْتَ ! أوَ ما كان ينبغي لك أن تجلسَ في منزلكَ شَهْراً بسببِ ما لقيتَ من ابنِ جامعٍ ؟ قال : ولم ذاك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءَك ؟ واللهِ إن أذِنْتَ لي أن أقولَ لأقولَنَّ . فقال : وما عساك أن تقول ؟ فقال له : ليس لي ولا

---

[1] الأغاني «ابن الجرمقانية» ، ومفاضة : الواسعة .

لغيري أن يراكَ نشيطاً لشيء فيُعارِضك فيه ، ولا أن تكون مُتَعَصِّباً لحيِّزٍ وجَنَبَةٍ فيُغالبك ، وإلا فما في الأرض صوتٌ لا أعرِفُه . قال : دَعْ ذا عَنْكَ ، قد أقرَرْتَ أمس بالجهالةِ بما سمِعْتَ من صاحبِها فإنْ كنتَ أمسكْتَ بالأمْس عنه على معرفةٍ كما تقولُ ، فهاتِه فليس ههُنا عصبيَّةٌ ولا تمييزٌ . فاندفع فأمرَّ الأصواتَ كلَّها ، وابن جامعٍ مُصْغٍ يستمعُ منه حتى أتى على آخرِها . فاندفع ابنُ جامعٍ فحلف بالأيمانِ المُحرجَةِ أنَّه ما عرفَها قطُّ ولا سمِعَها ، وما هي إلا مِن صَنْعَتِهِ ، لم تخرجْ إلى أحدٍ غيرِهِ . فقال له : ويحك ، فما أحدَثْتَ بعدي ؟ فقال : ما أحدَثْتُ حَدَثاً ، فقال : يا إبراهيم ، بحياتي اصدُقْني ، قال : وحياتِك لأصدُقَنَّكَ ؛ رمَيْتُه بحَجَرِهِ ، وبعثْتُ إليه بمحمّد الزَّفِّ وضَمِنْتُ له ضَماناتٍ أحدُها رِضاك عنه ، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليَّ ، وقد سقط عني الآن اللومُ بإقْرارِه لأنَّه ليس عليَّ أن أعرفَ ما صنعه هو ولم يُخرِجْه إلى الناسِ ، وهذا بابٌ من الغَيْبِ ولو لزِمَني أن أُروي صَنْعَتَه للَزِمه أن يروي صنعتي ، ولزِم كلَّ واحدٍ مِنَّا لسائرِ طبقتِه ونُظرائهِ مِثْلُ ذلك ، فمَنْ قصَّر عنه كان مذموماً ساقطاً . فقال الرشيدُ له : صدَقْتَ يا إبراهيم ونَصَحْتَ عن نَفْسِكَ وقُمْتَ بحُجَّتِك . ثم أقبل على ابن جامعٍ فقال له : يا إسماعيلُ ، أُتيتَ أُتيتَ ! دُهيتَ دُهيتَ ! أبْطَلَ عليك المَوْصليُّ ما فعلْتَهُ بالأمْسِ وانتَصَفَ منك ، ثم دَعا بالزَّفِّ ورضيَ عنه .

٥٢ – رُوِيَ أنَّ الرشيد هبَّ ليلةً من نَوْمِهِ ، فدعا بحمارٍ كان يركبُه في القصرِ أسودَ قريبٍ من الأرضِ ، فركبه وخرج في دُرّاعةِ وَشْيٍ مُتَلَثِّماً بِعمامة وَشْيٍ مُلْتحِفاً بإزارِ وَشْيٍ ، وبين يديه أربعمائة خادم أبيضَ سِوى الفرّاشين . وكان مسرور الفَرْغاني جريئاً عليه لمكانهِ عنده ، فلما خرج من بابِ القَصْرِ قال : أين تريدُ يا أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : منزل المَوْصليِّ . قال مسرور : فمضى ونحن معه حتى انتهى إلى منزلِ إبراهيم ، فخرج فتلقّاه وقبَّل حافِرَ حمارِهِ وقال له : يا أمير

---

٥٢ الأغاني ٥ : ١٩٨–١٩٩ والبيتان في العقد ٦ : ٨١ .

المؤمنين ، في مِثْلِ هذه الساعة تظهر ! قال : نعم ، شوق [طرق لك] بي ، ثم نزل فجلس في طرفِ الإيوانِ وأَجْلَسَ إبراهيمَ ، فقال له إبراهيم : يا سيِّدي ، أتنشَطُ لشَيءٍ تأكلُه ؟ قال : نعم ، [خاميز ظبي] ، فأُتي به كأنَّما كان مُعَدّاً ، فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشرابٍ حُمِل معه ، فقال له الموصليُّ : يا سيِّدي ، أُغنِّيك أم تُغَنِّيكَ إماؤك ؟ قال : بل الجواري . فخرج جواري إبراهيم فأخذْن صَدْرَ المجلسِ وجانِبَيْـهِ ، فقال : أَيضْرِبْنَ كلُّهُنَّ أم واحدةٌ واحدةٌ ؟ قال : بل تضربُ اثنتان اثنتان وتُغَنِّي واحدةٌ . ففُعِل ذلك حتى مرَّ صدر الإيوان وأَحدُ جانبَيْه ، والرشيدُ لا يَنْشَطُ لشيءٍ من غنائِهِنَّ إلى أن غنَّتْ صبيَّةٌ من حاشيةِ الصفَّة : [من البسيط]

يا مُوريَ الزَّنْدِ قد أَعيَتْ مقادحه[1] اقْبِسْ إذا شِئْتَ من قلبي بمقباسِ
ما أَقْبَحَ الناسَ في عيني وأَسمَجَهُم إذا نَظَرْتُ فلم أُبصِرْكَ في الناسِ

قال : فطرِبَ لغنائِها واستعاد الصوتَ مِراراً وشرِبَ أرطالاً ، ثم سأل الجاريةَ عن صاحبه فأمسكَتْ ، فاستدْناها فتقاعَسَتْ ، فأَمرَ بها فأُقيمَتْ حتى وقَفَتْ بين يَدَيهِ ، فأخبرَتْـهُ بشيءٍ وأَسَرَّتْهُ إليه ، فدعا بحمارِه فركبه وانصرف ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضرَّك ألا تكونَ خليفةً ! وكادَتْ نَفْسُه تخرجُ حتى دَعا به وأدناه بعد ذلك . قال : وكان الذي أَخبرته به أَنَّ الصنعةَ في الصوتِ لأُختِه عُلَيَّة بنتِ المهديِّ ، وكانت الجاريةُ لها وجَّهت بها إلى إبراهيمَ يُطارِحُها .

٥٢ أ – وكان إبراهيم ممَّن حُظَّ في الغِناء ونال به درجةً من الغِنى علياءَ ، وكسب به ما لم يُدْرِكْهُ مَنْ تقدَّمه ولا مَنْ تأَخَّر عنه . وكان المهديُّ قد حَبَسَه وعذَّبه في الدخولِ على ابنَيْه : موسى وهارون ، وحلَّفه لمّا أَطلقه بالطلاقِ والعِتاقِ أَن لا يدخلَ عليهما أَبداً ولا يُغَنِّيهما . فلما ولي موسى الهادي الخلافةَ استتر

٥٢أ انظر الأغاني ٥ : ١٤٦ ونهاية الأرب ٤ : ٣٣٠–٣٣١ .

---

١ الأغاني : قوادحه .

إبراهيم منه ، ولم يظهر له بسببِ الأَيْمانِ التي أَحلفه بها المهديُّ ، فكان منزلُه يُكبسُ وأَهلُه يُرَوَّعون بطلبهِ حتى أَصابوه ، فمَضَوْا به إلى موسى ، فلما رآه قال : يا سيِّدي ، [فارقت] أُمَّ ولدي أَعزَّ الخلقِ عليَّ ، ثم غنَّاه : [من الخفيف]

يا ابْنَ خيرِ الملوكِ لا تَتْرُكَنِّي غَرَضاً للعدوِّ يَرمي حيالي
فلَقَدْ في هواكَ فارَقْتُ أَهلي ثمَّ عرَّضْتُ مُهْجتي للزَّوالِ
ولقد عِفْتُ في هواكَ حياتي وتغرَّبْتُ بين أَهلي ومالي

فقال إسحاق ابنه : فموَّلَـهُ واللهِ الهادي وخوَّله ؛ وبحسبكَ أَنَّه أَخذ منه في يومٍ واحدٍ مائةً وخمسين أَلف دينار ، ولو عاش لنا لبنَيْنا حيطان دورِنا بالذهبِ والفضَّةِ .

٥٢ب – وقال حمَّاد بن إسحاق بن إبراهيم : قال لي أَبي : نظَرْتُ إلى ما صار إلى جدِّك من الأَموالِ والصِّلات وثمنِ ما باعه من جواريه فوجَدْتُه أَربعةً وعشرين أَلف أَلف درهم سوى أَرزاقهِ الجاريةِ وهي عشرة آلاف درهم في كلِّ شهر ، وسوى غَلاَّتِ ضياعهِ ، وسوى الصلات النزرة التي لم يحفَظْها ؛ ولا واللهِ ما رأَيْتُ أَكمل مروءةً منه ، كان له طعامٌ مُعَدٌّ في كلِّ وَقْتٍ . فقلتُ لأَبي : كيف كان يُمكنُه ذلك ؟ قال : كان له في كلِّ يومٍ ثلاثُ شِياه : واحدة مُقطَّعةٌ في القُـدُورِ ، فإذا فَرَغت قُطِّعت الشاةُ المعلَّقةُ ونُصبت القُدورُ ، وذُبحت الحيَّةُ فعُلِّقَتْ ، وأُتي بأُخرى فجُعِلت وهي حيَّةٌ في المطبخِ ، وكانت وظيفتُه لطعامهِ وطيبهِ وما يُتَّخَذُ له في كلِّ شهرٍ ثلاثين أَلف درهم سوى ما كان يُجري وسوى كسْوَتِه . ولقد اتفق عندنا مرَّةً من الجواري الودائعِ لإخوانهِ ثمانون جاريةً ما منهن واحدةٌ إلا ويُجري عليها من الطعامِ والكُسْوةِ والطِّيبِ مثل ما يُجري لأَخصِّ جواريه ، فإذا رُدَّت الواحدةُ منهن إلى مولاها وصلها وكساها . ومات وما في مُلْكِهِ إلا ثلاثة آلاف دينارٍ وعليه من الدَّيْنِ سبعمائةُ دينارٍ قُضِيَتْ منها .

٥٢ب الأغاني ٥ : ١٤٩–١٥٠ ونهاية الأرب ٤ : ٣٣١–٣٣٢ .

٥٣ – قال داود المكّي : كُنَّا في حلقةِ ابن جُرَيْج وهو يحدثُنا وعنده جماعةٌ فيهم عبدالله بن المباركِ وعِدَّةٌ من العراقيين ، إذ مرَّ به ابن تيزن المغنِّي [قال حماد : ويقال ابن بيرن][1] وقد ائتزر بمئزر على صدرهِ ، وهي إزرةُ الشُّطَّارِ عندنا ، فدعاه ابن جُرَيْج فقال : أُحبُّ أن تُسْمِعَني ، قال : إني مُسْتعجلٌ ، فألحَّ عليه ، فقال : امرأتُه طالقٌ إن غنَّاك أكثر من ثلاثة أصواتٍ ، قال له : ويحك ، ما أعجلك إلى اليمين ، عليَّ بالصوتِ الذي غنَّاه ابن سُرَيْج في اليوم ِ الثاني[2] من أيامِ مِنى على جمرةِ العَقَبَةِ فقطع طريقَ الذاهبِ والجائي حتَّى تكسَّرت المحامِلُ ، فغنَّاه : [من الكامل المرفَّل]

عوجي عليَّ فسلِّمي جَبْرُ ماذا الوُقوفُ وأَنتمُ سَفْرُ
ما نلتقي إلا ثلاث مِنى حتَّى يُفرِّقَ بيننا النَّفْرُ
الحَوْلُ بعد الحولِ يَتْبَعُهُ ما الدَّهْرُ إلا الحَوْلُ والشَّهْرُ

فقال له ابن جُرَيْج : أَحسَنْتَ والله ! ثلاث مرَّات ، ويحك أَعِدْه ، قال : من الثلاثةِ ، فأَعاده فأَقام ، ومضى وقال : لولا مكانُ هؤلاء الثقلاء عندك لأَطَلْتُ معك حتى تقضي وَطَرَكَ . فالتفت ابن جُرَيْج إلى أصحابهِ فقال : لعلَّكم أَنكرتُم ما فَعَلْتُ ؟ فقالوا : إنا لنُنْكرهُ عندنا بالعراقِ ونكرهُهُ ، قال : فما تقولون في الرَّجَزِ ؟ يعني الحُداء ، قالوا : لا بأْسَ به عندنا ، قال : فما الفَرْقُ بينه وبين الغناء .

٥٤ – رُوِيَ أَنَّ إبراهيم الموصليَّ غَنَّى الرشيدَ يوماً في شعر هلال بن الأَسعر

---

٥٣ الأغاني ٦ : ٣١٨–٣١٩ والأبيات للعرجي في ديوانه : ٤٣–٤٤ .
٥٤ الأغاني ٣ : ٦٧–٦٨ ونهاية الأرب ٤ : ٣١٤–٣١٥ .

---

١ زيادة من الأغاني .
٢ الأغاني : الثالث .

المازني : [من البسيط]

يا رَبْعَ سلمى لقد هيَّجْتَ لي طربا زِدْتَ الفؤادَ على عِلَّاتِه وَصَبا

فأُعجِبَ الرشيدُ وطرِبَ ، فقال له الموصليُّ : يا أَميرَ المؤمنين ، فكيف لو سمِعْتَه من عبدِك مُخارق فإنَّه أَخذه عني وهو يَفْضُلُ فيه الخَلقَ جميعاً ويفضلني ؟ فأَمر بإحضارِ مُخارقٍ فأُحضِر فقال له : غنِّني :

يا رَبْعَ سلمى لقد هيَّجْتَ لي طربا

فغنَّاه إيَّاه ، فبكى وقال : سَلْ حاجَتَكَ . قال مخارقٌ : فقلتُ : يُعتقني أَميرُ المؤمنين من الرِّقِّ ويشرفني بولائه ، أَعتقك الله من النارِ . قال : فأَنْتَ حرٌّ لوَجْهِ الله ، أَعِدِ الصَّوْتَ فأَعدْتُه فبكى وقال : سَلْ حاجَتَك ، فقلتُ : حاجتي يا أَميرَ المؤمنين ضيعةٌ تُقيمني غَلَّتُها فقال : قد أَمرْتُ لك بها ، أَعِدِ الصَّوْتَ ، فأَعدْتُــهُ فبكى وقال : سَلْ حاجتكَ ، فقلتُ : يأمرُ لي أَميرُ المؤمنين بمنزلٍ وفرش وما يُصْلِحُه وخادمٌ فيه ، قال : ذلك لك ، أَعِدْهُ ، فأَعدْتُهُ فبكى وقال : سَلْ حاجتَك ، فقلت : حاجتي يا أَمير المؤمنين أَن يُطيل الله بقاءَك ويُديمَ عِزَّكَ ، ويجعلني من كلِّ سوءٍ فداءَك . فكان إبراهيم سبب عِتْقِهِ بهذا الصَّوْتِ . وكان مخارقٌ يقول : أَنا عتيقُ هذا الصوتِ .

٥٥ – كان عطرَّد المغنّي من أَهلِ الهيئةِ والمروءةِ ، فقيهاً قارئاً . وقصد آلَ سليمان بن عليٍّ بالبصرةِ فأَقام معهم ، ووَلِيَ سَلمةُ بن عبَّاد القضاءَ بالبصرةِ ، فقصد ابنُهُ عبَّادٌ عطرَّداً ، فأَتى بابَه ليلاً فدقَّ عليه البابَ ومعه جماعةٌ من أَصحابِهِ أَصحابِ القَلانِسِ ، فخرج إليه عطرَّد فلما رآه ومن معه فَزِعَ ، فقال : لا تُرَعْ : [من الكامل المرفَّل]

إنِّي قَصَدْتُ إليكَ من أَهلي في حاجةٍ يأتي لها مِثْلي

---

٥٥ الأغاني ٣ : ٢٩٩ .

فقال : ما هي أَصلحك الله ؟ فقال : [من الكامل المرفَّل]

لا طالباً إليك سوى «حيِّ الحُمولَ بجانبِ العَزْلِ»

فقال : انزلوا على بركةِ اللهِ . فلم يزل يُغَنِّيهم بهذا الصوتِ وغيرِهِ حتى أَصبحوا . وهذا الشعر يقوله امرؤ القيس بن عابس الكِنْديُّ ، وهو : [من الكامل المرفَّل]

حيِّ الحُمولَ بجانبِ العَزْلِ إذ لا يُلائمُ شكلُها شكْلي
اللهُ أَنْجَحُ ما سأَلْتَ بهِ والبِـرُّ خَيْرُ حقيبـــةِ الرَّحْـــلِ
إِنِّي بحَبْلِكَ واصلٌ حَبْلي وبريشِ نَبْلِكَ رائشٌ نَبْلي
وشمائلي ما قَدْ علِمْتَ وما نَبَحَتْ كلابُكَ طارقاً مِثْلي

٥٦ – كان أَحمد بن أَبي دُواد يُنكرُ أَمْرَ الغناءِ إِنْكاراً شديداً . وكان أَبو دُلَفَ القاسم بن عيسى العِجْليُّ رحمه الله صديقَهُ ، وهو من القُوَّادِ الأَكابرِ ، ومحلُّه من الشجاعةِ مشهورٌ ، وكان جيِّدَ الغناءِ وله صَنْعَةٌ مُتْقَنَةٌ . فأَعلمه المعتصمُ أَنَّه يُغَنِّي فقال ابن أَبي دواد : ما أَراه مع عَقْلِهِ يفعلُ ذلك . فستر المعتصمُ أَحمد بن أَبي دُواد في موضعٍ ، وأَحضر أَبا دُلَفَ وأَمره أَن يُغَنِّي ففعل ذلك وأَطال . ثم أُخرج أَحمد بن أَبي دُواد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وَجْهِهِ ، فلما رآه أَحمد قال : سَوْأَةً لهذا من فِعْلٍ ! أَبعْدَ السِّنِّ وهذا المحلِّ تضعُ نَفْسَكَ كما أَرى ! فخَجِلَ أَبو دُلَف وتشوَّرَ وقال : إِنَّهم أَكرهوني على ذلك . قال : هَبْهُمْ أَكرهوكَ على الغناءِ ، أَفأَكرهوك على الإِحسانِ فيه والإِصابةِ ؟ !

٥٧ – قال معبدٌ : أَتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ، ظَنَنْتُ أَني قد سبَقْتُ الناسَ إِليها ، وإِذا منزلُها غاصٌّ ، فسأَلْتُها أَن تعلِّمني شيئاً ، فقالت : إِنَّ غَيْرَكَ قد

---

٥٦ الأغاني ٨ : ٢٤٩ ونهاية الأرب ٤ : ٢٣١–٢٣٢ .

٥٧ الأغاني ٨ : ١٩٨–٢٠٠ والخبر دون الصوت في نثر الدر ٧ : ٤٢٢ والبيتان في معجم البلدان (ضارج) ٥: ٤٢١ .

سبقك ، ولا يجملُ تقديمُكَ على مَنْ سِواكَ . فقُلْتُ : جُعِلْتُ فداك ! إلى متى تفرغين ممَّن سبقني ؟ قالت : هو ذاك ، الحقُّ يَسَعُكَ ويَسَعُهُم . فبَيْنا نحنُ في ذاك إذ أَقْبَلَ عبدالله بن جعفرٍ – فإنَّه لأَوَّلُ يومٍ رأَيته وآخِرُهُ وكنتُ صغيراً كيِّساً ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفَرَح بي – فقامت وقام الناسُ فلَقِيَتْهُ وقبَّلَتْ يَدَيْهِ ، وجلس في صدرِ المجلسِ على كرسيٍّ لها ، وتحوَّقَ أَصحابُه حوْلَه ، وأَشارَتْ إلى مَنْ عِنْدَها بالانصرافِ فتفرَّق الناسُ ، وغمزتني أَلا أَبرحَ فأَقمْتُ ، وقالت : يا سيِّدي وسيِّدَ آبائي ومواليَّ ، كيف نَشَطْتَ أَن تَنْقُلَ قدمَيْكَ إلى أَمتِكَ ؟ قال : يا جميلةُ ، قد علمتُ ما آليتِ أَن لا تُغَنِّي أَحداً إلا في منزلكِ ، وأَحبَبْتُ الاستماعَ ، وكان ذلك طريقاً مادّاً فسيحاً . قالت : جُعِلْتُ فِداءَكَ ! فأَنا أَصيرُ إليكَ وأُكَفِّرُ ، فقال : لا أُكلِّفُكِ ذلك ، وبلغني أَنك تُغَنِّين بَيْتَيْن لامرىء القيسِ تُجيدين الغناءَ فيهما ، وكان الله عزَّ وجلَّ أَنقَذَ بهما جماعةً من المسلمين من الموتِ . قالت : يا سيِّدي نعم ، فاندفعَتْ فغنَّت بعودِها ، فما سمعتُ منها قَبْلَ ذلك اليومِ ولا بعده إلى أَنْ ماتت مِثْلَ ذلك الصوتِ ، ولا مِثْلَ ذلك الغناء ، فسبَّح عبدالله بن جعفرٍ والقوم معه ، وهما : [من الطويل]

ولمّا رأَتْ أَنَّ الشريعةَ همُّها وأَنَّ البياضَ من فرائصِها دامي

تيمَّمَتِ العَيْنَ التي عند ضارجٍ يفيءُ عليها الظلُّ عَرْمضُها طامي

فلما فرغت جميلةُ قالت : يا سيّدي أَزيدُك ؟ قال : حسبي . فقال بَعْضُ مَنْ كان معه : أَي جُعِلْتُ فِداك ! وكيف أَنقذَ الله بهذَيْنِ البيتينِ جماعةً من المسلمين ؟ قال : نعم ، أَقْبَلَ قومٌ من أَهلِ اليمنِ يُريدون النبيَّ ﷺ ، فضلُّوا الطريقَ ووقعوا على غيرِها ، ومكثوا مَلِيّاً لا يقدرون على الماء ، وجعل الرجلُ منهم يستذري بفَيْءِ السَمُرِ والطَّلْحِ ، فأيسوا من الحياةِ ، إذا أَقبَلَ رجلٌ على بعيرٍ ، فأَنشد بَعْضُ القومِ هذين البيتين ، قال الراكبُ : مَنْ يقولُ هذا ؟ قال : امرؤُ القيسِ ، قال : واللهِ ما كذبَ ، هذا ضارجٌ عندكم ، وأَشار لهم إليه . فحَبَوْا على الرُّكَبِ ، فإذا ماءٌ

عِدٌّ ، وإذا عليه العَرْمضُ والظلُّ يفيءُ عليه . فشربوا منه ريَّهم وحملوا منه ما اكتَفوْا به حتى بلغوا الماء . فأتَوْا النبيَّ ﷺ وأخبروه وقالوا : يا رسولَ اللهِ ، أحيانا اللهُ عزَّ وجلَّ ببيتَيْن من شعرِ امرىءِ القَيْسِ وأنشدوه الشِّعْرَ ، فقال ﷺ : ذاك رجلٌ مذكورٌ في الدنيا شريفٌ فيها ، مَنْسيٌّ في الآخرةِ خاملٌ فيها ، يجيءُ يوم القيامة معه لواءُ الشعرِ إلى النارِ .

٥٨ – لمّا قَدِم عثمان بن حيَّان المُرِّي إلى المدينةِ والياً عليها ، قال له قومٌ من وجوه الناسِ : إنَّك قد وليتَ المدينةَ على كَثْرةٍ من الفسادِ ، فإن كُنْتَ تُريدُ أن تُصلح فطهِّرْها من الغناء والزِّنا . فصاح في ذلك ، وأجَّل أهْلَهُ ثلاثاً يخرجون فيها من المدينةِ . وكان ابن أبي عتيقٍ غائباً ، وكان من أهلِ الفضلِ والعفافِ والصلاحِ . فلما كان آخر ليلةٍ من الأَجلِ قَدِمَ ، فقال : لا أَدخلُ منزلي حتى أَدخلَ على سلامة القَسِّ ، فدخل عليها فقال : ما دخَلْتُ منزلي حتى جئتكم أُسلِّمُ عليكم ، قالوا : ما أَغفَلك عن أَمرنا ! وأخبروه الخبرَ . فقال : اصبروا إلى الليلةِ التي آتيه ، قالوا : نخافُ أَن لا يمكنَكَ شيءٌ ، قال : إن خِفتُّم شيئاً ، فاخرجوا في السَّحَر . ثم خرج ، فاستأذنَ على عثمان بن حيَّان ، فأَذِنَ له ، فسلَّم عليه وذكر غَيْبَتَه ، وذكر أنه جاءه ليقضيَ حقَّه ، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراجِ أَهلِ الغناء والزنا ، وقال : أَرجو أَن تكونَ عمِلْتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك ، فقال عثمانُ : قد فعلتُ ذلك وأشار به عليَّ أَصحابُك . فقال : قد أَصَبْتَ ، ولكن ما تقولُ – أَمْتَعَ اللهُ بك – في امرأةٍ هذه صناعتُها ، وكانت تُكرهُ على ذلك ، ثم تركَتْهُ وأقبلَتْ على الصلاةِ والصيامِ والخَيْرِ ، وأَنا رسولُها إليك تقولُ : أَتوجَّه إليك وأَعوذُ بك أَن تُخرِجَني من جوارِ رسولِ الله ﷺ ومسجدهِ ؛ قال : إنِّي أَدَعُها لك ولكلامِك . قال ابن أَبي عتيق : لا يَدَعُكَ الناسُ ، ولكن تأتيك وتسمع كلامَها وتنظر إليها ، فإنْ رأيْتَ أَنَّ مِثْلَها ينبغي أَن يُترك تركْتَها ، قال : نعم .

٥٨ الأغاني ٨ : ٣٤٣–٣٤٤ ونثر الدر ٧ : ٣٣٥ ونهاية الأرب ٥ : ٥٥–٥٦ .

فجاءه بها وقال لها : احملي معك سُبْحَةً وتخشَّعي ، ففعَلَتْ . فلما دخلت على عثمان حدَّثَتْهُ ، فإذا هي أعلمُ الناسِ بأمورِ الناسِ ، فأُعجبَ بها ، وحدَّثَتْهُ عن آبائِه وأُمورِهم ، فَفكِه لذلك . فقال لها ابن أبي عتيق : إقرئي للأميرِ ، فقرأت له ، فقال لها : أُحدي له ، ففعلَتْ ، وكَثُر عجبُه منها . فقال : كيف لو سمِعْتَها في صناعتِها ؟ فلم يَزَلْ يُنْزِلُه شيئاً فشيئاً حتى أمرها بالغناء ، فقال لها ابن أبي عتيقٍ : غَنِّي : [من الطويل]

سَدَدْنَ خَصاصَ الخَيْمِ لمّا دخلْنَهُ   بكُلِّ لَبانٍ واضحٍ وجَبينِ

فغنَّتْهُ ، فقام عثمان من مجلسِه فقعد بين يَدَيْها ثم قال : لا واللهِ ، ما مِثْلُ هذه يخرجُ ! قال ابن أبي عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ؛ يقولون : أَقرَّ سلامةَ وأخرج غَيْرَها ، قال : فدعوهم جميعاً ، فتركوهم جميعاً ، وأصبح الناسُ يقولون : كلَّم ابنُ أبي عتيقٍ الأَميرَ في سلامة القَسِّ فتُرِكوا جميعاً .

٥٩ – قال علُّويه الأعسَرُ المُغنِّي : أمرنا المأمونُ أن نُباكرَ لنَصْطبحَ ، فلقيني عبدالله بن إسماعيل المراكبيُّ مولى عَريب ، فقال : يا أيُّها الظالمُ المعتدي ، ألا ترحمُ ولا ترقُّ ؟ عريب هائمةٌ من الشَّوْقِ إليك ، تدعو وتستحكمُ ، وتحلُمُ بك في نَوْمِها في كلِّ ليلةٍ ثلاث مرَّات . قال علُّويه : فقُلْتُ له : أُمُّ الخليفةِ زانيةٌ ، ومضَيْتُ معه ، فحين دخَلْتُ قُلْتُ : استوثِق من البابِ فأنا أعرفُ الناسِ بفُضولِ الحُجَّابِ ، وإذا عَريبٌ على كُرسيٍّ تطبخُ ثلاثَ قُدورٍ من دَجاجٍ . فلمّا رأتني قامت فعانقتني وقبَّلَتْني وقالت : أيَّ شيءٍ تشتهي ؟ فقلتُ : قِدْراً من هذه القُدورِ . فأفْرَغَتْ قِدْراً بيني وبينها . فأَكَلْنا ، ودَعَتْ بالنبيذِ فصَبَّت رِطْلاً وشرِبْتُ نصفه ، فما زِلْتُ أشربُ حتى كِدْتُ أَسْكَرُ ، ثم قالت : يا أبا الحَسَنِ ، غنَّيْتُ البارحةَ في شِعْرٍ لأبي العتاهيةِ

---

٥٩ الأغاني ١١ : ٣٢٥–٣٢٦ و٢١ : ٨٤–٨٥ ونهاية الأرب ٥ : ١١–١٢ .

فأعجبني ، فتَسْمَعه وأَصلِحْهَ ، فغنَّتْ : [من الطويل]

عذيري من الإنسانِ لا إن جفَوْتُه صفا لي ولا إن صِرْتُ طوعَ يَدَيْهِ
وإني لمشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ يروقُ ويصفو إن كدرْتُ عليه

فصيَّرْناه مجلِسنا ، وقالت : قد بقيَ فيه شيءٌ ، فلم أزَلْ أنا وهي حتى أصلحناه ، ثم قالت : أُحبُّ أَن تغنِّي أَنْتَ أَيضاً فيه لَحْناً ، ففعلتُ . وجعلنا نشربُ على اللحنين مليّاً ، ثم جاء الحجَّابُ فكسروا البابَ واستخرجوني . فدخَلْتُ إلى المأمونِ ، فأقبلتُ أَرقصُ من أَقْصى الإيوانِ ، وأُصفِّقُ وأُغنِّي الصَّوْتَ ، فسمع المأمونُ وندماؤه ما لم يعرفوه فاستظرفوه ، فقال المأمون : يا علُّويه ، ادنُ وردِّده ، فردَّدْتُه عليه سبع مرَّاتٍ ، فقال لي في آخرِها عند قولي :

يروقُ ويصفو إن كدرْتُ عليه

يا علُّويه ، خُذ الخلافةَ وأَعطني هذه الصاحبَ .

٦٠ – قال المدائنيُّ : اصطحب قومٌ في سَفَرٍ ومعهم شيخٌ عليه أَثرُ النُّسْكِ والعبادةِ ، ومعهم مُغَنٍّ ، وكانوا يشتهون أَن يُغنِّيهم ويستحيون من الشيخ إلى أَن بلغوا صُخَيْراتِ[1] الثُّمام ، فقال المغنِّي : أَيها الشيخُ ، إنَّ عليَّ يميناً أَن أُنشِدَ شِعراً إذا انتهيتُ إلى هذا الموضعِ ، وإني أَهابُكَ وأَستحي منك ، فإن رأَيتَ أَن تأذَنَ لي في الإنشادِ أَو تتقدَّم حتى أُوفي بيميني ثم أَلحق بك فافْعَلْ . قال : ما عليَّ من إنشادِك ! أَنْشِد ما بدا لك ، فاندفع يُغنِّي : [من الطويل]

وقالوا صُخَيْرات الثُّمامِ وقدَّموا أَوائلَهم من آخرِ الليلِ في الثَّقْلِ

فجعل الشيخُ يبكي أَحرَّ بكاءٍ وأَشجاه ، فقالوا : ما لك يا عمُّ تبكي ؟ فقال : لا جُزيتُم خيراً عنِّي ! هذا معكم طولَ الطريقِ وأَنتم تبخلون عليَّ أَن أَتفرَّجَ به ، ويقطعَ عني طريقي ، وأَتذكَّرَ أَيام شبابي ! فقالوا : لا واللهِ ما كان يمنَعُنا غير

---

١ في الأصل «شجيرات» وفي البيت «صخيرات» وهو الصحيح كما في معجم البلدان لياقوت .

هيبتِكَ ، قال : فأَنتم إذاً معذورون . ثم أَقبل عليهم فلم يزلْ يغنّيهم طول سفرِهم حتى افترقوا .

٦١ – وقيل : حضر أَبو السائب مجلساً فيه بَصبَصُ جاريةُ ابنِ نُفَيْسٍ ، فغنَّت : [من المنسرح]

قلبي حبيسٌ عليك موقوفُ   والعينُ عَبْرى والدَّمْعُ مذروفُ
والنَّفْسُ في حَسْرَةٍ بغُصّتها   قد سفَّ أَرجاءها التساويفُ
إن كُنْتَ بالحسْنِ قد وصفْتَ لنا   فإنّني بالهوى لموصوفُ
يا حسرتا حسرةً أَموتُ بها   إنْ لم يكن لي لديك معروفُ

قال : فطربَ أَبو السائبِ ونعر وقال : لا عرف اللهُ قَدْرَ مَنْ لا يعرِفُ لك معروفَك ! ، ثم أَخذَ قِناعَها عن رأسِها فوضعه على رأْسِهِ وجعل يلطم ويبكي ويقولُ لها : بأَبي أَنْتِ وأُمي ! واللهِ إني لأَرجو أَن تكوني عند اللهِ أَفضلَ من الشهداءِ لِما تولينا من السرور ، وجعل يصيح : واغَوْثاه ! ياللهِ ما يلقى العاشقون ! .

٦٢ – قال ابن أَبي مليكة : كان بالمدينةِ رجلٌ ناسكٌ من أَهلِ العلمِ والفقْهِ ، وكان يَغْشى عبدَالله بن جعفرٍ ، فسمع جاريةً تُغَنّي : [من البسيط]

بانَتْ سعادُ وأَمسى حبلُها انقطعا

وكانت الجاريةُ مغنِّيةً لبعضِ النخَّاسين ، فاستُهْتِرَ بها الناسكُ وهام ، وترك ما كان عليه حتى مشى إليه عطاءٌ وطاوس فلاماه ، فكان جوابه لهما أَن تمثَّل قولَ الشاعر : [من البسيط]

يلومني فيك أَقوامٌ أُجالسُهم   فما أُبالي أَطارَ اللومُ أَم وَقَعا

---

٦١ الأغاني ١٥ : ٣٠ ونهاية الأرب ٥ : ٧٤–٧٥ .
٦٢ الأغاني ١٧ : ١١٣ ونهاية الأرب ٤ : ١٩٧–١٩٨ .

وبلغ عبدالله بنَ جعفرٍ خبرُه ، فبعث إلى النخّاس ، فاعترضَ الجاريةَ وسمع غناءَها بهذا الصوتِ ، فقال لها : ممَّن أَخذتِه ؟ قالت : من عَزَّة المَيْلاء ، فابتاعها بأَربعين أَلف درهم ، ثم بعث إلى الرجلِ ، فسأله عن خبرِها ، فأعطاه إيّاه وصدقه عنه ، فقال : أَتحبُّ أَن تسمعَ هذا الصوتَ ممَّن أَخذَتْهُ عنه تلك الجاريةُ ؟ قال : نعم ، فدعا بعزَّة المَيْلاء فقال : غنِّيه إيّاه ، فغَنَّتْهُ ، فصُعِق الرجلُ مغشيّاً عليه . فقال ابن جعفرٍ : أَثِمنا فيه ! الماءَ ! فنُضِح على وَجْهه ، فلما أَفاق قال له : أَكلُّ هذا بلغ بك من عِشْقِها ؟ قال : وما خَفِيَ عنك أَكثر ؛ قال : أَفتُحِبُّ أَن تَسْمَعَهُ منها ؟ قال : قد رأَيْتَ ما نالني حين سمعتُه من غيرِها وأَنا لا أُحبُّها ، فكيف يكونُ حالي إن سمعتُهُ منها وأَنا لا أَقْدِرُ على ملكِها ؟ قال : أَفتعرفُها إن رأَيْتَها ؟ قال : أَوَ أَعرفُ غيرها ! فأَمر بها فأُخرِجَتْ ، قال : خُذْها فهي لك ، واللهِ ما نظَرْتُ إليها إلا عن عُرُضٍ . فقبَّل الرجلُ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ وقال : أَنمْتَ عيني وأَحيَيْتَ نفسي ، وتركتني أَعيشُ بين قومي ، ورَدَدْتَ إليَّ عَقْلي . ودعا له دُعاءً كثيراً ، فقال له : ما أَرْضى أَن أُعطيكَها هكذا ؛ يا غلامُ احمل معه مِثْل ثمنِها لكيلا تهتمَّ به ويهتمَّ بها .

٦٣ – قال إسحاق بن إبراهيم المصعبيُّ وقد حضره جماعةٌ من جلسائِهِ والأَماثِلُ والمُغنِّين . فلمّا جلسوا للشُّرْبِ جعل الغلمانُ يسقون مَنْ حضر ، وجاءَني غلامٌ قبيح الوجهِ بقَدَحٍ فيه نبيذٌ ، فلم آخُذْهُ من يدِهِ ، فرآني إسحاقُ فقال : لم لا تشربُ ؟ فقلتُ في الحال : [من البسيط]

إصْبَحْ نديمَك أَقداحاً يُسَلْسِلُها   من الشَّمولِ وأَتبْعْها بأَقْداحِ
من كفِّ ريمٍ مليح الدَّلِّ ريقتُه   بعد الهجوعِ كمِسْكٍ أَو كتُفّاحِ
لا أَشربُ الراحَ إلا من يَدَيْ رَشَأٍ   تقبيلُ راحتِهِ أَشْهى من الراحِ

قال : فضحك ثم قال : صدَقْتَ واللهِ ، ثم دعا بوصيفةٍ تامَّةِ الحُسْنِ في زيِّ غُلامٍ

---

٦٣ الأغاني ٥ : ٢٩٩–٣٠٠ والخبر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي في مجلس إسحاق بن إبراهيم المصعبي .

عليها قَباءٌ ومِنْطَقَةٌ ، فقال لها : تولَّيْ سَقْيَ أبي محمد . فما زالت تسقيني حتى سَكِرْتُ ، ثم أمرَ بتوجيهها وكلِّ ما في دارِهِ إليَّ فانصرَفْتُ بها .

٦٤ – عاتب مسلمةُ بن عبد الملكِ أخاه يزيدَ وقال : يا أمير المؤمنين ، ببابِكَ وُفودُ الناسِ ويَقِفُ به أشرافُ العربِ ، ولا تجلس لهم ، وأنْتَ قريبُ عهدٍ بعمر ابن عبد العزيز ، وقد أقبلتَ على هؤلاءِ الإماء ! قال : إني لأرجو أن لا تُعاتبني على هذا بعد اليوم . فلما خرج مَسْلَمةُ من عنده استلقى على فراشِهِ ، وجاءت جاريتُه حبابةُ فلم يكلِّمْها ، فقالت : ما دهاك عني ؟ فأخبرها بما قال مسلمةُ وقال : تَنَحَّي حتى أفرُغَ للناسِ . قالت : فأمتِعْني منك يوماً واحداً ثم اصنَعْ ما بَدا لك ؛ قال : نعم ، فقالت لمعبد : كيف الحيلةُ ؟ قال : يقول الأحوص أبياتاً وتُغنّي فيها ؛ قالت : نعم . فقال الأحوصُ : [من الطويل]

ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يتبلَّدا ... فقد غُلِبَ المحزونُ أن يتجلَّدا
إذا كُنْتَ عِزْهاةً عن اللهوِ والصِّبا ... فكُنْ حجراً من يابسِ الصخرِ جَلْمدا
فما العَيْشُ إلا ما تُحِبُّ وتَشْتهي ... وإنْ لام فيه ذو الشنانِ وفَنَّدا

فغنّى فيه معبدٌ وقال : مرَرْتُ البارحةَ بدَيْر نصارى وهم يقرؤن بصَوْتٍ شَجيٍّ فحكَيْتُه في هذا الصوتِ ، فلمّا غنَّتْهُ حبابةُ قال يزيد : لعن الله مسلمةَ ! قد صَدَقْتِ والله لا أُطيعُهم أبداً .

٦٥ – قال إسحاق بن إبراهيم الموصليُّ : أقام المأمونُ بعد قُدومه بغداد عشرين شهراً لم يسمَعْ حرفاً من الأغاني ؛ ثم قال : كان أوَّل من تغنّى بحضرته أخوه أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماعِ مستتراً مُتَشَبِّهاً بالرشيدِ في أوّلِ أمرِهِ . فأقام المأمونُ كذلك أرْبَعَ حِجَج ، ثم ظهر للندماءِ والمغنّين .

---

٦٤ انظر الأغاني ١٥ : ١٠٢–١٠٣ والعقد ٦ : ٦١ وانظر ديوان الأحوص : ٥٦–٥٧ .
٦٥ الأغاني ٥ : ٣٤٩–٣٥٠ والبيتان للموصلي كما في الأغاني .

وكان حين أحبَّ المأمون السماعَ سأل عني ، فخرجتُ بحضرته وقال الطاعنُ عليَّ : ما يقولُ أميرُ المؤمنين في رجلٍ يتيهُ على الخلفاء ؟ فقال : ما أبْقى هذا من التِّيهِ شيئاً إلا استعمله . فأمسك عن ذِكْري ، وجَفاني مَنْ كان يَصلُني لسوء رأْيِهِ الذي ظهر فيَّ فأَضرَّ ذلك بي ، حتى جاءني علُّويه يوماً فقال لي : أتأذَنُ لي في ذكرِكَ ، فإنا قد دُعينا اليومَ ؟ فقلت : لا ، ولكنْ غَنِّه بهذا الشِّعرِ ، فإنه يبعثُه على أن يسألك : لمن هذا ؟ فإذا سألك انفتح لك بابُ ما تُريد ، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء . فقال : هاتِ ، فألقيتُ عليه لحني في شعر عمر[١] : [من البسيط]

يا سَرْحةَ الماءِ قد سُدَّت مواردُهُ أما إليكِ طريقٌ غير مسدودِ

لحائمٍ حام حتى لا حياةَ له محلأً عن زُلالِ الماءِ مطرودِ

قال فمضى علُّويه ، فلما استقرَّ به المجلسُ غنَّاه بالشعرِ ، فقال : ويلك يا علُّويه ! لمن هذا الشعر ؟ قال : يا سيِّدي ، لعبدٍ من عبيدكَ ، جفوْتَه واطَّرحتَهُ من غيرِ ذَنْبٍ ، فقال : إسحاقَ تعني ؟ قال : نعم ، قال : تُحضِرُهُ الساعةَ . فجاءني رسولُه ، فصِرْتُ إليه ، فلما دخَلْتُ عليه قال : ادْنُ ، فدنَوْتُ منه فرفَع يديهِ مادَّهُما ، فأكبَبْتُ عليه فاحتضنني بيَدَيْهِ ، وأظهر من برِّي وإكرامي ما لو أظهره صديقٌ مؤانِسٌ لصديقٍ لسَرَّهُ .

٦٦ – أبو نواس : [من الوافر]

جَرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجموحِ وهان عليَّ مأثورُ القَبيحِ

وجَدْتُ أَلذَّ عاريةِ الليالي قِرانَ النَّغْمِ بالوَتَرِ الفَصيحِ

---

٦٦ ديوان أبي نواس (الغزالي) : ٧١ .

---

١ الأغاني : شعري وهو الصحيح .

ومُسْمِعَةٍ إذا ما شِئْتُ غَنَّتْ (متى كان الخيامُ بذي طلوح)
تمتَّعْ من شباب ليس يَبْقى وصِلْ بعُرى الغَبوقِ عرى الصَّبوح
وخُذْها من مُعَتَّقَةٍ كُمَيْتٍ تُنَزِّلُ دِرَّةَ الرجلِ الشَّحيحِ
تخيَّرهـا لكسرى رائـداهُ لها حظَّانِ من طَعْمٍ وريحِ
أَلَمْ تَرَني أَبحْتُ الراحَ عِرْضي وعض مراشفِ الظَّبيِ المليحِ
وأنّي عالمٌ أَنْ سوف تنأى مسافةُ بَيْنَ جُثماني وروحي

٦٧ – وله : [من البسيط]

لا أَرحلُ الراحَ إلا أَن يكونَ لها حـادٍ بمُنْتَخلِ الأَشعارِ غِرِّيـدُ
فاستنطِقِ العودَ قد طال السكوتُ به لا ينطقُ اللهوُ حتى ينطقَ العودُ

٦٨ – قال المأمون : الطعامُ لونٌ واحدٌ ، فإذا استطَبْتَهُ فاشبَع منه ، والنَّدمانُ واحدٌ فإذا رضيتَه فلا تفارِقْهُ ما لم يُفارِقْكَ الرضا به ، والغناءُ صوتٌ واحدٌ ، فإذا استطبته فاستَزِدهُ حتى تقضي وَطَرَك منه .

٦٩ – قال أَبو محمد التميمي : سأَلْتُ الشريفَ أَبا علي محمد بن أَحمد بن موسى الهاشميَّ عن السماع ؟ فقال : لا أَدري ما أَقولُ فيه ، غيرَ أَني حضرتُ دار شيخِنا عبد العزيز بن الحارث التميمي رحمه الله تعالى سنة سبعين وثلاثمائة في دعوةٍ عملها لأَصحابه حضرها أَبو بكرٍ الأَبهري شيخ المالكيين وأَبو القاسم الداركي شيخ الشافعيين وأَبو الحسن طاهر بن الحسين[1] شيخُ أَصحاب الحديثِ ، وأَبو الحسين بن سمعون شيخ الوُعَّاظِ والزهَّادِ ، وأَبو عبدالله ابن مجاهد شيخ المتكلِّمين وصاحب أَبي بكر بن الباقلانيٌّ في دارِ شَيْخِنا أَبي الحسن التميمي شَيْخِ

---

٦٧ ديوان أَبي نواس (الغزالي) : ٨١ .
٦٩ نهاية الأَرب ٤ : ١٩٥–١٩٦ .

---

١ نهاية الأَرب : الحسن .

الحنابلةِ . قال أَبو علي : لو سقط السَّقفُ عليهم لم يَبْقَ للعراقِ مَنْ يُفتي في حادثةٍ يُشبه واحداً منهم ، ومعهم أَبو عبدالله غُلامٌ [تامٌ] ، وربما كان هذا يقرأُ القرآنَ بصوتٍ حَسَنٍ وربَّما قال شيئاً ، فقيل له : قُل لنا شيئاً ، فقال وهم يسمعون : [من البسيط]

خطَّت أَناملُها في بَطْنِ قِرطاسِ رسالــةً بعبيرٍ لا بأَنْقــاسِ[1]
أُنظر فديتُكَ لي من غير محتشم فإِنَّ حبَّك لي قد شاع في الناسِ
وكان قولي لِمَنْ أَدَّى رِسالتَها قِفْ لي لأَمشي على العَيْنينِ والراسِ

قال أَبو علي : فبعد ما رأَيْتُ هذا لا يمكنني أَن أُفتيَ في هذه المسأَلةِ بشيءٍ من حَظْرٍ أَو إِباحة .

٧٠ – ومن أَكابرِ المُغَنِّين ومُقَدَّميهم يحيى بن مرزوق المكيُّ مولى بني أُميةَ . وكان يكتمُ ولاءه لخدمتهِ خلفاءَ بني العباسِ ، فإِذا سُئِل عن ولائهِ انتهى إِلى قريشٍ . وعُمِّرَ مائةً وعشرين سنةً ، ومات وهو صحيحُ العقلِ والسَّمْعِ والبَصَرِ ، وقَدِمِ مع الحجازيين الذين قَدِموا على المهدي في أَول خلافتِه ، فخرج أَكثرُهم وبقي يحيى بالعراقِ . وولدُهُ يَخْدمون الخلفاءَ ، وآخرُهم أَحمد بن يحيى كان يخدُمُ المعتمدَ .

وليحيى صَنْعَةٌ عجيبةٌ نادِرةٌ . وله كتابٌ في «الأَغاني» كبيرٌ جليلٌ مشهورٌ ، إِلا أَنَّه خلط في نسبه فاطُّرِحَ . وكان ابنُ جامعٍ ، وإِبراهيم المَوْصليُّ ، وفُليح بن [أَبي] العَوْراء يفزعون إِليه في الغناءِ القديمِ ، فيأَخذون عنه ويُعايي بعضُهم بَعْضاً بما يأخذُه منه ، ويُغْرِبُ به على أَصحابهِ ، فإِذا خرجَت الجوائزُ أَخذها[2] .

---

٧٠ الأغاني ٦ : ١٦٣–١٦٤ ونهاية الأرب ٤ : ٣٢٠ .

---

١ أنقاس : مداد .
٢ الأغاني : أخذوا منها ووفروا نصيبه .

٧١ – قال محمد بن أحمد بن يحيى المكّي : عمل جَدِّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبدالله بن طاهر وهو يومئذٍ شابٌّ حديثُ السِّنِّ ، فاستحسَنَهُ وسُرَّ به ، ثم عرضه على إسحاقَ ، فعرَّفه عَواراً كثيراً في نَسَبه لأنَّ جَدِّي كان لا يُصحِّحُ لأحدٍ نِسْبَةَ صوتٍ أَلبتَّةَ ، وكان ينسبُ صَنْعَتَه إلى المتقدِّمين ، ويَنْحَلُ بَعْضَهم صَنْعَةَ بعضٍ ضنّاً بذلك عن غيرهِ ، فسقط من عينِ عبدالله ، وبقي في خِزانتِه . ثم وقع إلى محمد بن عبدالله ، فدعا بأبي – وكان إليه مُحْسِناً وعليه مُفْضِلاً – فعرضه عليه فقال له : إنَّ في هذا النسبِ تَخْليطاً كثيراً خلطه لضَنِّه بهذا الشأنِ على الناسِ ، ولكن أعملُ لك كتاباً أُصحِّحُ هذا وغيرَهُ فيه . فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه ، فوصله محمد بثلاثين ألفَ درهم ، وصحَّح له الكتابَ الأوَّل أيْضاً ، فهو الذي في أيدي الناس .

٧٢ – وكان إسحاقُ يُقدِّمُ يحيى المكيَّ تقديماً كثيراً ويُفضِّلُه ويناضلُ أباه وابنَ جامعٍ فيه ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يَرْويهِ من الغِناءِ الذي لا يعرفُه واحدٌ منكم من أحدِ أمرَيْن : إمَّا أنْ يكونَ مُحِقّاً فيه كما يقولُ فقد عَلِمَ ما جَهِلْتُم ، أو يكون من صَنْعَتِهِ وقد نَحَله المتقدِّمين كما تقولون ، فهو أَوْضَحُ لتقدُّمهِ عليكم .

٧٣ – قال محمد بن الحسن الكاتبُ : كان يحيى يُخَلِّطُ في نَسَبِ الغناءِ تَخْليطاً كثيراً ، ولا يزالُ يصنعُ الصَّوْتَ بعد الصوتِ ، يتشبَّهُ فيه بالغَريضِ مرَّةً ، وبمَعْبَدٍ أُخرى ، وبابنِ سُرَيْج وبابنِ محرز ، ويجتهدُ في إحكامِهِ وإتْقانهِ حتى يشتَبهَ على سامعه . فإذا حضر مجالسَ الخلفاءِ غَنَّى ما أحدثَ فيه من ذلك ، فيأتي بأحسنِ صنعة وأَتْقَنِها ، وليس أحدٌ يعرِفُها ، فيُسألُ عن ذلك ، فيقول : أَخذْتُهُ عن فُلانٍ ، وأخذه فلانٌ عن يُونُس أو نُظرائه من رُواةِ الأوائلِ ، فلا يُشَكُّ في

٧١ الأغاني ٦ : ١٦٥-١٦٦ .
٧٢ الأغاني ٦ : ١٦٦ .
٧٣ الأغاني ٦ : ١٦٦ .

قَوْلِـهِ ، ولا يثبتُ لمباراتِهِ أحدٌ ، ولا يقومُ لمعارضتِه ولا يفي بها ، حتى نشأ إسحاقُ وضبط الغناءَ وأخذه من مظانِّه ودوَّنه ، وكشف عوارَ يحيى في مَنْحولاتِهِ وبيَّنها للناسِ .

٧٤ - قال أحمد بن سعيد المالكي - وكان مُغَنِّياً مُنْقطعاً إلى طاهرٍ وولدِهِ - وكان من القُوَّاد : حضَرْتُ يحيى المكيَّ يوماً وقد غنَّى صوتاً فسُئِل عنه ، فقال : هذا لمالكٍ ، ثم غنَّى لَحْناً لمالكٍ ، فسُئِل عنه فقال : هذا لي ، فقال له إسحاقُ المَوْصليُّ : قُلْتَ ماذا ؟ فديتك ! وتضاحك به . فسُئِل عن صانعِه ، فأخبر به وغَنَّى الصوتَ ، فخجل يحيى ، وأمسك عنه ثم غَنَّى بعد ساعةٍ في الثقيـلِ الأوَّلِ ، واللَّحْنُ لـه :
[من الكامل المرفَّل]

إنَّ الخليطَ أجدَّ فاحتملا وأراد غَيْظَك بالذي فَعَلا

فسُئِل عنه ، فنسبه إلى الغَريضِ ، فقال له إسحاقُ : يا أبا سليمان ليس هذا من نَمَطِ الغريضِ ، ولا تَفَـنُّنِه في الغناء ، فلو شئْتَ لأخذت ما لَكَ ، وتركْتَ للغريض ما له ، ولم تتعب ، فاستحيى يحيى ولم ينتفع بنَفْسِهِ بقيَّةَ يومِهِ . فلما انصرف بعث إلى إسحاقَ بلطائفَ كثيرةٍ وبرٍّ واسعٍ وكتب إليه يُعاتبُه ويستكفُّ شرَّهُ ويقول له : لستُ من أقرانِك فتُضادَّ لي ، ولا ممَّنْ يتصدَّى لمباغضتِك ومباراتك فتكايدني ، وأنْتَ إلى أن أُفيدَكَ وأُعطيكَ ما تعلم أنَّك لا تَجدُه إلا عندي فتَسْمُوَ به على أكفائِكَ أحوجُ منك إلى أن تُباغِضَني فأُعطيَ غَيْرَكَ سلاحاً إذا حمله عليك لم تَقُم له ، وأنْتَ وما تختارُهُ . فعرف إسحاقُ صِدْقَ يحيى فكتب إليه يعتذرُ وردَّ الألْطافَ التي حملها إليه ، وحلف أن لا يُعارِضَه بعدها ، وشَرَطَ عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائدِ ، فوفَّى له بها ، وأخذَ منه كلَّ ما أراد من غناءِ المتقدِّمين . وكان إذا حَزَبَـهُ أمْرٌ في شيءٍ منها فَزِعَ إليه فأعـاده وعاوَنَـهُ ونَصَحَهُ ، وما عاود

---

٧٤ الأغاني ٦ : ١٦٦-١٦٧ .

إسحاقُ معارضتَه بعد ذلك ، وحَذِرَهُ يحيى ؛ فكان إذا سُئِل عن شيء بحضرتهِ صدق فيه ، وإذا غاب إسحاقُ خلَّط فيما يُسْأَلُ عنه .

قال : وكان يحيى إذا صارَ إليه إسحاقُ يطلبُ شيئاً أَعطاه إيّاه ، ثم يقول لابنهِ أَحمد : تعالَ حتى تأخذَ مع أَبي محمدٍ ما اللهُ يعلمُ أَني أَبْخَلُ به عليك فَضْلاً عن غيرِك ، فيأخذه أَحمد مع إسحاقَ عن أَبيه .

٧٥ – وقال إسحاقُ يوماً للرشيدِ قَبْلَ أَن تصلحَ الحالُ بينه وبين يحيى المكّي : أَتحبُّ يا أَميرَ المؤمنين أَن أُظْهِرَ لك كَذِبَ يحيى فيما ينسبُه من الغناء ؟ قال : نعم ؛ قال : أَعطني أَيَّ شعرٍ شِئْتَ حتى أَصنع فيه لَحْناً ، وسَلْني بحضرتهِ عن نسبه ، فإني سأنسبُه إلى رجلٍ لا أَصْلَ له ، وسَلْ يحيى عنه إذا غَنَّيْتُهُ ، فإنه لا يمتنعُ من أَن يدَّعي معرفَته . فأَعطاه شِعراً وصنع فيه لحناً وغنَّاه الرشيدَ ، ثم قال له : يسألني أَمير المؤمنين عن نَسَبهِ بين يديه . فلمّا حضر يحيى غنَّاه إسحاق ، فسأله الرشيد : لمن هذا اللحنُ ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المدني ، فقال له يحيى : نعم قد لقِيتُه وأَخذْتُ عنه صوتين ، ثم غنَّى صوتاً وقال : هذا أَحدُهما . فلما خرج يحيى حلف إسحاقُ بالطلاقِ ثلاثاً وعتق جواريه أَنَّ اللهَ تعالى ما خلق أَحداً اسمه غناديس ولا سُمع به في المُغَنِّين ولا غيرهم ، وأَنه وضع ذلك الاسمَ في وقتهِ ليكشفَ أَمرَهُ .

٧٦ – قال علي بن المارقيٍّ : قال لي إبراهيم بن المهديِّ : ويلك يا مارقيُّ ! إنَّ يحيى المكيَّ غنَّى البارحةَ بحضرةِ أَميرِ المؤمنين صوتاً فيه ذِكْرُ زينب ، وقد كان النبيذُ أَخذ منِّي ، فأُنسيتُ شِعْرَهُ ، فاستَعَدْتُه إيَّاه فلم يُعِدْهُ ، فَاْحتَلْ لي عليه حتى تأخذَه منه ، ولك عليَّ سبق . قال زُرْزُور مولاه : فقال لي المارقيُّ وأَنا يومئذٍ غلامٌ : إذْهَبْ إليه فقُل له إني أَسأَله أَن يكونَ اليومَ عندي . فمضَيْتُ إليه فحيَّيْتُه ،

---

٧٥ الأغاني ٦ : ١٦٨–١٦٩ .

٧٦ الأغاني ٦ : ١٦٩–١٧٢ .

فلما تَغَدَّوْا وُضِع النبيذُ فقال له المارقيُّ : إني سمعتُك تغنّي صوتاً فيه ذِكْرُ زينب ، وأنا أُحبُّ أن آخذَهُ منك ، وكان يحيى يُوفي هذا الشأن حقَّه من الاستقصاء ، فلا يخرج إلا بحذر ، ولا يَدَعُ الطلبَ والمسألةَ ، ولا يُلقي صوتاً إلا بعِوَضٍ ، فقال له يحيى : وأَيُّ شيءٍ العِوَضُ إذا أَلقَيْتُ عليك هذا الصوت ؟ قال : ما تُريدُ ؟ قال : هذه الزِّلِّيَّةُ الأَرمنيَّةُ ، أَما آن لك أن تَمَلَّها ؟ قال : بلى ، هي لك ، قال : وهذه الطنافِسُ الخُرَّميَّةُ ، أنا مكيٌّ لا أَنْتَ وأنا أَولى بها منك ، قال : هي لك ، وأَمر بحملها معه ، فلما حَصَلَتْ له قال له المارقيُّ : يا غلامُ ، هاتِ العودَ ، قال يحيى : والميزان والدراهم ؛ وكان يحيى لا يُغَنِّي أَو يأْخُذَ خمسين دِرْهماً ، فأَعطاه إيَّاه ، فألقى عليه : [من الطويل]

بزينبَ أَلمِمْ قَبْلَ أَن يَظْعَنَ الرَّكْبُ

فلم يشكَّ المارقيُّ في أنه قد أَدرك حاجتَه ، فبكَّر إلى إبراهيم فقال له : قد جئتُ بالحاجةِ ، فدعا بالعودِ فغنَّاه إيّاه ، فقال له : لا واللهِ ما هو هذا ، وقد خدعك ، فعاود الاحتيالَ عليه . قال زرزور : فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً ، فلما دخل عليه وأَكلا وشَرِبا قال له يحيى : قد والَيْتَ بين دعواتِك ولم تكن بَرّاً وصولاً ، فما هذا ؟ ! قال : لا شيء واللهِ إلا محبَّتي للأَخْذِ عنك والاقتباسِ منكَ . فقال له : بَرَّكَ الله ! تذكَّرتَ الصوتَ الذي سأَلتكَ إيّاه فإذا هو غيرُ الذي أَلقَيْتَهُ عليَّ ، فقال : تُريدُ ماذا ؟ قال : تذكّر الصوت ، فغنّاه : [من البسيط]

أَلمِمْ بزينب إنَّ البَيْنَ قد أَفِدا

فقال له : نعم فديتُكَ يا أَبا عثمان هذا هو فأَلْقِهِ عليَّ ، قال : العِوَض ؛ قال : قُلْ ؛ قال : هذا المِطْرَف الأَسود ، قال : هو لك ، فأَخذه وأَلقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له ، وبكَّر إلى إبراهيم فقال له : ما وراءَك ؟ قال : قد قضيتُ حاجَتَكَ ، ودعا بالعودِ فغنَّاه إيَّاه ، فقال : خدعكَ واللهِ وليس هذا هو ، فأَعِد الاحتيال عليه ، وكلُّ ما تُعطيه إيَّاه فأَلْزِمني به .

فلما كان اليومُ الثالث بعث إليه وفعل مِثْلَ فِعْلِهِ بالأَمْسِ ، فقال له يحيى : ما لك أيضاً ؟ قال : يا أَبا عثمان ، ليس هذا هو الصوتَ الذي أَرَدْتُ ، فقال له : لستُ أَعلمُ ما في نَفْسِك فاذكره وأَنا عليَّ أَن أَذكُرَ ما فيه زينب من الغناء كما التمستَ حتى لا يبقى عندي زينب أَلبتَّةَ إلا أَحضَرْتُها ، قال : هاتِ على اسمِ اللهِ تعالى . قال : اذكر العِوَضَ ؛ قال : ما شِئْتَ ، قال : هذه الدرَّاعةُ الوَشْيُ التي عليك ، فأَخذها ، قال : والخمسين الدرهم ؟ فأَحضَرَها وأَلقى عليه : [من الطويل]

لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارِقُه هُدُوّاً إذا النجم ارجحنَّت لواحِقُهْ

فأَخذه منه ومضى إلى إبراهيم فصادفه يشربُ مع الحرم ، فقال له حاجبُه : هو يتشاغلُ ؛ فقال له : قُل له قد جئتُكَ بحاجتِك ؛ فقال : يدخل فيُغنِّيه في الدارِ وهو قائمٌ ، فإنْ كان هو ، وإلا فليخرج . فدخل فغنَّاهُ ، فقال : لا واللهِ ما هذا هو ، فعاود الاحتيالَ ففعل مِثْلَ ذلك ، فقال له يحيى وهو يضحك : ما ظَفِرْتَ بزَيْنَبِكَ بَعْدُ ؟ فقال : لا واللهِ يا أَبا عثمان ، وما أَشكُّ بأَنَّك تتعمَّدني بالمَنْعِ فيما أُريدُهُ وقد أَخذْتَ كلَّ شيءٍ عندي مُغابنةً ، فضحك يحيى ثم قال : قد استحيَيْتُ منك الآن ، وأَنا أُناصحك على شريطةٍ ، قال : نعم ، قل الشريطةَ ؛ قال : لا تَلُمْني أَن أُغابنَكَ ، لأَنَّك أَخذْتَ في مُغابنتي ، والمطلوبُ إليه أَقْدَرُ من الطالبِ ، فلا تُعاود أَن تحتالَ عليَّ ، فإنَّك لا تَظْفَرُ منِّي بما تُريدُ ، إنَّما دسَّكَ إبراهيم بن المهديِّ عليَّ ليأخُذَ صوتاً غَنَّيْتُه وسألني إعادتَه فمنَعْتُهُ بُخْلاً عليه ، لأَنَّه لا يلحقني منه خَيْرٌ ولا بركةٌ ، يُريدُ أَن يأخذَ غنائي باطلاً ، وطمع بموضِعِك أَن تأخذَ الصوتَ بلا ثَمَنٍ ولا حَمْدٍ ، لا واللهِ إلا بأَوْفَرِ الأَثمانِ ، وبعد اعترافِك ؛ وإلا فلا تَطْمَعْ في الصوتِ فقال : أَما إذ فطنْتَ ، فالأَمْرُ واللهِ على ما قُلْتَ ، فتُغنِّيه الآنَ بعَيْنِهِ على شَرْطٍ وإن كان هو وإلا فعليك اعادته بعينِه ، ولو غنيتني في كلِّ شيءٍ تعرفُه ولم أَحتسِبْ لك إلا به ؛ قال : اشْتَرِه ، فتساوَما طويلاً وماكسه المارِقيُّ حتى بلغ أَلْفَ

درهمٍ ، فدفعها إليه فألقاه عليه . والصوت : [من الكامل]

طرقَتْكَ زينبُ والمزارُ بعيدُ   بمنًى ونحن مُعرِّسون هُجودُ

قال : وهو صوتٌ كثير العمل ، حُلْوُ النَّغَمِ ، مُحكَم الصَّنْعةِ ، صحيحُ القِسْمَةِ ، حَسَنُ المقاطعِ . فأخذه وبكَّر إلى إبراهيم بن المهديِّ فقال له : قد أفْقَرَني هذا الصوتُ وأغرى بي وبلاني بوَجْهِ يحيى المكيِّ وشَحْذِهِ وطلبهِ وشَرَهِهِ . وحدَّثه بالقِصَّةِ ، فضحك إبراهيم وغنَّاه إيَّاه فقال : هذا وأبيكَ هو بعَيْنِهِ . فألقاه عليه حتى أخذَهُ ، وأخلَفَ كلَّ شيءٍ أخذه منه يحيى وزادَهُ خمسةَ آلافِ درهمٍ ، وحمله على بِرْذَوْنٍ أشْهَبَ فارِهٍ بسَرْجِهِ ولجامِهِ ، فقال له : يا سيِّدي ، فغلامُكَ زرزورٌ المسكين قد تردَّدَ إليه حتى ظَلَعَ ، هَبْ له شيئاً . فأمرَ له بألفِ درهمٍ .

٧٧ – رُوِيَ أن إسحاقَ المَوْصِليَّ لمّا صنع صَوْتَهُ : [من الخفيف المجزوء]

قُلْ لِمَنْ ظلَّ عاتبا   ونأى عَنْكَ جانبا

اتَّصل خبرُهُ بإبراهيم بن المهديِّ فكتب إليه يسألُه عنه ، فكتب إليه شعره وبسيطه ومجراه واصبعه وتجزئته وأقْسامَهُ ومخارج نَغَمِهِ ومواضع مقاطعِهِ ومقادير أدوارِهِ وأوْزانِهِ ، فغنَّاه إبراهيم ثم قال إسحاق : ثم لقيني فغنَّى فيه ففَضَلني بحُسْنِ صوتهِ .

٧٨ – وقال هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهديِّ : كان يخاطبُنا من دارِهِ بدجلةَ في الجانبِ الشرقيِّ ونحنُ بالجانبِ الغربيِّ بأمرِهِ ونَهْيِهِ ، فنَسْمَعُه وبَيْنَنا عُرْضُ دِجْلَةَ ، وما أجْهَدَ نَفْسَهُ .

٧٨أ – وقيل إن إبراهيم بنَ المهديِّ غنَّى عند الأمينِ وهو مشرفٌ على حائرِ الوحْشِ ، فكانت الوحوشُ تُصْغي إليه وتمدُّ أعناقَها ، ولا تزالُ تدنو حتى تَضَعَ رؤوسَها على الدكانِ الذي كانوا عليه ، فإذا سكَتَ نفَرَتْ وبَعُدَتْ ، وكان الأمينُ

---

٧٧ الأغاني ١٠ : ١١٢–١١٧ ونهاية الأرب ٤ : ٢٠٨ .
٧٨أ نهاية الأرب ٤ : ٢١٠ .

يُعجَبُ بذلك ويُعجِّب أصحابه .

٧٩ – حدَّث أحمد بن يزيد عن أبيه قال : كُنَّا عند المُنْتَصِرِ فغنَّاه بنان : [من السريع]

يا ربَّةَ المنزلِ بالبِرْكِ وربَّةَ السلطانِ والمُلْكِ
تحرَّجي باللهِ مِنْ قَتْلِنا لَسْنا من الدَّيْلَمِ والتُّرْكِ

فضحكتُ ، فقال : ممَّ ضحكتَ ؟ قُلْتُ : من شَرَفِ قائلِ هذا الشعرِ وشَرَفِ مَنْ عَمِلَ اللَّحْنَ فيه وشرفِ مُسْتَمِعِهِ ، قال : وما ذاك ؟ قلتُ : الشعر فيه للرشيدِ ، والغناءِ لعُلَيَّةَ بنتِ المَهْدي ، وأمير المؤمنين مُسْتمعه ، فأعجبه ذلك وما زال يستعيده .

٧٩أ – قال إسحاقُ الموصليُّ : عمِلْتُ في أيَّامِ الرشيدِ لحناً في هذا الشِّعْرِ ، وهو : [من البسيط]

سقياً لأَرْضٍ إذا ما شئتُ نبَّهني بعد الهدوِّ بها قَرْعُ النواقيسِ
كأن سَوْسَنَها في كلِّ شارِقةٍ على الميادين أذنابُ الطواويسِ

فأعجبني ، وعمِلْتُ على أن أُباكر به الرشيدَ ، فلقيني في طريقي خادمٌ لِعُلَيَّةَ فقال : مولاتي تأمرُك بدخولِ الدِّهليزِ لتسمعَ من بعضِ جواريها غناءً أخذَتْهُ عن أبيكَ وشكَّت فيه الآن ، فدخَلْتُ معه إلى حُجْرَةٍ وقد أُفرِدَتْ لي كأنَّها كانت مُعَدَّةً ، وقُدِّم لي طعامٌ وشرابٌ فنلتُ حاجتي منهما . ثم خرج إليَّ خادمٌ فقال : تقول لك مولاتي : أنا أعلمُ أنَّك قَدْ غَدَوْتَ على أميرِ المؤمنين بصَوْتٍ قد أعدَدْتَهُ له مُحْدَثٍ فأَسْمِعْنيهِ ، ولك جائزةٌ سَنِيَّةٌ تتعجَّلُها ، ثم ما يأمرُ به لك أمير المؤمنين بين يَدَيْكَ ، ولعلَّه لا يأمرُ لك بشيءٍ ، أو لا يَقَعُ الصوتُ منه بحيثُ توخَّيْتَ ، فيذهب سَعْيُكَ

---

٧٩ الأغاني ١٠ : ١٧٨ .
٧٩أ الأغاني ١٠ : ١٧٨ .

باطلاً . فاندَفَعْتُ فغنَّيْتُ هذا الصوتَ ، ولم تَزَلْ تستعيدهُ مراراً ، ثم قالت : اسمَعْهُ الآن منّي ، فغنَّتْهُ غناءً ما خرَق سمعي مِثْلُهُ ، ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى واللهِ ما لم أرَ مِثْلَهُ ، ثم قالت : يا فُلانةُ ، أحضري ما عندك ، فأحضَرَتْ عشرين ألفاً وعشرين ثوباً ، فقالت : هذا ثَمَنُهُ ، وأنا الآنَ داخِلةٌ إلى أميرِ المؤمنين ، ولن أبْدَأه بغناءٍ غيرِهِ ، وأُخبرُهُ أنه من صَنْعتي ، وأُعطي الله عَهْداً لئن نطَقْتَ بأنَّ لك فيه صَنْعَةً لأَقتُلَنَّكَ ، هذا إن نَجَوْتَ منه إن عَلم بمصيرِك إليَّ . فخرَجْتُ من عندِها ، وواللهِ إني لأكْرهُ جائزَتَها أسَفاً على الصوتِ ، فما جَسَرْتُ واللهِ بعد ذلك أن أتنغَّم به في نَفْسي فَضْلاً عن أن أُظْهِرَهُ حتى ماتت . فدخَلْتُ على المأمونِ في أوَّلِ مجلسٍ جَلَسَه لِلَّهْوِ بعدها ، فبَدَأْتُ به في أوَّلِ ما غَنَّيْتُ ، فتغيَّر لوْنُ المأمونِ وقال : مِن أيْنَ لك هذا ؟ قلتُ : ولي الأمانُ على الصِّدْقِ ؟ قال : ذلك لك . فحدَّثْتُهُ الحديثَ ، قال : يا بغيض ! فما كان في هذا من النفاسةِ حتى شَهرْتَهُ وذكَرْتَ هذا منه مع الذي أخذْتَ مِن العِوَضِ ؟ فهجتني والله منه هجنةٌ وَدِدْتُ معها أني لم أذكره ، فآليتُ أن لا أُغنّيه بعدها أبداً .

٨٠ – قالت عَريبُ : أحسنُ يومٍ رأيْتُهُ في الدنيا وأطْيَبُه يومٌ اجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهديِّ عند أُختِه عُلَيَّةَ وعندهما يعقوبُ ، وكان من أحذق الناس بالزَّمْرِ ، فبدأتْ عليَّةُ فغنَّت من صَنْعَتِها ، وأخوها يعقوب يزمر عليها : [من الطويل]

تحبَّبْ فإنَّ الحبَّ داعيةُ الحبِّ ... وكم مِن بعيدِ الدارِ مُسْتَوجب القُرْبِ
تبصَّرْ فإنَّ حُدِّثْتَ أن أخا الهوى ... نجا سالماً فارْجُ النجاةَ من الحُبِّ
إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رِضىً ... فأينَ حلاواتُ الرسائلِ والكُتْبِ

وغنَّى إبراهيم في صَنْعتِهِ وزَمَرَ عليه يعقوب : [من البسيط]

---

٨٠ الأغاني ١٠ : ١٨٣ ونهاية الأرب ٤ : ٢١٥–٢١٦ .

لم ينسنيك سرورٌ لا ولا حَـزَنُ وكيف لا كيف يُنسى وجهك الحسن

قالت : فما سمِعْتُ مثلَ ما سمعتُ منهما قطُّ ، وأعلمُ أَني لا أَسمَعُ مِثْلَهُ أَبداً .

٨١ – قال محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد : سمعت أَبي جعفراً وأَنا صغير يُحَدِّثُ يحيى بن خالد جَدِّي في بَعْضِ ما كان يُخبرهُ به من خلواتهِ مع هارون الرشيد قال : يا أَبتِ ، أَخذ بيدي أَميرُ المؤمنين وأَقبل في حُجَرٍ يخترقُها حتى انتهى إلى حُجرةٍ مُغلقةٍ ، ففتحها بيدِه ودخلنا جميعاً ، وأَغلقها من داخلٍ بيده ، ثم صِرْنا إلى رُواقٍ ففتحه ، وفي صَدْرِهِ مجلسٌ مُغْلَقٌ ، فقعد على بابِ المجلسِ ، فنقر البابَ بيدِه نَقراتٍ ، فسمِعْنا حِسّاً ، ثم أَعاد النَّقْرَ ثانيةً فسَمِعنا صوتَ عُودٍ ، ثم أَعاد النَّقْرَ ثالثةً ، فغنَّت جاريةٌ ما ظَنَنْتُ واللهِ أن اللهَ عزَّ وجلَّ خَلَقَ مِثْلَها في حُسْنِ الغناء وجَوْدَةِ الضَّرْبِ . فقال لها أَميرُ المؤمنين بعد أَن غنَّت أَصواتاً : غنِّي صوتي ، فغنَّتْ : [من الكامل]

ومُخَنَّثٍ شَهِد الزفافَ وقَبْلَهُ غنَّى الجواري [حاسراً] ومُنَقَّبا
لَبِسَ الدَّلالَ وقامَ يَنْقُرُ دُفَّه نَقْراً أَقرَّ به العيونَ فأَطْربا
إِنَّ الجوارِ رأَيْنه فَعَشِقْنَهُ فشكَوْن شدَّةَ ما بهنَّ فأَكذبا[١]

قال : فطربْتُ واللهِ طرباً هَمَمْتُ واللهِ أَن أَنْطَحَ برأسي الحائطَ ، ثم قال : غَنِّي : طال تكذيبي وتَصْديقي

فَغنَّتْ : [من المديد]

طال تكذيبي وتصديقي لم أَجِدْ عَهْداً لِمَخْلوقِ
إِنَّ ناساً في الهوى غدروا ورأَوْا نَـقْـضَ المواثيـقِ

---

٨١ الأغاني ١٠ : ١٨٨–١٨٩ ونهاية الأرب ٤ : ٢١٧–٢١٨ .

---

١ الأغاني : «النساء» بدلاً من «الجوارِ» .

قال : فرقص الرشيدُ ورقَصْتُ معه ، ثم قال : امضِ بنا فإني أَخافُ أن يبدوَ منَّا ما هو أَكثرُ من هذا . فلما صِرْنا إلى الدِّهْليزِ قال وهو قابضٌ على يدي : هل عَرَفْتَ هذه المرأةَ ؟ قُلتُ : لا يا أَمير المؤمنين ، قال : هذه عُليَّةُ بنت المهدي ، والله لئن لفَظْتَ به بين يَدَي أَحدٍ وبلغني لأَقتلنَّكَ . قال : فسمعتُ جَدِّي يقول له : فقد واللهِ لفَظْتَ به بين يدي أَحدٍ ، وواللهِ ليقتلنَّكَ ! فاصنَعْ ما أَنْتَ صانعٌ .

٨٢ – قال بعضُ البصريين : كُنَّا لـمَّةً نجتمعُ ولا يُفارِقُ بعضُنا بَعْضاً . فكُنَّا على عدد أَيامِ الجمعةِ كلَّ يومٍ عند أَحدِنا ، فَضَجِرْنا من المقامِ في المنازِلِ ، فقال بعضُنا : لو عزمتُم فخرجنا إلى بعضِ البساتينِ . فخرَجْنا إلى بستانٍ قريبٍ منَّا ، فبينا نحنُ فيه إذ سَمِعْنَا ضجةً راعَتْنا ، فقلتُ للبستانيِّ : ما هذا ؟ فقال : هؤلاءِ نِسْوَةٌ لهُنَّ قِصَّةٌ ، فقُلْتُ له أَنا دون أَصحابي : وما هي ؟ قال : العِيانُ أَكبر من الخَبَرِ ، فقُم حتى أُرِيَك وَحْدَك . فقلتُ لأَصحابي : أَقسَمْتُ عليكم أَلا يبْـرَحَ أَحدٌ منكم حتى أَعودَ . فنهَضْتُ وحدي فصَعِدْتُ إلى موضعٍ أُشْرِفُ عليهنَّ وأَراهُنَّ ولا يَرَيْنني ؛ فرأَيْتُ نِسْوَةً أَربعاً أَحسنَ ما يكون من النساء وأَشْكلَهِنَّ ، ومعهن خُدَّامٌ لهنَّ وأَشياء قد أُصلحَتْ من طعامٍ وشرابٍ وآلةٍ . فلما اطمأَنَّ بهِنَّ المجلسُ جاءَ الخادمُ لهنَّ معه خمسةُ أَجزاء ، فدفع إلى كلِّ واحدةٍ منهن جزءاً ، ووضع الجُزْءَ الخامِسَ بينهنَّ . فقرَأْنَ أَحسَنَ قراءةٍ ، ثم أَخذْنَ الجُزْءَ الخامسَ فقرأَتْ كلُّ واحدةٍ منهن رُبْعَ الجُزْءِ ، ثم أَخرجْنَ صورةً معهنَّ في ثَوْبٍ دبيقي ، فبسطْنَها بينهُنَّ ، فبكَيْنَ عليها ودَعَوْنَ لها ، ثم أَخذْنَ في النَّوْحِ ، فقالت الأُولى : [من الكامل المرفَّل]

خلَسَ الزمانُ أَعزَّ مُخْتَلَسٍ ... ويَدُ الزمانِ كثيرةُ الخُلَسِ
للهِ هالكةٌ فُجِعْتُ بها ... ما كان أَبعدَها من الدَّنَسِ

---

٨٢ مصارع العشاق ١ : ١٤١–١٤٦ .

أتتْ البشارةُ والنعيُّ معاً   يا قُرْبَ مأتمها من العُرُسِ

ثم قالت الثانيةُ : [من الكامل]

ذهبَ الزمانُ بأُنْسِ نَفْسي عَنْوَةً   وبَقيتُ فَرْداً لَيْسَ لي من مُؤْنِسِ
أَوْدى بملكٍ لو تُفادى نَفْسُها   لفَدَيْتُها ممَّن أُعِزُّ بأَنْفُسِ
ظلَّت تُكلِّمُني كلاماً مُطْمِعاً   لم أَسْتَرِبْ منه بشيءٍ مُؤْيِسِ
حتى إذ فَتَر اللسانُ وأَصبَحَتْ   للموتِ قد ذبلَتْ ذُبولَ النَّرْجَسِ
وتسهَّلَتْ منها محاسِنُ وَجْهِها   وعلا الأَنينُ تحثُّه بتنفُّسِ
جعل الرجاءُ مطامعي يأساً كما   قطع الرجاءُ صحيفَةَ المُتَلمِّسِ

ثم قالت الثالثةُ : [من المنسرح]

جرَتْ على عَهْدِها الليالي   وأُحدِثَتْ بَعْدَها أُمور
فاعتَضْتُ بالناسِ منكِ صَبْراً   فاعتدل اليأسُ والسرورُ
فلستُ أَرجو ولستُ أخشى   ما أَحدَثَتْ بعدكِ الدهورُ
فليبلغ الدهرُ في مساتي   فما عسى جُهده يضيرُ

ثم قالت الرابعةُ : [من البسيط]

عِلْقٌ نَفيسٌ من الدنيا فُجعْتُ به   أَفضى إليه الردى في حَوْمَةِ القَدَرِ
وَيْحَ المنايا أما تَنْفكُّ أَسهُمُها   معلَّقاتٍ بصَدْرِ القَوْسِ والوَتَرِ
يبلى الجديدان والأَيامُ بالية   والدهر يبلى وتبلى جِدَّةُ الحَجَرِ

ثم قُمْنَ فقُلْنَ بصوتٍ واحدٍ : [من الرجز المجزوء]

كنَّا من المَساعِدَهْ   كمِثْلِ نَفْسٍ واحِدَهْ
فمات نِصْفُ نَفْسي   حتى ثوى في الرَّمْسِ
فما بقائي بَعْدَهُ   وشَطْرُ نَفْسي عنده

فهل سمعتم قبلي فيمن مضى بمِثْلي
عاش بنصفِ روحٍ في بَـدَنٍ صحيحِ

ثم تنحَّيْنَ وقُلْنَ لبعضِ الخَدَمِ : كم عندك منهم ؟ قال : أربعة ، قُلْنَ : آئتِ بهم . فلم أَلبَثْ إلا قليلاً حتى طلع بقفص فيه أربعة غِرْبان مُكَتَّفين ، فوضع القفص بين أيديهنَّ ، ودعَوْن بعيدانِهنَّ ، فأَخذت كلُّ واحدةٍ منهنَّ عوداً وغنَّت الأُولى : [من الطويل]

لعمري لقد صاح الغُرابُ ببَيْنِهم فأَوْجَعَ قلبي بالحديثِ الذي يُبدي
فقُلْتُ له أفصحت لا طِرْتَ بَعْدَها بريشٍ فهل للقَلْبِ ويحكَ من رَدِّ

ثم أَخذْنَ واحداً من الغِرْبانِ فنَتَفْنَ رِيشَهُ حتى تركْـنَـهُ كأَن لم يكُنْ عليه ريشٌ قَطُّ ، ثم ضَرَبْنَهُ بقُضبانٍ معهنَّ لا أَدري ما هي حتى قَتَلْـنَـهُ ، ثم غنَّت الثانيةُ : [من المتقارب]

أَعانك والليلُ مُلْقي الجِران غُرابٌ ينوحُ على غُصْنِ بانِ
أَحصُّ الجناحِ شديدُ الصياح يُبَكِّي بعَيْنينِ ما تهملان
وفي نَعَباتِ الغُراب اغترابٌ وفي البانِ بَيْنٌ بعيدُ التداني

ثم أَخذْنَ الثاني فشَدَدْنَ في رِجْلَيْهِ خَيْطَيْنِ وباعَدْنَ بينهما ثم جَعَلْنَ يقُلْنَ له : أَتبكي بلا دَمْعٍ ، وتُفرِّقُ بين الأَحبابِ والأُلافِ ، فمَنْ أَحقُّ منكنَّ بالقَتْلِ ؟ ثم فَعَلْنَ به مثل ما فَعَلْنَ بصاحبِهِ ، ثم غنَّت الثالثةُ[1] : [من الطويل]

أَلا يا غُرابَ البينِ لونُك شاحبٌ وأَنْتَ بلَوْعاتِ الفِراقِ جَديرُ
فبيِّن لنا ما قُلْتَ إذ أَنْتَ واقعٌ وبَيِّنْ لنا ما قُلْتَ حين تطيرُ
فإن يكُ حقّاً ما تقولُ فأَصبَحَتْ همومُك شَتَّى والجناح قَصيرُ

---

١ البيتان الأول والثالث في ديوان جميل بثينة : ٩٤ .

ولا زِلْتَ مطروداً عديماً لناصرٍ   كما ليس لي من ظالميّ نصيرُ

ثم قالت له : أمَّا الدعوةُ فقد استُجيبَتْ ، ثم كَسَرَتْ جناحَيْهِ وأمرَتْ ففُعِل به مثل ذلك ، ثم غنَّت الرابعةُ[1] : [من الطويل]

عشيَّةَ ما لي حيلةٌ غير أنَّني   بلَقْطِ الحصى والخَطِّ في الدارِ مُولَعُ
أخطُّ وأمحو كلَّ ما قد خَطَطْتُهُ   بدمعيَ والغِرْبانُ في الدارِ وُقَّع

ثم قالت لأخواتِها : أيُّ قِتْلَةٍ أقْتُلُهُ ؟ فقُلْنَ لها : علِّقيه برجليه وشُدِّي في رَأْسِه شيئاً ثقيلاً حتى يموت . ففعلت به ذلك ، ثم وضَعْنَ عيدانَهُنَّ ودعَوْنَ بالغَداء ، فأَكَلْنَ ودعَوْنَ بالشرابِ فشَرِبْنَ ، وجَعَلْنَ كلَّما شَرِبْنَ قَدْحاً شَرِبْنَ للصورةِ مِثْلَهُ ، وأخذْنَ عيدانَهُنَّ يُغَنِّين ، فغنَّت الأُولى كأنَّها تُودِّعُ[2] به : [من البسيط]

أبْكى فِراقُهُمُ عيني وأرَّقها   إنَّ المُحِبَّ على الأحبابِ بكَّاءُ
ما زالَ يعدو عليهم رَيْبُ دَهْرِهِمُ   حتَّى تفانَوْا ورَيْبُ الدهرِ عدَّاءُ

ثم غنَّت الثانيةُ[3] : [من الطويل]

أما والذي أبكى وأضحك والذي   أماتَ وأحيا والذي أمرُهُ الأمْرُ
لقد تركتني أحسدُ الوَحْشَ أن أرى   أليفين منها لا يروعُهُما الذُّعْرُ

ثم غنَّت الثالثة : [من الطويل]

سأبكي على ما فاتَ مِنْكَ صبابةً   وأنْدبُ أيامَ السُّرورِ الذواهبِ
أحينَ دَنا مَنْ كُنْتُ أرْجو دُنوَّه   رمَتْني عيونُ الناسِ من كلِّ جانبِ
فأصبَحْتُ مرحوماً وكنتُ محسَّداً   فصبراً على مكروهِ مُرِّ العواقبِ

١ هذان البيتان لذي الرمة في ديوانه : ٧٢٠ – ٧٢١ .
٢ مصارع العشاق : توقع .
٣ البيتان لأبي صخر الهذلي . انظر الأغاني ٥ : ١٧٠ وشرح ديوان الهذليين ٢ : ٩٥٧ .

ثم غنَّت الرابعةُ : [من الطويل]

سأُفني بك الأيامَ حتى يسرَّني بك الدهرُ أو تَفْنى حياتي مع الدَّهْرِ
عزاءً وصَبْراً أَسْعداني على الهوى وأَحمدُ ما جَـرَّبْـت عاقبةَ الصَّبْرِ

ثم أَخذت الصورة فعانقتها وبكَتْ ، وبكَيْنَ ثم شكَوْن إِليها جميعَ ما كُنَّ فيه ، ثم أَمرْنَ بالصورةِ فطُوِيَتْ ، فَفَرِقْتُ أن يتفرَّقْنَ قبل أَن أُكلِّمهن ، فرَفَعْتُ رأْسي إِليهنّ ، فقُلتُ :

لقد ظَلَمْتُنَّ الغِرْبان ! فقالت إِحداهنَّ : لو قَضَيْتَ حقَّ السلامِ ، وجعَلْتَهُ سَبَباً للكلامِ ، لأَخبرناكَ بقِصَّةِ الغِربان . قال قلتُ : إِنَّما أَخبرتكُنَّ بالحقِّ ، قُلْنَ : وما الحقُّ في هذا ؟ وكيف ظلمناهُنَّ ؟ قلتُ : إِن الشاعر يقولُ : [من الكامل]

نَعَبَ الغُرابُ برؤيةِ الأَحبابِ فلذاك صِرْتُ أُحبُّ كلَّ غُراب

قالت : صحَّفْتَ وأَحلْتَ المعنى ؛ إِنَّما قال :

[نعب الغراب] بفُرْقةِ الأَحبابِ فلذاك صِرْتُ عدوَّ كلِّ غُرابِ

فقُلْتُ لهنَّ : بالذي خصَّكُنَّ بهذه المحاسنِ ، وبحقِّ صاحبةِ الصورةِ لَما أَخبَرْتنني بخبركنَّ . قُلْنَ : لولا أَنَّك أَقْسَمْتَ علينا بحقِّ مَنْ يجبُ علينا حقُّه لَما أَخبَرْناك : كُنَّا صواحبَ مجتمعاتٍ على الأُلْفَةِ ، لا تَشْرَبُ واحدةٌ منّا البارِدَ دون صاحبتها ، فاخْتُرِمَتْ صاحبةُ الصورةِ من بيننا ، فنَحْنُ نصنعُ في كلِّ موضعٍ نجتمع فيه مِثْلَ الذي رأَيْتَ ، فأَقْسَمْنَا أَن نَقْتُلَ في كلِّ يومٍ نجتمعُ فيه ما وَجَدْنا من الغِرْبانِ لِعِلَّةٍ كانت . قُلْتُ : وما تِلْك العلَّةُ ؟ قُلْنَ : فرَّقْنَ بينها وبين آنِسٍ كان لها ، ففارقتِ الحياةَ ، وكانت تَذُمُّهُـنَّ عندنا وتأمرُ بقَتْلِهـنَّ ، فأَقلُّ ما لها عندنا أَن نمتثلَ ما أَمرَتْ به ، ولو كان فيك شيءٌ من السوادِ لفعَلْنا بك فِعْلَنا بالغِرْبان ، ثم نَهَضْنَ . ورجَعْتُ إِلى أَصحابي فأَخبرتُهم بما رأَيْتُ ثم طلبتهنَّ بعد ذلك فما وَقَعْتُ لهنَّ على خبرٍ ولا رأَيْتُ لهنَّ أَثراً .

نوادر من هذا الباب

٨٣ – قالت قَيْنَةٌ يوماً لأَبي العيناء : وأَنتَ أَيضاً يا أَعمى ! ؟ فقال لها : ما أَستَعينُ على وَجْهِكِ بشيءِ أَصلحَ من العمى .

٨٤ – وقال له مُغَنٍّ يوماً : هل تذكُرُ سالفَ معاشَرتِنا ؟ فقال : إذ تغنِّينا ونحن نَستَعْفيك ؟

٨٥ – قال بعضُ أَهلِ الحجاز : التقى قنديل الجصاص وأَبو الجديد بشعب الصفراء ، فقال قنديل ، لأَبي الجديد : من أَين ؟ وإلى أَيْنَ ؟ قال : مرَرْتُ برقطاءِ الحبطيَّةِ رائحةً تترنَّمُ برَمل ابن سُرَيْج في شعر ابن عُمارةَ السُّلَميِّ : [من الطويل]

سقى مأْزِمَيْ نجدٍ إلى بئرِ خالدٍ فوادي نصاعٍ فالقرون إلى عَمْدِ

فزَفَفْتُ خَلْفَها زفيفَ النعامةِ ، فما انجلَتْ غشاوتي إلا وأَنا بالمُشاشِ حَسيرٌ ، فأَودَعْتُها خافقي وَخلَّفْتُه لدَيْها ، وأَقبَلْتُ أَهوي كالرَّخمةِ بغير قَلْبٍ . فقال له قنديل : ما دفع أَحدٌ من المُزدلفةِ أَسعد منك ؛ سمِعْتَ شعر ابن عمارة ، في غناء ابن سُرَيْجٍ ، من رَقطاء الحبطيَّة ، لقد أُوتيتَ جُزْءاً من النبوَّةِ !

وكانت رَقْطاءُ هذه من أَضربِ الناسِ . فدخل رجلٌ من أَهْلِ المدينةِ مَنْزِلَها ، فغنَّتْهُ صَوْتاً ، فقال له بعضُ مَنْ حَضَرَ : هل رأَيْتَ وَتَراً أَطْرَبَ من وَتَرِ هذه ؟ ! فطرب المدنيُّ وقال عليه العَهْد إن لم يكن [وَتَرُها] من مِعى بَشْكَسْت النحويِّ ، فكيف لا يكون فصيحاً ؟ وكان بَشْكَسْت هذا نَحْوِيّاً بالمدينةِ ، وقيل من الشُّراةِ الخارجين مع أَبي حمزة الخارجيِّ .

---

٨٣ نثر الدر ٣ : ١٩٨ .
٨٤ نثر الدر ٣ : ٢٠١ .
٨٥ الأغاني ١ : ٢٦٩–٢٧١ .

٨٦ – قال ابن عائشة ، قال أشعب : قد قلتُ لكم ، ولكنه لا يُغْني حَذَرٌ من قَدَرٍ : زوِّجوا ابن عائشة من رُبَيحة الشَّمَّاسية يخرجُ لكم بينهما مزامير داود ، فلم تفعلوا . وجعل يبكي والناسُ يضحكون منه .

٨٧ – قال بعضُهم : شَهِدْتُ مجلساً فيه قَيْنَةٌ تُغَنِّي ، فذهَبَتْ تتكلَّفُ صيحةً شديدةً فانقطعت فصاحت من الخَجَلِ : اللصوص ! فقال لها مُخَنَّث كان في المجلسِ : واللهِ يا زانية ما سُرِقَ من البيتِ شيءٌ غير حلقك .

٨٨ – قيل لعُبادَة المُخَنَّثِ : من يصرف على ابن أبي العلاء ؟ قال : ضِرْسُهُ .

٨٩ – قال ابن الجصَّاص يوماً لمُغَنِّيةٍ : [من الطويل]

خليليَّ قُوما نَصْطبحْ بسَمادِ[1]

فقالت له : إذا عزَمْتَ على هذا فاصطبح وَحْدَكَ .

٩٠ – قال الجمَّاز قُلْتُ لمُغَنٍّ : غَنِّ ، فقال : هذا أمرٌ ، قُلتُ : فأُحبُّ أن تَفْعَلَ ، قال : هذه حاجَةٌ ، قلتُ له : لا تَفْعَل ، قال : هذه عَرْبَدَةٌ .

٩١ – ورُوي أنَّ مدنيّاً كان يُصَلِّي منذ طلعت الشَّمْسُ إلى أن قارَبَ النهارُ يَنْتَصِفُ ، ومن ورائهِ رجلٌ يتغنَّى ، وهما في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ، فإذا رَجُلٌ من الشُّرَطِ قد قَبَضَ على الرجلِ فقال : أتَرْفَعُ عقيرتَك بالغناء في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ! فأخذه ، فانفتَل المدينيُّ من صلاتِه فلم يَزَلْ يطلبُهُ حتى استنقَذَهُ ، ثم أَقْبَلَ عليه فقال : أتدْري لمَ شفعتُ فيك ؟ فقال : لا ، ولكني إخالُكَ رَحِمْتَني . قال : إذَنْ فلا رَحِمَني الله ، قال : فأحسبكَ عَرَفْتَ قرابةً بَيْنَنا . قال : إذن قطعها

٨٦ الأغاني ٢ : ٢٠٣ ونثر الدر ٥ : ٢١٧ .
٨٩ نثر الدر ٧ : ٣٩٠ ومحاضرات الراغب ١ : ١٠٨ .

[1] البيت : خليلي قوما نصطبح بسواد ونروِ قلوباً هائمين صوادي
وهو لاسحاق الموصلي ، انظر الأغاني ٢٠ : ٢٨٣ .

اللهِ . قال : فَلِيَدٍ تقدَّمَتْ منّي إليك ، قال : لا واللهِ ولا عَرَفْتُكَ قَبْلَها . قال : فَخَبِّرْني ، قال : لأني سمعتُكَ غنَّيْتَ آنِفاً فأَقَمْتَ واوات مَعْبَد ، أما واللهِ لو أَسَأْتَ التأْدِيةَ لكُنْتُ أَحدَ الأَعوانِ عَلَيْكَ .

٩٢ – رأى ابنُ أَبي عتيق حَلْقَ ابنِ عائشة مخدَّشاً فقال : مَنْ فعل هذا بك ؟ قال : فلان . فمضى فنزع ثيابَه وجلس للرجلِ على بابهِ ، فلما خرج أَخذَ بتَلْبيبهِ وجعل يضربُه ضَرْباً شديداً والرجلُ يقول : ما لك تضربني ! أَيَّ شيءٍ صَنَعْتُ ! وهو لا يُجيبُه حتى بلغ منه ثم خلاه ، وأَقْبَلَ على مَنْ حَضَرَ فقال : هذا أَراد أن يكْسِرَ مزامير آلِ داود ؛ شدَّ على ابنِ عائشة فخنقه وخَدَشَ حَلْقَهُ .

٩٣ – قيل : خرج ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غنَّاه في شعر النابغةِ : [من الوافر]

أَبَعْدَكَ معقلاً أبغي وحِصْناً قد اَعيتني المعاقلُ والحصونُ

فأَطْرَبَـهُ فأَمرَ له بثلاثين أَلف دِرْهَمٍ [وبمِثْلِ] كارَةِ القَصَّارِ ثياباً . فبينا ابنُ عائشة يسيرُ إذ نظر إليه رجلٌ من أَهْلِ وادي القُرى كان يشتهي الغناءَ ويشربُ النَّبيذَ ، فدنا من غُلامهِ وقال : مَنْ هذا الراكـبُ ؟ قال : ابنُ عائشةَ المُغَنِّي ، فدنا منه فقال : جُعِلْتُ فداءَك ، أَنْتَ ابن عائشةَ أُمِّ المؤمنين ؟ قال : لا أَنا مَوْلىً لقُرَيْشٍ وعائشةُ أُمِّي ، وحَسْبُكَ هذا ولا عَلَيْكَ أَن تُكْثِرَ . قال : وما هذا الذي أَراه بين يَدَيْكَ من المالِ والكُسْوةِ ؟ قال : غَنَّيْتُ أَميرَ المؤمنين صوتاً فأَطْرَبْتُهُ فكفر وترك الصلاةَ وأَمرَ لي بهذا المالِ وبهذه الكُسْوَةِ . فقال : جُعِلْتُ فداكَ ! فهل تَمُنُّ عليَّ بأَن تُسْمِعَني ما أَسمَعْتَهُ إيّاه ؟ فقال : ويلك ! أَمِثْلِي يُكَلَّمُ بهذا في الطريق ! قال : فما أَصنَعُ ؟ قال : الحقني بالبابِ . وحرَّك ابنُ عائشة ببغلةٍ سفواءَ كانت تحته

---

٩٢ الأغاني ٢ : ١٧٢ .

٩٣ الأغاني ٢ : ١٩٣–١٩٤ ونهاية الأرب ٤ : ٢٨٤–٢٨٥ والبيت في ديوان النابغة (أبو الفضل) : ٢٢٢ .

لينقطع عنه ، فعدا معه حتى وافيا البابَ كفرسَيْ رِهانٍ ، ودخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجرَ فينصرف ، فلم يفْعَل حتى أعياه ، فقال لغُلامه : أَدْخِلْهُ ، فقال له : ويحك ! من أين صَبَّكَ الله عليَّ ! قال : أنا رجلٌ من أهلِ وادي القُرى أشتهي هذا الغناءَ . فقال له : هل لك فيما هو أنْفَعُ لك منه ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : مائتا دينارٍ ، وعَشرةُ أثوابٍ تنصرف بها إلى أهلك . فقال له : جُعِلْتُ فداك ! واللهِ إن لي لَبُنَيَّةً ما في أُذنيها – علمَ الله – حلقةٌ من الورقِ فَضْلاً عن الذهبِ ، وإنَّ لي زوْجَةً ما عليها – شهد الله – قميصٌ ، ولو أعطيتني جميع ما أمرَ لك به أميرُ المؤمنين على هذه الخَلَّةِ والفَقْرِ اللَّذَيْنِ عرَّفتُكهما وأَضْعَفْتَ لي ذلك لكان الصوتُ أحبَّ إليَّ . وكان ابن عائشة من تيهِهِ لا يُغَنِّي إلا لخليفةٍ أو ذي قَدْرٍ جليلٍ ، فتعجَّب ابنُ عائشة منه ورحمه ، ودعا بالدواةِ وجعل يُغَنِّي مُرْتَجلاً ، فغنَّاه الصوتَ فطرب له طرباً شديداً وجعل يُحرِّكُ رأسَه حتى ظنَّ أنَّ عُنُقَه سيَنْقصفُ ، ثم خرج من عنده ولم يرزَأْهُ شيئاً . وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد ، فسأل ابن عائشة عنه فجعل يغيبُ عن الحديثِ ، ثم جدَّ به الوليدُ فصدقه عنه . فأمر بطلبِ الرجلِ ، فطُلبَ حتى أُحضِرَ ووصله صلةً سَنِيَّةً وجعله في نُدمائِهِ ووكَّله بالسَّقْيِ فلم يزلْ معه حتى قُتِل .

٩٤ – غنَّى علَّويه يوماً بحضرةِ إبراهيم المَوْصليِّ : [من البسيط]

عمَّيْتُ أَمري على أَهلي فنمَّ به

فقال : هذا الصوتُ مُعرِقٌ في العمى ؛ الشعرُ لبشَّارٍ الأعمى ، والغناء لأبي زكار الأعمى ، وأوَّلُ الصوتِ : عمَّيتُ أمري .

٩٥ – قال معبد : أرسل إليَّ الوليدُ فأُشْخِصْتُ إليه ، فبينا أنا ذات يومٍ في بَعْضِ حمَّاماتِ الشام إذ دخل عليَّ رجلٌ له هَيْبَةٌ ومعه غلمانٌ ، فاطّلى [واشتغل]

---

٩٤ الأغاني ٧ : ٢٢٢ .
٩٥ الأغاني ١ : ٦٦–٦٧ .

به صاحبُ الحمَّامِ عن سائرِ الناسِ ، فقلْتُ : واللهِ لئن لم أُطْلع هذا على بَعْضِ ما عندي لأكونَنَّ بمَزْجَرِ الكَلْبِ . فاستدبَرْتُهُ بحيث يراني ويسمع مني ثم ترنَّمْتُ ، فالتفتَ إليَّ وقال للغلمان : قدِّموا إليه جميع ما ههنا . فصار جميع ما كان بين يَدَيْهِ عندي ، ثم سألني أن أصيرَ معه إلى مَنْزِله ، فلم يَدَعْ شيئاً من البِرِّ والإكرامِ إلا فعله . ثم وُضع النبيذُ ، فجعلتُ لا آتي بحَسَنٍ إلا خَرَجْتُ إلى أحسنَ منه ولا يرتاحُ ولا يَحْفَلُ لما يرى . فلما طال عليه أمري قال : يا غُلامُ ، شيخنا شيخنا ، فأُتيَ بشَيْخٍ فلما رآه هشَّ إليه ، فأخذ الشيخ العودَ ثم اندفع يُغَنِّي :

سِلَّوْر في القِدر ويحي عَلُوه   جاءَ القطُّ أكله ويحي علُوه

السِّلَوْرُ : السمك الجري بلغةِ أهلِ الشام . قال : فجعل صاحبُ المنزلِ يُصَفِّقُ ويضربُ برِجْلِهِ طرباً وسروراً ، ثم غنَّاه :

وترميني حبيبةُ بالدُّراقِـــن   وتحسبني حبيبةُ لا أراهـــا

الدُّراقنُ : الخوخُ بلغةِ أهلِ الشامِ . قال : فكاد أن يخرجَ من جلدهِ طرباً . قال : وانْسَلَلْتُ منهم فانصرفتُ ولم يُعلم بي ، فما رأيْتُ مثل ذلك اليومِ قَطُّ غناءً أضْيَعَ ولا شيخاً أجهل !

٩٦ — قال خالد بن كلثوم : كنت مع زبراء بالمدينةِ وهو والٍ عليها ، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فأمر بأصحابِ الملاهي فحُبسوا وحُبس منهم عَطَرَّدٌ وهو مولى بني عمرو بن عوف من الأنصارِ ، وكان مع الغناءِ قارئاً مقبولَ الشهادةِ . فحضر جماعةٌ من أهلِ المدينةِ عنده فتشفَّعوا لعطرَّدٍ وأنَّه من أهلِ الهيئةِ والمروءةِ والدِّينِ ، فدعا بهِ وخلَّى سبيلَهُ ، وخرج وإذا هو بالمغنِّين قد أُخرجوا ليُعرضوا ، فعاد إليه عطرَّدٌ فقال : أصلح الله الأميرَ ، أعلى الغناءِ حَبَسْتَ هؤلاءِ ؟ قال : نعم ، قال : فلا تَظْلِمْهُم ، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً

---

٩٦ الأغاني ٣ : ٣٠٣ .

قطُّ ! فضحك وخلّى عنهم .

٩٧ – قال أشعبُ : دُعي بالمُغنِّين للوليد بن يزيد ، وكنتُ نازلاً معهم فقلتُ للرسولِ : خُذني فيهم ، قال : لم أُومرْ بذلك ، إنَّما أُمِرْتُ بإحضارِ المُغَنِّين وأنْتَ بطَّالٌ لا تدخلُ في جُملَتِهم . فقُلتُ له : أنا واللهِ أحسنُ غناءً منهم ، ثم اندفعتُ فغنَّيْتُ ، فقال : لقد سَمِعْتُ حسناً ولكني أخافُ . قلتُ : لا خوفَ عليك ، ولك مع هذا شَرْطٌ ، قال : وما هو ؟ قُلْتُ : كلُّ ما أُصيبُه فلك شَطْرُهُ . فقال للجماعةِ : اشهدوا لي عليه ، فشَهِدوا ومضينا فدخلنا على الوليدِ وهو لَقِسُ النَّفْسِ ، فغنَّاه المغنُّون في كلِّ فنٍّ من ثقيلٍ وخفيفٍ ، فلم يتحرَّكْ ولا نَشِطَ ، فقام الأبجر المُغنِّي إلى الخَلاء وكان خبيثاً داهياً ، فسأل الخادمَ عن خبرِهِ ولأيٍّ شيءٍ هو خاثرٌ ، فقال له : بينه وبين امرأتِه شرٌّ لأنَّه عَشِقَ أُخْتَها ، فغضبتْ عليه وهو إلى أُخْتِها أَمْيَلُ ، وقد عزم على طلاقِها ، وحلف أن لا يذكرها أبداً بمُراسلةٍ ولا مُخاطبةٍ وخرج على هذه الحالِ من عِنْدِها . وعاد الأَبْجَرُ وجلس فما استقرَّ به المجلسُ حتى اندفع يُغَنِّي : [من الطويل]

فبيني فإني لا أُبالي وأيْقني أُصعِّد باقي حبِّكم أم تصوَّبا
ألم تعلمي أني عزوفٌ عن الهوى إذا صاحبي من غيرِ شيءٍ تغضَّبا

فطربَ الوليد وارتاح وقال : أَصَبْتَ واللهِ يا عُبَيْدُ ما في نَفْسي ، وأَمر له بعشرةِ آلافِ درهم ، وشَرِبَ حتى سَكِرَ ، ولم يَحْظَ أحدٌ بشيءٍ سوى الأَبْجَرِ . قال أَشْعَبُ : فلما أَيقَنْتُ بانقضاءِ المجلسِ وثَبْتُ فقلتُ : إن رأَيْتَ يا أَميرَ المؤمنين أن تأمرَ مَنْ يضربني مائةَ سَوْطٍ بحضرتِك الساعةَ ! فضحك ثم قال : قبَّحك اللهُ ! وما السببُ في ذلك ؟ فأَخبَرْتُه بقِصَّتي مع الرسولِ وقلتُ له : إنَّه بدأني من المكروه أول يومِه ما اتَّصلَ إلى آخرِهِ ، فأُريدُ أن أُضربَ مائةَ سَوْطٍ ويُضرب بعدي مِثْلَها .

---

٩٧ الأغاني ٣ : ٣٤٤–٣٤٥ .

فقال : لَطُفْتَ ، بل أَعطُوهُ مائةَ دينارٍ وأَعطُوا الرسولَ خمسين ديناراً من مالِنا عِوَضاً عن الخمسين التي أَراد أن يأخذَها من أَشْعَبَ . فقبضتُها وقُمْنا ، وما حظي بشيءٍ غيري وغير الأَبْجَر .

٩٨ – قال يزيد بن عبد الملك لحبابة : هل رأَيْتِ قَطُّ أَطْرَبَ منِّي ؟ قالت : نعم ، مولاي الذي باعني . فغاظه ذلك ، فكتب في حَمْلِهِ مُقَيَّداً ، فلما عرفَ خَبَرَ وصولِهِ أَمرَ بإدخالِهِ إليه ، فأُدخِلَ يرسفُ في قيودِهِ ، فأَمرها أن تُغنِّي ، فغنَّتْ : [من المتقارب]

تشطُّ غداً دارُ جيرانِنا وللدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

فوثب حتى أَلقى نَفْسَهُ على الشمعةِ فأَحرق لحيتَه وجعل يصيح : الحريق يا أَولادَ الزِّنا ، فضحك يزيد وقال : لعمري إن هذا مما يطرب الناس ، وأَمر بحلِّ قُيودِهِ ، ووصله بأَلْفِ دينارٍ ، ووصلته حبابةُ ، وردَّه إلى المدينةِ .

٩٩ – قال محمد بن إبراهيم : كنتُ عند مُخارق أَنا وهارون بن أَحمد بن هشام ، فلعب مع هارون [بالنَّرْد] فقَمَرَهُ مخارقٌ مائتي رِطْلٍ باقِلا طريّاً . فقال مخارقٌ : وأَنتم عندي أُطعمكم من لحمِ جزورٍ من الصناعةِ – من صناعةِ أَبيهِ – يحيى بن فارس الجزَّار . قال : ومرَّ بهارون بن أَحمد فَصيلٌ يُنادى عليه ، فاشتراه بأَربعة دنانير ووجَّه إلى مُخارقٍ وقال : يكونُ ما تُطعمنا من هذا الفصيلِ . فاجتمعنا وطبخ مخارقٌ بيدِهِ جَزوريَّةً ، وعمل من سنامِهِ وكبدِهِ ولحمِهِ ضفائِرَ شُوِيَتْ في التنورِ ، وعمل من لحمِهِ لوناً يُشبه الهريسةَ بشعيرٍ مُقَشَّرٍ في نهايةِ الطيبِ . فأَكَلْنا وجلسْنا نشربُ ، فإذا نحنُ بامرأَةٍ تصيحُ من الشَّطِّ : يا أَبا المهنّا ، اللهَ اللهَ فيّ ! حلف زوجي بالطلاقِ أَن يسمع غناءَك ويشربَ عليه . قال : فجيئي به ، فجاء فجلس فقال له : ما حملك على ما صنَعْتَ ؟ فقال له : يا سيِّدي ، كنت

---

٩٨ الأغاني ١٥ : ١١٠ ونهاية الأرب ٥ : ٦٢ والبيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه : ٩٠ .
٩٩ الأغاني ١٨ : ٢٧٤–٢٧٦ وبيتا الحسين بن مطير في مجموع شعره (عطوان) : ١٢ .

سمعتُ صوتاً من صَنْعَتِك ، فطربتُ عليه حتى استخفَّني الطربُ ، فحلفْتُ أن أُسمعه منك ثقةً بإيجابِك حقَّ زوجتي ، وكانت زوجته دايةَ هارون بن مخارق ، فقال : وما هو الصوتُ ؟ فقال : [من الكامل المرفَّل]

بكرتْ عليَّ وهيَّجَتْ وَجْدا هُوجُ الرِّياحِ فأذكَرَتْ نَجْدا
أَتحِنُّ من شوقٍ إذا ذُكِرتْ نَجْدٌ وأَنْتَ تركْتَها عَمْدا

والشعر لحسين بن مُطير . فغنَّاه إيَّاه وسقاه رِطْلاً وأَمره بالانصرافِ ونهاه أن يُعاوِدَ ، وخرج فما لبث أن عادت المرأةُ تصرخُ : اللهَ اللهَ يا أَبا المُهنَّا ! قد أَعاد زَوْجي المشؤومُ اليمينَ أنك تُغَنِّيه صَوْتاً آخرَ . فقال لها : أَحْضِريه ، وقال : ويلك ! ما لي ولك ؟ أَيُّ شيءٍ قصَّتُكَ ؟ فقال : يا سيِّدي ، أَنا رجلٌ طروبٌ ، وقد كُنْتُ سمعتُ صوتاً لك آخرَ فاستفزَّني الطربُ إلى أن حلفْتُ بالطلاقِ ثلاثاً أَنِّي أُسمعُه منك . قال : وما هو ؟ قال : لحنُك في[1] : [من البسيط]

أَبْلِغْ سلامةَ أَنَّ البَيْنَ قد أَفِدا وأن صَحْبَك عنها رائحون غدا
هذا الفراقُ يقيناً إن صَبَرْتَ له أَوْ لا فإِنَّك منها ميِّتٌ كَمَدا
لا شكَّ أَنَّ الذي بي سوف يُهلكني إن كان لله حبٌّ بعدها أَبدا[2]

فغنَّاه إيَّاه مُخارقٌ وسقاه رِطْلاً وقال له : احذَرْ أن تعاوِدَ . وانصرفَ فلم يلبث أن عاودت [المرأةُ] الصُّراخَ تصرخُ : يا سيِّدي قد عاود اليمين ثالثة ، اللهَ اللهَ فيَّ وفي أَولادي ! قال : هاتيه ، فأَحضَرَتْهُ . فقال لها : انصرفي أَنْتِ ، فإِنَّ هذا كلَّما انصرف حلفَ وعاد ، فدعيه يُقيمُ يومَه كلَّه ، فتركته وانصرَفَتْ ، فقال له مُخارقٌ : ما قصَّتُك أَيضاً ؟ قال : قد عرَّفْتُك أَني طروبٌ ، وكنتُ سمعتُ صوتاً من صَنْعَتِك استخفَّني الطربُ له ، فحلفْتُ أَني أُسمعُه منك ، قال : وما هو ؟ قال :

---

[1] قال أبو الفرج : الشعر للأحوص وينسب لعمر . انظر ديوان الأحوص ص ٢١٨ و١٠٥ وديوان عمر بن أبي ربيعة : ٩٨ .
[2] الأغاني : ان كان أهلك حب قبله أحدا .

[من الرمل المجزوء]

أَلِفَ الظَّبْيُ بعادي ونفى الهمُّ رُقادي
وعدا الهَجْرُ على الوَصْـ ـلِ بأَسيافٍ حِـدادِ
قُـل لمَـنْ زيَّفَ وُدِّي لسْتَ أَهلاً لِودادي

قال : فغنَّاه إيَّاه وسقاه رِطلاً ثم قال : يا غلام ، مقارِع ! فجيء بها فأَمر به فبُطِح وأُمرَ بضَرْبِهِ ، فضُرِبَ خمسين مِقْرَعةً وهو يستغيثُ ولا يُكلِّمُه ، ثم قال له : احْلفْ بالطلاقِ ثلاثاً أنَّك لا تذكرني أَبداً ، وإلا كان هذا دأبك إلى الليل . فحلف بالطلاقِ ثلاثاً على ما أَمرَهُ به ، ثم أُقيمَ فأُخرج من الدارِ ، وجعلنا نضحكُ بقيَّةَ يومِنا من حُمْقِهِ .

١٠٠ – حجَّ مخارِقٌ ، فلما قضى الحجَّ وعاد قال له رجلٌ : بحقِّي عليكَ غَنِّني صوتاً ، فغنَّاه : [من الطويل]

رحلنا فشرَّقْنا وراحوا فغرَّبوا ففاضت لروعاتِ الفراقِ عيونُ

فرفع الرجل يده إلى السماء وقال : اللهم إني أُشْهدكَ أَني قد وَهَبْتُ حجَّتي له .

١٠١ – قال إبراهيم بن المهدي : مُطِرْنا ونحن بالرَّقَّةِ مع الرشيدِ فاتَّصل المطر من الفَجْرِ إلى غَدِ ذلك اليوم ، وعرفنا خبرَ الرشيد وأَنه مُقيمٌ عند أُمِّ ولده المسمَّاة بسحر ، فتشاغلنا في منازِلنا . فلما كان من غَدٍ جاءَنا رسولُ الرشيدِ فحضرنا جميعاً ، وأَقبل يسأَل كلَّ واحدٍ منا عن يومِهِ الماضي وما صنع فيه فنُخْبِرهُ ، إلى أَن انتهى إلى جعفر بن يحيى ، فسأَله عن خبرِهِ ، فقال له : كان عندي أَبو زكار الأعمى وأَبو صدقة ، وكان أَبو زكار كلَّما غَنَّى صوتاً لم يفرُغْ منه حتى يأْخذه أَبو صدقة ، فإذا انتهى الدَّوْرُ إليه أَعاده ، وحكى أَبا زكارٍ فيه وفي شمائله وحركاتهِ ،

---

١٠٠ الأغاني ١٨ : ٢٨٧ .
١٠١ الأغاني ١٩ : ٢٥٢-٢٥٤ .

ويَفطن أبو زكّارٍ لذلك فيُجَنُّ ويموتُ غَيْظاً ، ويشتمُ أبا صَدَقَةَ كل شَتْمٍ حتى ضَجِر وهو لا يُجيبُه ولا يَدَعُ العَبَثَ به ، وأنا أضحكُ من ذلك إلى أن توسطنا الشرب وسَئِمْنا من عبثِه به ، فقلتُ له : دَعْ هذا عنك ، وغَنِّ غناءَك ، فغنَّى رَمَلاً ذكر أنَّه من صَنْعتهِ ، فطربْتُ له واللهِ يا أمير المؤمنين طرباً ما أذكرُ أني طرِبْتُ مثله منذ حينٍ وزمان ، وهو : [من الخفيف]

فتنتني بفاحمِ اللـون جَعْـدِ   وبثَغْـرٍ كأنَّـه نَظْمُ دُرِّ
وبوَجْهٍ كأنـه طلعة البَـدْ   رِ وعينٍ في طَرْفِها نَفْثُ سِحْرِ

فقلتُ له : أحسنْتَ واللهِ يا أبا صَدَقَةَ ! [فلم أسكُتْ] من هذه الكلمة حتى قال لي : يا سيِّدي ، إني قد بنيتُ داراً أنفقْتُ عليها خزينتي ، وما أعدَدْتُ لها فَرْشاً ، فافرُشْها لي نجّد الله لك في الجنةِ ألف قَصْرٍ . فتغافَلْتُ عنه ، وعاود الغناء ، فتعمَّدْتُ أن قُلْتُ : أحسَنْتَ ليُعاودَ مسألتي ، وأتغافل عنه ؛ فسألني وتغافلتُ ، فقال : يا سيِّدي ، هذا التغافلُ متى حدثَ لك ؟ سألتُك باللهِ وبحقِّ أبيك عليك إلا أجبْتَني عن كلامي ولو بشَتْمٍ . فأقبَلْتُ عليه وقلتُ : أنْتَ واللهِ بغيضٌ ، اسكُت يا بغيضُ واكفُفْ عن هذه المسألةِ المُلْحفَةِ . فوثب من بين يديَّ ، فقلتُ خرج لحاجةٍ ، فإذا هو قد نزع ثيابَه وتجرَّد منها خوفاً من أن تَبْتَلَّ ، ووقف تحت السماءِ ولا يُواريه منها شيءٌ والمطرُ يأخذُه ، ورفع رأْسَه وقال : يا ربِّ ، أنْتَ تعلمُ أني مُلْهٍ ولستُ نائحاً ، وعبدُك الذي قد رفَعْتَهُ وأحوَجْتَني إلى خدمتهِ يقول لي : أحسَنْتَ ، ولا يقولُ لي : أسأْتَ ، وأنا منذُ جلسْتُ أقولُ له بَنَيْتُ ولا أقولُ هدَمْتُ ، فيحلف بك جُرْأَةً عليك أني بغيضٌ ، فاحكمْ بيني وبينه يا سيِّدي ، فأنْتَ خيرُ الحاكمين . فأمَرْتُ به فنُحِّيَ بعد أن غلبني الضحكُ ، واجتهدتُ أن يُغنّيَ فامتنع ، حتى حلفْتُ له بحياتك أني أفرشُ له دارَه وخدَعْتُهُ فلم أُسمِّ له ما أفرشُها فقال له الرشيد : طيِّبٌ واللهِ ! الآن تمَّ لنا به [اللهو] وهو ذا ، ادعوه ، فإذا رآك فسوف يتنجَّزُكَ الفَرْشَ لأنَّك حلفْتَ له بحياتي ، فهو يقتضيك ذلك

بحضرتي ليكون أَوْثَقَ له ، فقل له : أنا أفرُشُها بالبَواري ، وحاكِمْهُ إليَّ . ثم دُعيَ به فأُحضِرَ ، فلما استقرَّ في مَجْلسِهِ قال لجعفر بن يحيى : الفَرْش الذي حلفْتَ بحياةِ أميرِ المؤمنين أَنك تفرش به داري تقدَّم به . فقال له جعفر : اخترْ ، إن شئْتَ فرَشْتُها لك بالبواري ، وإن شئْتَ بالبَرْديِّ من الحُصُرِ . فصيَّح واضطرب ، فقال له الرشيد : وكيف كانت القصةُ ؟ فأَخبره ، فقال له : أخطأْتَ يا أبا صَدَقَةَ إذ لم تُسَمِّ [النوعَ] ولم تحدِّد القيمةَ ، فإذا فرشها بالبواري أو بما دون ذلك فقد وفَّى بيمينهِ ، وإنَّما خدَعَكَ ولم تَفْطَنْ أَنْتَ ولا توثَّقْتَ وضَيَّعْتَ حقَّكَ . فسكت وقال : نوفِّر أيضاً البَرْديَّ والبواري عليه ، أعزَّه الله تعالى . وغنَّى المغنُّون حتى انتهى الدَّوْرُ إليه فأَخذ يُغنِّي غناءَ الملاَّحين والبنَّائين والسَّقَّائين وما جرى مَجْراهُ من الغناء ، فقال له الرشيدُ : أيُّ شيءٍ هذا الغناءُ ؟ ويلك ! قال : مَنْ فرش داره بالبواري والبَرْديِّ فهذا الغناءُ كثيرٌ منه ، وكثيرٌ أيضاً لمَنْ هذه صلتُه . فضحك الرشيد وطرِبَ وصفَّقَ ثم أمر له بألفِ دينارٍ من ماله وقال له : افرُش دارَك بهذه ، فقال : [وحياتِك] لا آخذُها يا سيِّدي أو تحكمَ لي على جعفرٍ بما وعدني ، وإلا مِتُّ والله أسفاً لِفَوْتِ ما حصل في طمعي ووُعِدْتُ به . فحكم له على جعفرٍ بخمسمائةِ دينارٍ فقبلها جعفرٌ وأمر له بها .

١٠٢ – كان خليلانُ أديباً يُعلم الصبيانَ الخطَّ والقرآنَ ، وكان مُغَنِّياً مجيداً . فحدَّثَ مَنْ حَضَرَهُ قال : كنتُ يوماً عنده وهو يردُّ على صبيٍّ يقرأُ بين يَدَيْهِ : ﴿ومن الناسِ مَنْ يشتري لَهْوَ الحديثِ ليُضلَّ عن سبيلِ الله بغير علم﴾ (لقمان : ٦) ثم يلتفتُ إلى صبيَّةٍ فيردُّ عليها : [من السريع]

عاد لهذا القلب بلبالُه   إذ قُرِّبَتْ للبَيْنِ أجمالُه

فضحكتُ ضحكاً مُفْرطاً لما فعله ، فالتفت إليَّ فقلتُ : ويلك ما لك ! أتنكرُ

١٠٢ الأغاني ٢١ : ٢١٩–٢٢٠ .

ضحكي مما تَفْعلُ ؟ واللهِ ما سبقك إلى هذا أحدٌ . ثم قلتُ : انظُر أيَّ شيء أخذْتَ على الصبيِّ من القُرآنِ ، وأيَّ شيء تُلقي على الصبيةِ ، وإني لأظنُّكَ ممَّن يشتري لَهْوَ الحديثِ ليُضلَّ عن سبيل الله . فقال : أرجو أن لا أكونَ كذلك إن شاءَ اللهُ .

١٠٣ – شَهِد رجلٌ من قريشٍ عند محمد بن سعدٍ قاضي المدينةِ ، فأقبل على المشهودِ له فقال : زِدْني شاهداً ، فقال الشاهد : وحقِّ القَبْرِ والمِنْبَرِ لا أقوم حتى يعلم الناسُ أظالمٌ أنا أم مظلوم ، علامَ تردُّ شهادتي ! ؟ قال : أُخبرُك : أرأيْتَ يومَ كُنَّا عند فلانٍ فغنَّتْنا [. . . .] فقُلْتَ لها : أحسَنْتِ والله الذي لا إله إلا هو ! والله يعلمُ أنَّها لم تُحْسِنْ ولم تُجْمِل . فقال : أنشدكَ الله أيها القاضي ، أقُلْتُ ذلك لها وهي تُغَنِّي أم بعدما سكَتَتْ ؟ فقال : اللهمَّ بعدما سكَتَتْ ، قال : فإنَّما قلتُ ذلك لسُكوتِها حين سكَتَتْ لا لغنائها ، قال : آلله ، أجيزوا شهادَتَهُ .

١٠٤ – وقال إبراهيم الموصليُّ : كان عندنا بالموصلِ مُغَنٍّ يُغَنِّي بنِصْفِ درهم ويسكتُ بدرهم .

١٠٥ – كتب علي بن نصر الكاتبُ إلى بعضِ إخوانهِ يصف دعوةً رسالةً فيها :

فكان أوَّلَ ما خوَّلنيه الدخولُ إلى حمَّامهِ ، فلقيتُ من ضرِّه وزَمْهَريرهِ ما حبَّبَ إليَّ النارَ وزفيرَها ، والجحيمَ وسعيرها ، وثنَّى إحسانَه بخيش يلفَحُ الوجوه ، وأتى الغداءُ المأدومُ بشجر الزقُّومِ ، والماءُ المحدومُ بريح السَّمومِ ، فأكلنا وقد أُكِلْنا بين سنَّوْرٍ يسلب وزُنْبورٍ يَلْسِبُ ، وبقٍّ يَلْدغُ ، وحَرٍّ يَدْمغ ، وأنا في أثناء ذلك أستعيذُ من شِرَّتِهِ ، وأفْرَقُ من ثورتِه ، وأنْعَتُ كلَّ بَلِيَّةٍ أقاسيها ، بصفةٍ من المحاسنِ ليست فيها . ومضينا إلى مجلسٍ قد غَبَّ رَيْحانُه ، وأكبَّ دُخانه ، وتراكب ضَبابُه ، وانصبَّ ذُبابُه ، وكَدُرَ نبيذهُ ، وكَثُرَ وقيذُهُ ، وضاق مَجالُه ، وعُدِمَتْ أبقاله ، ولفحت هواجرُه ، ودارت دوائرُه ، والأنفاسُ فيه محبوسةٌ ، والأرواح معه معكوسة ، واللذاتُ منه بعيدةٌ ، والحسراتُ فيه شديدة . وإنَّا لكذلك في عظم

البلاءِ ، وتَفاقُمِ اللّأْواءِ ، حتى وافانا الداءُ العَياءُ ، والداهيةُ الصمَّاءُ ، ذو ذِقْنٍ أثطّ ، ورأْسٍ أَشمط ، وفم أَدْرَد ، ولسانٍ يُرعد ، وطنبورٍ أَتتْ عليه الدهورُ ولم يَبْقَ منه إلا الخيال ، لو نُقر لانهال بريشةٍ من نَسْرِ لقمان ، أو عهد ثمود بن كنعان ، فاندفع يُغنّي لأَبينا آدم عليه السلام : [من الوافر]

تغيَّرت البلادُ ومَنْ عليها فوَجْهُ الأَرضِ مُغْبَرٌّ قبيحُ

فرأَيتُ أَسْمَجَ منظرٍ في أَقبح مَخْبر ، لا يشبهُها نَوْبَـةُ الحُمَّى ، ولا تُشاكلُها طلقةُ الحُبْلى ، وقطَّع وقد قَطَّع القلوبَ ، وأَمسك وقد أَمسكَتْ الأَرزاقُ عن النُّزولِ . قلتُ : مَنْ هذا الشيخُ الشادي المتفنِّنُ ؟ قال : وجه البضاعةِ ، وشيخ الصناعةِ ، المعروف بغلام البنج . فما كان غير بعيدٍ حتى برز شيخٌ كوسج ، هِمٌّ أعرج ، أَخْنى عليه الذي أَخنى على لُبَدِ ، فأَقبل مُتبخْتِراً ، وسلَّم متذمِّراً ، وأَظهر أَنَّ فيه بقيَّةً حسنةً يُرغَبُ في مِثْلِها ، وأَنَّه غَرَضٌ لما يُسامُ من بَذْلها ، وأَلفيت صاحبَ الدار والديوان - أَصلحه الله - قد استبشر بحضورهِ ، وكاد يمنُّ علينا بوروده ، واندفع يُغَنّي : [من الطويل]

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ ثمانينَ حَوْلاً لا أَبا لك يَسْأَمِ

فقلتُ : ما هذا العجبُ التالي ؟ والتغريد الثاني ؟ فقال : هل بالشمسِ من خفاءٍ ؟ ودونَ البَدْرِ من سترٍ ؟ هذا زعيمُ الكوارين ، ومتقدِّمُ داسةِ الطينِ ، المعروف بقَسْمون البغداديّ . قلتُ : ليت قَسمي من الدنيا بُعْدُه ، وحظِّي من الأَيام فَقْدُه ، إلا أَنَّ النَّوْبَـةَ كانَتْ أَخفَّ وَقْعاً ، وأَقربَ لَذْعاً . ثم تلاهما أَدبر منهما وأَنْحَسُ وأَشأَمُ جداً وأَتْعَس ؛ سقيمٌ يعرفُ بغُلامِ نَسيم ، فجلس وقد فارق النفس ، وأَخذَ في شيءٍ من رنينهِ ، وضعف الآلة وتأبينه ، معتذراً من تَقْبيحهِ بعد الإحسانِ ، باذلاً من قبحه الغناءَ بغايةِ الإمكانِ . فحملنا أَمْرَهُ ، وبَسَطْنا عُذْرَهُ ، فكان ممَّا غنَّاه ما وافق سُقْمَهُ وضَناه : [من الرجز]

إنَّ الجديدَيْنِ إذا ما استَوْليا على جَديـدٍ أَدنيـاه للبِلى

وقام وقد ثاوَرَهُ الحِمامُ ، لا أَقال الله له عَثْرَة ، ولا رَحِم منه شَعْرَة ، فرأَيْتُ التساكُر أَبلغَ حيلةٍ أَعملُها ، وحِبالة أَنصبُها ، فبدأْتُ في ضَرْبٍ منه ، وصديقُنا – أَصلحه الله – يقول : كدَّرْتَ علينا بعد صَفْوتِهِ ، ورنَّقْته بعدَ رِقّتِه ، وهل ههُنا محتَشِمٌ ، وهذا وقتٌ يُغتَنم ، وحتى متى يُمكنُ تجاوزُ هذه الأَغاني ، وتجاوب هذه المثالث والمثاني ، وأَنا أَغطُّ غَطيطَ البَكْرِ شُدَّ خِناقُه ، حتى [أخذه] اليأسُ من فَلاحي ، وأَجمع الناسُ على رَواحي ، فحُمِلْتُ وأَعضائي لا تستقلُّ بي ، حتى إذا صِرْتُ قِيدَ شِبْرٍ من البابِ ، شَدَدْتُ شدَّ الحيَّةِ المنساب ، فلم يُدْرَكْ أَثري ، ولم يُعلم إلى الآن خبري .

١٠٦ – قال رجلٌ لآخر : غَنِّني صَوْتَ كذا ، وبعده صوت كذا ، فقال : أَراك لا تقترحُ صوتاً إلا بوليٍّ عَهْدٍ .

١٠٧ – ابن الراوندي : اختلف الناسُ في السماعِ ، فأَباحه قومٌ وحظره آخرون ، وأَنا أُخالفُ الفريقَيْن فأَقول : إنَّه واجبٌ .

١٠٨ – كان لبعض الظرفاءِ جاريتان مُغَنِّيتان ، حاذقةٌ ومُتَخلِّفةٌ ، وكان يخرق [ثوبه] إذا غنَّتِ الحاذقةُ ، فإذا غنَّت الأُخرى قعد يخيطه .

١٠٩ – قيل لمُخنَّثٍ : أَيُّ الأَصواتِ أَحبُّ إليك ؟ قال : نَشْنَشَةُ القليَّةِ ، وقرقرة القنِّينةِ ، وحفحفة الخِوانِ ، وفشفشة التكَّةِ .

١١٠ – قال حَكَم الوادي : كنتُ أَنا وجماعةٌ نتعلَّم من مَعْبَدٍ ، فغنَّى لنا صوتاً أُعجب به ، وكنتُ أَنا أَوَّلَ مَنْ أَخذه عنه في ذلك اليومِ ، فاستحسنه مني ، فأَعجبتني نَفْسي ، فلما انصرفتُ عملتُ فيه من عند نَفْسي لحناً آخر ، وبكَّرْتُ

---

١٠٧ محاضرات الراغب ٢ : ٧١٥ .
١٠٨ محاضرات الراغب ٢ : ٧٢٣ .
١١٠ الأغاني ١ : ٥٦ .

عليه فغنَّيته ذلك اللَّحْنَ ، فوَجِمَ ساعةً ثم قال : كنتُ أَمسِ أَرجى مني لك اليوم ، وأَنتَ اليوم عندي أَبعدُ من الفلاح .

١١١ – قال الرشيد لبرصوما الزامرِ : ما تقولُ في ابنِ جامعٍ ؟ فحرَّك رَأْسَه وقال : إِن مات ذهبَ الغناءُ ، فلا تُفارِقْهُ فإِنه كالخَمْرِ العتيقِ ينسف الرجلين نَسْفاً . قال : فإِبراهيم ؟ قال : بستانٌ فيه كُمُثْرى وخَوْخٌ وتُفَّاحٌ وشَوْكٌ ، وخرنوب . قال : فسليم بن سلام ؟ قال : ما أَحسنَ خِضابَه ! قال : فعمرو الغزّال ؟ قال : ما أَحْسَنَ شبابَه !

١١٢ – قال : تزوَّج مُغَنٍّ بنائحةٍ فسمعها تقول : اللهمَّ وسِّع علينا في الرِّزْقِ ، فقال : يا هذه ، إِنما الدنيا فَرَحٌ وحُزْنٌ ، وقد أَخذْنا بطرفَيْ ذلك ؛ إِن كان فرحٌ دَعَوْني ، وإِن كان حُزْنٌ دَعَوْكِ .

يتلوه باب المؤاكلةِ والتطفُّلِ
وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا
محمدٍ وآله وصحبه
وسلم تسليماً
كثيراً

---

١١١ قارن بالأغاني ٦ : ٢٨١ .



البابُ السادسُ والأربعُون

في المؤاكلة والنهم والتطفل وأخبار الأكلة والمآكل



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للهِ مُنزلِ الرزقِ من السماء ، وجاعلِ كلّ شيءٍ حيٍّ من الماء ، الذي أحلَّ الزينة لعباده والطيّبات ، فكانت تكْرِمةً خالصةً للمؤمنين والمؤمناتِ ، ونعى على مُحَرِّمِها سوءَ فِعْلِه ، وأباحناها تكْرِمةً من فَضْلِهِ . أحمدُهُ على جزيلِ عطائهِ ، وأستزيدُهُ من أنْعُمِهِ وآلائهِ ، وأسألُه تيسيرَ المطالبَ وتَهْيئتَها ، وحُسْنَ التجاوزِ عن الرَّتْعَةِ في غرور النعمةِ وبُلَهْنِيَتِها . والصلاةُ على رسوله الذي رفَضَ الدنيا وقد أُوتي مفاتيح ذخائرِها ومناعِمِها ، وأعرَضَ إعراضَ الآنِفِ من زخارفِها ومطاعِمِها ، واختارَ أن يجوعَ يوماً فيفوز بفَضْلِ الصَّبْرِ ، ويشبع يوماً [فيبلغ] درجة الشكْرِ ، وعلى آله وأصحابهِ الذين تمكّنوا من طيِّباتِ الأرْضِ فعافوها ، وحِيزتْ لهم كنوزُها فتجافَوْها .

الباب السادس والأَربعون
ما جاء في المؤاكلةِ والتطفُّلِ

وهو ستَّةُ فصول :

- **الفصل الأَولُ** : آداب الأَكل والمُؤاكلةِ
- **الفصل الثاني** : الاقتصاد في المطاعمِ والعفَّةُ عنها
- **الفصل الثالث** : الجَشَعُ والنَّهمُ وأَخبارُ الأَكَلَةِ
- **الفصل الرابع** : التطفّل وأَخبارُ الطفيليّين
- **الفصل الخامس** : أَوصافُ الأَطعمةِ وفنونُها
- **الفصل السادس** : نوادر من هذا الباب

الفصل الأول
آداب الأكل والمؤاكلةِ

قال الله تعالى : ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا كُلوا من طَيِّباتِ ما رَزَقْناكم واشكُروا الله إنْ كُنْتُم إيَّاه تَعْبُدُون﴾ (البقرة : ١٧٢) . المعنى : كلوا من الطيِّبِ دُونَ الخبيثِ ، كما لو قال : كلوا من الحلال لكان على معنى : دون الحرام ، وهذا بيِّن في كلِّ ما له ضِدٌّ .

١١٣ - رُوِي أَنَّ داود عليه السلامُ أمر مناديه فنادى : أيُّها الناسُ ، اجتمعوا لأُعلِّمَكُم التَّقْوى ، فاجتمع الناسُ ، فقام في محرابِهِ فبكى ، ثم حَمِدَ الله وأثْنى عليه ثم قال : أيُّها الناسُ ، لا تُدخلوا ههُنا إلا طيِّباً ولا تُخرجوا منه إلا طيِّباً ، وأشارَ إلى فيه .

١١٤ - قال تعالى : ﴿إنَّما حرَّم عليكم الميتَةَ والدمَ ولحْمَ الخِنْزيرِ وما أُهِلَّ به لغَيْرِ الله ، فمَنْ اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثْمَ عليه ، إنَّ الله غَفورٌ رحيم﴾ (البقرة : ١٧٣) . فالميتةُ ما فارَقَتْه الروحُ بغيرِ تَذْكيَةٍ ممَّا أُبيح أكلُه بالتَّذْكيَةِ . ويخرج من هذا دوابُّ البحرِ والجراد بالسُّنَّةِ . والدمُ هو الدمُ المسفوحُ دونَ دمِ الكبدِ والطِّحالِ بدلالة قوله تعالى : ﴿قُلْ لا أجِدُ فيما أُوحيَ إليَّ مُحرَّماً على طاعمٍ يَطعمُهُ إلا أن يكونَ مَيْتَةً أو دَماً مَسفوحاً أو لحْمَ خِنْزيرٍ﴾ (الأنعام : ١٤٥) . والإهلالُ بالذبيحةِ : رَفْعُ الصوتِ بالتسميةِ ، وكان المُشركون يُسمُّون الأوثان ، والمسلمونُ يُسمُّون الله عزَّ وجلَّ . وأصْلُ الإهلالِ : الصوتُ ، ومنه يقال : استهلَّ الصبيُّ إذا صاحَ حين تضعه أُمُّه ، ومنه إهْلالُ المُحْرِمِ بالحجِّ إذا لبَّى .

١١٣ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٨ .

فأوَّلُ آدابِ الأَكْلِ معرفةُ الحلالِ من الحرامِ ، والخبيثِ من الطيِّبِ . وهذا نوعٌ يطول إِنْ أُريدَ استقصاؤه ، وهو بغير هذا الكلامِ أَلْيَقُ .

فأما الأَدبُ في هيئةِ المؤاكلةِ وأَفعالِها ، فأَنا ذاكِرٌ منها ما يحضرني .

١١٥ – قال أَبو هريرة : ما عابَ رسولُ الله ﷺ طعاماً قطُّ ، إن اشتهاه [أَكله] وإلا تركه .

١١٦ – وقال ﷺ : لا تشمُّوا الطعامَ كما تشمُّه البهائمُ ، مَنْ اشتهى شيئاً فليأكل ، ومن كَرِهَ فَلْيَدَعْ .

١١٧ – قال أَنسٌ : قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وأَنا ابنُ عشرة ، ودخل [علينا دارنا][1] فحلبنا له شاةً فشربَ وأَبو بكر عن يسارِهِ وأَعرابيٌّ عن يمينه ، فقال عمر : أَعْطِ أَبا بكرٍ ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا ، الأَيمن فالأَيمن . وفي معنى هذا الخبرِ قال الشاعرُ : [من الوافر]

وكان الكاسُ مجراها اليمينا

١١٨ – وفي حديثِ عِكْراش بن ذؤيب قال : أَتيْتُ النبيُّ ﷺ بصدقات مُرَّةَ بن عُبَيْد ، فقَدِمْتُ عليه إلى المدينةِ بإِبلٍ كأَنَّها عروق الأَرطى ، فأَمر بها فوُسِمَتْ بميْسَمِ الصدقةِ ، ثم أَخذ بيدي في نواحيها ، فأَكل رسولُ الله ﷺ ما بين يَدَيْهِ ، وقبض على يدي بيده اليُسْرى ثم قال : يا عِكْراش ، كُلْ مِن موضعٍ واحدٍ ، فإِنَّه طعامٌ واحدٌ . ثم أُتينا بطَبَقٍ فيه أَلوانٌ مِنْ رُطَبٍ ، فجعلتُ آكلُ من بين

---

١١٥ مسلم ٦ : ١٣٤ وابن ماجة (رقم ٣٢٥٩) ونهاية الأرب ٣ : ٣٣٨ .
١١٦ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٨ .
١١٧ البخاري (رقم ٢٢٢٥) ومسلم ٦ : ١١٢ ونهاية الأرب ٣ : ٣٣٨ .
١١٨ الترمذي (رقم ١٩١٩) وحديث عكراش في ابن ماجة (رقم ٣٢٧٤) .

---

[1] بياض في م والزيادة من صحيح مسلم .

يديَّ فقال : كُلْ من حيث شِئْتَ ، فإنَّه غيرُ لونٍ واحدٍ ، ثم أُتي بماءٍ فغسل يَدَيْهِ ووَجْهَهُ وذراعَيْهِ ببَلَلِ كفَّيْهِ وقال : هذا الوضوءُ ممَّا غيَّرت النارُ .

١١٩ – وعن أنسٍ أنَّه رأى النبيَّ ﷺ شربَ جرعةً ثم قطع ، ثم سمَّى ثُمَّ شَرِبَ جرعةً ثم قطع ، ثم سمَّى ثم شَرِبَ جُرْعةً ثم قطع ثم سمَّى ثم قطع الثالثة ثم جَرَعَ مصّاً حتى فرغ ، فلما فرغ حَمِدَ اللهَ .

١٢٠ – وقد ندب إلى غَسْلِ اليدِ قبل الأَكْلِ فإنَّه يَنْفي الفَقْرَ ، وبعده ينفي اللَّمَمَ . ومن السُّنَّةِ البدايةُ باسمِ اللهِ وحَمْدُه سبحانه عند الانتهاء .

١٢١ – وقال عمر بن أبي سلمة : [مرَرْتُ] بالنبيِّ ﷺ وهو يأكلُ فقال : اجلِسْ يا بُنيَّ وسَمِّ اللهَ ، وكُلْ بيمينك ممَّا يليك .

١٢١أ – قال بعضُ السلفِ : إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل كلُّ شيءٍ من شأنه : إذا كان حلالاً ، وذُكِر اسمُ اللهِ عليه ، وكَثُرتْ عليه الأَيدي ، وحُمِد اللهُ حين يُفرغُ منه .

١٢٢ – وفي حديثِ النبيِّ ﷺ : مَنْ قال عند مَطْعمِه ومَشْربِه بآسمِ اللهِ خَيْرِ الأَسماءِ ، ربِّ الأَرْضِ والسماءِ ، لم يضرَّه ما أَكل وما شَرِبَ .

١٢٣ – وفي حديثِ عائشة عنه ﷺ قال : إذا أَكل أَحدُكم فليذكر اسمَ اللهِ ، فإن نَسِيَ في أَوَّلِهِ فليقل : بسم اللهِ في أَوَّله وآخره .

١٢٤ – قال ﷺ : «إذا أَكل أَحدُكم فليأكل بيمينه ، وإذا شرِبَ فليَشْرب

---

١١٩ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٨ .
١٢٠ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٨ وفي محاضرات الراغب منسوباً إلى الحسن ٢ : ٦٢٩ وفي العقد ٦ : ٢٩٨ «الوضوء» .
١٢١ البخاري (رقم ٥٠٦١) والترمذي رقم (١٨٥٧) ونهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .
١٢١أ عيون الأخبار ٣ : ٢١٥ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٣٠ ونهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .
١٢٢ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ والمستطرف ١ : ١٧٩ .
١٢٣ ابن ماجة (رقم ٣٢٦٢) ونهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .
١٢٤ مسلم ٦ : ١٠٩ وابن ماجة (رقم ٣٢٦٦) والعقد ٦ : ٢٩٧ ونهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .

يمينه فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشِمالهِ ويشربُ بشماله» . وحملوا هذا الكلامَ على وَجْهَيْن : أحدُهما التشبُّه بالشياطين ، والآخرُ أن تكونَ الهاءُ ضَميراً للآكل الشاربِ ، يريدُ أنَّ الشيطان يَشْرَكُهُ في طعامهِ وشرابهِ إذا تناولهما بشِماله .

١٢٥ – قال الجارود بن أبي سَبْرَةَ : قال لي بلال بن أبي بردة : أتحضرُ طعامَ هذا الشَّيْخِ ؟ يعني عَبْدَ الأعلى بن عامر بن كُرَيْز ، قلتُ : إيها ، قال : فَحدِّثني عنه ، قلتُ : نأتيه فإن سكَتْنا أحسنَ [الحديثَ][1] ، وإن حَدَّثْنا أحْسَنَ الاستماعَ ، فإذا حَضَرَ الغَداءُ جاء قَهْرمانُهُ فتمثَّل بين يَدَيْهِ فقال : عندي بطَّةُ كذا ، ودجاجَةُ كذا ، ولون كذا ، لكي [يحبس] كلُّ امرىءٍ نَفْسَهُ لما تشتهي ، فإذا وُضِع الخِوانُ خوَّى[2] تخويةَ الظليمِ فما له إلا موضعُ مُتَّكِئِه ، فيجدُّ القومُ ويهزلوا ، حتى إذا رآهم قد فَتروا أكَلَ أكْلَ الجائعِ لِيُنَشِّطَهُم بأكله .

١٢٦ – وروي أن الحسنَ بن عليّ عليهما السلام مرَّ على مساكين وهم يأكلون كِسَراً لهم على كساءٍ ، فسلَّم فقالوا : يا أبا عبدالله ، الغداءَ ، فنزل وأكل معهم وقرأ : ﴿إنه لا يحبُّ المستكبرين﴾ (النحل : ٢٣) . ثم قال لهم : [قد أجبتكم] فأجيبوني . فانطلقوا ، فلما أتى المَنْزِلَ قال : يا ربابُ ، أخرجي ما كُنْتِ تدَّخرين .

١٢٧ – قال العتبيُّ : كان زيادٌ يُغدي ويُعشِّي إلا يومَ الجمعةِ ، فإنه كان يُعَشِّي ولا يُغدِّي ، وكان لا يَطْعَمُ طعاماً إلا مع العامةِ ، فأتاه يوماً مولاهُ بشَهْدَةٍ فوضعها على المائدةِ ، فأمسك لتُؤتى العامةُ بمِثْلها ، فلما أبْطأ قال : ما هذه ؟ قال : لم يكُنْ عندنا ما يُشْبعُ العامةَ ، فأمر بها فرُفِعَتْ ثم لم تُعَدْ حتى

---

١٢٥ عيون الأخبار ٣ : ٢١٥ والعقد ٦ : ٢٩٤ .

---

١ عيون الأخبار : وكان سكّيتا ، إن حدثنا أحسن الحديث .

٢ خوّى الرجل : فرّج ما بين عضديه وجنبيه .

وضعوا للعامةِ مِثْلَها .

١٢٨ – وروي أَنَّ المسيح عليه السلام كان إذا دعا أَصحابَه قام عليهم ، ثم قال : هكذا فاصنعوا بالفُقَراء .

١٢٩ – ووصف شاعرٌ قَوْماً فقال : [من الوافر]

جلوسٌ في مجالسهم رزانٌ   وإنْ ضَيْفٌ أَلمَّ فهم وقوفُ

١٣٠ – قال سهل بن حصين : شهدْتُ الحسَنَ في وليمةٍ ، فطَعِمَ ثم قام فقال : مدَّ الله لكم في العافيةِ ، وأَوسع عليكم في الرزقِ ، واستعملكم بالشُّكْرِ .

١٣١ – وقال رسولُ اللهِ ﷺ : تخلَّلوا فإنه نظافةٌ ، والنظافةُ من الإيمانِ ، والإيمانُ مع صاحبِهِ في الجنةِ .

١٣٢ – وفي حديث عمر رضي الله عنه : عليكم بالخشبتين ، يعني السِّواكَ والخِلال .

١٣٣ – وقال أَبو هريرة : السواك بعد الطعامِ [يزيل] وَضَرَ الطعام .

١٣٤ – كان بعضهم يقول لولده إذا رأى حِرْصَهُ على الطعامِ : يا بُنيَّ ، عوِّدْ نَفْسَكَ الأُثْرَةَ ومجاهدةَ الشهوةِ ، ولا تنهش نَهْشَ السباعِ ، ولا تَخْضِمْ خَضْمَ البراذين . إن الله جعلك إنساناً فلا تجعلْ نَفْسَكَ بهيمةً .

١٣٥ – وقال بعضُ الكتّابِ : تغدَّيْتُ مع المأمونِ فالتفت إليَّ وقال : خلالٌ قبيحةٌ عند الجلوس على المائدةِ : كثرةُ مَسْحِ اليد ، والانكبابُ على

---

١٢٨ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .
١٢٩ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .
١٣٠ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .
١٣١ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .
١٣٢ نهاية الأرب ٣ : ٣٣٩ .
١٣٤ عيون الأخبار ٣ : ٢١٧ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٠ .
١٣٥ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٠ .

الطعامِ ، وكثرةُ أَكْلِ البقْلِ . ومعنى ذمِّه هذه الخلالِ الثلاث : أَما كُرْهُ مَسْحِ اليدِ فإنَّما هو من تغمّرِها بالطعامِ وكَثْرةِ التباسِها به ، وأَمَّا الانكبابُ فيدلُّ على شدَّةِ الحِرْصِ والشَّرَهِ والنَّهَمِ ، ومنه قولُ الشاعرِ يهجو طفيْليّاً : [من الطويل]

لقد سترَتْ منك الخوانَ عمامةٌ دجوجيةٌ ظلماؤها ليس تُقْلِعُ

وأَما البقْل فإنَّ الحاجةَ إلى البُلْغَةِ منه ، وفي الإِكْثارِ منه تشبُّهٌ بالبهائمِ لأَنَّه مَرْعًى لها .

١٣٦ – قال النبي ﷺ : إذا أُتي أَحدكم بطعامٍ فليَدْعُ مَنْ حَوْلَهُ .

١٣٧ – قال حكيم : ثلاثٌ في مباكرةِ الغداء : تُطيِّب النكهة ، وتُطفيءُ المِرَّةَ ، وتُعينُ على المروءةِ .

١٣٨ – ويروى أَن رجلاً دخل على الشعبيِّ بكرةً وبين يَدَيْهِ [. . .] فقال : ما هذا يا أَبا عمرو ؟ قال : آخذ حلمي قبل أَن أخرج .

١٣٩ – وفي حديثِ أَبي جُحَيْفَةَ قال : أَكَلْتُ ثريداً ولَحْماً ثم جئتُ فجلستُ حيالَ رسولِ الله ﷺ وآله وصحبه ، فجعلتُ أَتجشَّأُ ، فقال عليه السلام : أَقْصِرْ من جُشائِك ! فإنَّ أَكثر الناسِ شِبَعاً في الدنيا أَكثرهم جوعاً في الآخرةِ . قيل : فما أَكل أَبو جُحَيْفَةَ مِلْءَ بطنِه حتى قبضه الله .

١٤٠ – وقيل لسَمُرَةَ بن جُنْدب : كاد ابنُكَ يموتُ الليلة ! قال : ولم ؟ قال : بشم للطعام ، قال : لو مات ما صلَّيْتُ عليه .

١٤١ – وقال لقمان لابنهِ : يا بنيّ ، لا تأكلنَّ شبعاً على شِبَع ، فلأَن تنبذه للكَلْبِ خيرٌ لك .

---

١٣٩ الحديث بضمير المخاطب ودون الخبر في ابن ماجة (رقم ٣٣٥٠) .
١٤٠ عيون الأخبار ٣ : ٢١٤ وفيه «إن أباك كاد . . .» .
١٤١ بهجة المجالس ٢ : ٨٠ .

١٤٢ – وقال عليه الصلاةُ والسلام : البِطْنَةُ مفسدة للقلب .

١٤٣ – وقال أيضاً : البِطْنَةُ تُذهبُ الفِطْنَةَ .

١٤٤ – وكانت ملوك الأَعاجمِ إذا رأت الرجلَ نَهماً شَرِهاً حريصاً على المَطْعَمِ أَخرجوه من طبقة الجدِّ إلى باب الهَزْلِ ، ومن بابِ التعظيمِ إلى باب الاحتقارِ والتصغير ، وكانوا يقولون : مَنْ شَرِهَ بين يدي الملوكِ إلى الطعامِ ، كان إلى أموال السُّوقةِ والرعيَّةِ أَشدَّ شَرَهاً .

١٤٥ – وحُكي أن رجلاً من بني هاشمٍ دخل على المنصورِ فاستجلسه ، ودعا بغدائِهِ وقال للفتى : ادْنُه ، فقال : قد تغدَّيْتُ ، فلما خرج استخفَّ به الربيعُ [. . .][١] لما قفاه وقال : هذا كان يُسلِّمُ وينصرفُ ، فلما استَدْناه أَمير المؤمنين ودعاه إلى طعامِهِ وتبذَّل بين يَدَيهِ ، بلغ مِن جَهْلِهِ بفضيلةِ المنزلةِ أَن قال : قد تغدَّيْتُ ، وإذا ليس عنده لِمَنْ تغدَّى مع أَميرِ المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّةِ الجوعِ .

١٤٦ – وذُكِر أَنَّ عمرو بن العاص دخل على معاوية وهو يتغدَّى ، فقال : هلُمَّ يا عمرو ، قال : هنيئاً يا أَميرَ المؤمنين ، أَكَلْتُ آنِفاً ، فقال معاويةُ : أَما عَلِمْتَ أَنَّ من شراهةِ المرءِ أَن لا يَدَعَ في بَطْنِهِ فَضْلاً ؟ قال : قد فعلتُ ، قال : ويحك ، فتركْتَهُ لمن هو أَوْجَبُ عليك حقّاً من أَميرِ المؤمنين ! قال : لا ولكن لمَنْ لا يَعذرُ عُذْرَ أَميرِ المؤمنين . قال : فلا أَراكَ إلا قد ضيَّعْتَ حقّاً لحقٍّ لعلّك لا تدركه ، فقال عمرو : ما لقيتُ منك يا معاويةُ ! ثم دنا فأَكل .

١٤٧ – وفي حديثٍ آخر أَن عبد الملكِ بن مروان دَعا رجلاً إلى الغداءِ ، فقال :

---

١٤٢ محاضرات الراغب ٢ : ٦٣١ وفيه «البطنة مفسدة للبدن» .
١٤٣ دون نسبة في محاضرات الراغب ٢ : ٦٣١ والعقد ٦ : ٢٩٨ ولعلي في المستطرف ١ : ١٧٩ .
١٤٤ المستطرف ١ : ١٨٠ .
١٤٧ عيون الأخبار ٣ : ٢١٩ وبهجة المجالس ٢ : ٧٧ .

---

١ فراغ في الأصل .

ليس بي هواء ، فقال : ما أَقْبَحَ بالرجلِ أن يأكلَ حتى لا يكون فيه مستزاد ! فقال : عندي مستزاد ، وإنَّما أكره أن أصيرَ إلى ما استقبحه أميرُ المؤمنين .

١٤٨ - وفي حديث أسماء بنت زيد قالت : دخلنا على النبيِّ ﷺ ، فأُتيَ بطعامٍ ، فعرض علينا ، فقلنا : ما نشتهي ، قال : لا تجمَعْنَ [جوعاً] وكذباً .

١٤٩ - قيل : الأَكْلُ ثلاثةٌ : مع الفقراء بالإيثارِ ، ومع الإخوان بالانبساطِ ، ومع أبناء الدنيا بالأدبِ .

١٥٠ - حضر أبو الهُذَيْلِ على مائدةِ المعتصمِ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله لا يستحي من الحقِّ ؛ غُلامي وحماري بالباب . فقال المعتصمُ لإيتاخ الحاجب : مُرْ لحمارِ أبي الهُذَيْلِ بعلفٍ ولغُلامهِ بطعامٍ . فقال أحمد بن أبي دواد : ألا ترى يا أميرَ المؤمنين إلى مَتَانةِ دينِ هذا الشيخِ وتفقُّدِه لما يلزمه ؟ لم يمْنَعْهُ جلالة مجلسك عمَّا يجبُ للهِ عليه في حمارِهِ وغُلامِهِ ، فجعل أحمد ما قدَّره الناسُ مُحْوِجاً إلى الاعتذارِ منه شهادةً له بالفَضْلِ .

١٥١ - قال المأمون : ثنتان لا [تحسنان] على موائدِ الملوكِ : نكْتُ المُخِّ ، وكَثْرَةُ أَكْلِ البَقْلِ .

١٥٢ - حثَّ رجلٌ رجلاً على الأَكْلِ من طعامهِ قال : عليك [تقريب] الطعامِ ، وعلينا تأديبُ الأجسام .

١٥٣ - قيل لحكيمٍ : أيُّ الأوقاتِ أحمَدُ للأَكْلِ ؟ قال : أمَّا مَنْ قَدر فإذا اشتهى ، وأمَّا مَنْ لم يَقْدِرْ فإذا وَجَدَ .

---

١٤٨ ابن ماجة (رقم ٣٢٩٨) .

١٤٩ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٠ .

١٥٣ عيون الأخبار ٣ : ٢٢٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٣١ والعقد ٦ : ٣٠٧ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٠ .

الفَصْلُ الثاني

الاقتصاد في المطاعمِ والعفَّةُ عنها

١٥٤ – قال الله عزَّ وجلَّ وقولُه الصِّدْقُ وإذْنُـهُ الحقُّ : ﴿يا بَني آدمَ خُذوا زِينتَكُم عندَ كلِّ مَسجدٍ وكُلوا واشْربوا ولا تُسْرِفوا ، إنَّه لا يُحِبُّ المُسْرفين﴾ (الأعراف : ٣١) .

١٥٥ – وفي الحديثِ أن النبيَّ ﷺ قال : «من زارَهُ أخوه المسلمُ فقرَّبَ إليه ما تيسَّر غُفِر له وجُعِل في طعامِهِ البَرَكةُ ، ومن قُرِّبَ إليه ما تيسَّرَ فاستحقر ذلك كان في مَقْتِ الله حتى يخرجَ» .

١٥٦ – وقالت عائشةُ : أَوْلَمَ النبيُّ ﷺ على بَعْضِ نسائهِ بمُدَّيْنِ من شعيرٍ .

١٥٧ – وقال أَنسٌ : أَوْلَمَ النبيُّ ﷺ على صفية بتَمْرٍ وسويق .

١٥٨ – وقيل كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول : اعملوا ولا تعملوا لبطونِكم . وإيَّاكم وفُضولَ الدنيا ، فإنَّ فضولَها رِجْزٌ . هذه طيْرُ السماء تغدو وتروح وليس معها من أرزاقِها شيءٌ ، لا تحرثوا واللهُ يرزُقُها .

١٥٩ – قال السائبُ بن زيد : ربَّما تعشَّيْتُ عند عمر بنِ الخطابِ ، فيأكل الخُبْزَ واللَّحْمَ ، ثم يَمْسَحُ يده على قدمَيْهِ ويقول : هذا مِنْديلُ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ .

١٦٠ – ورُوِيَ أَنَّ علي بن أَبي طالبٍ عليه السلام كان يُفْطِرُ ليلةً عند

---

١٥٥ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٠ .

١٥٦ البخاري (رقم ٤٨٧٧) ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٠ .

١٥٧ البخاري (٤٨٧٤) وفيه «أولم عليها بحيس» .

١٥٨ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٠ .

١٦٠ نهاية الأرب ٣ : ٣٤١ .

الحَسَن ، وليلةً عند الحسين ، وليلةً عند عبدالله بن جعفر ، لا يزيدُ على ليلتين أو ثلاث . قيل له : إنَّما هي أيامٌ قلائل ، فقال : يأتي أمْرُ اللهِ وأنا خَميصٌ . فقُتِل من ليلتهِ .

١٦١ – قال رسولُ الله ﷺ : «إنَّما أخْشى عليكم شَهوات بطونِكم ومُضِلاتِ الهوى» . وفي خبرٍ آخَرَ : «أخافُ على أمتي بعدي ثلاثاً : ضلالة الأهواء ، واتباع الشهواتِ في البطونِ والفروجِ ، والغَفْلة بعد المعرفةِ» .

١٦٢ – وقال ﷺ : «ما ملأَ آدميٌّ وعاءً أنْتَنَ من البَطْنِ ، بحَسْبِ المَرْءِ من طُعْمِهِ ما أقام صُلْبَهُ ، أما إذا أبَيْتَ ، فثلث طعام ، وثُلث شراب ، وثُلث نَفَس» .

١٦٣ – وقال ﷺ : «مَنْ قَلَّ طُعْمُهُ ، صحَّ بَدَنُهُ ، وصفا قَلْبُهُ ، ومن كَثُرَ طُعْمُهُ ، سَقِمَ جِسْمُهُ ، وقَسا قَلْبُهُ» .

١٦٤ – وقال ابن عباسٍ : سمعتُ سلمانَ الفارسيَّ – وأُكْرِهَ على طعامٍ – قال : حسبي ؛ سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «إن أكثَرَ الناس شِبَعاً في الدنيا ، أكثرُهم [جوعاً][1] في الآخرةِ . يا سلمانُ ، إنَّما الدنيا جَنَّةُ الكافرِ ، وسِجْنُ المؤمنِ» .

١٦٥ – وكان ﷺ يقول : «استعيذوا باللهِ من نَفْسٍ لا تَشْبَعُ» .

١٦٥أ – وقال ﷺ : «ما زَيَّنَ اللهُ رجلاً بزينةٍ أفْضَلَ من عَفافِ بَطْنِهِ» .

١٦٦ – قال حاتم : [من الطويل]

---

١٦١ انظر مسند أحمد ٢ : ٤٢٠ .
١٦٢ ابن ماجة (رقم ٣٣٤٩) بلفظ مختلف .
١٦٣ المستطرف ١ : ١٧٩ .
١٦٤ انظر الحديث رقم ٣٣٥١ في ابن ماجة .
١٦٦ نهاية الأرب ٣ : ٣٤١ والثاني في عيون الأخبار ١ : ٣٧ وانظر ديوان حاتم : ١٨٣ .

---

[1] في م شبعاً .

أبيتُ خميص البَطْنِ مُضطمرَ الحشا ‏ ‏ من الجوع أخشى الذَّمَّ أن أتضلَّعا
فإنَّك إنْ أعطيتَ بَطْنَك سُؤْلَـهُ ‏ ‏ وفَرْجَكَ نالا مُنْتهى الذمِّ أجمعا

١٦٧ – وقال دريد بن الصِّمَّةِ في تأبين أخيه : [من الطويل]

تراه خميصَ البَطْنِ والزاد حاضِرٌ ‏ ‏ عتيدٌ ، ويغدو في القَميصِ المُقَدَّدِ

١٦٨ – قَدِم هشام بن عبد الملكِ المدينةَ ، فأرادَ سالم بن عبدالله بن عمر الدُّخولَ عليه ، فاستعارَ عِمامةً فاعتمَّ بها ، ودخل فسلَّم عليه ، فقال له هشامٌ : يا أبا عُمَرَ ، أرى عِمامَتَك لا تُشاكِلُ الثيابَ ! قال : أجلْ ، لأنا استعرناها ، قال : ما طعامُكَ ؟ قال : الخُبْزُ والزَّيْتُ ، قال : أما تَأْجمُهُما ؟ قال : إذا أجمْتُهُما تركتُهما حتى أشْتَهيهِما . فخرج سالم وهشامٌ يقولُ : ما رأيْتُ منذ سبعين سنةً أجودَ منَ كدْنَتِهِ ! فحُمَّ سالمٌ فقال : أما تَرَوْن ! لَقَعَني بعَيْنِه ، فما خرج هشامٌ من المدينةِ حتى صلَّي على سالم .

١٦٩ – وقال قُتيبةُ بن مسلم : أرسلني أبي إلى ضرارِ بنِ القَعْقاعِ بن مَعْبَد ابن زُرارةَ ، فقال قُل له : قد كان في قومِك دماءٌ وجراحٌ ، وقد أحبُّوا أن تَحْضُرَ المسجدَ ، فأتـيْتُه فقال : يا جاريةُ ، غَدِّيني ، فجاءت بأرغفةٍ خُشُنٍ فثردتهن في مريس ثم بَرَقَتهن ، فأكل ، فجعل شأْنُـهُ يصغُرُ في عيني ، ثم مسح يَدَهُ وقال : الحمدُ للهِ ، حِنْطَةُ الأهوازِ ، وتمر الفُراتِ ، وزَيْتُ الشام ، ثم أخذ نَعْلَيْهِ وارتدى ، فانطَلَقَ معي إلى المسجدِ ، فصلَّى ركعتَيْن ثم احتبى ، فما رأتْـهُ حلقةٌ إلا تقوّضت إليه ، فاجتمع الطالبـون والمطلوبون فأكثروا الكلامَ ، فقال : إلى ما صار أمرُهم ؟ قالوا : إلى كذا وكذا من الإبلِ ، قال : هي عليَّ ، ثم قامَ .

١٦٧ جمهرة أبي زيد (صادر) : ٢١٣ وديوان دريد : ٥٠ .
١٦٨ باختصار في طبقات ابن سعد ٥ : ٢٠٠ وسير أعلام النبلاء ٤ : ٤٦٣ .
١٦٩ عيون الأخبار ١ : ٣٣٢-٣٣٣ والكامل للمبرد مع اختلاف كبير في الصيغة ١ : ١٨١ .

١٧٠ – قال أَبو عُبيدةَ : لمّا أَمر قيسُ بن زهيرٍ قَوْمَهُ أَن يَرْجعوا إلى قومهم قال : لا تَنْظُرُ في وَجْهي قَيْسِيَّةٌ أَبداً ، ولحقَ بعمانَ ، فمكث ستَّةَ أَيامٍ لا يَطْعَمُ طعاماً ولا يسأَلُ أَحداً . فلما كان في الليلةِ الثامنةِ شبَّت له نارٌ فأَتاها ، فلما قَرُبَ مِنْها إذا قَوْمٌ على خُبْزَةٍ لهم ، فأَنِفَ وكرَّ راجعاً ، ثم أَدركه أَمرٌ ، فأَقبَلَ إليهم . ففعل ذلك مراراً يأْبى له الأَنفُ أَن يسأَلَهُم ، ثم هبط وادياً قريباً من القَوْمِ ، فأَكل من نَبْتِ الأَرْضِ ثم أَتى شَجَرَةً فأَدَمَ بأَصلها حتى مات .

١٧١ – قال أَحمد بن عليٍّ الأَنصاريُّ : رأَيْتُ مجنوناً ببغدادَ وهو على باب دارٍ فيها صنيعٌ ، والناسُ يدخلون ، وكنتُ ممَّن دُعيَ ، فقلتُ : أَلا تدخلُ فتأْكل ، فإنَّ الطعامَ كثيرٌ ؟ فقال : وإن كثر فإني ممنوع عنه . قلت : كيف والباب مفتوح ولا مانع من الدخول ؟ قال : آكلُ طعاماً لم أُدْعَ إليه ؟ ! لقد اضطرني إلى ذلك غير الجوعِ ، قلتُ : وما هو ؟ قال : دناءَةُ النَّفْسِ ، وسوءُ الغريزةِ .

١٧٢ – قال الشاعر : [من الطويل]

وإني لعفٌّ عن مطاعمَ جمَّةٍ ... إذا زيَّن الفحشاءَ للنفسِ جوعُها

١٧٣ – وقال آخر : [من الوافر]

وأُعرضُ عن مطاعمَ قد أَراها ... فأَتركُها وفي بَطْني انطواءُ

١٧٤ – كان أَبو تُرابٍ النَّخْشَبيُّ يقولُ : الفقير قوتُه ما وَجَدَ ، ولباسُه ما ستر ، ومنزلُه حيثُ حلَّ .

١٧٥ – وقال يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ : الزهدُ ثلاثةُ أَشياء : القِلَّةُ ، والخَلْوةُ ،

---

١٧٠ خزانة الأدب ٨ : ٣٧٢ .
١٧١ نهاية الأرب ٣ : ٣٤١ .
١٧٢ نهاية الأرب ٣ : ٣٤١ .
١٧٣ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٢ ومعه بيت آخر .
١٧٤–١٧٧ في حلية الأولياء أقوال كثيرة في الزهد لهؤلاء الزهاد ولكن ما جاء هنا ليس منها .

والجوعُ . وكان يقول : جوعُ التوابين تَجْرِبة ، وجوعُ الزاهدين سياسة ، وجوعُ الصدِّيقين تكْرِمة .

١٧٦ – قال حاتمٌ الأَصمُّ : ما مِن صباحٍ إلا والشيطانُ يقول : ما تأكلُ ؟ وما تلبس ؟ وأين تسْكنُ ؟ فأقولُ : آكُلُ الموْتَ ، وألبسُ الكَفَنَ ، وأسكنُ القَبْرَ .

١٧٧ – قال عامر بن قيس[1] يوماً : أتاني الشيطانُ فقال لي : ما في يدِكَ ؟ فقلتُ : ما يكفيني اليوم ، قال : فغداً ؟ قلتُ : أموت ، فخَصَمْتُهُ .

١٧٨ – وقال الجُنَيْدُ : مرَّ بي الحارثُ بن أَسَدٍ المُحاسبيُّ ، فرأَيْتُ فيه أثَرَ الجوعِ ، فقلتُ : يا عمّ ، تدخل الدارَ وتتناول شيئاً ؟ وقدَّمْتُ إليه طعاماً حُمِل إليَّ من عُرْسٍ ، فأخذ لُقْمةً ونهضَ ، فألقاها في الدهليزِ ومضى . فالتقيتُ به بعد أيَّام فقلتُ له في ذلك ، فقال : كنتُ جائعاً ، وأَرَدْتُ أن أَسرَّكَ بأَكْلي وأحفَظَ قَلْبَكَ ، ولكنْ بيني وبين الله علامةٌ : أن لا يُسَوِّغَني طعاماً فيه شُبْهَةٌ ، فمن أين كان ذلك الطعامُ ؟ فأَخبَرْتُه ، ثم قلتُ له : تدخلُ اليومَ ؟ قال : نعم . فقدَّمْتُ إليه كِسراً كانت لنا ، فأكل وقال : إذا قدَّمْتَ إلى فقيرٍ شيئاً ، فقدِّم مِثْلَ هذا .

١٧٩ – قال المُنْتجعُ بن نَبْهان : سأَلْتُ بَعْضَ أهلِ اليمامةِ : كيف ضبطتُم القِرى ؟ فقال : لا نتكلَّفُ ما ليس عندنا .

١٨٠ – وكان صفوانُ بن مُحْرِزٍ يقول : إذا أتيْتُ أهلي ، فقرَّبوا إليَّ رغيفاً فأكلتُه وشرِبْتُ عليه من الماءِ ، فعلى الدنيا العَفاءُ .

١٨١ – ويُقالُ : المروءةُ أن لا تَدَّخِرَ ولا تعتذر .

١٨٢ – ورُوِيَ أنَّ عمرو بنَ العاصِ قال لمعاويةَ وأصحابهِ يومَ الحكمَيْن :

---

١٧٨ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٢ .

١٨٢ عيون الأخبار ٣ : ٢١٩ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٢ وانظر الفقرة ١٤٣ فيما تقدم .

---

[1] حلية الأولياء : ابن عبد قيس .

أَكْثِروا لهم الطعامَ ؛ فإنَّه واللهِ ما بَطِنَ قَوْمٌ إلا فقدوا بَعْضَ عُقولِهم ، وما مَضَتْ عَزْمَةُ رجلٍ بات بطيناً . فلما وجد معاويةُ ما قاله صحيحاً ، قال معاوية : إنَّ البِطْنَةَ تَـأْفِنُ الفِطْنَةَ .

تأْفِنُ : أي تُنْقِصُ ، ومنه رجلٌ مأْفونٌ وأَفين : أي ناقِصُ العَقْلِ .

١٨٣ – قال الحسنُ : لقد صحبْتُ أقواماً ما كان يأكلُ أحدُهُم إلا في ناحيةِ بَطْنِهِ ، ما شَبع رجلٌ منهم من طعامٍ حتى فارقَ الدنيا : كان يأكلُ ، فإذا قاربَ شِبَعَهُ ، أمسك [. . .] الفَضْلَ واللهِ للمعادِ .

١٨٤ – قيل لأعرابيٍّ : ما طعامُكَ ؟ قال : الخلُّ والزيتُ ، فقيل له : أتصْبِرُ عليهما ؟ قال : ليتهما يصبِران عليَّ .

١٨٥ – قال رسول الله ﷺ : «لا تُميتوا القُلوبَ بكَثْرةِ الطعامِ والشرابِ ، فإنَّ القلوبَ تموتُ كالزَّرْعِ إذا كثُر عليه الماءُ» .

١٨٦ – وقال عيسى عليه السلامُ : يا بني إسرائيل ، لا تُكثِروا الأَكْلَ ، فإنَّ مَنْ أَكْثَرَ الأَكْلَ أَكْثَرَ النَّوْمَ ، ومن أَكْثَرَ النومَ أَقلَّ الصلاةَ ، ومن أَقلَّ الصلاةَ كُتِبَ من الغافلين .

١٨٧ – وقال الخليلُ : أثْقَلُ ساعاتي عليَّ ساعةٌ آكُلُ فيها .

١٨٨ – وقال الفُضيلُ : أتخافُ أن تجوعَ ؟ لا تَخَفْ ؛ أنْتَ أَهْوَنُ على اللهِ مِن ذاكَ ، إنَّما كان يُجَوِّعُ محمَّداً ﷺ وأَصحابَه .

١٨٩ – وعَنْهُ : خَصْلتان تُقَسِّيانِ القَلْبَ : كَثْرَةُ الأَكْلِ ، وكَثْرَةُ الكلامِ .

١٩٠ – دخل سفيان بن عُيَيْنَةَ على الرشيدِ وهو يأكلُ بمِلْعَقَةٍ ، فقال : حُدِّثْتُ عن جَدِّكَ ابنِ عباسٍ في قوله تعالى : ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم﴾ (الاسراء : ٧٠) ، قال : جعلنا لهم أَيْدِياً يأكلون بها . فكسر المِلْعَقَةَ .

---

١٨٤ محاضرات الراغب ٢ : ٦٣٤ .

١٨٥ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٢ والمستطرف ١ : ١٧٩ .

١٩١ – دخل عمر رضي الله عنه على عاصم بن عمر وهو يأكلُ لَحْماً ، فقال : ما هذا ؟ قال : قَرِمْنا إليه ، قال : ويحكَ ، قَرِمْتَ إلى شيءٍ فأكلْتَه ! كفى بالمَرْءِ شَرَهًا أن يأكُلَ كلَّ ما يشتهي !

١٩١أ – [قال ابن دريد : العرب][١] تُعيِّر بكثرةِ الأَكْلِ ، وأَنْشَدَ : [من الرجز]

[لستُ][١] بأكّالٍ كأكْلِ العَبْدِ ولا بنوّامٍ كنَوْمِ الفَهْدِ

١٩٢ – بَعْضُ بني نَهْدٍ : [من الطويل]

إذا لم أَزُرْ إلا لآكُلَ أَكْلَةً فلا رفَعَتْ كفّي إليَّ طعامي
فما أَكْلَةٌ إن نِلْتُها بغَنيمةٍ ولا جَوْعةٌ إن جُعْتُها بغَرامِ

١٩٣ – في الحديث : من داوم على اللحمِ أربعين يوماً ، قَسا قَلْبُه ، ومن تركه أربعين يوْماً ، ساءَ خُلُقُهُ .

١٩٤ – قال أَنسٌ : ما رأى رسولُ الله ﷺ رغيفاً مُحَوَّراً حتى لقيَ اللهَ .

١٩٥ – وقال أيضاً : أَكل رسولُ الله ﷺ بَشِعاً ، ولبس خَشِناً : لبس الصوفَ ، واحتذى المخصوفَ .

١٩٦ – قيل للحسن : [. . .] خبز الشعير ما كان رسول الله ﷺ [. . .] إلا بجرعة من ماء .

---

١٩١ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٢ .
١٩١أ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٢ والمستطرف ١ : ١٨٠ .
١٩٢ عيون الأخبار ٣ : ٢٢٠ والمستطرف ١ : ١٨٠ .
١٩٣ محاضرات الراغب (قيل) ٢ : ٦٠٩ والمستطرف ١ : ١٧٨ .

---

١ فراغ في الأصل والتصويب عن نهاية الأرب .

١٩٧ – [قال] عمر رضي الله عنه : ما اجتمع عند رسولِ الله ﷺ أُدْمان إلا أَكل أَحدَهما ، وتصدَّقَ بالآخَرِ .

١٩٨ – وقال أبو سليمان الداراني : خَيْرُ ما أَكونُ ، إذا لزقَ بَطْني بظَهْري ؛ أَجوعُ الجَوْعةَ ، فأخرجُ فتَرْحمني المرأةُ فما أَلتَفِتُ إليها ، وأَشْبَعُ الشَّبْعَة ، فأَخرج فأرى عينيَّ تَطْمَحان .

١٩٩ – وقال أيْضاً : من صدق في ترْكِ الشهوةِ ، كُفيَ مُؤْنَتَها ؛ اللهُ أَكْرَمُ من أَنْ يُعَذِّبَ قَلْباً بها وقد تركها له .

٢٠٠ – قيل لابن عمر : أَنجْعَلُ لك جَوارِشاً ؟ قال : وما الجَوارشُ ؟ قيل : شيء تأكلُه يَهْضِمُ طعامَك ، قال : ما شَبِعْتُ منذ أَربعةِ أَشْهُرٍ ، وما ذلك أَنّي لا أَجدُ ، وأَنّي لا أَجوعُ ، ولكن شَهِدْتُ أَقْواماً كانوا يجوعون أَكثر مما يشبعون .

٢٠١ – سَمُرَة بن جندب رفَعَهُ : مَنْ تعوَّد كَثْرَةَ الطعامِ والشرابِ ، قَسا قَلْبُهُ .

٢٠٢ – كان يُقالُ : مُدْمِنُ اللحمِ كمُدْمنِ الخَمْرِ .

٢٠٣ – وقال عمر رضي الله عنه : إيَّاكم وهذه المجازِرَ ، فإنَّ لها ضَراوةَ الخمرِ .

والله أعلم .

---

١٩٧ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٢ .
١٩٨ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٣ .
٢٠٢ المستطرف ١ : ٢١٧ .
٢٠٣ عيون الأخبار ٣ : ٢١٧ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦١٠ وبهجة المجالس ٢ : ٧٢ .

الفصل الثالث

في النَّهْمةِ والجَشَع وأخبار الأَكَلَةِ

قد نُسِبَ ذلك إلى جماعةٍ من الأكابر وذوي الهِمَمِ والأَخطارِ آفة اعترضَتْ فضائِلَهُم ، واتِّباعٌ للشَّهَواتِ قد استولى على عقولهم .

رُوِيَ أنَّ معاويةَ بن أبي سفيان كان نَهِماً جَشِعاً بخيلاً على الطعام .

٢٠٤ — ورُوِيَ أنَّه قال لأعرابيٍّ يُؤاكله : إرفع الشَّعْرَةَ من لُقْمتِك ، فقال : وإنَّك لَتَلْحَظُ الشَّعْرَةَ في لُقمتي ! ؟ واللهِ لا أَكَلْتُ معك طعاماً .

٢٠٥ — ورُوِيَ أنَّه أُصلحَ له عِجْلٌ مَشْوِيٌّ ، فأَكل معه دَسْتاً من الخُبْزِ السميد ، وأربع فراني[1] ، وجَدْياً حارّاً ، وجَدْياً بارداً سوى الألوانِ ، ووُضِع بين يدَيْهِ مائةُ رِطْلٍ من الباقِلاء الرَّطْبِ ، فأتى عليه .

٢٠٦ — وقيل إنه كان يأكل كلَّ يومٍ أربعَ أَكَلاتٍ ، آخرهُنَّ أشدُّهنَّ وأفْضلهُنَّ ، ثم يقول : يا غلامُ ، إرْفَعْ ، فواللهِ ما شَبِعْتُ ، ولكن مَلَلْتُ .

وقد ذُكِرتْ عنه في ذلك أخبارٌ مُسْتَهْجَنَةٌ ، أَلفَيْتُها يُخالفُها المأثورُ من حِلمِهِ وهِمَّتِهِ . وإنَّ آمرءاً سَمَتْ هِمَّتُهُ إلى مناوأةِ علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ومغالبتِهِ على الخلافةِ مع تَباعُدِ استحقاقه منها ، لَبَعيدٌ أن يَبْخَلَ على طعامٍ ، ويُحاميَ دون أَكْلِهِ ، ويبذلَ البذول لرَفْعِ الأيدي عنه كما رَوَوْا أنه كان يفعلُ .

---

٢٠٤ عيون الأخبار ٣ : ٢٢١ والعقد ٣ : ٤٨٨ (مع سليمان بن عبد الملك) والمستطرف ١ : ١٨١ (مع الحجاج) .

٢٠٥ نثر الدر ٢ : ٢٤٥ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٣ .

٢٠٦ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٢ وانظر محاضرات الراغب ٢ : ٦٣٥ .

---

[1] الفرنبة : خبزة تشوى ثم تروى سمناً ولبناً وسكراً .

٢٠٧ – وكان عبيدُالله بنُ زيادٍ من الأَكَلَةِ . كان يأكلُ في اليومِ خَمْسَ أَكلاتٍ آخِرُها جُبْنَةٌ بعَسَلٍ ، ويُوضع بين يديْهِ بعدما يفرغُ من الطعامِ عَناقٌ أو جَدْيٌ فيأتي عليه وَحْدَهُ .

٢٠٨ – ومنهم الحجَّاجُ : قال [سلم بن] قتيبة : كُنْتُ في دارِ الحجَّاجِ مع ولدِهِ وأنا غُلامٌ ، فقالوا : قد جاء الأَميرُ ، فدخل الحجَّاجُ ، فأَمر بتنّورٍ فنُصبَ ، وقعد في الدارِ ، وأَمر رجلاً يخبز خُبْزَ الماء ؛ ودعا بَسَمكٍ فجعلوا يأتونَه بالسَّمَكِ فيأكلُه حتى أَكل ثمانين جاماً من سمكٍ بثمانين رغيفاً من خُبزِ الماء .

٢٠٩ – ومنهم سليمان بن عبد الملكِ ، وهو أَشهرهم بالجَشَعِ . رُوِي أَنَّه شُوِي له أَربعةٌ وثمانون خروفاً ، فمدَّ يَدَه إلى كلٍّ واحدٍ منها فأَخذ شحم كليته[١] ، وأَخذ معه نِصْفَ بَطْنِهِ مع أَربعةٍ وثمانين رغيفاً ، ثم أَذِنَ للناسِ ، وقُدِّم الطعامُ ، فأَكَلَ أَكْلَ مَنْ لم يَذُقْ شيئاً .

٢١٠ – وقال بعضهم : دخلتُ مطبخ سليمان ، فوجَدْتُ فيه اثنتين وثمانين فَخَّارةً فيها نواهضُ ، قالوا : فأَكلها أَمير المؤمنين كلَّها .

٢١١ – ورُوِيَ أَنَّه أَكل عند يزيد بن المُهلَّب أَربعينَ دجاجةً كردناك سوى ما أُكل من الطعامِ .

٢١٢ – وقال الشَّمَرْدَلُ وكيل [آل] عمرو بن العاص : قَدِمَ سليمان بن عبدِ الملكِ الطائفَ ، فدخل هو وعمر بن عبد العزيز إليَّ ، فجاء حتى أَلقى صَدْرَهُ على

٢٠٧–٢٠٨ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٣ وانظر عيون الأخبار ٣ : ٢٢٨ ونثر الدر ٢ : ٢٤٦ و٢٤٨ .
٢٠٩ نثر الدر ٢ : ٢٤٧ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٣ .
٢١٠ نثر الدر ٢ : ٢٤٧ .
٢١١ نثر الدر ٢ : ٢٤٧ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٣٥ .
٢١٢ عيون الأخبار ٣ : ٢٢٧ والعقد ٦ : ٣٠١ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٤ والمستطرف ١ : ١٨٠.

---

١ نهاية الأرب : أليته .

غُصنٍ ، ثم قال : يا شَمَرْدَلُ ، أَما عندك شيء تُطعمني ؟ قلتُ : عندي جَدْيٌ كانت تغدو عليه حافِلٌ وتروحُ أُخرى ، قال : عجِّل به ، فأتيتُه به كأنَّه عُكَّةُ سَمْنٍ ، فجعل يأكلُ وهو لا [يدعو عمر] حتى إذا أَبْقى منه فَخِذاً قال : يا أَبا حَفْصٍ ، هلمَّ ، قال : إني صائمٌ ، فأتى عليه ، ثم قال : يا شمَرْدَلُ ، ويْلَكَ أَما عِنْدكَ شيء ؟ قلتُ : دجاجاتٌ سِتٌّ كأنَّهن رِئلانُ النَّعام . فأتيتُه بهنَّ ، فأتى عليهنَّ ، ثم قال : ويلكَ يا شَمَرْدَلُ ، أَما عندك شيء ؟ قلتُ : سويقٌ كأنَّه قُراضَةُ الذهبِ ، فأَتيتُهُ بعُسٍّ يغيبُ فيه الرأسُ فجعل يشربه ، فلما فرغ تجشأ كأنه صارخٌ في جُبٍّ ، ثم قال : يا غلامُ ، أفرَغْتَ مِن غَدائِنا ؟ قال : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : نَيِّفٌ وثمانون قِدْراً ، قال : فائتني بقِدْرٍ قِدْرٍ وبقناعٍ عليه رُقاقٌ ، فأَكل من كلِّ قِدْرٍ ثلاثَ لُقَمٍ ، ثم مسح يَدَهُ واستلقى على فِراشِهِ ، وأَذِنَ للناسِ ، فوضعَتْ الخُوَن وقعد يأكلُ مع الناسِ .

٢١٣ — قال الأَصمعيُّ : حدَّثَتُ الرشيدَ أَنَّ سُليمان بنَ عبد الملكِ كان يُؤتى بالسَّفودِ عليه دجاجٌ سمينٌ مَشْويٌّ ، فلا ينتظرُ أَن يُنْزَعَ من السَّفُودِ ، ولا يَلْتمسُ منديلاً يُؤتى به ، فيأخذُه بكمّه ، فيأكلُ واحدةً واحدةً حتى يأتي عليه ، فقال الرشيد : ويحك يا أَصمعيُّ ، ما أَعلمك بأَخبارِ الناس ! فإني اعترضْتُ جباب سليمان ، فوَجدْتُ فيها آثارَ الدُّهْنِ ، فظنَنْتُهُ طِيباً حتى حدَّثْتني . وأَمر لي بجبَّةٍ منها .

٢١٤ — ويُحكى أَنَّ سببَ موتهِ أَنَّه أُتيَ بقصعتين عظيمتين من بيضٍ مَصْلوقٍ وتينٍ فكان [يجمع] بين بيضةٍ وتينةٍ حتى أَتى عليها .

٢١٥ — ورُوِيَ أَنَّ بلالَ بن أَبي بُرْدَةَ ذبحَ تَيْساً ضَخْماً وسَلَخَهُ ، وجعل يضعُ اللَّحْمَ على النارِ قِطْعَةً قِطْعَةً ويأكلُها حتى لم يَبْقَ إلا العظام ، ثم جاءت

---

٢١٣ المستطرف ١ : ١٨٠ .
٢١٤ انظر العقد ٦ : ٣٠٣ .
٢١٥ نثر الدر بتفصيل أوسع ٢ : ٢٤٧-٢٤٨ .

خبازتُه ببرمة عليها قَصْعَةٌ فيها ناهضان ودجاجَتانِ وأَرْغِفَةٌ ، فأَكل ذلك كلَّه .

٢١٦ – وكان عمرو بن مَعْدي كَرِبَ يأْكُلُ عَنْزاً رَباعيةً ، وفَرْقاً من ذُرَةٍ . والفرَقُ : ثلاثةُ أَصْوُعٍ . ورُوي أنه أَكل ذلك ، ثم أَكل بعده كبْشاً مطْبوخاً . وأَنَّ امرأته طبختْ له كبشاً وجعلت تُوقِدُ ، ويأخذُ عُضْواً عُضْواً فيأْكُلُه ، فاطّلعت واذا ليس في القِدْرِ غيرُ المَرَقِ .

٢١٧ – وقيل لسيفويه القاصِّ : مَنْ أَفْضَلُ الشُّهداء ؟ قال : مَنْ مات من التُّخَمةِ ، ودُفِنَ على الهَيْضَةِ .

٢١٨ – قيل لسَمَرْقَنْديٍّ : ما حدُّ الشِّبَعِ ؟ فقال : إذا جَحَظتْ عيناكَ ، وبَكم لسانُكَ ، وثقلَتْ حركتُك ، وارجَحَنَّ بَدَنُكَ ، وزال عقلُكَ ، فأَنْتَ في أَوَّلِ الشِّبَعِ . قيل : فإذا كان هذا أَوَّلَه ، فما آخِرُهُ ؟ قال : أَن تَنْشَقَّ نِصْفَيْن .

٢١٩ – وسُئِل طفيليٌّ عن حدِّه ، فقال : أَن يؤْكَلَ على أَنَّه آخِرُ الزادِ ، فيُؤْتى على الدِّقِّ والجُلِّ .

٢٢٠ – وسُئِل مدنيٌّ عن حدِّه ، فقال : أَن يأْكُلَ حتى يدنُوَ من الموتِ .

٢٢١ – وسُئِل آخرُ عنه ، فقال : لا أَعلم ، إلا أَنَّ الجوعَ عذابٌ ، والأَكْلَ رَحْمَةٌ . وإنَّ الرحمةَ كُلَّما كَثُرتْ كان العبدُ إلى اللهِ أَقربَ ، واللهُ عن العَبْدِ أَرْضى .

٢٢٢ – وقال آخرُ : مَن احتمى فهو على يقينٍ من المكروهِ ، وشَكٍّ من العافيةِ .

٢٢٣ – وقال نَهِمٌ : عُصْعُصُ عَنْزٍ خَيْرٌ من قِدْرِ باقِلاء .

٢٢٤ – وقيل لآخرَ : لمَ تأْكُلُ بخَمْسِ أَصابع ؟ فقال : وَلي أَكْثَرُ منها ! ؟

---

٢١٦ نثر الدر ٢ : ٢٤٦ وفيه أن الذي أكل الكبش الثاني امرأة عمرو .
٢١٨ – ٢٢١ انظر أقوالاً في حد الشبع في محاضرات الراغب ٢ : ٦٣٢ .
٢٢٢ عيون الأخبار ٣ : ٢٧٣ .
٢٢٣ نثر الدر ٢ : ٢٣٤ .
٢٢٤ نثر الدر ٢ : ٢٣٥ .

٢٢٥ – وقال بعضُهم : كنتُ أمرُّ في أَزِقَّةِ بغداد إذ صِيحَ : الطريقَ ، الطريقَ ، فالتفتُّ فإذا أنا برجلٍ محمولٍ ، فقلتُ : ما أَصابَه ؟ فقيل : أَكل الهريسةَ ، فأَعجَزَتْهُ عن المَشْيِ والحركةِ ، فنحن نحملُه إلى منزله .

٢٢٦ – وقال اليعفوريُّ : [أشتهي] أن آكُلَ من العِنبِ الرازقيِّ حتى يَنْشَقَّ بَطْني ، فقيل له : أَوتَشْبَع ، قال : هذا ما لا يكونُ .

٢٢٧ – وقيل لآخر : كيف أَكْلُكَ ؟ قال : كما لا يُحبُّه البخيلُ .

٢٢٨ – وقال بعضُهم : أَتاني رجلٌ عَشيّاً ، فطلب تَمْراً ، فأَمرْتُ بإحضارِ شيءٍ منه كثيرٍ جدّاً ، فابتدَأَ يأكلُ ، ونِمْتُ ، فلما أَصبَحْتُ وخرجْتُ فإذا هو يأكلُ ، فقلتُ : باكَرْتَ التَّمْرَ ؟ قال : لم أَنـمْ بَعْدُ ، فديتُكَ ! أنا آكلُ منذ رأَيتَني .

٢٢٩ – ومن المشهورين بالأَكْلِ هلال بن الأَسعر المازني .

قال المعتمر بن سليمان : قلتُ له : ما أَكْلَةٌ بلغتني عنك ؟ قال : جُعْتُ مرَّةً ومعي بعيرٌ لي ، فنَحرْتُه ، وأَكلْتُهُ إلا ما حملْتُ منه على ظَهْري ، فلما كان الليلُ راوَدْتُ أَمةً لي ، فلم أَصِلْ إليها ، فقالت : كيف تَصِلُ إليَّ ، وبيننا جَمَلٌ ! ؟ فقلتُ له : كم بلَّغَتْكَ تلك الأَكْلَةُ ؟ قال : أَربعة أَيام . وكان يضع على فيه ، ويصب النَّبيذَ واللبنَ . وكان غليظاً عَبْلاً شديداً أَيِّداً .

٢٣٠ – وقال له رجلٌ : ما هذه الكِدْنَةُ ؟ قال : عنوانُ الخِصْبِ .

٢٣١ – وقال بعضُهم : أَتانا هلالُ بن الأَسعرِ ، فأَكل جميع ما كان في بَيْتِنا ،

---

٢٢٥ نثر الدر ٢ : ٢٤٠–٢٤١ .
٢٢٦ نثر الدر ٢ : ٢٤١ .
٢٢٧ نثر الدر ٢ : ٢٤٠ .
٢٢٨ نثر الدر ٢ : ٢٣٩ .
٢٢٩ الأغاني ٣ : ٦٥ وعيون الأخبار بإيجاز ٣ : ٢٢٦ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٤ والمستطرف ١ : ١٨٠ .
٢٣١ الأغاني ٣ : ٦٥ وقارن بعيون الأخبار ٣ : ٢٢٦ .

وبعثْنا إلى الجيرانِ نستقْرِضُ الخبْزَ ، فلما رأى الخُبْزَ قد اختلفَ عليه ، قال : كأنَّكم قد أَرسلتُم إلى الجيرانِ ؟ أَما عندكم سَوِيقٌ ؟ قلنا : بلى ، فجئتُه بجرابٍ في طولي ، وبَرْنِيَّةٍ فيها نَبيذٌ ، فجعل يصبُّ النَّبيذَ على السويقِ حتى أَكل ما في الجرابِ .

٢٣٢ – ورُوِيَ أَنه جلس على زَوْرَقٍ فيه تَمْرٌ ، فاستأْذَنَ صاحبه في أن يأْكُلَ منه ، فظنَّه يأْكُلُ كالناسِ ، فغطَّى التمرَ بالبَواري وأَكل ، وجعل يُلْقي النَّوى فيه إلى أن أَتى على التمرِ ، وكُشِف الزورقُ فإذا هو ملآن من النوى ، ولا تَمْرَ فيه .

٢٣٣ – ومنهم محمد بن علي بن عبدالله بن العبَّاس . ذكر الجاحظُ أَنَّه أَكل يوماً جَنَبيْ بَكْرٍ شِواءٍ بعد طعامٍ كثيرٍ ، ومائةَ تَمْرَةٍ من تَمْرِ الهيرون بما حملتْ من الزُّبدِ ومائةَ نباجة[1] .

٢٣٤ – رُوِيَ أَنَّ الواثقَ كان أَكولاً ، وأَنَّه أَمرَ باتّخاذِ بزماوَرْدٍ[2] ، وأن يُفْرَشَ في صَحْنٍ واسعٍ على أَنْطاعٍ ، فلمّا قعد لأَكْلِهِ ، أَكل منه مساحةَ قفيزَيْنِ .

٢٣٥ – ومن المشهورين بالنَّهَمِ أَحمدُ بنُ أَبي خالدٍ الأَحولُ وزيرُ المأمونِ . وكان المأمونُ إذا وجَّهَهُ في حاجَةٍ أَمرَهُ أَن يتغدَّى ويَمْضي .

٢٣٦ – ورُفِع إلى المأمونِ في المظالمِ : إنْ رأى أَميرُ المؤمنين أَن يُجْرِيَ على ابنِ أَبي خالدٍ نُزُلاً ؛ فإنَّ فيه كَلْبِيَّةً ، لأَنَّ الكلْبَ يحرسُ المَنْزِلَ بالكِسْرَةِ ، وابن أَبي خالدٍ يقتلُ المظلومَ ويُعينُ الظالمَ بأَكْلَةٍ . فأَجرى عليه المأمونُ في كلِّ يومٍ أَلْفَ

---

٢٣٢ الأغاني ٣ : ٦٦ .
٢٣٣ نهاية الأرب ٣ : ٣٤٥ بإيجاز .
٢٣٥ نثر الدر ٢ : ٢٤٤ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٥ .
٢٣٦ نثر الدر ٢ : ٢٤٤–٢٤٥ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٥ .

---

١ الكلمة غير واضحة في المخطوطة وقد وقفت نهاية الأرب عند جنبي «الشواء بعد طعام كثير» ، والنباج : طعام جاهلي (محيط المحيط) .
٢ بزماورد : طعام من بيض ولحم (القاموس) .

درهمٍ لمائدتِهِ ، وكان مع ذلك يَشْرَهُ إلى طعامِ الناس .

٢٣٧ – ولمّا انصرف دينار بن عبدالله من الجَبَل ، قال المأمون لأحمدَ بنِ أبي خالدٍ : امضِ إلى هذا الرجلِ وحاسِبْهُ ، وتقدَّم إليه بحَمْلِ ما تحصَّل لنا عليه . وأنفذ معه خادِماً [يُنهي إليه] ما يكون منه ، قال : إنْ أكل أحمد عند دينارٍ ، عاد إلينا بما نكره . ولمّا اتّصل خبرُ أحمد بدينـارٍ ، قال للطباخِ : إنَّ أحمدَ أشْرَهُ من نُفِخَ فيه الروحُ ، فإذا رأيْتَـهُ فقل : ما الذي تأمُرُ أن يُتَّخَذَ لك ؟ ففعل الطبّاخُ ، فقال أحمد : فراريجُ كَسْكَرِيَّةٌ بماءِ الرمَّانِ ، تُقَـدَّمُ مع خُبْزِ الماءِ السميدِ ، ثم هاتِ بعد ذلك ما شِئْتَ . فابتدأ الطبَّاخُ بما أمرَ . وأخذ أحمد يكلِّمُ ديناراً فقال : يقول لك أميرُ المؤمنين : إنَّ لنا قِبَلَكَ مالاً قد حَبَسْتَهُ علينا : فقال : الذي لكم ثمانيةُ آلافِ ألْفٍ ، قال : فاحملها ، قال : نعم . وجاء الطبَّاخُ فاستأذنَ في نَصْبِ المائدةِ ، فقال أحمدُ : عجِّل بها ، فإني أجْوَعُ من كَلْبٍ . فقُدِّمَتْ وعليها ما اقترَحَ ، وقُدِّمَ الدجاجُ وعشرون فرُّوجاً كَسْكَرِيَّةً ، نِصْفُها بماءِ الحِصْرِمِ ، ونِصْفُها بماءِ الرمانِ . فأكَلَ أكْلَ جائعٍ نَهِمٍ ما ترك شيئاً ممّا قُدِّمَ ، ثم نقل الحار والبارد فما مرَّ لونٌ إلا أثر فيه ، فلما فرغ وقَدَّر الطباخُ أنَّه قد شَبِعَ ، لوَّحَ بطيفوريةٍ فيها خَمْسُ سَمَكاتٍ شبابيط كأنَّها سبائكُ الفِضَّةِ ، فقال له أحمد : قطع الله يمينك ! ألا قدَّمْتَ هذا ؟ ولكن هاتِها ، فوضعها بين يَدَيْهِ ، فأكل أكْلَ من لم يأكُلْ قَبْلَـهُ شيئاً ، ثم رُفِعت المائدةُ وغسلوا أيديَهم ، وأعاد أحمدُ الخِطابَ ، فقال دينارٌ : أليس قد عرَّفْتُكَ أنَّ الباقي لهم عندي سبعةُ آلافِ ألفٍ ، فقال : أحسَبُكَ اعترَفْتَ بأكثر من هذا ، قال : ما اعترفْتُ إلا بها ، قال : فأْتِ خطَّك بما اعترفْتَ ، فتناول القلمَ وكتب بستَّةِ آلافِ ألْفٍ . فقال أحمد : سبحان الله ! أليس اعترَفْتَ بأكثر من هذا ؟ قال : ما لكم قِبَلي إلا هذا المِقْدار . فأخذ خَطَّه بها ، وتقدَّم الخادمُ فأخبرَ المأمونَ بما جرى ، فلما ورد أحمد ناوله الخطَّ ، فقال : قد عَرَفْنا ما كان من

٢٣٧ نثر الدر ٢ : ٢٤٣–٢٤٤ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٥ .

الألف ألفِ بتناولِ الغَداء ، فما بالُ الألف ألفِ الأُخْرى ؟

وكان المأمونُ بعد ذلك يقول : ما أُعلمُ غَداءً قام على أَحدٍ بألفَيْ أَلْفٍ إلا غداء دينارٍ . واقتصر الخطُّ ولم يتعَقَّبْهُ كرماً ونُبْلاً .

٢٣٨ – ومنهم أَبو العاليةِ . حملتْ امرأَته فحلفَتْ إنْ ولدَتْ غُلاماً لَتُشبِعَنَّ أَبا العاليةِ خبيصاً ، فولدت غلاماً فأطعمته ، فأكل سبع جفان ، فقيل له : إنها حلفت أن تشبعك خبيصاً ، فقال : واللهِ لو علمت ما شبعتُ إلى الليلِ .

٢٣٩ – ومنهم أَبو الحسنِ بن العلاف ، وهو ابن أَبي بكر بن العلاف الشاعر المعروف . دخل إلى المُهلبيِّ الوزير يوماً ، فأنفَذَ الوزيرُ مَنْ أَخذَ حمارَهُ الذي كان يركبُه من غُلامهِ وأَدخله إلى المطبخِ ، وذُبح وطُبخ لحمُه بماءٍ ومِلْحٍ ، وقُدِّمَ إليه ، فظنَّ أنَّه لحْمُ بَقَرٍ فأَكله ، فلمّا خرج وطلب الحمارَ قيل : قد أَكَلْتَهُ ، وعوَّضه الوزيرُ عنه ووصله .

٢٤٠ – قُدِّم إلى بعضِهم ، وهو يأْكلُ مع جماعة ، بقيلة فمدَّ يَدَهُ إلى البيضةِ وقال : إنَّه لا يأكلُها إلا شَرِهٌ ، ولا يتركُها إلا عاجزٌ . ولأَنْ أَكونَ شَرِهاً أَحبّ إليَّ من أَنْ أَكون عاجزاً .

٢٤١ – وقال : كان بعضُهم إذا قُدِّمَ الخِوانُ أَوَّلَ مَنْ يتقدَّمُ ثم يقول : ﴿وعجلتُ إليكَ ربِّ لِتَرْضى﴾ (طه : ٨٤) .

٢٤٢ – وقيل لآخَرَ : لِـمَ أَنْتَ حائلُ اللونِ ؟ قال : للفَتْرَةِ بين القَصْعتَيْن مخافَةَ أَنْ يكونَ قد فَنِيَ الطعامُ .

٢٤٣ – سُئِلَ الحارثيُّ عن الأَسواريِّ فقال : ما ظنُّكم برجلٍ نَهشَ بُضْعَةَ

---

٢٣٨ نثر الدر ٢ : ٢٥٠ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٦ .
٢٣٩ نثر الدر ٢ : ٢٤٩ ونهاية الأرب ٣ : ٣٤٦ .
٢٤٠ نثر الدر ٢ : ٢٣٩ .
٢٤١ نثر الدر ٢ : ٢٤٠ .
٢٤٢ نثر الدر ٢ : ٢٤٠ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٤٠ .
٢٤٣ عيون الأخبار ٣ : ٢٢١ .

لحْمٍ ، فاقتلع ضِرْسَهُ وهو لا يعلمُ ، وكان إذا أَكل ذهب عَقْلُهُ ولم يَسْمَع ولم يُبْصِر ، وكان يأكلُ التمر سَفّاً ، ويَزْدَرِدُهُ زَرْداً ، وإذا وجده كثيراً تناول القطعةَ منه كجمجمة [الثور] ثم كَدَمَها ونهشها طولاً وعرْضاً ، ورَفْعاً وخَفْضاً ، حتى يأتي عليها ، ثم لا تَقَعُ عضَّته إلا على الأَنْصافِ والأَثْلاثِ ، ولا رمى بنَواةٍ قطُّ ، ولا نَزَع قِمْعاً ، ولا نفى عنه قِشْراً ، ولا نَفَضَ منه السُّوسَ ولا غَيْرَهُ .

٢٤٤ – قال الأَصمعيُّ : دخلتُ يوماً على الرشيدِ ، فأُتي بفالوذج مُفْرِطِ الحرارةِ ، فقُلْتُ : أُحدِّثُك يا أَميرَ المؤمنين بحديثٍ إلى أَن يَفترُ ، فقال : هاتِ ، قلتُ : كان مزرِّدٌ أَخو الشَّمَّاخِ غُلاماً شَرِهاً جَشِعاً ، وكانت أَمُّه تُؤْثِرُ عليه إِخْوَتَه في الطعامِ ، فغابت يوماً في بَعْضِ الحقوقِ وخلَّفت مزرِّداً في الرَّحْلِ ، فأَخذ صاعاً من عَجْوَةٍ ، وصاعاً من سَمْنٍ ، وصاعاً من دقيقٍ . فضربَ بَعْضَه ببَعْضٍ وجعل يأكلُ ويقولُ : [من الطويل]

ولـمّا غَدَتْ أُمّي تزورُ بناتِها … أَغرْتُ على العِكْمِ الذي كان يُمْنَعُ

لَبَكْتُ بصاعَيْ حِنْطَةٍ صاعَ عَجْوَةٍ … إلى صاعِ سَمْنٍ فوْقَهُ يتريَّعُ

وقلتُ لِبَطْني ابْشِرِ اليومَ إنَّه … قِرى أُمِّنا ممّا تحوزُ وتَمْنَعُ

فإنْ كُنْتَ مصفوراً فهذا دواؤهُ … وإنْ كُنْتَ غَرْثاناً فذا يومُ تَشْبَعُ

فضحك الرشيدُ وقال : يا أَصمعي ، كُلْ باسم الله ، هذا يومُ تَشْبَعُ .

٢٤٥ – قال الناجم : دعا قومٌ أَبا عثمانَ الجاحظَ ، فَلما قُرِّبت المائدةُ قال : [إني صائم] . فبينما هم يأكلون إذْ قُرِّبَ على المائدةِ جَدْيٌ شهيٌّ ، فلمّا رآه ، حَسَرَ عن ذِراعَيْهِ وازْدَلَفَ إليه ، فقيل له : أَلـمْ تكُنْ صائماً ؟ فقال : الأَيامُ أَكْثر من الجِداءِ.

٢٤٦ – قال أَحمد بن بشير : دخَلْتُ يوماً المسجدَ وإذا فيه رَقَبَةُ بن مَصْقَلة

---

٢٤٤ عيون الأخبار ٣ : ٢٠٤ والعقد ٦ : ٣٠١–٣٠٢ وديوان مزرد بن ضرار : ٧٩–٨٠ .

٢٤٦ انظر الخبر مفصلاً في العقد ٦ : ٢٩٤ .

العَبْديُّ يتقلَّبُ ، فقلتُ له : ما شأْنُكَ ؟ فقال : أنا قتيل [البنّي[1]] والفالوذج .

٢٤٧ – قال أحمد بن أبي خالد يوماً : السميدَةُ الحارَّةُ تزيدُ في العُمُرِ ، فقيل له : وهل يزيدُ في العُمُرِ شيء ؟ قال : نعم ، طعامُ أميرِ المؤمنين يزيدُ في العُمُرِ بلا مِرْيَةٍ ولا خلافٍ . فبلغ ذلك المأمونَ فأحضَرَهُ وقال : يا أحمد ، إنَّ طعامي يزيدُ في العُمُرِ ؟ قال : أي واللهِ ، ولقد قرأْتُ في مولدي أني أموتُ وَقْتَ كذا ، فلما بلَغْتُهُ تأهَّبْتُ للمَوْتِ وتوقَّعْتُهُ ، فاعتَلَلْتُ ولم أشكَّ أنَّ مَنِيَّتي قد أتتني . فكان سببَ بُرْئي سميدةٌ حُمِلت إليَّ من مطبخِ أمير المؤمنين ، فأكَلْتُها فكأنَّما أُنْشِطْتُ من عِقالٍ . فضحك المأمونُ وقال : لقد استَحْوَذَ عليك شيطانٌ مَريدٌ فأغْراكَ بالأَكْلِ .

٢٤٨ – قال الحجَّاجُ يوماً لجُلسائه : أيُّ صوتٍ سمعه أحدُكم أحْسَنُ ؟ فقال بعضُهم : صوتُ قارىءٍ حَسَنِ التلاوةِ لكتابِ اللهِ في جَوْفِ الليل . قال : إنَّ ذلك لَحَسَنٌ . قال آخَرُ ، أصْلحَ اللهُ الأميرَ ، ما سمِعْتُ صوتاً أعجَبَ إليَّ من أني كُنْتُ تركْتُ المرأةَ ماخِضاً ، وخرَجْتُ إلى المجلسِ ، فأتاني آتٍ فقال : أبْشِر بغُلامٍ ! فقال الحجَّاجُ : يا حُسْناه ! قال آخر : أصلح اللهُ الأميرَ ، ما سمِعْتُ صوتاً أحْسَنَ في سمعي مِنْ أني كُنْتُ قائدَ جَيْشٍ ، فسَرَّحْتُ الخَيْلَ في نَحْرِ العُداةِ ، فجاءَ جاءٍ فقال : أبْشِر بالفَتْحِ . فقال شُعبة بن علقمة التميميُّ : لا واللهِ ما سمعتُ قطُّ أعجبَ إليَّ من أن أكون جائعاً مع قَوْمٍ جياعٍ ، فأسمع قعقعةَ الخِوانِ خَلْفَ ظَهْري . فضحك الحجَّاجُ وقال : أبيْتُم يا بني تميمٍ إلا حُبَّ الزادِ .

٢٤٩ – وبنو تَميمٍ يُذمُّون بالجَشَعِ ، وسببُ ذلك أنَّ عمرو بن هِنْد [قُتل] أخوه وهو طفل في حِجْر زرارةَ بن عُدَس ، فآلى ليقتُلَنَّ من بني دارمٍ مائةً وليحرقنَّهم بالنارِ ، فأعْوَزَهُ واحدٌ من المائةِ ، وإذا راكبٌ من البراجمِ قد أقْبَلَ حين

---

٢٤٩ انظر خزانة الأدب ٦ : ٥٢٤–٥٢٦ والمثل «إن الشقي وافد البراجم» في كتب الأمثال .

---

[1] البني : نوع من السمك .

شمَّ القُتارُ ، فلمّا رآه قال له : ممَّن أنتَ؟ قال : من البراجم ، قال : ما جاء بك؟ قال : شممْتُ القُتارَ فظننته طعاماً ، فقال : إنَّ الشقيَّ راكبُ البَراجمِ ، وألقاه في النارِ .

٢٥٠ – ولمّا أمر كِسْرى بقَتْلِ بني تميمٍ لأَخْذِهم اللطيمة ، خدَعهم هَوْذَةُ بن عليّ الحَنَفيُّ بالطعامِ ، وقال : إنَّ الملكَ أمرَ أن يُفرِّقَ فيهم الزادُ ، فاجتمعوا ، فكان يُدخِلُ الرجلَ منهم إلى المُشَقَّرِ – وهو حِصْنٌ باليمامةِ – بحُجَّةِ الزادِ فيقتلَه ، إلى أن قتل منهم عدداً ، وفَطِن أحدُ الباقين . وهو خَبَرٌ مذكورٌ مَشْهورٌ يُذكَرُ في أخبارِ العربِ . وهَجْوُهم بذاك وَرَد في الهجاء .

٢٥١ – وُصِف لسابور ذي الأكْتافِ رجلٌ من إصْطَخْر أمضى القُضاةِ ، فاستَقْدَمَهُ فدعاه إلى الطعامِ ، فأخذ دجاجةً فنَصَفَها ، ووضع نِصْفَها بين يَدَيْهِ ، وأتى عليه قَبْلَ فراغِ الملكِ ، فصرفه إلى بلدِهِ وقال : إنَّ سَلَفَنا كانوا يقولون : مَنْ شَرِهَ إلى طعامِ الملوكِ ، كان إلى مالِ الرعايا والسُّوقةِ أشْرَهَ .

٢٥٢ – شاعرٌ يصفُ أكولاً جَشِعاً : [من الرجز]

يلقمُ لَقْماً ويُفَدِّي زادَهُ　　　يرمي بأمثالِ القَطا فؤادَهُ

٢٥٣ – وصف بعضُ أهلِ الشامِ الأكْلَ فقال : إذا أكَلْتَ فانْزِل على رُكْبَتَيْكَ ، وافتحْ فاكَ ، واجْحَظْ عينَيْك ، وافرِجْ أصابعَكَ ، وأعظِمْ لُقْمَتَكَ ، واحتَسِبْ نَفْسَكَ .

٢٥٤ – أكل أبو الأسودِ وأقْعَدَ معه أعرابيّاً فرأى لَقْماً مُنْكَراً ، فقال : ما اسْمُكَ ؟ فقال : لقمانُ ، قال : صدقَ أهلُكَ ، أنْتَ لقمان .

٢٥٥ – أعرابي : [من الطويل]

ألا ليْتَ لي خُبْزاً تَسَرْبَلَ رائباً　　　وخَيْلاً من البَرْنيِّ فُرسانُها الزُّبْدُ

---

٢٥٠ انظر خبر هوذة بن علي ويوم الصفقة في الأغاني ١٧ : ٢٣٧–٢٤١ .
٢٥٤ عيون الأخبار ٣ : ٢٢٨ .
٢٥٥ عيون الأخبار ٣ : ٢٠٢ ومعه في العقد بيت آخر ٣ : ٤٨٤ .

الفصل الرابع
في التطفُّلِ وأخبار الطُّفَيْليين

٢٥٦ – العربُ تقول للطفيليِّ : الوارِش ، والراشِنَ .

وقيل : إنَّه منسوبٌ إلى طُفيل بن زلال الغطفانيِّ وكان من أَهْلِ الكوفةِ ، يحضرُ الولائمَ من غَيْرِ أن يُدْعى إليها ، فسُمِّي طُفَيْلَ العُرْسِ .

وقيل : هو مأخوذٌ من الطَّفَلِ وهو الظُّلْمَةُ ، لأَنَّ الفقيرَ من العربِ كان يحضر الطعامَ الذي لم يُدْعَ إليه مُتَسَتِّراً بالظُّلْمَةِ لئلا يُعْرَفَ .

وقيل : سُمِّي بذلك لإظْلامِ أَمرِهِ على الناسِ ؛ لا يُدْرى مَنْ دعاهُ .

وقيل : بل من الطَّفَلِ لهُجومِهِ على الناسِ كهجومِ الليلِ على النهارِ ، فيكون من الظُّلْمةِ . ولذلك قيل : أَطْفَل من ليلٍ على نهارٍ .

٢٥٧ – وأشهر من نُسِبَ إليه هذا الاسمُ ، وكَثُرت الحكاياتُ عنه في هذا الشأن بَنان الطفيليُّ ، وهو عبدالله بن عثمان ، ويُكنى أَبا الحسن ، [ويكنى بَنان] وأَصله مَرْوَزيٌّ وأَقامَ ببغداد .

٢٥٨ – قال الجاحظ : قال بنان : حفظتُ القُرآن ونَسيتُه جميعَه إلا حَرْفَيْن : ﴿آتِنا غَداءَنا﴾ (الكهف : ٦٢) .

٢٥٩ – وقيل له : تروي من الشعرِ شيئاً ؟ فقال : بيتاً واحداً : [من البسيط]

---

٢٥٦ نثر الدر ٢ : ٢٥٤ ونهاية الأرب ٣ : ٣٢٣ والمثل «أطفل من ليل على نهار» في كتب الأمثال انظر الدرة الفاخرة ١ : ٤٤١/٤٤٥ والعسكري ٢ : ١٤ والزمخشري ١ : ٢٢٤ والميداني ١ : ٤٤١/١٥٧ .

٢٥٧ نهاية الأرب ٢ : ٢٣٥ .

٢٥٨ نثر الدر ٢ : ٢٣٥ .

٢٥٩ نثر الدر ٢ : ٢٣٦ والعقد ٦ : ٢١٢ .

نزورُكم لا نُؤاخذكم بجفْوَتِكم   إنَّ الكريمَ إذا لم يُسْتَزَرْ زارا

٢٦٠ – وقيل لِبَنانٍ : من دَخَل إلى طعامٍ لم يُدْعَ إليه دَخَل لصّاً وخرج مُغيراً . والمعنى أنَّه يأكُل حَراماً . فقال : ما آكلُه إلا حلالاً ، قيل : كيف ؟ قال : أليس يقولُ صاحبُ الوليمةِ للطبَّاخِ : زِدْ في كلِّ شيءٍ ؟ فإذا أراد أن يُطعمَ مائةً ، قال : قَدِّرْ لمائةٍ وعشرين ، فإنَّه يجيئنا من نُريدُ ومَنْ لا نُريدُ ، فأنا ممَّن لا يُريدُ .

٢٦١ – وكان [يقول] كثرةُ المَضْغِ تشد العود ، وتقوّي الأسنانَ ، وتدبغ اللِّثَةَ .

٢٦٢ – وأوْصى بَعْضَ أصحابهِ فقال له : إذا كُنْتَ على مائدةٍ فلا تتكلَّمنَّ في حالِ أكلِكَ ، وإنْ كلَّمَكَ مَنْ لا بُدَّ مِن جَوابِهِ ، فلا تُجبْهُ إلا بقَوْلِكَ : نعم ، فإنَّ الكلامَ يَشْغَلُ عن الأكْلِ ، وقولك نعم مضغه .

٢٦٣ – واجتمع إلى بنانٍ نَفَرٌ من أصحابهِ وأرادُوا وليمةً ، فقال : اللهمَّ لا تجعَلِ البوَّابَ لكَّازاً في الصدورِ ، دفَّاعاً في الظُّهورِ ، طرَّاحاً للقلانِسِ . هَبْ لنا رأفتَهُ وبِشْرَهُ ، وسَهِّل إذنَه . فلما دخلوا ، تلقَّاهم الخبَّازُ فقالوا : طَلْعَةٌ مبارَكةٌ موصولٌ بها الخِصْبُ ، ومعدومٌ معها الجَدْبُ . فإذا جلسوا على الخوان قال : جعل اللهُ فيكَ من البركةِ كعصا موسى ، وخِوانِ إبراهيم ، ومائدة عيسى . ثم قال لأصحابه : افتحوا أفواهكم ، وأقيموا أعناقكم ، وأجيدوا اللَّقْمَ ، وأسرعوا اللفَّ ، ولا تمضغوا مَضْغَ المتعلِّلين الشِّباعِ ، واذكروا سوءَ المُنقَلبِ ، وخيْبَةَ المُضْطرِ .

٢٦٤ – وقال رجلٌ لِبَنانٍ : أُدعُ لي ، قال : اللهم ارزُقْهُ صحَّةَ الجِسْمِ ، وكثْرَةَ الأكْلِ ، ودوامَ الشَّهْوَةِ ، ونقاءَ المَعِدَةِ ، وأمْتِعْهُ بضِرْسٍ طحونٍ ، ومَعِدَةٍ هضومٍ ، مع السَّعَةِ والدَّعَةِ والأمن والعافية . وقال : هذه دَعَواتٌ مغفولٌ عَنْها .

---

٢٦٠ نثر الدر ٢ : ٢٥٢ .
٢٦٤ نثر الدر ٣ : ٣٢٤ .

٢٦٥ – ومن المشهورين بالتطفيلِ عثمان بن درَّاج مولى كِنْدَة ، ويُكنّى أَبا سعيدٍ ، وكان في زمنِ المأمونِ ، وفيه أَدَبٌ .

٢٦٦ – وقال له مرَّةً : [أتطفّل على] الرؤوسِ ؟ قال : كيفَ لي بها ؟ قالوا : إنَّ فُلاناً وفُلاناً قد اشتَرَوْها ودخلوا بستانَ ابن بزيع ، فخرج يُحْضِرُ خوفاً من فَوْتِهم فوجدهم قد اشتَرَوْها ، فاستعبر وتمثّل بقول الرّقاشيِّ : [من الرجز المجزوء]

آثـارُ رَبْـعٍ قَـدُما أعيا جَوابي صَمَما
كان لسُعدى علما فصار وَحْشاً رِمَما

٢٦٧ – وكان ابن درَّاجٍ يَغْشى سعيد بن عبد الكبير الخطّابيَّ ، فقال له : ويحك ، إنّي أَضِنُّ بأَدبك وبك عمَّا أَنْتَ عليه من التطفيلِ ، ولي وظيفةٌ راتبةٌ في كلِّ يومٍ ، فالزَمْني وكُنْ مَدْعُواً أَصلح لك ممّا تَفْعَلُ ، فقال : يرحمك الله ! فأَين لـذَّةُ الجديد وطيب التنقُّل من مكانٍ إلى مكانٍ ؟ وأَين وظيفتُك من احتفالِ العُرْسِ ، وأَلوانُك من أَلوانِ الوليمةِ ؟ فقال : أَما إذا أَبيْتَ هذا ، فإذا ضاقَتْ عليك المذاهبُ فائتني ، قال : أَمَّا هذا فنعمٌ .

٢٦٨ – قال أَبو عليّ بن الزمكدم في أَبي إسحاق بن حجر الأَنطاكيِّ : [من الرجز]

جارٌ لنا أَطْفَلُ من ذُبابِ على طعامٍ وعلى شَرابِ
أَدْوَرُ في المَوْصلِ من دولابِ يدخُلُ بالحيلةِ في الأَنْقابِ
لا يَفْرَقُ الردَّ من البوّابِ يحملُ حَمْلاتِ أَبي تُرابِ

---

٢٦٥ الأغاني ١٦ : ١٨٦ .
٢٦٦ الأغاني ١٦ : ١٨٥ [مع بعض الاختلاف] .
٢٦٧ الأغاني ١٦ : ١٨٦ ونهاية الأرب ٣ : ٣٢٥ وفيهما سعيد بن عبد الكريم الخطابي .

٢٦٩ – قال طفيليٌّ لصاحبٍ له : إذا دخلْتَ عُرْساً فلا تتلفَّت تلفّتَ المُريبِ ، وتَخيَّر المجلسَ ، وأجِدَّ ثيابَكَ ، ولا تأكل الكزمازك[1] [؟] مطوياً فإنَّه يعديك ، كُلْهُ مشوَّشاً فإنَّه أطْوعُ للأضراسِ وأسْهَلُ في المَضْغِ . وإذا [أكلتَ] فكُلْ أبداً ، فإنْ مُتَّ مُتَّ شهيداً .

٢٧٠ – ومن وصيَّةِ أحدِهم لصاحبه : إذا دخلْتَ إلى عُرْسٍ كثير الزِّحام ، فَمُرْ وآنْهَ ، ويكونُ كلامُكَ بين النصيحةِ والإدلالِ ، فإني دخلْتُ يَوْماً إلى وليمةٍ ، وقد صنع الطبَّاخُ بزماوردٍ ليضَعه وَسطَ المائدةِ عند الفَراغ من الطعام ليطلب الراشنَ ، فقلت له : استأذَنْتَ صاحبَنا ؟ فقال : وهذا ممّا يُسْتأْذَنُ فيه ! ؟ فقُلْتُ : أسَكْران أنْتَ ؟ تريدُ أن يَغْرَمَ أحدُهم أكثر ممّا أكل ، وتُنغِّصَ عليه ؟ وصاحبُ الوليمةِ لا يرضى بهذا . ولولا خوفي لائمتَه لم آسف عليك بشيءٍ يصيرُ إليك ، فقال : هل لك في باب يكفيني [. . .] نِصْفَ ما أصَبْت ؟ فقلتُ : أفْعَلُ ، ولزِمْتُهُ ، وجعلتُ آكُلُ كلَّ شيءٍ أشتهيه ، وآمرُ وأنْهى ، وهو يظنُّ أنَّ بيني وبين صاحبِ الدارِ حُرْمةً أو قرابةً ، ثم قاسَمْتُهُ على ما أصاب وخَرَجْتُ .

٢٧١ – وقال شاعرٌ يذكر طُفيليّاً : [من الرجز]

ويعربيٍّ خالـعِ العـذارِ ⠀⠀ أطْفَلَ من ليلٍ على نهارِ
أثبتُ في الدارِ من الجدارِ ⠀⠀ يشربُ بالكبارِ والصغارِ
كأنَّه في الدارِ ربُّ دارِ

٢٧٢ – ضَمَّ عثمانَ بن درَّاجٍ السَّفَرُ ورفيقاً له ، فقال له الرفيقُ : انهضْ إلى

---

٢٦٩ بعضه في نهاية الأرب ٣ : ٣٢٤ .
٢٧٢ محاضرات الراغب دون نسبة وبعض اختلاف ٢ : ٦٤٠ .

---

[1] في محيط المحيط : الكزمازك هو حب الأثل أي عفص الطرفاء .

السوقِ فاشْتَرِ لنا لَحْماً ، فقال : واللهِ ما أَقْدِرُ ، فمضى الرفيقُ واشترى اللحمَ ، ثم قال لعثمان : قُم الآنَ فاطبخ القِدْرَ ، قال : والله ما أَقْدِرُ ، فطبخها الرفيقُ ، ثم قال : قُم الآن [فاثرُدْ ، قال] : واللهِ إنِّي لأَعجزُ عن ذلك ، فثرد الرفيقُ ، ثم قال : تعال الآن فكُلْ ، فقال : والله لقد استحْيَيْتُ من كَثْرَةِ خِلافي عليكَ ، ولولا ذلك ما فَعَلْتُ .

٢٧٣ – وقال طُفَيْلِيٌّ : [من الخفيف]

قابلٌ إنْ جَرى عليَّ هوان ... في سبيلِ الحَلْواء والجُوْذابِ[1]

٢٧٤ – قال الأَصمعيُّ : كان بالبصرةِ أَعرابيٌّ من بني تميم يُطفِّلُ على الناسِ ، فعاتَبْتُهُ على ذلكَ ، فقال : واللهِ ما بُنِيتْ المنازِلُ إلا لتُدْخَل ، ولا وُضِعَ الطعامُ إلا ليُؤْكل ، وما قدَّمتُ هَدِيَّةً فأَتوقَّع رسولاً ، وما أَكْرَهُ أَن أَكونَ ثِقْلاً ثقيلاً على مَنْ أَراه شَحيحاً بخيلاً ، أَهجُمُ عليه مُسْتَأْنِساً ، وأَضحكُ إن رأَيْتُه عابساً ، فآكلُ برَغْمِهِ ، [وأدعه بغمّه] ، وما اخترقَ اللَّهواتِ طعامٌ أَطيبُ من طعامٍ لم يُنْفَقْ فيه دِرهم ، ولم يُعَنَّ إليه خادِم .

٢٧٥ – أَولم طفيليٌّ على ابنتِه ، فأَتاه كلُّ طفيليٍّ في البلدِ ، فلما رآهم عرفهم ، فرحَّبَ بهم ثم أَدخلهم فرقَّاهم إلى غُرْفةٍ بسُلَّمٍ ، وأَخذ السُلَّمَ حتى فرغ من إطعامِ الناسِ ، فلمّا لم يَبْقَ أَحدٌ أَنْزَلهم وأَخرَجَهُم .

٢٧٦ – وقال طفيليٌّ : مَنْ جلس على مائدةٍ وأَكْثَرَ كلامَهُ غَشَّ بَطْنَهُ .

---

٢٧٤ نثر الدر ٢ : ٢٣٥ وقارن بنهاية الأرب ٣ : ٣٢٧ .
٢٧٥ نثر الدر ٢ : ٢٣٥ .
٢٧٦ نثر الدر ٢ : ٢٣٥ .

---

[1] الجوذاب : في محيط المحيط هو طعام يتخذ من سكر ورز وجوز ولحم ، والجوذابة قلّة تخبز في التنور معلقاً فوقها طائر أو لحم يشوى فيسيل ودكه عليها .

٢٧٧ – كان نَقْشُ خاتَمِ بَنانٍ الطُّفيليِّ : ما لكم لا تأكلون .

٢٧٨ – وكان يقولُ لأصحابه : إذا دخلتُم فلا تلتفتوا يميناً ولا شمالاً ، وانظروا في وجُوه أَهْلِ المرأةِ وأَهْلِ الرجلِ حتَّى يُقَدِّرَ هؤلاء أنكم من هؤلاء ، وكلِّموا البوَّابَ برفقٍ ، فإنَّ الرِّفْقَ يُمْنٌ ، والخُرْقَ شُؤْمٌ ، وعليكم مع [البواب بكلامٍ] بين كلامين ، بين الإدلالِ والنَّصيحةِ .

٢٧٩ – نظر طفيليٌّ إلى قَوْمٍ ذاهبين في وَجْهٍ ، فلم يشكَّ أنَّهم يذهبون إلى وليمةٍ . فقام وتَبِعَهُم ، فإذا هُم شُعراءُ قد قصدوا بابَ السلطانِ بمدائح لهم . فلما أَنْشَدَ كلُّ واحدٍ منهم شِعْرَهُ وأخذ جائزتَه ، ولم يَبْقَ إلا الطفيليُّ وهو جالسٌ ساكتٌ ، قيل : أَنْشِد ، قال : لستُ بشاعرٍ . قالوا : فمَنْ أَنْتَ ؟ قال : من الغاوين الذين قال اللهُ تعالى فيهم : ﴿والشُّعراءُ يَتَّبِعُهم الغاوون﴾ (الشعراء : ٢٢٤) . فضحك الممدوحُ وأمر له بمِثْلِ جائزةِ الشُّعراء .

٢٨٠ – دخل طفيليٌّ إلى قَوْمٍ ، فقالوا : ما دَعَوْناكَ ، فما الذي جاء بك ؟ قال : إذا لم تدعوني ولم أَجِىءْ ، وَقَعَتْ [وحشة] ، فضحكوا وقرَّبوه .

٢٨١ – ومِثْلُ ذلك ما حُكي عن [طفيلي] كان يحضرُ على طبقِ عميدِ الدولةِ أبي منصور بن جُهَير في شهرِ رمضان ويُضحكُه ، فأمر له بشيءٍ وحجبه عن الطبقِ ترفّعاً عن الهَزلِ ، فتأخَّرَ أياماً ثم حضر ، فلما رآه قال : ما موجبُ الحضورِ بعدما أمرناك به ؟ قال : إذا لم يَسْتَحْضِرني مولانا ، ولم أَحضُر أنا ، صارَتْ وَحْشَة ، فضحك منه واستمرَّ حضورُهُ .

٢٨٢ – والطفيليُّون يقولون : إنَّ المصليَّـةَ تُبَشِّرُ بما بعدها من كَثْرَةِ الطعامِ ، كما

---

٢٧٧ نثر الدر ٢ : ٢٣٧ ونهاية الأرب ٣ : ٣٢٤ .
٢٧٨ نثر الدر ٢ : ٢٣٧ .
٢٧٩ نثر الدر ٢ : ٢٣٨ .
٢٨٠ نثر الدر ٢ : ٢٣٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٣٨ ونهاية الأرب ٣ : ٣٢٨ .
٢٨٢ نثر الدر ٢ : ٢٤١ .

أنَّ البقيلةَ تُخَبِّرُ بفَنائِهِ ، فهم يَحْمَدون تلك ويُسمُّونها المُبَشِّرَةَ ، ويذمُّون هذه ويُسمُّونها الناعيةَ ، حتى صار المُخَنَّثون إذا شتموا إنساناً قالوا له : يا وَجْهَ البقيلة .

٢٨٣ – قال بنان : اذا قَعَدْتَ يوماً على مائدةٍ [وكان] موضعك ضَيِّقاً ، فقُل للّذي يليكَ : لعلي قد [ضيقت] عليك ، فإنَّه يتأخَّرُ إلى خلف ويقول : سبحانَ الله ! لا واللهِ يا أخي ! موضعي واسعٌ ، فيتَّسعُ عليك موضعُ رَجُلٍ .

٢٨٤ – وقال له طفيليٌّ : أَوْصني ، فقال : لا تُصادِفَنَّ من الطعامِ شيئاً فترفع يدكَ عنه وتقول : لعلّي أُصادِفُ ما هو أَطْيَبُ منه ، فإنَّ هذا عَجْزٌ وَوَهَنٌ . قال : زِدْني ، قال : إذا وجَدْتَ خُبْزاً فيه قِلَّةٌ فكُل الحروفَ ، فإن كان كثيراً ، فكُل الأوساطَ . قال : زِدْني ، قال : لا تُكثِرْ شُرْبَ الماء وأَنْتَ تأكلُ ، فيصدَّكَ عن الأَكْلِ ويمنعك من أن تستوفيَ . قال : زِدْني ، قال : إذا وَجَدْتَ الطعامَ فاجعله زادَك إلى [الله] .

٢٨٥ – كان بالبصرةِ طفيليٌّ يقال له أبو سلمة ، وكان إذا سمِع بذكْرِ وليمةٍ بادَرَ إليها ، وتقدَّمه ابنانِ له في زيِّ العُدول ، وبين أيديهم غلامٌ ، فإذا أتوُا البابَ ، تقدَّم العبدُ فقال : إفتَح ، هذا أبو سَلَمَة ، ثم يتلوه الآخرُ ويقولُ : ما تنتظر ؟ ثكلتكَ أمُّكَ ! قد جاء أبو سلمة ، ثم يجيءُ هو فيقولُ : افتح يا بُنيَّ ، فإنْ كان جاهلاً فَتَح ، وإن كان قد عرف أمْرَهُ وحُذِّرَ منه ، قال له : يا أبا سلمةَ ، أنا مأمورٌ . فيجلس وينتظر أن يجيءَ بعضُ مَنْ دُعيَ ، فإذا فُتِح له شِقُّ البابِ ، تقدَّم ابناهُ والعَبْدُ وفي كُمِّ كلٍّ واحدٍ منهما فِهْرٌ مُدَوَّرٌ مُلَمْلَمٌ يُسَمُّونه كَيْسان ، فيُلقونَه في دوَّارةِ الباب فلا يَنْصَفِقُ ، فيدخلون .

٢٨٦ – قيل لابنِ درَّاجٍ : كيف تصنعُ بالعُرْسِ إذا لم يُدْخلوك ؟ قال : أنوحُ

---

٢٨٣ نثر الدر ٢ : ٢٥٠ ونهاية الأرب ٣ : ٣٢٤ .
٢٨٤ نثر الدر ٢ : ٢٥٠ ونهاية الأرب ٣ : ٣٢٤ .
٢٨٥ نثر الدر ٢ : ٢٥٤ .
٢٨٦ نهاية الأرب ٣ : ٣٢٥ .

على البابِ . فيتطيَّرون فيُدخلوني .

٢٨٧ – قالَ نَصْرُ بن عليٍّ الجهضميُّ : كان لي جارٌ طُفيليٌّ ، فكنتُ إذا حَضَرْتُ إملاكاً أو دُعيتُ إلى مَدْعاةٍ ركبَ معي ، وجلس حيثُ أُجْلِسُ ، فيأكل وينصرف . وكان نظيفاً عطِراً حَسَنَ اللباسِ والمَرْكَبِ ، وكُنتُ لا أَعرِفُ من أمرِهِ إلا الظاهرَ . فاتَّفق لجعفر بن القاسمِ الهاشميِّ حقٌّ ، فدعا له أشرافَ البصرةِ ووجوهَها ، وهو يومئذٍ أَميرُ البصرةِ ، فقلتُ في نَفْسي : إنْ تَبعني هذا الرجلُ إلى دارِ الأَميرِ لأخزِيَنَّهُ . فلما [كان] يوم الحضور ، جاءَني الرسولُ فركبْتُ وإذا به قد تَبِعَني حتى دخل بدُخولي وارتفع معي حيثُ أُجْلِسْتُ . فلما حَضَرَنا الطعامُ ، قلت : حدَّثنا دُرُسْتُ بن زياد [عن أبان] بن طارق عن نافع عن ابن عمرَ قال : قال رسولُ الله ﷺ : مَنْ دخل إلى دارِ قَوْمٍ بغيرِ إذْنِهم دخل سارِقاً وخرج مُغيراً ، ومن دُعِيَ فلم يُجِبْ ، فقد عصى اللهَ ورسولَه . وظننتُ أني قد أسرفتُ على الرجلِ ، وقصرتُ من لسانهِ . فأَقْبَلَ عليٌّ وقال : أُعيذُكَ باللهِ يا أَبا عمرو من هذا الكلامِ في دارِ الأَميرِ ! فإنَّ الأَشرافَ لا يحتملون التعريضَ باللؤمِ ، وقد حَظَرَ الدينُ التعريضَ وعزَّر عليه عمَرُ ؛ ووليمةُ الأَميرِ [دعاءٌ لأهل مصره] فإنَّه سَليلُ أَهلِ السقايةِ والرِّفادةِ والمُطعمين الأَفضلين الذين هشموا الثريدَ ، وأَبرزوا الجفانَ لِمَنْ غدا إليها وراحَ . ثم لا تتورَّعُ – وأَنْتَ في بيتٍ من العِلْمِ معروفٍ – من أن تُحَدِّثَ عن دُرُسْتَ بن زياد وهو ضَعيفٌ عن أبان بن طارق وهو متروك الحديث بحُكمٍ رَفعه إلى النبيِّ ﷺ والمسلمونَ على خلافهِ ؛ لأَنَّ حُكْمَ السارقِ القَطْعُ ، والمُغيرُ يُعَزَّرُ على ما يَراهُ الإمامُ ، وهذانِ حُكْمانِ لا ينفذانِ على داخلٍ داراً في مَجْمَعٍ ، فيتناول لُقَماً من فَضْلِ اللهِ الذي آتى أَهْلَها ، ثم لا يُحدِثُ حدثاً حتى يخرج عنها ، وقد قال النبيُّ ﷺ : طعامُ الواحدِ يكفي الاثنين ، وطعامُ الاثنين

---

٢٨٧ نهاية الأرب ٣ : ٣٢٦–٣٢٧ والحديث «من دخل . . .» في عيون الأخبار ٣ : ٢٣١ والحديث «طعام الاثنين . . .» في ابن ماجة (رقم ٣٢٥٤) وفي البخاري (رقم ٥٠٧٧) بسند آخر .

يكفي الأَربعةَ ، حدَّثنا بذلك أَبو عاصمٍ النبيلُ عن ابن جُرَيْجٍ عن أَبي الزبيرِ عن جابرٍ عن النبيُّ ﷺ ، فأَيْنَ أَنْتَ عن هذا الحديثِ الصحيحِ الإِسنادِ والمَتْنِ ؟ قال نَصْرٌ : فأَصابتني خَجْلَةٌ شديدةٌ . ولمّا نظر الرجلُ إلى ما بي ، أَكل ونهض قَبْلي ، فلما خَرَجْتُ وجَدْتُه واقفاً على دابَّتِهِ بالبابِ ، فلما رآني ، تَبِعَني ولم يُكَلِّمني ولم أُكلِّمْهُ ، إلا أنني سمعتُه يتمثَّل : [من المتقارب]

ومَنْ ظنَّ ممَّن يُلاقي الحروبَ　　بأَن لا يُصابَ لقد ظنَّ عَجْزا

٢٨٨ – ابن المعتز : [من الوافر]

فأَطْفَلُ حين يخفى من ذُبابٍ　　وأَلْزمُ حين [تدعى] من قُرادِ

٢٨٩ – الحمدوني : [من الوافر]

أَراكَ الدَّهْرَ تطرقُ كلَّ دارٍ　　كأَمْرِ اللهِ يطرقُ كلَّ لَيْلَهْ

---

٢٨٨ ديوان ابن المعتز ١ : ٦٤١ .

الفصل الخامس
في أوصافِ الأَطعمةِ وفُنونها

قد ذكَرْتُ في بابِ الأَوصافِ والنُّعوتِ طرفاً من الأَشعارِ في نَعْتِ المآكلِ يليقُ بالمكانِ ، ويتضمَّن ما كان وصْفاً غريباً ، ونَعْتاً مُسْتَحْسناً ، ونذكر في هذا الموضعِ ما يقتضيه إذْ كان أَوْلى به .

٢٩٠ – خرج خالد بن صَفْوان إلى البُسْتانِ ، فلما قَدِم ، قيل له : من أَيْنَ أَقْبَلْتَ يا أَبا صفوان ؟ قال : من البُسْتانِ . قيل : فما أَكَلْتَ ؟ قال : أُتينا برُغْفانٍ قانيةِ الحُمْرَةِ ، صافيةِ الرُّقْعةِ ، فائقةِ الصَّنْعة ، تهفو بها الريحُ رقّة ، مع آنيةِ ماءٍ كأنها فُرّت من زُبْدَةٍ ، تَبَجَّسُ شَحْماً وتَقْطُرُ سَمْناً ، مع بقولٍ اجتُنِيَتْ لمّا أَيْنَعَتْ فهي خَضِرةٌ نَضِرَةٌ ، غَضَّةٌ بَضَّةٌ ، مع ساكنٍ دَنٍّ نسج عليه العنكبوتُ ، وسكن أَسافلُه فهو يروقُ ، لو أَلقَيْتَه على الشَّمْسِ لأَظْلَمَتْ ، ولو سافته حيَّةٌ لأرعفت ، ثم أُتينا بِبُسْرٍ مفلق أنضجته نارُهُ ، وانتقاه أَكّاره ، فهو لطيفُ النوى ، نَبيلُ اللِّحاء ، قد احمرَّ باطنُه وانجرد ظاهرُهُ ، وهشَّ مَكْسَرُهُ ، ففيهِ العَيْشُ كُلُّه .

٢٩١ – كُشاجِم يَصِفُ دَجاجةً : [من الرجز]

دَجاجةٌ في سِمَنِ السَّمَندِ	عظيمةُ الزَّوْرِ بصدرٍ نهدِ
أجريت منها في العقْدِ	مُرْهَفَةً ذات شباً وحد
ولم تَزَلْ بالماءِ كفُّ العبد	تَفْرقُ بين ريشِها والجِلْد
وغُلِيتْ بَعْدُ بماءِ الوَرْد	وصُبَّ فيها اللوزُ مثل الزَّبد
ثم أَتى يسعى بها المهدي	كأنما قد بُخِّرت بالنَّدّ

٢٩١ ديوان كشاجم مع اختلاف في ترتيب الرجز : ١٤٥–١٤٦ .

٢٩٢ – وقال أيضاً في حَمَلٍ مَشْويٍّ : [من الرجز]

لـمْ أَنْسَهُ في حُلَّةٍ حمراء   على خِوانٍ واسعِ الفَضاء
قد شُقَّ عن مكنونةٍ بَيْضاء   تُسْفِر عن مكِّيَّةٍ ملساء
مقرونةٍ بأختِها للرائي

٢٩٣ – قَدِمَ أعرابيٌّ الحَضَر ، فقيل له : أَيْنَ كُنتَ ؟ قال : كنتُ واللهِ عند كريمٍ خطيرٍ . أطعمني بنات التنانير ، وأُمَّهاتِ الأَبازير ، وحُلْوَ الطناجير ، ثم سقاني [من دم] القَوارير ، من يدِ غَزالٍ غَرير .

٢٩٤ – حسان : [من الطويل]

ثريدٌ كأَن الشمسَ في حُجُراتِهِ   نُجومُ الثُريّا أَو عيونُ الضَّياوِنِ

٢٩٥ – كان ملوكُ غَسَّانَ يُوصفون بالتَّرفُّهِ والنِّعمةِ ، فيقال : ثريدةُ غَسَّان كما يُقال فالوذ ابن جُدْعان ، ومضيرة ابن أَبي سفيان .

٢٩٦ – وكانت الأَكاسِرةُ تَحْظُرُ السِّكْباجَةَ على العامةِ وتقول : هي للملوكِ ، حتى ملك أَبَرْويز فأَطلقها لهم .

٢٩٧ – وكانت العربُ لا تعرفُ الأَلوانَ . إنَّما طعامُهم اللحمُ يُطبَخُ بماء ومِلْحٍ ، حتى كان زمن معاويةَ فاتَّخذ الأَلوانَ وفرَّقها وتنوَّقَ فيها .

٢٩٨ – قال بُزُرْجَمِهْر : في البطيخ عَشْرُ خِصال : هو رَيْحان ، [وتحية] وفاكهةٌ ، وإدامٌ ، وخَبيص مهيّأً ، ودواءٌ للمثانةِ ، وحرض للغُمرِ والزُّهومةِ ، ومُذْهِبٌ لرائحةِ النُّورةِ عند الاستحمام ، وكوزٌ لِمَنْ عَسُرَ عليه ماءٌ يُشْرَبُ فيه ،

---

٢٩٢ لم نعثر على هذا الرجز في ديوان كشاجم .
٢٩٤ ديوان حسان ١ : ٥١٩ .
٢٩٦ انظر محاضرات الراغب ٢ : ٦١٠ .
٢٩٧ المستطرف ١ : ١٧٧ .

وهاضوم للثقيل من الطعامِ .

٢٩٩ – أَبو نَصر الكاتب يصفُ القطايف والخشكنانات :

قطائفُ عراقيُّ النَّشر بغداديه ، عسكريُّ الحَشْوِ طَبَرْزِيُّه ، ممَّا عُنِيت الأَذهانُ بتصويرِهِ ، ونَصبت اليدانِ لتَقْديرِهِ وتَدْويرِهِ ، وأَبرَزَتْهُ كالبَدْرِ في كمالِهِ ، مُتَنَزِّهاً في صورتَي مُحاقِهِ وهِلالِهِ ، ثم طوَتْهُ الأَناملُ طيَّ السِّجل للكتابِ ، وغادَرَتْهُ قد رُصَّت صُفوفُه ، [. . .] به ظُروفُه ، وأَركَبَتْ بَعْضَهُ بَعْضا ، حتى شكَّلَتْهُ سماءً وأَرضاً ، ثم رَقَدَ رِقْدَةَ النَّصِبِ المجهودِ ، وهوَّمَ تهويمَ اللَّغِبِ المكْدود ، ذابل الشمائلِ ، مُبْتَلُّ الغلائلِ ، يعوم في دُهْنٍ ، كأَنَّما كسر به في بحر ، أَو أَحسن غوصٍ وأَطْيَبه ، وأَطرف بديلٍ وأَعجبُه ، خشكنانج كأَساورِ الكواعب ، كسرها فَضْلُ التجاذبِ والتداعب ، أَو كقرونِ الظِّباءِ قدّاً والتفافاً ، وللمةً واستِحْصافاً ، أَو فِخاخ صُنِعت للطيرِ فأَحكمَتْ ، ووُضِعتْ للصيدِ فقوِّمتْ ، هلالية الجنبات ، ذهبيَّةُ الشِّيات ، رقيقة القِشْرِ ، غليظةُ الخَصْرِ ، لذيذةُ الأَرَجِ والنَّشْرِ ، يكادُ يَنمُّ على باطِنِها ظاهِرُها ، ويشهدُ على غائِبِها حاضرُها ، نَزِهَةُ المُحَيَّا ، [. . .] ونقيَّةُ المُتَجَلَّى .

٣٠٠ – كان أَبو بكر بن قريعةَ يُحبُّ الفالوذج السِّرطراط[١] ويقول : أُريدُها مستغيثةً من الغَرَق ، في ماءِ الوَرْدِ العَرِق . ويُسمِّي القطائفَ لفائفَ النعيم ، وطعامَ الصابرين ، ويُسَمِّي اللوزينج مُغَرْغِرَ الحُلْقوم .

٣٠٠أ – ودخل يوماً إِلى عزِّ الدولةِ وبين يَدَيْهِ طبقٌ فيه مَوْزٌ ، فأَعرض عن استدعائه ، فقال : ما بالُ مولانا [لا] يدعوني إِلى الفَوْزِ بأَكْلِ المَوْزِ ؟ فقال : صِفْهُ حتى أُطعمَكَ منه ، فقال : ما أَصِفُ من جُرُبٍ ديباجية ، فيها سبائكُ

٣٠٠أ المستطرف ١ : ١٧٨ .

---

١ السرطراط : الفالوذج أَو الخبيص (محيط المحيط) .

ذهبية ، كأنَّما حُشِيَتْ زُبْداً وعَسَلاً ، وخبيصاً مرملاً ، أطيبُ الثمر ، كأنَّه مخ الشجر ، سَهْلُ المَقْشَرِ ، لَيِّنُ المَكْسَرِ ، عَذْبُ المطعمِ بين الطعوم ، يَتسَلْسَلُ في الحُلْقوم . ثم مدَّ يَدَهُ فأخذ وأكل .

٣٠١ – زعم الطباخون أنَّ الديكبريكة [؟] لا يكمُلُ طيبُها ، ولا يذكو ريحُها حتى تبرد وتُسَخَّنُ ، فيُغرفُ منها ثلاث غرفات : حارَّة ، وباردة ، ومُسَخَّنة . والسِّكباجُ أُخْتُ الديكبريكة وشَبيهتُها ، فتُؤكلُ ألواناً : أولُها ثَرْدَةٌ تُشرب سكراً ، ثم ثَرْدتُها الساذجة المعروفة ، ثم لحمُها حارّاً وبارداً ، ثم يُصفَّى مَرَقُها ويُعَرَّى من الدَّسَمِ ويُثْردُ فيها فتؤكل باردة .

٣٠٢ – وكان بنو الفُراتِ وغيرُهم من أربابِ النعمةِ بالعراقِ يتقدَّمونَ بعملِ هذا الطعامِ : يؤخَذُ لحمُ عِجْلٍ رَخْصٍ فيُغسل ويُنَشَّفُ ، ويُوضَعُ في قِدْرٍ ، ويُصَبُّ عليه من خلٍّ الكَرْمِ الجيدِ الصافي فَوْقَ غَمْرِهِ ، ومن الزيتِ الخالصِ قَدْرُ الراحةِ ، ويُجعلُ معه السَّذاب والكَرَفْسُ ، ويُضافُ إلى ذلك قُشورُ الأُترُجِّ أو قِداحُه ، وقُشور السَّفَرْجَل وقشورُ التفاحِ الشامي ، والكسفرة اليابسةُ والزعفران ، ويُتركُ على النارِ حتى يسكنَ ، ويُصَفَّى ويُجعل في خماسيات ويُحكمُ صمامُها ، فإذا احتيجَ إليه عند اتّخاذهِ ، عُمِل بهذا الخلِّ على الصفةِ المعروفةِ التي يُنْقَعُ فيها اللوزُ والسُّكر ، وعلى هذا اخترع بعضُ الخلفاءِ أنْ يُطبَخَ البطُّ [. . .] الملقم بالخلِّ الحاذق الذكي ويُصَفَّى ويُعملُ به أنواعُ القلايا وما يجري مَجْراها من المحرّقات .

٣٠٣ – وكان يُوصفُ ببغداد فالوذجة الحسن بن سَهْل ، وخَبيصة يحيى بن خالد ، وأرزة عمرو بن مَسْعَدَة ، ولوزينجة حُمَيْدٍ الطُّوسيٍّ ، وقطايف صالحٍ صاحبِ المصلّى .

٣٠٤ – حُكيَ أنَّ المأمون مضى إلى المدائنِ متنكِّراً ومعه بعضُ الأصحابِ ، فأكل من جَوْذابِها فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّه من طعامِ العامة ! فقال : إنَّ العامة تَشْرَكُنا في الماءِ البارِدِ ، فهل نتركُ شُرْبَـهُ لأجْلهم ؟ !

٣٠٥ – قيل لأبي الحارث جُمَّيْنٍ : بأيِّ شيء تُشَبِّهُ البَدْرَ ؟ قال : بالبَهَطَّةِ[١] إذا سُقِيَتْ لبنَ حليبٍ طريٍّ بزبدٍ مرويٍّ ، وسكر طَبَرْزد [. . .] .

وكان يقولُ : ما أُشَبِّهُ البَيْضَ على الموائدِ إلا بالكواكبِ في الأُفُقِ .

٣٠٦ – وسمع رجلاً يذمُّ الزُّبدَ ، فقال له : تُرى ما الذي كرهتَ منه ؟ سواد لونه ، أو بشاعة طعمهِ ، أم استصعاب مَدْخَلِهِ ، أم خشونة ملمسه ؟

٣٠٧ – وقيل له : ما تقولُ في الباذنجان ؟ فقال : أُنوفُ الزَّنْجِ ، وأذنابُ المحاجمِ ، وبطونُ العقاربِ ، وبَزْرُ الزَّقُّوم ، قيل له : إنَّه يُحْشى باللحمِ فيكونَ طيّباً ، فقال : لو حُشِيَ بالتقوى والمغفرةِ ، ما أَفْلَحَ .

٣٠٨ – وقال شاعرٌ في وَصْفِهِ : [من الطويل]

وسُودٍ تروَّتْ بالدِّهانِ فأُبدِلَتْ ... بتَوْرِيدِها لوناً من النارِ أُكْلفا
[كأفواه] زنجٍ تُبصرُ الجلدَ أسوداً ... وتُبصرُ إنْ فُرَّتْ لُجَيْنا مؤلَّفا

٣٠٩ – وقال الجهرميُّ يصفُهُ : [من الكامل]

لونانِ من عاجٍ ومن سبجٍ إذا اجْـ ... ـتمعا فَصُبْحٌ في خِلالِ ظَلامِ

وفيها يقولُ :

روّى على مَهَلٍ فأَنْضَجَ قَلْبِيَ ذا ... يَوْماً ، وأَنْشَفَ ذا على الأَيَّامِ
والمالحُ المَمْقُورُ أقطاع الحلا ... كللْنَ حبَّـاتٍ بغَيْرِ نظـامِ
أَصبَحْنَ للجامات عمراناً ولوْ ... فُتْنَ الشُّباكَ عُمرن في الأَجْسامِ

---

٣٠٦ المستطرف ١ : ١٧٨ .
٣٠٧ محاضرات الراغب بتفصيل أوفى ٢ : ٦١٧ والمستطرف ١ : ١٧٨ .
٣٠٨ محاضرات الراغب (لعبد العزيز ؟) ٢ : ٦١٧ .

---

١ الأرز بالحليب والسكر والزبد أو السمن .

وكأنّما الدُّرّاجُ ذُبْحٌ والقَطا | من حولهِ صَرْعى كُؤوسُ مُدام
وإذا الكواميخُ اغتدت أَقْداحُها | [. . .] عتمت ذخائر الأَغنامِ
من كلِّ لونٍ حدثت أَنفاسه | في الطيب عن شيح به وثمامِ
والعيش صفراوان من عدسية | في القدر أو سمدية في الجام

٣١٠ – وقيل : حضر الجَهْرَميُّ مع جماعةٍ من أَصدقائهِ ، فذكر أَبو الفَضْلِ القَطَّان جَدْياً أُهدِيَ إليه ، وسوَّفهم الاجتماع عليه ، وأَخذوا في تقريرِ الوَعْدِ ، فأَمسك وطلب خلْسَةً [؟] وقام هادئاً ، فأَنفذ الجماعةُ في طلبه ، وتردَّد الرسولُ فلم يَعُدْ ، فقال الجَهْرميُّ يُعاتبُه ويتوعَّدُه بأَخْذِ الجَدْي والاستئثارِ به : [من المتقارب]

[أَبا] الفَضْلِ والفَضْلُ بين الأَنام | لمعنًى كُنيتَ به لا لقَبْ
تـروغُ إلى غيرنـا هاربـاً | وقد كُنْتَ منه تُريغُ الـهَرَبْ
فخَلَّيْتَ مَجْلِسَنا من حلاك | كأَقداحِنـا عاطلاً مُجْتَنَبْ
إلى أَن تَهَلْهَلَ ثَوْبُ النَّهارِ | وكاد إنـاءُ ذُكاءٍ يكـبْ
فإن شِئْتَ كُنْ رجلاً غائباً | بجَدْيِكَ أَو زُحلاً لم تَغِبْ
ففي بيتِ إخوانِك الرأْسُ منهُ | وتحت خوانك منه الذَّنبْ
[. . .] غداً عندهم للغداء | [. . .] منه كما لا تحبّ
وقد قامَ ذا راجلاً ناصبا | وذاك لتنورهم قد ذهب
إلى أَن يفـورَ وتَصْلاهُمـا | بذَنْبِـك لا ذنْبـهِ المكْتَسَبْ
ويخـرجَ في جُلَّناريّـةٍ | مكلَّلةٍ برمـيٍّ الحَبَـبْ
ونحنُ لتمزيقِ ذاك الإهابِ | وما تَحْتَه قد أَخذْنا الأُهـبْ
رُقاقاً عطَطْناه عطَّ الشُّرو | بِ فينـا غلائلهـم للطـربْ

ووصف الجوذابة فقال : [من المتقارب]

وجامـدة بعـده كاللُّجَيـ ـنِ مشربةٍ دائماً كالذَّهبْ
ربت باللِّبان معاً والدِّهانِ كأَنْ قد رَبَتْ بين أُمٍّ وأَبْ
[. . .] وما حلبت خلوةً كأَنَّ الضَّريبَ سقاها الضَّرَبْ
تكاد تصيحُ الغريقَ الغريـ ـقَ من زنبقيٍّ عليها انسكَبْ
فظلنا من اللهبيِّ الرتيـ ـبِ يسفر عن برديّ شَنِبْ
ويحنو عليه من العسكريِّ مهيـل طبرزده المنتخب
ونرفعها لقماً من كَثَب يرينَك فَحْصَ القَطا في الكُثُبْ
فحينئـذٍ ما رأيـتَ الحنيـ ـذَ جديَك في النَّفَل المُنتهَب

ثم قال مشيراً إلى عَناقٍ أُخِذَت من القطعان في اللعبِ ، فأَجاد في الذمِّ إجادتَه في المدح [وكشف] عن حُسْنِ التصرفِ في المعاني : [من المتقارب]

وتذكر بالجدي يوم العَنَاقِ وذاك لغَيْظِكَ أَقوى سبب
وكيف قمرنا بها من يَدَيْـ ـك لاعبـةً بيـدَيْ مَـنْ لَعِبْ
وحلَّتْ مغالبةً أَخْذَها وقد كان أَخْسَرَنا مَنْ غُلِبْ
من الجرب الحدب لا في الرفا ه ترفع رأساً ولا في الحَرَب
بظهر به الجدب بادي الظهور وجنب به الخصب جار الجُنُب
يقـوم بموجبـه الخيـزرا ن من عوج أضلاعها والحدب
وتهتز من سوقهـا المرعشات ضعائف عن فلكات الرُّكب
تعجـب من أمرها أمس وهـو إلى اليوم من أمرها في عجب
فما إن شفى قرماً نيلها ولا سدّ فارغة من سغب
وكان عليك احتمال الثقيـ ـل من أكلها وعلينا التعب
مصابان يجني القديم الحديث فإن كنت محتسباً فاحتسب

٣١١ – قال أبو عبيدة : العرب تقول : كل طعام لا حلوى فيه فهو خداج .

٣١٢ – وقال الأصمعي : أول من صنع الفالوذج عبدالله بن جدعان ، وفيه يقول الشاعر : [من الوافر]

له نادٍ بمكة مشمِعَلٌّ وآخرُ فوق كعبته ينادي[١]
إلى رُدُحٍ من الشيزى عليها لبابُ البُرّ يُلبكُ بالشّهادِ

٣١٣ – قال حماد بن سلمة : دخلت على إياس بن معاوية وهو يأكل فالوذجاً ، فقال : ادنُ فكُل ، فإن كان شيء يزيد في العقل فهذا .

٣١٤ – كشاجم يصنف القطائف : [من الرجز]

عندي لأضيافي إذا اشتد السغَبْ قطائفٌ مثل أضابير الكتبْ
كأنها إذا تبدّت من كثبْ كوائر النحل بياضاً وثقب
قد مجّ دهن اللوز مما قد شرب وجاء ماء الورد فيه وذهب
وغاب في السكر عنا واحتجب فهو عليه حَبَبٌ بعد حبب
مدرَّج تدريج أنقاء الكُثُب اذا رآه والهُ العقل طرب
أطيب منه أن أراه يستلب كل امرىء لذته فيما يحب

٣١٥ – وقال أيضاً يصف الخشكنانج : [من الخفيف]

من لذاك الطبرزد المدقوق ولذاك اللوز النقيّ الأنيقِ

---

٣١٢ انظر الأغاني ٨ : ٢٣١–٢٣٢ ديوان أمية بن أبي الصلت : ٣٨١ .
٣١٤ في محاضرات الراغب الأشطر ٢–٤ من هذا الرجز ، وهو في ديوانه : ٦١–٦٢ مع زيادة شطر في البيت الثالث : «وابتل مما عام فيه ورسب» .
٣١٥ ديوانه : ٣٧١–٣٧٢ .

---

١ الأغاني : فوق دارته .

ودقيق السميذ يعجن بالما ورد عُلّي بمسكه المسحوق
ضُمّ أجزاؤه وألّف أجسا ماً حوَتْ كل مطعم مومق
ثم صفوه كالأهلة لاحت لمواقيتها حيالَ الشروق
ما رأينا كخشكنانجك المو صوف [رعياً لحقه] في الحقوق
غبت عنه فغاب عني نصيبي أنت عندي بذاك غير خليق

٣١٦ – وقال ابن الرومي : [من الكامل]

جاءت إليَّ طرائف بطرائف لونان من لوزينج وقطائفِ
هذا دبيقي الثياب ملفف بملابس صقلت وذا بمناشف

٣١٧ – وقال أبو القاسم المطرز يصف الحنطقة وهي الكبولا[١] : [من الكامل]

بيضاء مشرقة كأن ضياءها در يصافح مثله في الجام
[. . . . .] إلا أنها حبشية الأخوال والأعمام
وُضعت على مستوقد فاستعرضت تاجاً على شرف السرير السامي
رقص المشايخ دستبنداً حولها طرباً وما شربوا كؤوس مدام
فرحوا بسرعة نضجها فتبادروا فرح الكبيرة بُشّرت بغلام
لم يسق عاقدها بها حتى لقد كادت تدور له بلا اسطام
وجرى لها عسل الطبرزذ صافياً بذوائب كذوائب الأعلام
فكأن أحمره على مُبيضّها فص العقيق وفضة الخاتام
وتسرح الفالوذ في أقطارها بحر [كذلك] كل بحر طام

---

٣١٦ لم نعثر على هذين البيتين في ديوان ابن الرومي .

---

١ الكبولا : العصيدة .

عاثت بها أيدي الكرام فجمشت   وجناتها تجميش غير كرام

٣١٨ – قال حسان الديلمي : ليست الكبولاء على الصفة التي تتخذها العامة ، إنما تتخذ من الدقيق السميذ والأرز والكعك أجزاء متساوية ، ويدق الأرز والكعك ناعماً ، ويخلطان بالدقيق ويحمص الجميع بالدهن العذب الغامر ، ويرفع من النار ، ويغلى الماء ، ويذرّ عليه ويعقد عقداً جيّداً ، ثم يحط عن النار ويطرح فيه ماء الورد والكافور . وقد عملت له فالوذجة سرطراطة على نار [. . .] ، وأعدت أقداح على صور المكاييل ، فيغرف منها طبقة ومن الفالوذج طبقة ، ويفرش فرشاً خفيفاً حتى تمتلىء الأقداح ثم تكبّ على المائدة ، وترفع عنها الأقداح ، وتقدم كأنها قواليب جزع ، وتقطع بالسكاكين ، وتتناول بالنارجنات .

وليس يليق بهذا الكتاب ذكر أنواع الأطعمة ، إنما ذكرت هذا القدر إشارة إلى الجنس وتنبيهاً على مأخذ المترفين فيه . والله أعلم .

الفصل السادس

نوادر هذا الباب

٣١٩ – كان بعضُ الأَعرابِ يأكلُ ومعه بنوه ، فجعلوا يأْخذون اللَّحْمَ من بين يَدَيْهِ فيقول لهم : يا بَنيَّ ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ ولا تنهرهُما﴾ (الاسراء : ٢٣) . ولأن تقولوا لي أَلْفَ مرَّةٍ «أُفّ» في كلِّ مرَةٍ سبعون انتهاراً ، أَهْوَنُ عليَّ ممَّا تَفْعلون .

٣٢٠ – لزِمَ أَعرابيٌّ سفيانَ بن عُيَيْنَةَ حتى سمع منه ثلاثةَ آلافِ حديث ، ثم جاءه يُودِّعـهُ ، فقال له سفيانُ : يا أَعرابيُّ ، ما أَعجبك من حديثِنا ؟ قال : ثلاثةُ أَحاديث : حديثُ عائشة عن النبيِّ ﷺ وآله وصحبه أَنَّه كان يُحبُّ الحلواءَ ويحبُّ العَسَلَ ، وحديثُهُ عليه الصلاةُ والسلام : «إذا حضر العَشاءُ وحَضَرت الصلاةُ ، فابدأوا بالعشاءِ» ، وحديثُ عائشة عنه ﷺ : «ليس من البرِّ الصيامُ في السَّفَرِ» .

٣٢١ – قُدِّم إلى أَعرابيٍّ كامخ ، فقال : ممَّ يُعملُ هذا ؟ قالوا : من اللبنِ والحِنْطةِ ، قال : أَصلانِ كريمان ، ولكن ما أَنْجَبَا .

٣٢٢ – وقُدِّم إلى أَعرابيٍّ كامخٌ ، فقال : ما هذا ؟ قيل : كامخ ، فقال : مَنْ كَمَخَ به ؟ من قولهم : كمخت البقرةُ إذا ثلطت[١] .

---

٣١٩ نثر الدر ٦ : ٤٧١ .

٣٢٠ حديث عائشة في البخاري رقم (٥١١٥) ورواه أيضاً مسلم وابن ماجة وحديث العشاء والصلاة في مسند أحمد وحديث الصيام في السفر متفق عليه .

٣٢١ نثر الدر ٦ : ٤٧٤ .

٣٢٢ نثر الدر ٦ : ٤٨١ .

---

١ ثلطت : سلحت .

٣٢٣ – واجتمع اثنان من الأعرابِ على كامخ ، فقال أحدهما : خرا ، وربِّ الكَعْبةِ ، وذاقه الآخرُ فاستطابَهُ فقال : أحسبه خَرا الأميرِ .

٣٢٤ – قال الأصمعيُّ : سمع أعرابيٌّ واحداً يقرأُ : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضلَّ سَعْيُهُم في الحياةِ الدنيا وهم يحسبون أنَّهم يُحسنون صُنْعاً﴾ (الكهف : ١٠٣–١٠٤) . فقال : وأَبيك إني لأعرفُ هؤلاء القَوْمَ بعَيْنِهم ، فقيل له : ومَنْ هم ؟ قال : الذين يثردون عزَّهم .

٣٢٥ – أَوْلَمَ رجلٌ وليمةً ، فحضرها أعرابيٌّ وجعل يأكلُ ولا يرفعُ رأْسَهُ حتى أُحضِرَ الفالوذ ، فرفع رأْسَه فنظر إلى شَيْخٍ مُعْتَزِلٍ عن القَوْمِ ، فقال : ما بالُ الشيخِ لا يأكلُ ؟ قيل : إنَّه صائمٌ ، فقال : ما أَحوَجَهُ إلى الصومِ ؟ قالوا : طلبُ المغفرةِ والفَوْزُ بالجنَّةِ ، قال الأعرابيُّ : فإذا فاز بالجنَّةِ ، أَفَتُراهُ يُطعمُ فيها أَطيبَ من الفالوذ ؟ .

٣٢٦ – قُدِّمَ إلى أعرابيٍّ مَوْزٌ ، فجعل يُقلِّبُهُ ويقول : لا أدري ، العَجَبُ ممَّن خالطه ، أو ممَّن حشاه ؟ !

٣٢٧ – سقط أعرابيٌّ عن بعيرِهِ فانكسر بَعْضُ أَضلاعهِ ، فأَتى الجابِرَ يَسْتَوْصِفُه ، فقال : خُذْ تَمْرَ شهريز ، فانزَع أقماعَهُ ونواه ، [ولُتَّه] بسَمْنٍ واضمُدْ به ، فقال الأعرابيُّ : بأَبي أَنْتَ ، من داخل أَضْمُد أم من خارج ؟

٣٢٨ – امتنع أعرابيٌّ من غَسْلِ يَدِهِ بعد الأَكْلِ وقال : فَقْدُ ريحِهِ كفَقْدِهِ . ثم أَخذ كفّاً من تُرابٍ ، فرماه في وجوهِنا وقال : أَحسبكم تآمرتُم على هذا ، لا يقربْني منكم أَحدٌ ، فمكثْنا أَيّاماً لا نَغْشاهُ ، ثم سألنا ابنَ أَبي حَفْصٍ العَطَّارَ ، فترضَّاه لنا[1] .

---

٣٢٣ نثر الدر ٦ : ٤٨١ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦١٥ .
٣٢٦ نثر الدر ٦ : ٤٨٦ .
٣٢٨ محاضرات الراغب ٢ : ٦٢٩ .

---

١ يبدو أن هذا الخبر غير متصل بما قبله .

٣٢٩ – قال محمد بن عبدالله بن حكيم : كُنّا عند الشافعيِّ رضي الله عنه ، فدخل رجلٌ من أعوانِ الشُّرَطِ ، وبينَ يَدَيهِ طَبَقٌ فيه تَمْرٌ ، فجرَّ الطَّبَقَ وأَكل حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا عبدالله ، ما عندك في طعامِ الفُجاءةِ ؟ قال : كان ينبغي أن يكونَ سؤالُك هذا والتَّمرُ في مَوْضعِهِ .

٣٣٠ – اجتاز أعرابيٌّ بقَوْمٍ يأكلون ، فلم يَدْعوه ، فعمد إلى الصلاةِ ، فقالوا : ما تصنعُ ؟ قال : أَستخيرُ اللهَ في محادثتِكم ، فضحكوا منه ودَعَوْه إلى الطعامِ .

٣٣١ – ترحَّم بعضُ الطُّفيليين على النمروذ بن كنعان ، فقيل له : تترحَّمُ على كافرٍ ؟ ! فقال : نعم ، لأنَّه أوَّلُ من اتَّخذَ الكرماذخ .

٣٣٢ – ذُكِر أنَّ الرشيدَ وأُمَّ جعفرٍ اختلفا في اللوزينج والفالوذَج ، أو الخَبيصِ ، وحضر أبو يوسفَ القاضي ، فسأله الرشيدُ ، فقال : إذا حضر الخصمانِ حكَمْتُ . فقُدِّما إليه ، فأَكل منهما حتى انتهى ، فقال له الرشيد : احكُم ، قال : اصطلح الخصمانِ وأَعفياني من الحكْمِ . فضحك الرشيدُ ، وأَمر له بأَلفِ دينارٍ ، وبلغ زبيدةَ الخبرُ ، فأَمرَتْ له بأَلف دينارٍ إلا ديناراً .

٣٣٣ – دخل أعرابيٌّ على سليمان بن عبد الملك وهو يأكلُ ، فقال : اجلس وكل – وكان سُليمانُ قاذورةً نَهِماً ، وكان يُوضع بين يديه قَصْعتان ، فيأكلُ من واحدةٍ ، والناسُ من واحدةٍ – فجعل الأَعرابيُّ يأكلُ من القَصْعَةِ التي بين يَدَيْ سليمان ويتعدَّى [إلى] الأُخرى ، فقال سليمان : كُلْ ممَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ، قال : أو ههنا حِمًى ؟ ! قال : لا ، كُل من حيثُ شئْتَ ، فلما أُتي بالفالوذج ، قال له سليمان : يا أعرابيُّ ، أتعرفُ هذا ؟ قال : لا واللهِ يا أَميرَ المؤمنين ، إلا أني أرى رَوْنقاً حَسَناً ، ومُزْدرداً ليِّناً ، وطَعْماً طيِّباً ، وإني لأَظنُّه ممَّا يخرجُ من [بطون]

---

٣٣٢ العقد ٦ : ٢٩٤ (عن شريح) ونثر الدر ٣ : ٢٥١ (عن أبي الحارث جمين) وكذلك المستطرف ١ : ١٧٧ .

٣٣٣ انظر محاضرات الراغب ٢ : ٦٩١ والعقد ٣ : ٤٨٨ .

النحلِ ، فقال سليمان : إنَّه مع هذا يزيدُ في الدِّماغ ؛ فقال كذبوكَ يا أمير المومنين ، ولو صدقوك لأصبح رأسُكَ مِثْلَ رأسِ البَغْلِ الأَطْحلِ .

٣٣٤ – موسى الثقفي : [من الوافر]

فما شيءٌ بأحسَن من خوانٍ	أتاك يزفُّـه خَلَـقُ الثِّيـابِ
وقد ناجاك سر الجوعِ حتى	تعلَّق خمصُ بطنِك بالحجابِ
فتغمس خَمْسَ كفِّك في ثريدٍ	بلَقْمٍ مثل منكمشِ الذِّهابِ
كأنَّ دويَّه في الحَلْقِ لمّا	هوى ، رَعْدٌ يُهمهم في سَحابِ

٣٣٥ – قيل لأعرابيٍّ : ما اسمُ المَرَقِ عندكم ؟ قال : السَّخينُ ، قال : فإذا بَرَد ؟ قال : [لا] نَدَعُهُ يَبْردُ .

٣٣٦ – قعد صبيٌّ مع قومٍ ، فقُدِّمَ شيءٌ حارٌّ ، فأخذ الصبيُّ يبكي ، قالوا : ما يُبْكيكَ ؟ قال : هو حارٌّ ، قالوا : فاصبِر حتى يبردَ ، قال : أنتم لا تَصْبِرون .

٣٣٧ – قال بعضُهم : رأيْتُ ثلاثةً من الهرَّاسين على بُقْعةٍ واحدةٍ ، وهم يتكايدون في مَدْحِ هرايسهم . فأخرج أحدُهم من هريستهِ قطعةً على المِغْرفَةِ وأسالها وهو يقولُ : إنزلي ولكِ الأمانُ ، فقال الثاني : يا قَوْمِ ، أدْركوني ، الحقوني ، ! أنا أجذبُها وهي تجذبني ، والغَلَبةُ لها ، فقال الثالث : لا أدري ما تقولُ ، من أكل من هريستي ، أسْرَجَ ببَوْلِهِ شَهْراً .

٣٣٨ – كان بعضُ الأَكَلَةِ يُبـاكرُ الأَكْلَ ، فقيل له : اصبِر حتى تطلُعَ الشمسُ ، فقال : أنا لا أنتظر بغَدائي مَنْ يَقْدُمُ من أقصى خُراسان .

٣٣٩ – قيل لبعضهم : التَّمْرُ يُسبِّحُ في البَطْنِ ، قال : إذا كان التمرُ يُسبِّحُ ،

---

٣٣٥ عيون الأخبار ٣ : ٢٢٦ .
٣٣٨ نثر الدر ٢ : ٢٣٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٣١ .
٣٣٩ نثر الدر ٢ : ٢٤٠ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦١٩ .

فاللوزينج يُصلِّي في البطنِ تراويح .

٣٤٠ – قال عثمان الدقيق الصوفيُّ : رأيْتُ أبا العباسِ بنَ مسروق ، وهو أحدُ شُيوخِ الصوفيةِ ، في يومٍ مطيرٍ على الجِسْرِ مشدودَ الوسطِ ، فقلتُ له : يا عمِّ ، إلى أينْ في هذا اليومِ المطيرِ ؟ فقال : إليك عنّي ، فقد بلغني أنَّ بالمأمونيةِ رجلاً يقول : ليس الباذنجانُ طيِّباً ؛ أُريدُ أن أمضيَ إليه وأقول له : كذَبْتَ ، وأرجعُ .

٣٤١ – خرج طفيليٌّ من منزلِ قومٍ مشجوجاً ، فقيل له : مَنْ شجَّك ؟ قال : ضِرْسي .

٣٤٢ – قيل لأعرابيٍّ : كيف حُزْنك على ولدِك ؟ قال : ما ترك لي حُبُّ الغداءِ حُزْناً على أحدٍ .

٣٤٣ – سمع بَنانٌ رجلاً يقولُ : يخرجُ الدجالُ في سنةِ قَحْطٍ مُجْدِبَةٍ ، ومعه جُرادق أُصفهانية ، ومِلْحٌ ذرآني ، وأنجُذاني[1] سَرخسي ، فقال : هذا – عافاك اللهُ – رجلٌ يستحقُّ أن يُسْمَعَ له ويُطاع .

٣٤٤ – قال أبو بكر بنُ عيّاش : كُنَّا نُسمِّي الأعمش سيِّدَ المحدِّثين ، وكُنَّا نَجيئه آخِرَ مَنْ يقصدُهُ ، لأنَّا نُطيلُ عِنْدَهُ ، وكان لا يزالُ يُطْعِمُنا الشيءَ ممَّا يحضرُهُ ، ويسألُنا فيقول : بمن مَرَرْتُم اليَوْمَ ، [. . .] ، وعمَّن أخذْتُم ؟ فنسمِّي له الواحدَ ، فيُشير بيدِهِ ، أي جيِّد ، ونُسمّي آخر فيُومىء بأُصبعهِ ، أي صالح ، ونُسمِّي آخَرَ ، فيقول : طَيْرٌ طيَّارٌ ، ونُسمِّي آخَرَ ، فيقول : طَبْلٌ مُخَرَّقٌ . فقال

---

٣٤٠ نثر الدر ٢ : ٢٤٣ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦١٧ (عن الشبلي) .
٣٤١ نثر الدر ٢ : ٢٤٥ .
٣٤٢ نثر الدر ٦ : ٧٣ .
٣٤٣ نثر الدر ٢ : ٢٣٧–٢٣٨ .

---

١ ذرآني : شديد البياض . والأنجذان : نبات أسود وأبيض له قرون كقرون اللوبياء .

بعضُنا لبعضٍ ذاتَ يومٍ : لا يُخرجُ الأعمشُ إلينا شيئاً إلا أكلْناه كلَّه . فأخرج إلينا خوانا عليه خُبْزٌ وتَمْرٌ ، فأكلْناه ، ثم عاد فأخْرَجَ قتائت ممّا يسرب انسياباً فأكلْناه ، ثم عاد فأخرجَ كسيراتٍ ، فأكلْناها ، ثم عاد فأخرجَ إجانَةً فيها كسبٌ ونوى فقال : أما طعامُ العيالِ فأكلتموه ، وهذا عَلَفُ العَنْزِ فدونكم .

٣٤٥ - [كان] رجلٌ يُطعمُ رجلاً يُلازمُه ، ولم يكن عنده في بَعْضِ الأيامِ ما جَرَتْ به عادتُه ، فقال لغُلامِهِ : خُذ المفتاحَ معك ، وكُنْ قريباً من الدارِ ، فإذا جاء ورأى البابَ مُقْفَلاً انصرفَ . فلما جاءَ الرجلُ ورأى البابَ مُقْفَلاً ، جلس ينتظرُ أن يجيءَ ويفتحَ البابَ ، فأدركَتْهُ الشَّمْسُ ، فلم يزلْ ينتقلُ من موضعٍ إلى موضعٍ حتى لم يَبْقَ ظِلٌّ ، فقال : [من السريع]

البَيْتُ لا أبْرَحُ من بابهِ ... حتى يموتَ الرجسُ من جلسي
أقْتُـلُه في البَيْتِ جوعاً كما ... يقتلني بالجوعِ في الشَّمْسِ
أليس في مُنْزَلِ فُرقانِنـا ... أنَّ [قتلَ] النَّفْسِ بالنَّفْسِ

٣٤٦ - أسماء هزلية وضعها الطفيليون والصوفيه للأطعمة وآلتها وما يَتْبعها :

الطَّسْتُ والإبريق : بِشْرٌ وبشير
الخوان : أبو جامع
السُّفْرة : أبو رجاء
الخُبْزُ : أبو جابر
اللحم : أبو عاصم
المِلْحُ : أبو عون
القِدْرُ : ميمون الزَّنْجي

---

٣٤٦ نثر الدر ٢ : ٢٥٥-٢٥٧ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٢٨ والشريشي (المقامة النصيبية) ٢ : ٣٩١ .

الغضارة[1] : أُمُّ الفَرَجِ

الحُوّارى[2] : نجوم الفكه ، ويقال : أَبو نُعيم

الطيفورية : أُمُّ رَوْح

منديل الغَمْر : أَبو بِشْر

الخشكار : أَبو جابر

الكزمازك : [. . .]

الفرنية : قُبَّة الإِسلام

البقل : زحام بلا مَنْفَعة ، ويقال : أَبو جميل

الجَوْزُ والجُبْنُ : معاويةُ وعمرو بن العاص

الرواصيل[3] : يأجوج ومأجوجِ

البَيْضُ : بناتُ نَعْش

الثريد : جُبَيْر بنُ مطعِم

الجُبن : راشد الخناق

الجَوْزُ : أَبو القعقاع

الزيتون : خنافس الخوان

الصحناء[4] : أُمُّ البلايا

الباقلاء : أَبو مَرْوان

العدسية : المؤيسة

الباذنجان : قباب ياسر ، ويقال : الزُّط

الكامخ : عرق الشيطان

---

١ الغضارة : القصعة الكبيرة .

٢ الحوّارى : الدقيق الأبيض .

٣ نثر الدر : الرواصل . وفي الحاشية لعلها الرواميل وهي الخبيص الذي كثر عجنه .

٤ نثر الدر : الصحناءة — والصحناء : إدام من السمك .

البوارد : بريد الخَيْرِ

البَزْماورد[1] : أَبو كامل الطيالسي ، ويقال : أَبو طريف

السنبوسك : جامع سفيان

الماء : أَبو غياث

الخَرْدَل : أَبو كلثوم الجلّادْ

الدجاجة : سمّانة القوادة ، ويقال : أُمُّ الخير

[**البطة**] : بهادة السوسية

الحمل : شهيد بن الشهيد ، ويُقال : أَبو حميد الهند

الجَدْيُ : أَبو العريان ، ويقال : أَبو خبيب[2]

الرِّقاق : أَبو الطيالِس

الرغيف السميذ : أَبو البَدْرِ

السِّكْباج[3] : أُمُّ عاصم ، ويقال : أُمُّ نابت

المضيرةُ[4] : أُمُّ الفَضْلِ

الكشكية : أُم حفص

الهريسة : أُم الخير ، وأُمُّ برّ

الرأس : قيم الحمام ، وأَبو سويد

الأَكارع : [أبو الخرق] وشيبان

ماء الباقِلاء : أَبو حاضِر

السمك : أَبو سابح

الخلُّ : أَبو العباس ، ويقال : أَبو ثقيف

---

١ طعام من بيض ولحم .

٢ الشريشي : أبو حبيب .

٣ السكباج : مرق من لحم وخل .

٤ المضيرة : مرق من لحم ولبن .

الفتيتُ : أَبو نافِج

القنَّبيطيّة : دُوَيْرة الرومية

المغمومة[1] : المُقَنَّع الكِنْدي

المري : أَبو مُهارِش

[**الزبيبة**] : أَبو الأَسود الدّؤلي

القشمشية : أَمُّ الجَمالِ[2]

الملبَّقةُ[3] : أُمُّ سَهْلٍ

الطباهجة[4] : زَلْزَل المُغَنِّي

البُقَيْلةُ : المشؤومة

القَلِيَّةُ[5] : الناعية

المَصَلِّيَّة : أُمُّ بشير

الأَرز : أَبو الأَشْهَبِ

النرجسية : أَبو الثُّرَيّا[6]

الجُوْذاب : أُمُّ الحُسن

الفالوذج : أَبو مضاء ، وأَبو العلاء

السكَّر : أَبو الطيِّب

الطَّبَرْزد : أَبو شيبة الخُوزي

اللحم الشِّواء : الروح الأَمين

العسل : أُمُّ المؤمنين

---

١ المغمومة : لبن يسخن حتى يغلظ قوامه .

٢ نثر الدر : الحمّال .

٣ الملبقة : الثريدة إذا كثر سمنها فلانت .

٤ الطباهجة : لحم مشرح مطبوخ ؛ الكباب .

٥ القلية : مرقة تتخذ من أكباد الجزور ولحمها .

٦ نثر الدر : أم الثريا .

الخبيص : أبو نُعيم ، وأبو الوزيرِ ، وأبو الوليد

الحَلْواءِ : خاتَم النبيين

العصيدة : أم المؤمنين

اللبن : أبو اليمان

الرُمَّان : أبو حَفْص

السَّفَرْجَل : أم العجوز

التين : أبو عجينة

اللوزينج: بكير الطرائفي ، ويقال : قُبور الأطفال

القطايف : قبور [الشهداء]

الفراريج : بنات المؤذّن

السَّويق : أبو خَفيف[1]

الخلال : أبو الياس[2] ، وكتاب الغزل

الأُشنان والمِخلب : مُنكر ونكير

النبيذ : أبو غالب

القرابة[3] : أم رزين

النَّقْل : أبو تمام

النرجس : أبو العَيْناء

السايكسي : أبو فِرعون[4]

القدح : أبو قريب

---

١ نثر الدر : أم حبيب .

٢ نثر الدر : أبو البأس .

٣ نثر الدر : الغرابة : اللحم الذي تحت الركبة في الساق .

٤ نثر الدر : أم فرعون .

النبيكة[1] : أُم الفِتيان

الصراحية[2] : أُم القاسم

القاطرميز : أَبو مُزاحِم

المُغنّي : أَبو الأُنْسِ

الزامر : حُمَيْد الكَوْسج

المؤاجر[3] : أَبو صابر

القحبة : أَبو ياسِر[4]

المُخَنَّث : أَبو عطيَّة

الثقيل : أَبو ثَهْلان

القوَّاد : أَبو مُغيث

المَسْخَرة : الضحاك بن قيس

المعربد : ضرار بن مُخَرّق

[**الطفيلي**] : أَبو الصقرِ الليثي

الذي يتبع الطفيلي : زائدة بن مزيد

القفل : أَبو منيع

المفتاح : أَبو الفَرَج

الدينار : أَصفر سليم

الدرهم : أَبو واضح

---

١ نثر الدر : النبيقة : دقيق يخرج من لب جذع النخلة يقوى بالدبس ويجعل نبيذاً .

٢ الصراحية : إناء الخمر .

٣ نثر الدر : المواخر .

٤ نثر الدر : أم ياسر .

٣٤٧ – كُنيةُ الجوع : أبو عَمْرَة ، أنشد أبو عمرو : [من الرجز]

إنَّ أبا عَمْرَةَ شرُّ جارِ   يجرُّني في ظُلَمِ الصحاري

جرَّ الذئابِ جيفةَ الحمارِ

٣٤٨ – قدَّم أعرابيٌّ إلى ضَيْفِهِ ثريدةً وقال له : لا تَقْصَعْها ، ولا تَقْعَرْها ، ولا تَشْرُمْها ، قال : فمِن أين آكلُ ؟ قال : لا أدري ، فانصرفَ جائعاً . أراد أن لا يأكلَ من أعلاها ، ولا من أسفلِها ، ولا من حروفِها .

٣٤٩ – شكا مدنيٌّ إلى أبي العيناءِ سوءَ الحالِ ، فقال له : أبْشِر ، فإنَّ الله قد رَزَقَكَ [الاسلام] والعافية ، قال : أجلْ ، ولكنْ بينهما جوعٌ يُقَلْقِلُ الكَبِدَ .

٣٥٠ – وُضِعت بين يدي أعرابيٍّ عصيدةٌ تنشُّ حرارةً ، فضرب بيدِهِ إليها فامتنعت عليه ، فقال : أما واللهِ إني لأعلمُ أنَّك هيِّنَةُ المُزْدَرد ، ليِّنَةُ المُسْتَرط ، وإنَّك لَتَعْلَمين أني ابنُ بَجْدَة بلادِك في أكْلِكِ ، وإني لأخافُ أنَّ العَوْد إلى مثلك ستطول مُدَّتُه ، فما يمنعني أن أتلقَّى حرارَتَكِ ببلعومٍ سَرْطَم ، وحلقوم لَهْجَم ، وبَطْنٍ أكْبَر ، وجَوْفٍ أرْحَب ، فقضى اللهُ في ذلك قَضاءَهُ بما أحببتُ وكَرِهْتِ .

٣٥١ – شاعر : [من الرمل]

[يحسن] اللَّقْمَ ولا يَخْشى الغَصَصْ   بَلْعماً يقطع أزرارَ القُمُصْ

٣٥٢ – [قيل] لأبي مُرَّةَ : أيُّ الطعامِ أحبُّ إليك ؟ قال : ثَريدَةٌ دَكْناءُ من الفُلْفُل ، رَقْطاءُ من الحِمَّصِ ، بَلْقاءُ من الشَّحْمِ ، ذاتُ حفافَيْن من اللَّحْمِ ، لها جناحان من العراق . قيل : وكيف أكْلُكَ لها ؟ قال : أصدعُ بهاتَيْن : يعني

---

٣٤٧ محاضرات الراغب ٢ : ٦٣٤ .

٣٤٨ محاضرات الراغب ٢ : ٦٦٣ .

٣٤٩ نثر الدر ٢ : ٢٢٤ .

٣٥٢ عيون الأخبار ٣ : ١٩٨ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦١٠ والعقد ٣ : ٤٨٤ و٦ : ٢٩٩ (في جميعها بايجاز ومنسوباً إلى أعرابي) .

السبَّابةَ والوُسْطى ، وأسند بهذه ، يعني الإبهام ، وأَجمع ما شذَّ منها بهاتَيْن ، يعني الخِنْصر والبِنْصر ، وأَضربُ فيها ضَرْبَ الولي السوء في مالِ اليتيم .

٣٥٣ – مضغت أعرابيةٌ عِلْكاً ، فقيل لها : كيف تَرَيْنَهُ ؟ قالت : تَعَبُ الأَضراسِ ، وخَيْبَةُ الحُنْجَرة .

٣٥٤ – دُعي مزبِّد إلى طعامٍ فقال : أَنا صائمٌ ، فلما قُدِّم الفالوذ زحف إليه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أَنا على [رد يوم] أَقْدَرُ مني على تَرْكِ هذا .

يتلوه باب السِّيَرِ والعجائب
وفنون الأَشعار والغرائب
والحمد للهِ ، وصلى الله
على نبيِّه محمدٍ وآلهِ
وصَحْبِهِ
وسلَّم



الباب السابع والأربعون

في أنواع السير والأخبار وعجائبها، وفنون الأشعار وغرائبها



بسم الله الرحمن الرحيم

أسألُه الإعانةَ على حُسْنِ الختامِ

اللهمَّ إنا نَحْمَدُك على حُسْنِ البلاءِ ، ونشكرُ لك على ما أَوْلَيْتَ من النَّعْماءِ ، ونرجو منك توفيقاً يُقَرِّبُنا من مراضيك ، وتَسْديداً يَقِفُ بنا على حدودِ أوامِرِكَ ونواهيك ، ونسألُكَ العِصْمَةَ من الأهواءِ المُرْدِيَةِ ، والغِبْطةَ بالآراءِ المُنْجِيَةِ ، وأن تمدَّنا من فَضْلِك العميم ، وبِرِّك الجسيم ، بالهدايةِ إلى أَوْضَحِ المعالمِ والسُّبُل ، والنجاةِ من معاطبِ الزَّيْغِ والمَيَل ، وأن تَجْعَلَ ما وقَفْتَنا عليه من الأَخبارِ ، وأَرَيْتَنا من الآياتِ ممَّن تقدَّمنا والآثار ، عِبْرَةً نَنْتفعُ بنظرِنا فيها ، وموعظةً تَزْجُرُنا عن مُوبِق الأَعمالِ ومُرْديها . اللهمَّ وصلِّ على نَبيِّك المُختار ، وعلى آلهِ وأَصحابهِ الأَبرار ، صلاةً [ترفع بها] مقامه ، وتُعلي بها مكانَه ، وعُمَّنا بشفاعتهِ ، واحشُرنا تَحْتَ لوائه بطاعتِه ، إنك جوادٌ مَجيدٌ ، فَعَّالٌ لما تشاءُ وتُريد . آمين

الباب السابع والأربعون
في أنواعِ السِّيَرِ والأَخبارِ وعجائبِها ، وفنون الأَشعارِ وغرائبها

مِن أَوضحِ الدِّلالةِ على ما في معرفةِ السِّيَرِ والآثارِ من الفوائدِ ، ما أَوْدَعَه الله عزَّ وجلَّ في كتابهِ الكريمِ من أَنباءِ الغابرين وسِيَرِ الماضين ، وقصصِ رُسُلِهِ صلّى الله عليهم ومَنْ أُرسِلوا إليه من [العالمين] ، وعجائب ما أَظْهَرَهُ على أَيديهم مِن المُعجزات ، وخَصَّهم بفَضْلِهِ من الآياتِ ، وغيرهم ، كأَصحابِ الفيلِ والأُخدودِ ، وقصَّةِ بلْعام ، والإخْبار عن هاروتَ وماروت ، وغير ذلك .

ومَنَّ الله تعالى على نبيِّه عليه الصلاةُ والسلام بما أَطْلَعَهُ عليه من سِرِّ الغَيْبِ إذ يقول : ﴿تلك من أَنباءِ الغَيْبِ نُوحيها إليك ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ ولا قَوْمُك من قَبْلِ هذا﴾ (هود : ٤٩) . وقال سبحانه : ﴿نحنُ نقصُّ عليك أَحْسَنَ القَصَصِ بما أَوْحينا إليك هذا القُرآنَ وإن كُنْتَ من قَبْلِهِ لَمنَ الغافلين﴾ (يوسف : ٣) . وقال في الاعتبارِ بهذا : ﴿لقد كان في قَصَصِهِم عِبْرةٌ لأُولي الأَلباب﴾ (يوسف : ١١١) .

وكُتُبه – سبحانه – القديمةُ [كالتوراةِ] والانجيلِ اشتملت كذلك على أَخبارِ الماضين وقَصَصِهِم ، حتى إنَّ التوراةَ مُتَرَتِّبَة الأَخبارِ من لَدُن آدم إلى بعثةِ موسى عليهما السلامُ .

وهي من بَعْدُ لِقاحُ العقولِ ، ومِشْكاةُ الأَفْهامِ ، وزِنادُ التَّجارِبِ ، ومِقْياسُ التَّيَقُّظِ ، ومِنْهاجُ الاعتبارِ ، وجَدَدُ السالكِ . وإذ قدِ التفَّت الأَبوابُ التي تقدَّمت

بالأخبارِ والآثارِ التي هي من جِنْسِها ، أَتْبَعْتُها في هذا البابِ بما كان مُسْتَغْرَباً ومعجباً نادِراً ، وبالأشعارِ الشاذةِ عن المعاني المطروقةِ ، والمقاصدِ المسلوكة ، والأَغراضِ المعهودة ، [. . .] المُعَدَّة لمِثْلِها من نادِرِ المطالبِ وشاذِّ الاتفاق . والله تعالى الموفِّق لما يُرضيه ، ويُباعدُ من سَخطِهِ بمَنِّه وسَعَةِ فَضْلِهِ .

٣٥٥ – رُوِيَ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خَرَج ليلةَ هاجَر من مكَّةَ إلى المدينةِ وأبو بكرٍ رضي الله عنه ، وعامرُ بنُ فُهَيْرةَ ، ودليلُهما الليثيُّ عبدالله بنُ أُرَيْقِط ، فمرُّوا على خيمةِ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعيَّةِ ، وكانَتْ امرأةً بَرْزَةً جَلْدَةً تَحْتبي بِفناء بَيْتِها ، ثم تَسْقي وتُطْعِمُ ، فسألوها لَحْماً وتَمْراً ليشتروه منها ، فلم يُصيبوا عندها شيئاً من ذلك . وكان القومُ مُرْمِلين مُسْنِتين ، فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آلهِ وصحبه وسلَّم إلى شاةٍ [في كَسْرِ] الخيمة ، فقال : ما هذه الشاةُ يا أُمَّ مَعْبَد ؟ قالت : خَلَّفها الجَهْدُ عن الغنمِ . قال : هل بها مِن لبنٍ ؟ قالت : هي أَجْهَدُ من ذلك . قال : أَفتَأذنين لي أن أَحلبَها ؟ قالت : بأبي وأُمي ، نعم إنْ رأيْت بها حَلْباً فاحلبها . فدعا رسولُ اللهِ ﷺ بالشاةِ ، فمسح ضِرْعَها وسمَّى اللهَ عزَّ وجلَّ ، ودعا لها في شاتها ، فتفاجَّتْ عليه ودرَّتْ وأمرَّت[1] . ودعا بإناءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ ، فحلب فيه ثَجّاً حتى عَلَبه الثُّمالُ[2] ، ثم سقاها حتى رَوِيَتْ ، وسقى أَصحابَه حتى رَوَوْا ، ثم شَرِبَ آخِرَهم وقال : ساقي القَوْمِ آخِرُهم شُرْباً . فشربوا عَلَلاً بعد نَهلٍ ، ثم حلبَ فيه ثانياً عَوْداً على بَدْءٍ حتى ملأ الإناءَ ، ثم غادره عندها ، فبايعها وارتحلوا عنها .

فقلَّ ما لبِثَتْ حتى جاء زَوْجُها أبو مَعْبَد يسوقُ أَعْنُزاً حُيَّلاً عِجافاً

---

٣٥٥ دلائل النبوة : أبو نعيم ٣٣٩ والبيهقي ١ : ٢٢٨-٢٣٩ .

---

١ البيهقي : واجترت .
٢ البيهقي : علاه البهاء .

يَتساوَكْنَ هُزالاً ، مُخُّهنَّ قليلٌ ، ولا نِقْيَ لـهُنَّ . فلما رأى أَبو مَعْبَدٍ اللبنَ ، عَجِبَ وقال : مِن أَين هذا يا أُمَّ مَعْبَد ، والشاةُ عازِبةٌ حائلٌ ، ولا حَلوبَةَ في البَيْتِ ؟ فقالت : لا والله ، إلا أَنَّه مرَّ بنا رجلٌ مُبارَكٌ كان من حديثِهِ كيْتَ وكَيْت . قال : صفيه لي يا أُمَّ مَعْبَد . قالت : رجلٌ ظاهِرُ الوَضاءَةِ ، أَبْلَجُ الوَجْهِ ، حَسَنُ الخَلْقِ ، لمْ تَعِبْهُ نُحلةٌ ، ولم تُزرِ به صَعْلَةٌ ؛ وسيمٌ قَسيمٌ ، في عَيْنَيْهِ دَعَجٌ ، وفي [أَشفارِهِ] وَطَفٌ[1] ، وفي صوتِهِ صَحَلٌ[2] ، وفي عُنُقِهِ سَطع ، وفي لحيته كثاثةٌ ، أَحْوَرُ ، أَكْحَلُ ، أَزَجُّ ، أَقْرَنُ ؛ إن صَمَتَ فعليه الوَقارُ ، وإن تكلَّم سما وعلاه البَهاءُ ؛ أَجملُ الناسِ وأَبهاه من بَعيدٍ ، وأَحلاه وأَحسَنُه من قَريبٍ ، حُلْوُ المنطقِ ، فَصْلٌ ، لا نَزْرٌ ولا هَذر ، كأَنَّ مَنْطِقَه خرَزاتُ نظْمٍ يتحدَّرْنَ ، رَبْعَةٌ لا تَشْنَؤُهُ من طولٍ ، ولا تقتحمه العينُ مِن قِصَرٍ ، غُصنٌ بين غُصنين ، فهو أَنْضَرُ الثلاثةِ مَنْظَراً ، وأَحسنُهم قَدْراً ، له رُفقاءُ يحفُّون به ، إنْ قال أَنْصتوا لقَوْلِهِ ، وإنْ أَمر تبادروا إلى أَمْرِهِ ، مَحفودٌ مَحْشودٌ ، لا عابسٌ ولا مُفَنِّد .

قال أَبو مَعْبَد : [هو واللهِ] صاحبُ قريشٍ الذي ذكر لنا من أَمْرِهِ بمكَّةَ ما ذُكِر ، ولو كُنْتُ وافَقْتُه لالتَمَسْتُ صُحْبَتَهُ ، ولأَفْعَلَنَّ إن وَجَدْتُ إلى ذلك سبيلاً .

٣٥٦ – رُوِيَ أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه نظر إلى أَهلِ الشورى جُلوساً ، فقال : أَكلُّكم يطمعُ في الخِلافةِ بَعْدي ؟ فوجموا ، فقال لهم ثانيةً ، فأَجابه الزبيرُ فقال : نعم ، وما الذي يُبعدنا عنها ، وقد وليتَها فقُمْتَ بها ،

---

٣٥٦ انظر أنساب الأشراف ٥ : ١٧ والعثمانية للجاحظ : ٢٧٤ .

---

١ البيهقي : غطف .
٢ البيهقي : صهل .

ولَسْنا دونَك في قُرَيْش ، ولا خَيْرَ في القَرابةِ ؟ فقال عمرُ : أَلا أُخبرُكم عن أنفسِكم ؟ قالوا : بلى ، فإنَّا لو استعْفَيْناكَ ما أَعفَيْتَنا ، فقال : أَما أَنْتَ يا زبيرُ فوعقة لقِسٌ ، مُؤمنُ الرِّضا كافِرُ الغَضَبِ ، يوم [. . .] شيطان ، ولعلَّها لو أَفْضَتْ إليك ، لظَلِلْتَ [. . .] تُلاطمُ في البَطْحاءِ على مُدٍّ مِنْ شَعيرٍ ، أَفرأَيْتَ إن أَفْضَتْ إليك ، فَمَنْ يكونُ على الناسِ يوم تكون شيطاناً ، ومن يكونُ إذا غَضِبْتَ إماماً ؟ ما كان اللهُ لِيَجْمَعَ لك أَمْرَ أُمةِ محمد صلّى الله عليه وأَنْتَ في هذه الصفةِ .

ثم أَقْبَلَ على طلحةَ فقال : أَقولُ أَم أَسْكُتُ ؟ قال : قُلْ ، فإنَّك لا تَقولُ لي من الخيرِ شيئاً . قال : ما أَعرفُكَ منذ ذهَبَت أُصبعُك يومَ أُحد من البَأْوِ الذي أَحدَثْتَ ، ولقد مات رسولُ اللهِ ﷺ وهو ساخِطٌ للكلمةِ التي قُلْتَها يَوْمَ نَزَلَتْ آيةُ الحِجابِ . أفأَقولُ أَم أَسكتُ ؟ قال : تاللهِ لَما سكَتَّ .

ثم أَقْبَلَ على سعدٍ فقال : إنَّما أَنت صاحبُ قَنَصٍ وقَوْسٍ وأَسْهُمٍ ، ومِقْنَبٌ من هذه المقانبِ ، وما زُهْرَةُ والخلافة وأُمور الناسِ ؟

ثم أَقبل على عليّ بن أَبي طالب ، فقال : للهِ أَنْتَ لولا دُعابَـةٌ فيك ، أَما واللهِ لو وَليتَهُم لحَمَلْتَهُم على المحجَّةِ البيضاءِ والحقِّ الواضح ، ولن يفعلوا .

ثم قال : وأَنْتَ يا عبدَ الرحمن ، فلو وُزِنَ إيمانُ المسلمين بإيمانِك لرَجَحْتَ ، ولكنْ فيك ضَعْفٌ ، وليس يصلحُ هذا الأَمر لمن ضَعُفَ مِثْلَ ضَعْفِك ، وما زُهْرَةُ وهذا الأَمر ؟

ثم أَقبل على عثمان فقال : هيهن إليك ، كأَني بك وقد قلَّدتْكَ قريشٌ هذا الأَمرَ ، [. . . . . .] فحَمَلْتَ بني أُميةَ وبني أبي مُعَيْط على رِقابِ الناسِ ، وآثَرْتَهُم بالفَيْءِ ، فسارتْ إليك عصابةٌ من ذُؤْبان العرب فذبحوك على فِراشِك ذَبْحاً ، واللهِ لئن فعلوا لتفعلنَّ ، ولئن فَعَلْتَ لَيَفْعَلُنَّ ، ثم أَخذَ بناصيته فناجاه ، ثم قال : إذا كان ذلك ، فاذكُر قولي هذا ، فإنَّه كائنٌ .

٣٥٧ – رُوي عن عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ أنَّه قال : اجتمع رجالٌ من بني هاشم في منزلي ، منهم : إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، وعبدالله بن عليّ ، وغيرُهما من بني العباسِ . ومن ولدِ أبي طالبٍ : عبدالله بن الحسن بن الحسنِ ، وابنا عبدالله محمد وإبراهيم ، وجعفر بن محمد وغيرهم من أهلِهم . وكان اجتماعُهم للحجِّ ، فخَفِيَ بذلك أمرُهُم . فابتدأ محمد بن عبدالله ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أما بَعْدُ يا بني هاشم ، فإنكم خِيرةُ اللهِ ، وعِتْرَةُ رسولِ الله ﷺ ، وبنو عمِّه وذُرِّيَّتُه ، فضَّلكم اللهُ بالوَحْيِ ، وخَصَّكم بالنُّبوَّةِ ، وإنَّ أَوْلى الناسِ بحِفْظِ دينِ الله عزَّ وجلَّ ، والذَّبِّ عن حُرَمِهِ مَنْ وَضَعَهُ اللهُ تعالى بموضِعكم من نَبِيِّه ﷺ . وقد أَصبَحَتِ الأُمَّةُ معصوبةً ، والسنَّةُ مُبَدَّلةً ، والأَحكامُ مُعَطَّلةً ، فالباطلُ حيٌّ ، والحقُّ مَيِّتٌ ؛ فابذلوا أنفسكم في طاعةِ اللهِ تعالى ، واطلبوا باجتهادِكم رِضاه ، واعتصموا بحَبْلِهِ ، [وإياكم] أن تهونوا بعد كَرامةٍ ، وتذلُّوا بعد عِزٍّ ، كما ذلَّتْ بنو إسرائيل مِنْ قَبْلكم وكانت أَحبَّ الخَلْقِ في وَقْتِها إلى ربكم ، فقال فيهم جلَّ وعزَّ : ﴿كانوا لا يتناهَوْنَ عن مُنْكَرٍ فعلوه﴾ (المائدة : ٧٩) . فمن رأى منكم نَفْسَهُ أهلاً لهذا الأمرِ ، فإنَّا نَراه له أَهْلاً ، وهذه يدي له بالسَّمْعِ والطاعةِ ؛ ومن أَحسَّ من نَفْسِهِ ضَعْفاً وخافَ منها وَهْناً وعَجْزاً ، فلا يحلُّ له التولِّي على المسلمين ، وليس بأَفْقَهِهم في الدينِ ، ولا أَعلمهم بالتأويلِ ، أَقولُ قولي هذا ، واستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم .

قال : فواللهِ ما ردَّ أَحدٌ كَلِمةً غير أَبي جعفر عبدالله بن محمد فإنه قال : [أمتع] اللهُ قَوْمَكَ بك ، وأَكْثَرَ فيهم مِثْلَكَ ، فواللهِ لا يزالُ فينا مَنْ يَسْمو إلى الخيرِ ، ويُرْجى لِدَفْعِ الضَّيْمِ ، ما أَبقاك اللهُ لنا ، وشدَّ بك أَزْرَنا . فقالوا لعبدِالله : أَنْتَ شَيْخُ بني هاشم وأَقعدُهم ، فامدُدْ يَدَكَ حتى نبايعَكَ . فقال : ما أَفْعَلُ ذلك ، ولكن هذا ابني محمدٌ ، فبايِعوهُ ، فقالوا له : إنَّما قيل لك هذا لأَنَّه لم يُشَكَّ فيه ، وههنا من هو أَحقُّ بالأَمرِ مِنْكَ ، واختلطت الأَصواتُ ، وقاموا لوَقْتِ صلاة .

قال عبدالله بن جعفر : فتوكّأ جعفرُ بنُ محمد على يدي وقال : واللهِ ما يملكُها إلا هذان الفَتَيان ، وأَوْمأ إلى السفاحِ والمنصورِ ، ثم تَبْقى فيهم حتى يتلعَّبَ بها خدمُهُم ونساؤهم ، [. . .] على محمد بن عبدالله كلامه من العباسيين هو قاتلُه وقاتلُ أبيه وأخيه .

ثم افترقوا فقال لي عبدالله بن محمد المنصور ، وكانت بيني وبَيْنَه خاصَّةُ وُدٍّ : ما الذي قال لك جعفرٌ ؟ فعرَّفْتُهُ ذلك ، فقال : إنا خبَرْنا أبا محمدٍ ، ما قال شيئاً إلا وَجَدْناهُ كما قال .

قال عبد العزيزِ بن عمران : وبلغني أنَّ المنصورَ قال : رتَّبْتُ عُمَّالي بعد كلام جعفرٍ ثقةً بقولهِ .

٣٥٨ – ورُوِيَ عن أبي هريرةَ أنَّه قال : لما كان الفَتْحُ قال لي خالدُ بنُ الوليد : يا أبا هُرَيْرةَ ، اذهَبْ بنا إلى هند بنت عُتْبَة لعلَّك تَقْرأُ عليها بَعْضَ القُرآنِ لِيَنْفَعَها اللهُ تعالى به . قلتُ : انطلق . فدخَلْنا عليها كأنَّها واللهِ فَرَسٌ عربيٌّ ، وكأَنَّ وراءَ عجيزتِها رجلاً جالساً . فقال لها خالدُ بنُ الوليد : يا أُمَّ معاويةَ ، هذا أبو هريرةَ صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ ، جئتُكِ به لِيَتْلُوَ عليكِ القُرآنَ ، ويذكُرَ أَمْرَ الإسلام ، قالت : هاتِ ، قال أبو هريرة : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿تبارك الذي بيدهِ المُلْكُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير﴾ (الملك : ١) ، حتى انتهى إلى قولهِ عزَّ وجلَّ : ﴿كرَّتين يَنْقَلِبْ إليك البصرُ خاسئاً وهو حسير﴾ (الملك : ٤) . قالت : لا وسَدَنِ الكعبةِ ، ما سمِعْنا بشاعرٍ قطُّ يَنْتَحِلُ خَلْقَ السماواتِ والأرضِ إلا [صاحبكم] هذا . قال : يقول خالد : قُم يا أبا هُرَيْرة ، فواللهِ لا تُسْلِمُ هذه أبداً . فقُمْنا فَخَرَجْنا مِنْ عِنْدِها .

٣٥٩ – لمّا قُتِل الحسينُ بنُ عليٍّ عليهما السلامُ كان النَّوْحُ عليه بالمدينةِ في كلِّ بَيْتٍ سنةً كاملةً ، ثم نِيحَ عليه في السنةِ الثانيةِ في كلِّ جُمعةٍ ، ثم نِيحَ عليه في الثالثةِ في كلِّ شَهْرٍ . وكان مروانُ بن الحكَمِ والمِسْوَرُ بن مَخْرَمَةَ يدخلان إليهم مُقَنَّعَيْن فيبكيانِ أشدَّ بُكاءٍ حتى يَنْقَضِيَ النَّوْحُ .

٣٦٠ – كان بالمدينةِ رجلٌ من أَهلِ الكتابِ[١] يُقالُ له يوسف ، موصوفٌ بقراءةِ الكُتُبِ . فلَقِيَ عبدَ الملكِ بنَ مروانِ ، فقال له : إِن بَشَّرْتُك بشارةً تسرُّكَ ، ما تَجْعَلُ لي ؟ قال : وما مقدارُها من السرورِ حتى يُعلمَ مِقدارُها من الجُعْلِ ؟ قال : أَن تَمْلِكَ الأَرْضَ ، قال : ما لي مِن مالٍ ، ولكن أَرأَيْتَ إِن تكلَّفْتُ لك جُعلاً أَتأتيني بذلك قبلَ وَقْته ؟ قال : لا ، قال : فإِن حَرَمْتُكَ ، أَتؤخِّرهُ عن وَقْتِهِ ؟ قال : لا ، قال : حسبُك ما فَعلت[٢] .

٣٦١ – كان في عبد الصمدِ بنِ علي بن عبدالله بن عباسٍ عجائب ، منها أَنَّ أَسنانَه كانَتْ قطعةً واحدةً ، ودخل قَبْرَهُ بأَسنانهِ التي وُلِد بها ، ولم ينبت له سِنٌّ ولم يتغيَّر .

ومنها أنه حجَّ في سنة سبعين ومائةٍ ، وحجَّ يزيد بن معاويةَ بهم سنةَ خمسين وبينهما [مائة] وعشرون سنةً ، وهما في القُعدد سواء .

ومنها أَنَّه كان يوماً عند الرشيدِ فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، هذا مجلسٌ فيه عمُّك ، وعمُّ أَبيك ، وعمُّ جَدِّك ، يعني سليمان بن أَبي جعفر عمّ الرشيد ، والعباس بن محمد عمّ المهديِّ ، وعبد الصمد بن عليّ عمّ المنصورِ .

ومنها أَنَّه دخل سَرَباً فطارَتْ ريشتان فلَصقتا بعَيْنَيْهِ ، فذهبَ بَصَرُهُ .

٣٦٢ – دخل أَبو عبيدالله معاويةُ بنُ يسار كاتبُ المَهْديِّ على المهديِّ ،

---

٣٦٠ نثر الدر ٣ : ٤٥٢ .
٣٦١ تاريخ بغداد ١١ : ٣٧-٣٨ ووفيات الأعيان ٣ : ١٩٥-١٩٦ وسير أعلام النبلاء ٩ : ١٣٥-١٣٦ .
٣٦٢ الأغاني ٤ : ٥٨ .

---

١ نثر الدر : الكتابة .
٢ نثر الدر : ما سمعت .

وكان قد وَجَدَ عليه في أمرٍ بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرٌ بالمجلس ، فجعل المهديُّ يشتمُ أبا عبيدالله ويَتَغَيَّظُ عليه في أمرٍ ، ثم أمَرَ فَجُرَّ برِجْلِهِ وحُبِسَ ، ثم أطْرَقَ المهديُّ طويلاً ، فلما سكن أنْشَدَ أبو العتاهية : [من الوافر]

أرى الدنيا لِمَنْ هي في يَدَيْهِ ... عذاباً كلَّما كَثُرَت لدَيْهِ

تُهينُ المُكْرِمين لها بصُغْرٍ ... وتُكرمُ كلَّ مَنْ هانَتْ عَلَيْهِ

إذا استغنيتَ عن شيءٍ فَدَعْهُ ... وخُذْ ما أنْتَ محتاجٌ إليه

فتبسَّم المهديُّ ، ثم قال لأبي العتاهية : أحسَنْتَ ، فقام أبو العتاهيةِ فقال : واللهِ يا أميرَ المؤمنين ما رأيْتُ أحداً أشدَّ إكْراماً للدنيا ، ولا أضَنَّ بها ، ولا أحْرَصَ عليها من هذا الذي يُجَرُّ برِجْلِهِ الساعةَ ، ولقد دخَلْتُ على أميرِ المؤمنين ، ودخل وهو أعزُّ الناسِ ، فما بَرِحْتُ حتى رأيْتُهُ أذَلَّ الناسِ ، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستَوَتْ أحوالُهُ ولم تتفاوَتْ . فتبسَّم المهديُّ ودعا بأبي عبيدالله ورَضِيَ عنه . وكان أبو عبيدالله يذكر ذلك لأبي العتاهية .

٣٦٣ – لـمّا قتل زيادٌ عُروةَ بنَ أُدَيَّةَ الخارجي ، وهو عروةُ بن حُدَير أحدُ بني ربيعة بن حَنْظلة ، وأُدَيَّة جَدَّةٌ [له] وهو فيما يقال : أوَّلُ [مَنْ] حكَّم ، عاد زيادٌ فقال [لمولى عروة] : صِفْ لي أُمورَهُ ، فقال : أُطْنِبُ أم أَخْتَصِرُ ؟ قال : اختَصِر ، قال : ما أَتيتُه بطعامٍ نهاراً قطُّ ، ولا فرَشْتُ له فراشاً بليلٍ قطُّ .

٣٦٤ – حدَّث أبو عمروٍ الشيبانيُّ أنَّ يزيدَ بن معاويةَ شَرِبَ حتى سَكِرَ ، ثم ركب فرساً وأقبل حتى علا جَبَلاً ، فانتهى إلى فَصْلٍ بَيْنَه وبين جَبَلٍ آخر ، فأراد أن يُوثِبَ فَرَسَهُ حتى يلحقَ الجبل الآخَرَ ، فقرعه بالسَّوْطِ ، فوثب فلم يبلغ ، وسقط فمات .

٣٦٥ – حدَّث خالد بن كلثوم وهشام بن الكلبيُّ وأبو عمرو الشيبانيُّ أنَّ

---

٣٦٣ الكامل للمبرد : ١٩٨ .

ابنه عُمَر [؟] لمّا حجَّ وانصرفَ قال : [من الرجز]

إِذا جَعَلْنَ ناقلاً يمينا فلن نعودَ بعدها سنينا

للحجِّ والعُمرةِ ما بقينا

فبدرت إليه صاعقةٌ فاحترق مكانه ، فبلغ ذلك محمد بن علي فقال : لم يستخفَّ أَحدٌ ببيتِ الله عزَّ وجلَّ إلا عُوجل .

٣٦٦ – قيل لبُزِرْجَمِهْر : من أَعلمُ الناسِ بالدنيا ؟ قال : أَقلُّهم منها تعجُّباً .

وفاة رسول الله ﷺ

٣٦٧ – عن جابر بن عبدالله وابنِ عباسٍ قالا : لما نزلت : ﴿إذا جاء نَصْرُ اللهِ والفتحُ﴾ (النصر : ١) إلى آخرِ السورةِ ، قال رسولُ الله ﷺ : يا جبريلُ ، نفسي قد نَعيتَ ، قال جبريل : ﴿وَلَلآخِرَةُ خيرٌ لك من الأولى ، ولسوف يُعطيك ربُّك فترْضى﴾ (الضحى : ٤ ، ٥) . فأمر رسولُ الله ﷺ بلالاً أن يُناديَ بالصلاة جامعة ، فاجتمع المهاجرون والأنصارُ إلى مسجدِ رسولِ الله ﷺ ، فصلى بالناسِ ، ثم صَعد المِنبَرَ فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثم خَطَبَ خُطبَةً وَجِلَتْ منها القلوبُ ، وبكَتْ منها العيونُ ، ثم قال : أيها الناسُ ، أيُّ نبيٍّ كُنْتُ لكم ؟ فقالوا : جَزاكَ اللهُ من نبيٍّ خَيْراً ، فلقد كُنْتَ لنا كالأَبِ الرحيم ، وكالأَخِ الناصحِ المُشْفِقِ ؛ أَدَّيْتَ رسالاتِ اللهِ ، وأَبلَغْتنا وَحْيَهُ ، ودَعَوْتَ إلى سبيلِ ربِّك بالحِكْمةِ والموعظةِ الحسنةِ ، فجزاكَ اللهُ عنا أَفْضَلَ ما جازى نَبِيّاً عن أُمَّتِهِ . فقال لهم : معاشِرَ المسلمين ، أنا أَنْشدُكم اللهَ وبحقِّي عليكم ، مَنْ كان منكم له قِبَلي مَظْلَمةٌ ، فَلْيَقُم فَلْيَقْتَصَّ مني ، فلم يقُم إليه أَحدٌ ، فناشدهم الثانيةَ ، فلم يَقُمْ إليه أَحدٌ ، فناشدهم الثالثةَ : معاشِرَ المسلمين ، مَنْ كانت له قِبَلي مَظْلَمةٌ ، فَلْيَقُم فَلْيَقْتَصَّ مني قَبْلَ القصاصِ يومَ القيامة . فقام من بين المسلمين شيخٌ كبيرٌ يقالُ له : عُكاشةُ ، فتخطَّى المسلمين حتى وقف بين يَدَيْ النبيِّ ﷺ فقال : فداكَ أَبي وأُمِّي ، لولا أَنَّك ناشَدْتَنا مرَّةً بعد أُخرى ، ما كُنْتُ بالذي أَتقدَّمُ على شيء منكَ ؛ كنتُ معكَ في غَزاةٍ ، فلما فتح اللهُ علينا ، ونَصَرَ نَبِيَّهُ ﷺ ، [وأَردْتَ] الانصرافَ ، حاذَتْ ناقتي ناقَتَك ، فنَزَلْتُ عن الناقةِ ، ودنَوْتُ منكَ لأُقَبِّلَ فَخِذَكَ ، فرفعْتَ القضيبَ فضَرَبْتَ خاصرتي ، فلا أَدري أَكان عَمْداً منكَ أَم أَرَدْتَ ضَرْبَ الناقةِ ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا عُكاشةُ ، أُعيذُكَ بجلالِ اللهِ أَن يتعمَّدكَ رسولُ اللهِ بالضربِ ؛ يا بلالُ ، انطَلِقْ إلى منزلِ فاطمةَ فَأْتني بالقضيبِ الممشوقِ ، فخرج

بلالٌ من المسجدِ ويدهُ على أُمِّ رَأْسِهِ وهو ينادي : هذا رسولُ الله يُعطي القِصاصِ من نَفْسِهِ ، فقرع البابَ على فاطمةَ ، فقال : يا ابنةَ رسولِ الله ، ناوليني القَضيبَ المَمْشوقَ ، فقالت فاطمةُ : يا بلالُ ، وما يَصْنَعُ أَبي بالقَضيبِ وليس هذا يومَ حجٍّ ولا [. . .] ؟ فقال : يا فاطمةُ ، ما أَغْفَلَكِ عمَّا فيه أَبوكِ ؟ ! إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يودع الدينَ ويُفارِقُ الدنيا ، ويُعطي القِصاصَ من نَفْسِهِ ، فقالت فاطمةُ عليها السلام : يا بلالُ ، ومَنْ تطيبُ نَفْسُهُ أَن يقتصَّ من رسولِ الله ﷺ ؟ يا بلالُ ، أُدْنُ وقل للحَسَنِ والحسين يقومانِ إلى هذا الرجلِ فيقتصَّ منهما ، ولا يَدَعانهِ يقتصُّ من رسولِ الله .

ودخل بلالٌ المسجدَ ، ودفع القضيبَ إلى عُكاشةَ . فلما نظر أَبو بكرٍ وعمرُ إلى ذلك قاما فقالا : يا عُكاشةُ ، هذا نحنُ بين يَدَيْكَ ، فاقتَصَّ منا ولا تَقْتَصَّ من رسولِ الله . فقال لهما النبيُّ ﷺ : امضِ أَنْتَ يا أَبا بكر ، وأَنْتَ يا عُمَرُ فامْضِ ، فقد عرف الله مكانَكما ومقامكما ؛ وقام عليُّ بن أَبي طالب فقال : يا عكاشةُ ، أَنا في الحياةِ بين يَدَيْ رسولِ الله ﷺ ، ولا تطيبُ نَفْسي أَن تَضْرِبَ رسولَ اللهِ ، فهذا ظَهْري وبَطْني ، اقتصَّ مني بيدِكَ واجلِدْني ، ولا تَقْتَصَّ من رسولِ الله . فقال النبيُّ ﷺ : يا عليُّ ، اقْعُد ، فقد عرف الله مقامَك ونيَّتَكَ .

وقام الحسنُ والحسيْنُ فقالا : يا عُكاشةُ ، أَلستَ تعلمُ أَنّا سِبْطا رسولِ الله ﷺ ، والقِصاص [مِنّا] كالقصاصِ من رسولِ الله ؟ فقال لهما النبيُّ ﷺ : اقعُدا يا قُرَّةَ عَيْني ، لا نَسيَ اللهُ لكما هذا المقامَ ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : يا عكاشةُ ، اضربْ إن كُنْتَ ضارباً ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، ضربتني وأَنا حاسِرٌ عن بطني . فكشف عن بَطْنِهِ ﷺ ، وصاح المسلمون وقالوا : أَترى عكاشة ضارباً بَطْنَ رسولِ الله ﷺ ؟ ! فلما نظر عكاشةُ إلى بياض بَطْنِهِ ﷺ كأَنَّه القَباطيُّ ، لم يَمْلِكْ أَنْ أَكَبَّ عليه ، فقبَّل بَطْنَهُ وهو يقولُ : فِداكَ أَبي وأُمي ، ومن تُطيقُ نَفْسَهُ أَن يَقْتَصَّ مِنْكَ ؟ ! فقال له النبيُّ ﷺ : إمَّا أَن تَضْرِبَ ، وإمَّا أَن تَعْفُوَ . فقال : قد عَفَوْتُ عَنْكَ رجاءَ أَن يَعْفُوَ اللهُ عني في القيامةِ . فقال النبيُّ ﷺ : مَنْ أَراد أَن

يَنْظُرَ إلى رفيقي في الجنةِ ، فَلْيَنْظُر إلى هذا الشَّيْخِ ، فقام المسلمون فجعلوا يُقَبِّلونَ ما بين عَيْنَيْهِ ويقولون : طوباك ! طوباك ! نِلْتَ درجاتِ العُلى ، ومرافقةَ رسولِ الله ﷺ .

فمرضَ رسولُ اللهِ مِن يَوْمِهِ ، فكان مريضاً ثمانيةَ عشر يَوْماً يعودُهُ الناسُ . وكان ﷺ وُلد يومَ الاثنين ، فلما كان يومُ الأَحدِ ثَقُلَ في مرضِهِ ، فأَذَّنَ بلالٌ بالأذانِ ، ثم وقفَ بالبابِ فنادى : السلامُ عليك يا رسولَ اللهِ ورَحْمَةُ الله ، الصلاةَ رَحمكَ اللهُ . فسمع رسولُ الله ﷺ صوتَ بلال ، فقالت فاطمة : يا بلال إن رسولَ الله مشغول بنفسه . فدخل بلال المسجدَ ، فلما أسفر الصبح قال : واللهِ لا أقيمها حتى أستأذنَ سيدي رسولَ اللهِ . فرجع وقام بالباب ونادى : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، الصلاة رحمك الله . فسمع رسول الله ﷺ صوته فقال : ادخل يا بلال ، إنَّ رسولَ الله مشغولٌ بنَفْسِهِ ، مُرْ أبا بكرٍ يُصَلِّي بالناسِ ، فخرج ويدهُ على أُمِّ رأْسِهِ ، وهو يقول : يا غَوْثاهُ ! يا للهِ وانقطاعِ رجائي وانقصام ظَهْري ! ليتني لم تَلِدْني أُمي ، وإذ وَلَدتني لم أَشْهَدْ من رسولِ الله هذا اليومَ ، ثم قال : يا أَبا بكرٍ ، أَلا إنَّ رسولَ اللهِ يأمُرُكَ أَن تُصَلِّيَ بالناسِ . فتقدَّم أَبو بكر للناسِ ، وكانِ رجلاً رقيقاً ، فلما نظر إلى خُلوِّ المكانِ من رسولِ الله لم يتمالك أن خَرَّ مَغْشِيّاً عليه ، وصاح المسلمون بالبكاء . فسمع رسولُ الله ﷺ ضَجيجَ الناسِ ، فقال : ما هذه الضجَّةُ ؟ قالوا : ضَجيجُ المسلمين لفَقْدِك يا رسولَ [الله] . فدعا عليَّ بنَ أَبي طالب والعباسَ فاتَّكأ عليهما ، فخرج إلى المسجدِ ، فصلَّى بالناسِ رَكْعَتَيْن خفيفتَيْن ، ثم أَقبل بوَجْهِهِ المليح عليهم ، فقال : معشرَ المسلمين ، عليكم باتِّقاء الله وحِفْظِ طاعتهِ مِنْ بعدي ، فإني مفارقٌ الدنيا ؛ هذا أَوَّلُ يومٍ من الآخرةِ ، وآخِرُ يومٍ من الدنيا . فلما كان في يومِ الاثنين اشتدَّ به الأَمْرُ ، وأَوحى الله تعالى إلى ملك الموتِ : أَن اهبط إلى حبيبي وصفيِّي محمدٍ في أَحسنِ صورةٍ ، وارفُق به في قَبْضِ روحهِ . فهبط ملكُ الموتِ فوقف بالبابِ شِبْهَ أَعرابيٍّ ، ثم قال : السلامُ عليكم يا أَهْلَ بيتِ النبوَّةِ ، ومَعْدِنِ الرسالةِ ، ومختلف

الملائكةِ ، أأدخُلُ ؟ فقالت عائشةُ لفاطمةَ : أجيبي الرجلَ ، فقالت فاطمةُ : آجَرَكَ اللهُ في مَمْشاكَ يا عَبْدَالله ، إنَّ رسولَ اللهِ مَشْغولٌ بِنَفْسِهِ ؛ فنادى الثانيةَ ، فقالت عائشةُ : يا فاطمةُ ، أجيبي الرجلَ ، فقالت مِثْلَ المقالةِ الأُولى ، ثم دعا الثالثة مثل الأُولى والثانية : أأدخُلُ فلا بدَّ من الدخولِ . فسمع رسولُ الله ﷺ صوتَ ملكِ الموتِ عليه السلام ، فقال : يا فاطمةُ ، مَنْ بالبابِ ؟ قالت : يا رسولَ اللهِ ، إنَّ رجلاً بالبابِ يستأْذِنُ في الدخولِ فأَجَبْناهُ مرَّةً بعد أُخرى ، فنادى في الثالثةِ صوتاً اقشعرَّ منه جِلدي وارتعدَتْ فرائصي ، فقال لها النبيُّ ﷺ : يا فاطمةُ ، أتدْرينَ مَنْ بالبابِ ؟ هذا هادم اللذاتِ ، ومُفَرِّقُ الجَماعاتِ ؛ هذا مُرَمِّلُ الأَزواجِ ، ومؤتم الأَولاد ؛ هذا مُخَرِّبُ الدور ، وعامِرُ القُبورِ ، هذا مَلَكُ الموتِ ؛ ادخل رحمكَ الله ، يا ملكَ الموتِ ، جئتني زائراً أَم قابضاً ؟ قال : جئتُكَ زائراً وقابضاً ، وأَمرني اللهُ أَن لا أَدخُلَ عليك إلا بإِذْنِكَ ، ولا أَقبضَ روحَك إلا بإِذْنِكَ ، فإن أَذِنْتَ ، وإلا رَجَعْتُ إلى ربِّي . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : يا مَلَكَ الموتِ ، أَيْنَ خَلَّفْتَ حبيبي جبريلَ ؟ قال : خَلَّفْتُه في السماءِ الدنيا والملائكةُ يُعَزُّونه فيك . فما كان بأَسرعَ من أَن أَتاه جبريلُ عليه السلام ، فقعد عند رأْسِهِ ، فقال رسولُ الله : يا جبريلُ ، هذا الرحيلُ من الدنيا ، فَبَشِّرْني ، ما لي عند الله ؟ قال : أُبَشِّرُك يا حبيبَ اللهِ أَني تركْتُ أَبوابَ السماءِ قد فُتِحَتْ ، والملائكة قد قاموا صفوفاً صفوفاً بالتحيَّةِ والرَّيْحانِ ، يُحَيُّون روحَك يا محمد . فقال : لِوَجْهِ رَبِّي الحَمْدُ ، فَبَشِّرني يا جبريلُ ، قال : أَنتَ أَوَّلُ شافعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ في القيامةِ . قال : لِوَجْهِ رَبِّي الحمدُ ، فبَشِّرْني يا جبريلُ ، قال جبريلُ : عمَّ تسأَلُني ؟ قال : أَسأَلُكَ عن غَمِّي وهَمِّي ؛ مَنْ لِقُرَّاءِ القرآنِ مِن بَعْدي ؟ مَنْ لِصُوَّامِ شهرِ رمضانَ مِنْ بَعْدي ؟ مَنْ لِحُجَّاجِ بيتِ اللهِ الحرامِ مِنْ بَعْدي ؟ مَنْ لأُمَّتي المصطفاةِ من بَعْدي ؟ قال : أَبْشِر يا حبيبَ اللهِ ، فإنَّ الله تعالى يقول : قد حرَّمْتُ الجنَّةَ على جميعِ الأَنبياءِ حتى تدخُلَها أَنْتَ وأُمَّتُك يا محمد . قال : الآنَ طابَتْ نَفْسي ، آدنُ يا مَلَكَ الموتِ فانْتَهِ إلى ما أُمِرْتَ به . فقال عليٌّ عليه السلام : يا رسولَ اللهِ ، إذا أَنت قُبِضْتَ فَمَنْ

يغسلك ، وفيما نُكَفِّنك ، ومن يُصَلِّي عليك ومَنْ يُدخلُكَ القَبْرَ ؟ فقال النبيُّ عليه الصلاةُ والسلام : أما الغَسْلُ ، فاغسلني أَنْتَ ، وابنُ عباسٍ يصبُّ عليك الماءَ ، وجبريل ثالثُكُما ، فإذا أنتم فرغتم من غَسْلي ، فكفّنوني في ثلاثة أثوابٍ جُدُدٍ ، وجبريلُ يأتيني بحَنوطٍ من الجنَّةِ ، فإذا أنتم وضعتموني على السريرِ ، فضَعوني في المسجدِ واخرُجوا عني ؛ فإنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصلِّي عليَّ الربُّ من فوقِ عَرْشِهِ ، ثم جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم الملائكةُ زُمَراً زُمَراً ، ثم ادخُلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً لا يتقدَّم عليَّ أحدٌ . فقالت فاطمةُ : اليوم الفِراقُ ، فمتى أَلقاك ؟ فقال لها : يا بُنَيَّة ، تلقينني يومَ القيامةِ عند الحوضِ وأنا أَسْقي مَنْ يَرِدُ عليَّ الحوْضَ من أُمتي ، قالت : فإنْ لم أَلْقَكَ يا رسولَ الله ؟ قال : تلقينني عند الميزانِ وأنا أَشْفَعُ لأُمَّتي . قالت : فإن لم أَلْقَكَ يا رسولَ الله ؟ قال : تلقَيْنني عند الصراطِ وأنا أُنادي : ربِّ سلِّمْ أُمَّتي من النارِ . فدنا مَلَكُ الموتِ فعالج قَبْضَ روحِ رسولِ الله ﷺ ، فلما بلغ الروحُ إلى الركبتين ، قال النبيُّ عليه الصلاةُ والسلام : أُوَّه ! فلما بلغ الروح إلى [. . .] النبي عليه السلام : واكَرْباه ! فقالت فاطمةُ : واكَرْباه ! لِكَرْبِكَ يا أبتاه . فلما بلغ الروحُ إلى التَّنْدُوةِ ، قال النبيُّ ﷺ : يا جبريلُ ما أَشدَّ مرارَةَ الموتِ ! فولَّى جبريلُ وَجْهَهُ عن رسولِ الله ﷺ ، فقال : كَرِهْتَ النَّظَرَ إليَّ يا جبريلُ ! فقال جبريلُ : يا حبيبي ، ومن تُطيقُ نَفْسُهُ أن ينظرَ إليك وأنت تُعالجُ سكراتِ المَوْتِ ؟ فقُبِضَ ﷺ ، فَغَسله عليٌّ ، وابنُ عباسٍ يصبُّ الماءَ عليه ، وجبريلُ معهما ، فكُفِّنَ بثلاثةِ أثْوابٍ جُدُدٍ ، وحُمِلَ على السريرِ ، ثم أَدخلوه المسجدَ ، ووضعوه في المسجدِ ، وخرج [. . .] . فأوَّلُ مَنْ صلَّى عليه الربُّ من فَوْقِ عَرْشِهِ ، ثم جبريلُ ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم الملائكةُ زُمَراً زُمَراً .

قال عليٌّ عليه السلام : لقد سمعنا في المسجدِ هَمْهَمَةً ولم نَرَ لهم شَخْصاً ، فسمعنا هاتفاً يهتفُ وهو يقولُ : ادخلوا – يرحمكم الله – فصَلُّوا على نبيِّكم . فدخلنا فقُمنا صفوفاً كما أَمرنا رسولُ اللهِ ﷺ ، فكبَّرْنا بتكبير جبريل ، وصلَّيْنا على رسولِ الله ﷺ بصلاةِ جبريل ما تقدَّم منا أَحدٌ على رسولِ الله .

ودخل القَبْرَ عليُّ بنُ أَبي طالب وابنُ عباسٍ وأَبو بكرٍ ، ودُفِنَ رسولُ الله ، فلما انصرفَ الناسُ قالت فاطمةُ لعليٍّ : يا أَبا الحسنِ ، [. . .] رسولَ الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قالت : كيف طابت أَنْفسكم أَن تحثوا الترابَ على رسولِ الله ؟ أَما كان في صدورِكم لرسولِ الله الرحمةُ ؟ أَما كان معكم الخَيْرُ ؟ قال : بلى يا فاطمةُ ، ولكنّ أَمْرَ اللهِ الذي لا مَرَدَّ له ، فجعلتْ تندبُ وتبكي وهي تقول : يا أَبتاه ! الآن انقطع عنا جبريل ، وكان جبريلُ يأتينا بالوَحْيِ من السماء .

٣٦٨ – عن رُقَيْقَة بنت أَبي صَيْفي ، وكانت لِدَةَ عبد المطلب بنِ هاشم : تتابعَتْ على قريشٍ سنونَ جَدْبٍ ، أَقْحلَت الضّرعَ ، وأَرقَّت العَظْمَ ، فبينا أَنا راقدةٌ اللّهُمَّ [أَو مُهوِّمة] ومعي صِنْوي ، إِذا أَنا بهاتفٍ صيِّتٍ يصرخُ بصَوْتٍ صَحِلٍ يقول : يا معشرَ قريشٍ ، إِنَّ هذا النبيَّ المبعوثَ فيكم قد أَظَلَّتْكُم أَيَّامُه ، وهذا إِبَّانُ نُجومِهِ ، فَحَيَّهلا بالحياةِ والخِصْبِ ، أَلا فانظروا منكم رُجَيْلاً وسيطاً ، عُظاماً ، جُساماً ، أَبيضَ بَضّاً ، أَوْطَفَ الأَهدابِ ، سَهْلَ الخَدَّيْنِ ، أَشمَّ العِرْنين ، له فَخْرٌ يكْظمُ عليه ، وسنة تهدى إِليه ، أَلا فليخلص هو وولدُهُ ، ولْيَدْلِفْ إِليه من كلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ ، أَلا فَلْيَشُنُّوا عليهم من الماء ، ولْيمسُّوا من الطيبِ ، ولْيطوفوا بالبيتِ سَبْعاً ، أَلا وفيهم الطيِّبُ الطاهرُ لذاتِهِ ، أَلا فليَسْتَسْقِ الرجلُ ، ولْيُؤَمِّن القَوْم ، أَلا فغِثْتُم إِذَنْ ما شئتم وعِشْتُم .

قالت : [فأَصبحتُ مفؤودة] مَذْعورةً ، قد قَفَّ جلدي ، ودَلِهَ عقلي ، فقصصتُ رُؤْياي ، فذهبت في شعابِ مكةَ ، فوالحُرْمَةِ والحَرَمِ إِنْ بقيَ أَبْطحيٌّ إِلا قال : هذا شيبةُ الحَمْدِ . فتنامت إِليه رجالات قريشٍ ، وانفضَّ إِليه من كلِّ بَطْنٍ رجلٌ فشَنُّوا ومشوا واستلموا واطوَّفوا ، ثم ارتقوا أَبا قُبَيْس ، وطَفِقَ القومُ يَدِفُّون حَوْلَهُ ما إِن يُدرك سَعْيُهم مَهَلَهُ حتى قَرُّوا بذِرْوَةِ الجبلِ واستكفّوا جانبَيْه . فقام عبدُ المطلبِ فاعتضد ابنَ ابنِه محمَّداً ، فرفعه على عاتقِهِ ، وهو يومئذٍ غلامٌ قد

---

٣٦٨ دلائل النبوة (البيهقي) ٢ : ١٥ .

أيفع أو كَرَبَ ، ثم قال : اللهمَّ سادَّ الخَلَّةِ ، وكاشفَ الكُرْبَةِ ، [أنت عالم] غير مُعلَّم ، مسؤولٌ غيرُ مُبخَّل ، وهذه [عبدّاؤك] وإماؤك بعذرات حَرَمِك ، يشكون إليك سَنَتَهُم التي أذهبت الخُفَّ والظِّلْفَ ، فاسمَعَنَّ اللهمَّ وأَمْطِرَنَّ علينا غيثاً مُغْدِقاً مَريعاً . فوالكعبةِ ما راموا حتى انفجرت السماءُ بمائها ، واكتظَّ الوادي بثَجيجهِ ، فسَمِعْتُ شِيخانَ قريش ورجْلَتَها : عبدالله بن جُدعان ، وحرب ابن أُمية ، وهشام بن المغِيرةِ ، يقولون : هنيئاً لك أَبا البَطْحاءِ .

٣٦٩ – عن هند بنت الجَوْن : نزل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آلهِ وصحبهِ وسلَّم خَيْمَةَ خالتِها أُمِّ مَعْبَد ، فقام من رَقْدَتهِ ، فدعا بماءٍ فغسل يَدَهُ ، ثم تَمَضْمَضَ ومجَّ في عَوْسَجَةٍ إلى جانبِ الخيمةِ ، فأصبحت وهي كأعظم [. . .] بثمر كأعظم ما يكون في لونِ الوَرْسِ ورائحةِ العَنْبَرِ وطعمِ الشَّهْدِ ، ما أكل منها جائعٌ إلا شَبعَ ، ولا ظمآن إلا رَوِيَ ، ولا سقيمٌ إلا بَرِئ ، ولا أكل من وَرَقِها بعيرٌ ولا شاةٌ إلا درَّ لبنُها ، فكنا نُسمِّيها المباركة ، وينتابُنا من البوادي من يستسقي بها ، ويتزوَّد منها ، حتى أَصبَحْنا ذاتَ يَوْمٍ وقد تساقطَ ثمرُها ، وصغر ورقُها ، ففَزِعْنا ، فما راعنا إلا نَعْيُ رسولِ الله ﷺ ، ثم إنَّها بعد ثلاثين سنةً أَصبَحَتْ ذات شوكٍ من أولها إلى آخرِها ، وتساقط ثمرُها ، وذهَبَتْ نُضْرَتُها ، فما شَعَرْنا إلا [. . . . .] عليّ رضي الله عنه ، فما أَثْمَرَتْ بعد ذلك ؛ وكنَّا نتنفعُ بوَرقِها ، ثم أَصبَحْنا وإذا بها قد نبع من ساقِها دَمٌ عَبيطٌ ، وقد ذَبُلَ ورقُها ؛ فبينا نحنُ فَزِعين مهمومين إذ أَتانا خَبَرُ مقتلِ الحسينِ ، ويبست الشجرةُ على إثْرِ ذلك وذهَبَت .

وهذا خبرٌ غريبٌ ، ولم يشتهر خبَرُ الشجرةِ كما شهر أَمرُ الشاةِ في خبرِ أُمِّ مَعْبد ، وقد تقدَّم في أَولِ هذا البابِ ، وهو من أَعلام السِّيَرِ .

٣٧٠ – لمّا تلا رسولُ الله ﷺ : ﴿والنجمِ إذا هوَى﴾ (النجم : ١) ،

---

٣٧٠ دلائل النبوة : (أبو نعيم) ٢ : ٤٥٤ (البيهقي) ٢ : ٣٣٨ .

قال عتبة بن أبي لهب : كفرْتُ بربِّ النَّجْمِ ، فقال ﷺ : اللهم سلِّط عليه كَلْباً من كلابِكَ . فخرج مع أصحابِهِ في عِيرٍ إلى الشامِ [فلما] كانوا بمكانٍ يُقال له الزرقاء ، زَأَرَ الأَسَدُ ، فجعلت فرائصُ عتبة تُرْعِدُ ، فقالوا : من أيِّ شيءٍ تُرعِدُ فرائصُك ، فواللهِ ما نحنُ وأنْتَ إلا سواء ؟ فقال : إنَّ محمّداً دعا عليَّ ، ولا واللهِ ما أظلَّتِ السماءُ من ذي لَهْجَةٍ أصدقَ من محمدٍ ، ثم وضعوا العَشاءَ ، فلم يُدخِل يَدَهُ فيه ؛ ثم جاء النومُ فحاطوا أنْفسَهم بمتاعِهم ووسَّطوه بينهم وناموا . فجاء الأَسَدُ يَهْمِسُ [؟] يستَنْشي رؤوسَهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فَضَغَمَهُ ضَغْمَةً كانت إيَّاها ، فَسُمِع وهو بآخِرِ رَمَقٍ يقولُ : ألم أَقُل لكم إنَّ محمّداً أَصْدَقُ الناس ؟ !

٣٧١ – جابر بن عبدالله رضي الله عنه : بعثنا رسولُ الله ﷺ وأَمَّر علينا أبا عُبَيْدَة نتلقّى عيراً لقريشٍ ، وزَوَّدَنا جِراباً من تَمْرٍ لم يَجِدْ لنا غَيْرَهُ . فكان أبو عبيدةَ يُعطينا تمرةً تَمْرَةً نمصُّها كما يمصُّ الصبيُّ ، ثم نشربُ عليها من الماء ، فيكفينا يومَنا إلى الليلِ ، وكُنا يضربُ بعضُنا الخَبَطَ ثم نبلُّه بالماءِ فنأكله . فانطلقنا على ساحلِ البحرِ ، فرُفِعَ لنا كهيئةِ الكثيبِ الضَّخْمِ ، فأتينْاه فإذا دابَّةٌ تُدعى العَنْبر ، فأقمْنا عليه شَهْراً ونحن ثلاثمائة حتى سَمِنّا ، ولقد رأيتُنا نَغْتَرِفُ من وَقْبِ عَيْنِهِ بالقِلالِ الدُّهْنَ ، ونَقْتَطِعُ منه الفِدْرَةَ كالثَّوْرِ ، ولقد أخذ منَّا أبو عبيدةَ [ثلاثة عشر] رجلاً فأَقْعَدَهم في وَقْبِ عَيْنِهِ ، وأخذ ضِلْعاً من أضلاعه فأقامها ، ثم رَحَلَ أعظمَ بعيرٍ مِنَّا ، فمرَّ من تَحْتِها ، وتزوَّدْنا من لَحْمِهِ وشائقَ ، فلما قَدِمْنا المدينةَ ذكَرْنا ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال : هو رِزْقٌ أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمِهِ شيءٌ فتُطعمونا ؟ فأرسلنا إليه ﷺ فأكَلَهُ .

٣٧٢ – قال خُرَيْم بنُ أوسٍ : هاجَرْتُ إلى رسولِ الله ﷺ مُنْصَرَفَهُ من

---

٣٧١ مسند أحمد ٣ : ٣٠٩ وصحيح مسلم (صيد : ١٨) .
٣٧٢ الاصابة ٢ : ٢٧٤ ودلائل النبوة : (أبو نعيم) ٢ : ٥٤٠ (البيهقي) ٥ : ٢٦٧ .

تبوك وسمعتُه يقولُ : هذه الحيرةُ البيضاءُ قد رُفِعَت لي ، وهذه الشيماءُ بنتُ بُقَيْلة على بغلةٍ شهباءَ مُعْتَجِرةً بخمارٍ أسودَ ، فقلت : [يا رسولَ الله] ، إن نَحْنُ دخَلْنا الحيرةَ فوجَدْتُها بما تصفُ ، فهي لي ، فقال : هي لك . ثم كانت الرِّدَّةُ فدَخَلْناها ، فكان أوَّلَ من لقينا الشيماءُ كما قال ﷺ على بغلةٍ شهباءَ مُعْتَجِرَةٍ بخمارٍ أسودَ ، فتعلَّقْتُ بها وقُلْتُ : هذه وهبها لي رسولُ اللهِ ﷺ ، فدعا خالدٌ بالبيِّنَةِ ، فشهد لي محمد بن سلمة ومحمد بن بشير الأنصاري ، فدفعها إليَّ ؛ وجاء أخوها عبدُ المسيحِ فقال لي : بِعْنيها ، فقلتُ : لا أَنْقُصُها والله من عَشْرِ مئاتٍ شيئاً ، فأعطاني أَلْفَ درهم ، فقال لي : لو قلْتَ مائة ألف لدَفَعْتُها إليك ، فقلتُ : ما كُنْتُ أَحسِبُ عدداً أكثر من عَشْرِ مئات .

٣٧٣ – قال شيبة بن [عثمان بن] طلحة : ما كان أحدٌ أَبْغَضَ إليَّ من رسولِ الله ﷺ ؛ وكيف لا يكونُ ذلك وقد قتل منا ثمانيةً ، كلٌّ منهم يحمل اللواءَ . فلما فتح مكَّةَ أَيِسْتُ ممَّا كُنْتُ أتمنَّاهُ من قتله ، وقلتُ في نَفْسي : قد دخلت العربُ في دينهِ فمتى أُدركُ ثأري منه ؟ فلما اجتمعت هوازنُ لِحُنَيْن قَصَدْتُهم لأجدَ منهم غِرَّةً فأَقْتُلَهُ ، ودبَّرْتُ في نفسي كيف أَصنَعُ ؛ فلما انهزم الناسُ وبقي رسولُ اللهِ ﷺ مع النفرِ الذين بَقوا معه ، جئتُ من ورائِه ، ورفَعْتُ السَّيْفَ حتى إذا كِدْتُ أَحطُّه غُشِّيَ فُؤادي فلم أُطِقْ ذلك [وعرفتُ أنه] ممنوعٌ .

ورُوِيَ أنه قال : فرُفِعَ لي شُواظٌ من نارٍ حتى كاد أن يَمْحَشني ، ثم التفت إليَّ وقال لي : أُدنُ يا شَيْبُ فقاتل ، ووضع يَدَهُ في صَدْري ، فصار أحبَّ الناسِ إليَّ ، وتَقَدَّمْتُ فقاتَلْتُ بين يَدَيْهِ ، ولو عرض لي أبي لقتلته في نُصرةِ رسولِ الله ﷺ ، فلما انقضى القِتالُ دخَلْتُ على رسولِ الله ﷺ فقال لي : الذي أراد اللهُ بك خَيْرٌ ممَّا أَرَدْتَهُ بنَفْسِكَ ، وحدَّثني بجميعِ ما زوَّرْتُه في نَفْسي ، فقلتُ : ما اطَّلع على هذا أحدٌ إلا الله ، وأَسْلَمْتُ .

---

٣٧٣ قارن بدلائل النبوة : (البيهقي) ٥ : ١٤٥ (أبو نعيم) ١ : ١٩٥ .

٣٧٤ – لمّا حاصرَ رسولُ الله ﷺ أَهْلَ الطائفِ ، قال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ لرسولِ الله ﷺ : يا رسولَ اللهِ ، ائذن لي حتى آتيَ حِصْنَ الطائفِ فأُكلِّمهم ، فأَذِنَ له رسولُ اللهِ ﷺ ، فجاءهم فقال : أَدنو منكم وأَنا آمِنٌ ؟ قالوا : نعم ، وعرفَه أَبو مِحْجَنٍ فقال : أُدْنُ . فدخل عليهم الحِصْنَ فقال : فِداكم أَبي وأُمي ، واللهِ ما لاقى محمدٌ مِثْلَكم ، ولقد ملَّ المُقامَ ، فاثبتوا في حِصْنِكم ، فإِنَّ حِصْنَكم حصينٌ ، وسلاحَكم كثيرٌ ، ونَبْلَكم حاضِرَةٌ ، وطعامَكم كثيرٌ ، وماءَكم واتِنٌ[1] لا تخافون قَطْعَهُ . فلمّا خرج قالت ثَقيف لأَبي مِحْجَن : فإِنّا كَرِهْنا دُخولَه ، وخَشِينا أَن يُخْبِرَ محمداً بخَلَلٍ [إن رآه] في حِصْنِنا . فقال أَبو مِحْجَن : أَنا كُنْتُ أَعرفَ به ، ليس منا أَحدٌ أَشدّ على محمدٍ منه وإن كان معه . فلما رجع إلى رسولِ الله ﷺ قال : ما قُلْتَ لهم ؟ قال : قُلْتُ : ادخلوا في الإِسلامِ ، فواللهِ ما يَبْرَحُ محمدٌ عُقْرَ دارِكم حتى تَنْزلوا ، فخُذوا لأَنفسِكم أَماناً ، فخذَّلْتُهم ما استطَعْتُ . فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : كَذَبْتَ ، قُلْتَ لهم كذا وكذا . وعاتبه أَبو بكر على ذلك ، فقال : أَستَغْفِرُ الله يا أَبا بكرٍ ، وأَتوبُ إِليه ، ولا أَعودُ إِليه أَبداً .

٣٧٥ – لمّا رجع المشركون من بَدْرٍ إلى مكّةَ أَقْبل عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ الجُمَحيُّ في الحِجْرِ ، فقال صفوانُ بنُ أُميةَ : قَبَّح اللهُ العيشَ بعد قتلى بَدْرٍ ! قال عمير : أَجل واللهِ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ، ولولا دَيْنٌ عليَّ لا أَجدُ له قَضاءً ، وعيالٌ لا أَدَعُ لهم شيئاً ، لرحلتُ إلى محمدٍ حتى أَقْتُلَه إن ملأْتُ عيني منه ، فقد بلغني أَنه يطوفُ في الأَسْواقِ ، وإِنَّ لي عندهم عِلَّةً ، أَقولُ : قَدِمْتُ على ابني هذا الأَسيرِ . ففرِحَ صفوانُ بقوله ، فقال : يا أَبا أُميَّة ، وهل تُراكَ فاعِلاً ؟ قال : إِي وربِّ هذه البَنِيَّةِ . قال صفوانُ : فعليَّ دَيْنُك ، وعيالُك أُسْوَةُ عيالي ، فأَنتَ واللهِ تعلمُ أَنه ليس

٣٧٤ دلائل النبوة : (البيهقي) ٥ : ١٦٣ (أبو نعيم) ٢ : ٥٣١ ومغازي الواقدي ٣ : ٩٣٢ .
٣٧٥ دلائل النبوة : (أبو نعيم) ٢ : ٤٧٩ (البيهقي) ٣ : ١٤٧ وأسد الغابة ٣ : ٧٩٧ .

[1] واتن : ماء كثير لا ينقطع .

بمكّةَ أشدُّ توسُّعاً على عيالِهِ مني ، فقال عُميرٌ : قد عُرِفْتَ بذلك يا أبا وَهْب ، قال صفوان : علي بعيره [. . .] ، وأجْرى على عيالِهِ ما أجْرى على عيالِ نَفْسِهِ ، وأمر عُمَيْرٌ بسَيْفِهِ فشُحِذَ وسُمَّ ، ثم خرج إلى المدينةِ وقال لصفوان : أُكْتُم عليَّ أيَّاماً حتى أقْدُمَها ، فلم يذكُرْها صفوانُ .

وقَدِم عميرٌ فنزل على بابِ المسجدِ وعَقَلَ راحلتَه ، وأخذ السيفَ فتقلَّده ، ثم عَمَدَ نَحْوَ رسولِ اللهِ ﷺ ، فنظر عمرُ رضي الله عنه وهو في نَفَرٍ من أصحابهِ يتحدَّثون ويَذْكرون نعمةَ اللهِ عليهم في بَدْر ، ورأى عُمَيْراً وعليه السيفُ ، فقال عمرُ لأصحابه : دونكم هذا عدوُّ الله ، ودخل على رسولِ الله ﷺ وآلهِ وصحبهِ فقال : يا رسولَ اللهِ ، هذا عميرُ بنُ وَهْبٍ قد دخل المسجدَ ومعه السيفُ ! فقال النبيُّ ﷺ : أَدْخِلْهُ عليَّ . فخرج عمرُ فأخذ بحِمالةِ سَيْفِهِ ، فقبض بيدِهِ عليها وأخذ بيدِهِ الأُخرى قائمَ السَّيْفِ ، ثم أدْخَلَـهُ على رسولِ الله ﷺ ، فلما رآه قال : يا عُمَرُ ، تأخَّـرْ عنه ، فلما دنا عُمَيْـرٌ من رسولِ الله ﷺ قال له : ما أَقْدَمَك يا عُمَيْرُ ؟ قال : قَدِمْتُ في أسيري عندكم ، تُفادونَنا وتُحسنون إلينا فيه فإنكم العشيرةُ والأَهْلُ . قال النبيُّ ﷺ : فما بالُ السيفِ ؟ قال : قَبَّحها اللهُ من سُيوفٍ ! وهل أَغْنَتْ من شَيءٍ ؟ وإنما نَسيتُه حين نَزَلْتُ وهو في رقبتي ، فقال رسولُ الله ﷺ : فما شَرَطْتَ لصفوان بن أُمية في الحِجْرِ ؟ فَفزِعَ عُمَيْرٌ وقال : ماذا شَرَطْتُ له ؟ قال : تحمَّلْتَ له بقَتْلي على أن يَقْضيَ دَيْنَك ويعولَ عيالَك ، واللهُ حائلٌ بينكَ وبين ذلك . قال عميرٌ : أشهدُ أنك رسولُ اللهِ ، وأنَّك صادقٌ ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله ، كُنَّا يا رسولَ الله نُكذِّبُكَ بالوَحْيِ بما يأتيك من السماءِ ، وإنَّ هذا الحديثَ كان شيئاً بيني وبين صفوان كما قُلتَ لم يَطَّلِعْ عليه أحدٌ غيري وغيرُه ، وقد أمرْتُـهُ أن يكتُمَ عليَّ أيَّاماً ، فأَطْلَعَكَ اللهُ عليه ، فآمَنْتُ باللهِ ورسولِهِ ، وشَهِدْتُ أنَّ ما جِئْتَ به حقٌّ .

قال عمرُ : واللهِ لَخِنْزيرٌ كان أحبَّ إليَّ منه حين طلع ، و [هو] في هذه الساعةِ أحبُّ إليَّ من بعضِ ولدي . فقال النبيُّ ﷺ : علِّموا أخاكم القُرآنَ وأَطْلقوا له أَسيرَهُ . فقال عميرٌ : إني كُنْتُ جاهداً على إطفاءِ نورِ الله ، وقد هَداني اللهُ ، فله

الحَمْدُ ، فائذَنْ لي فأَلحقَ بقريش فأَدعوهم إلى اللهِ وإلى الإسلامِ . فأَذِنَ له ، فلحِقَ بمكَّةَ . وكان صفوانُ يسأَلُ عن عُمَيْرٍ ، فقيل له : إنه قد أَسلم ، فلعنه أَهْلُ مكَّةَ ، وحلف صفوانُ أَن لا يُكَلِّمَهُ أَبداً ولا يَنْفعَه ، واطَّرحَ عيالَه .

وقدِم عميرٌ فدعاهم إلى اللهِ وأَخبرهم بصِدْقِ رسوله ، فأَسلم معه بَشَرٌ كثيرٌ .

٣٧٦ – حدَّث عبدالله بن عباسٍ قال : حدَّثني أَبو سفيان بن حَرْبٍ من فيه ، قال : كُنَّا قوماً تِجاراً ، وكانت الحربُ بيننا وبين رسولِ الله ﷺ قد حصرتنا حتى نهكت أَموالَنا ، فلما كانت الهدنةُ – هدنةُ الحُدَيْبِيةِ – بيننا وبين رسولِ الله ﷺ ، خَرَجْتُ في نَفَرٍ من قريشٍ إلى الشام ، وكان وَجْهُ مَتْجَرنا غَزَّةَ ، فقَدمناها حين ظهر هِرَقْلُ على مَنْ كان في بلادِهِ من الفُرْسِ ، فأَخرجهم منها ، وردَّ عليه صليبه الأَعظم ، وقد كانوا استلبوه إِيَّاه ؛ فلما بلغه ذلك ، وكان منزلُه بحمص من أَهلِ الشامِ ، خرج منها يمشي مُتَنكِّراً إلى بَيْتِ المَقْدِسِ يُصَلِّي فيه ، تُبْسَطُ له البُسُطُ وتُطْرَحُ له الرياحين حتى انتهى إلى إيلياء ، فصلَّى بها ؛ فأَصبح ذاتَ غَداةٍ وهو مهمومٌ يُقَلِّبُ طَرْفَهُ إلى السماء ، فقالت بَطارقَتُه : أَيُّها الملكُ ، لقد أَصبَحْتَ مهموماً ؟ فقال : أَجلْ ، فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُريتُ في هذه الليلةِ أَنَّ ملك الخِتانِ ظاهِرٌ ، قالوا : فوالله ما نعلمُ أَنَّ أُمَّةً من الأُممِ تَخْتَتِنُ إلا يهود ، وهم تحت يَدَيْك وسلطانِك ، فإن كان قد وقع هذا في نَفْسِك منهم ، فابعث في مملكتِك كُلِّها ولا يبقى يهوديٌّ إلا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، فَتَسْتريح من هذا المُهِمِّ ؛ فإنَّهم في ذلك من رأيهم يديرونه إذ [أتى] رسولُ صاحبِ بُصرى برجلٍ من العربِ قد وقع إليهم ، فقال : أَيّها الملكُ ، هذا رجلٌ من العربِ من أَهْلِ الشاءِ والإبلِ يُحَدِّثُك عن حَدَثٍ كان ببلادهِ ، فَسَلْهُ عَنْهُ . فلما انتهى إليه قال لِتَرْجُمانه : سَلْهُ ، ما هذا الخَبَرُ الذي كان في بلادِهِ ؟ فسأَله ، فقال : رجلٌ من العربِ من قريشٍ خرج يزعمُ أَنَّه نَبيٌّ ، وقد اتَّبعه أَقوامٌ وخالفه آخَرون ، وقد كانت بينهم ملاحمُ

---

٣٧٦ انظر صحيح البخاري ١ : ٥ وما بعدها .

في مواطن ، فَخرَجْتُ من بلادي وهم على ذلك . فلما أُخبره الخَبَرَ قال : جَرِّدوهُ ، فإذا هو مَخْتونٌ . فقال : هذا واللهِ الذي أُريتُ لا ما تقولون ، أَعْطِهِ ثَوْبَهُ ، وانطَلِقْ لشأْنِك . ثم دعا صاحبَ شُرطتِه فقال : قَلِّبْ لي الشامَ ظَهْراً وبَطْناً حتى [تأتيني] برجلٍ من قَوْمِ هذا أَسأَلُه عن شَأْنِهِ . فواللهِ إني لَبِغَزَّةَ إذ هُجم علينا ، فسألنا : مَنْ أَنْتُم ؟ فأَخبَرْناهُ ، فساقنا إليه جميعاً ، فلما انتَهَيْنا إليه – قال أَبو سفيان : فوالله ما رأَيْتُ من رجلٍ قطُّ أَزعمُ أَنه كان أَدهى من ذلك الأَقْلَفِ – يريد هِرَقْلَ – فلما انتهينا إليه قال : أَيُّكم أَمسُّ رحِماً به ؟ فقلتُ : أَنا ، فقال : أَدْنوهُ مني ؛ فأَجلسني بين يَدَيْهِ ، ثم أَمر أَصحابي فأَجلسهم خَلْفي وقال : إن كَذَبَ ، فردُّوا عليه . فقال أَبو سفيان : لقد عرَفْتُ أَنْ لو كَذَبْتُ ما رَدُّوا عليَّ ، ولكني كنتُ امرءاً سيِّداً أَتكرَّمُ [عن أن] أَكْذِبَ ، وعَرفْتُ أَنَّ أَدْنى ما يكون في ذلك أَن يَرْووه عليَّ ، ثم يتحدَّثوا عني بمكَّةَ ، فلم أَكْذِبْهُ . فقال : أَخْبِرني عن هذا الرجل الذي خَرَج فيكم ؛ فزهَّدْتُ له شَأْنهُ ، وصغَّرْتُ له أَمْرَهُ ، فواللهِ ما التفت إلى ذلك مِنِّي وقال : أَخبِرْني عمَّا أَسأَلُكَ عنه من أَمْرِهِ . فقلتُ : سَلْني عمَّا بدا لك . فقال : كيف نَسَبُهُ فيكم ؟ فقلت : مَحْضاً من أَوْسَطِنا نَسَباً . قال : فأَخبِرْني ، هل كان في أَهلِ بيتِهِ أَحدٌ يقولُ مِثْلَ قولِهِ ، فهُوَ يَتَشَبَّهُ به ؟ فقُلْتُ : لا ، قال : فأَخبِرني ، هل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إيَّاه ، فجاء بهذا الحديثِ لتردُّوا عليه مُلْكَهُ ؟ فقلتُ : لا . قال : فأَخْبِرْني عن أَتباعِهِ ، مَنْ هُم ؟ فقلتُ : الأَحداثُ والضعفاءُ والمساكين ، فأَما أَشرافُ قومِهِ وذوو الأَسنانِ منهم فلا . قال : فأَخبِرني عمَّن يصحبُه ، أَيلزمُه أَم يَقْليه ويُفارِقُهُ ؟ قلتُ : قلَّ ما صَحِبَه رجلٌ ففارقه . قال : فأَخبِرْني عن الحرْبِ بينكم وبَيْنَهُ ؟ فقلت : سِجالٌ ؛ يُدالُ علينا ويُدالُ عليه . قال : فأَخبِرني هل يَغْدِرُ ؟ فلم أَجد شيئاً أَغْمِزُ فيه إلا هي ، فقُلْتُ : لا ، ونحنُ منه في هُدْنَةٍ مُدَّةً ، ولا نَأْمنُ غَدْرَهُ ، فواللهِ ما التفت إليها منِّي . فأَعاد عليَّ الحديثَ ، فقال : زَعَمْتَ أَنَّه من أَمْحَضِكم [نَسَباً] وكذلك يأخذُ الله النبيَّ إذا أَخذَهُ فلا يأْخذُهُ إلا من أَوسَطِ قَوْمِهِ .

وسألتُك : هل كان من أهلِ بَيْتِهِ أَحدٌ يقولُ مِثْلَ قولِهِ ، فهو يَتَشَبَّهُ به ، فقلت : لا .

وسألتُك : هل كان له مُلْكٌ فاستَلَبْتُموه إيَّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه مُلْكَهُ ، فقلت : لا .

وسألتُكَ عن أتباعِهِ ، فزعَمْتَ أنهم الأحداثُ والمساكينُ والضُّعفاءُ ، وكذلك أتباعُ الأنبياءِ في كلِّ زمان .

وسألتُك عمَّن يتبعه ، أيُحبُّه ويَلْزَمُه ، أم يَقْليه ويُفارِقُه ؟ فزعَمْتَ أنَّه قلَّ مَنْ يصحبُه فيُفارقه ، وكذلك حلاوةُ الإيمانِ لا تدخلُ قَلْباً فتخرج منه .

وسألتُك عن الحربِ بينكم ، فزعَمْتَ أنَّها سجالٌ ، يُدالُ عليكم وتُدالون عليه ، وكذلك حَرْبُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقبةُ .

وسألتُك : هل يَغْدِرُ ؟ فلئن صَدَقتني ليغلبنِّي على ما تَحْتَ قَدميَّ هاتَيْن ، ولوَدِدْتُ أني عِنْدَهُ فأغسِلَ قَدَمَيْه . إلْحَقْ بشأْنِك . فقُمْتُ وأنا أضربُ بإحدى يديَّ على الأُخرى وأقولُ : عبادَ الله ، لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشة ! أصبح ملوكُ بني الأصفرِ يخافونه على سُلْطانِهم .

٣٧٧ – وقال العباسُ بن عبد المطلب رحمه الله : خَرَجْتُ في تجارةٍ إلى اليَمَنِ في رَكْبٍ من قُرَيْشٍ منهم أبو سفيان بن حَرْبٍ ، فكُنْتُ أصْنَعُ يوماً طعاماً [وأدعو] بأبي سفيان وبالنَّفَرِ ، ويصنع أبو سفيان يوماً فيَفْعَلُ مِثْلَ ذلك . فقال لي في يومي الذي كُنتُ أصنَعُ فيه : هل لك يا أبا الفَضْلِ أن تَنْصرِفَ إلى بيتي وترسلَ إليَّ بغَدائِك ؟ فقُلْتُ : نعم . فانصرَفْتُ أنا والنَّفَرُ إلى بَيْتِهِ ، وأرسَلْتُ إليه الغَداءَ . فلما تغدَّى القَوْمُ قاموا ، واحتبسني فقال : هل عَلِمْتَ يا أبا الفَضْلِ أنَّ ابنَ أخيك يزعمُ أنَّه رسولُ الله ؟ قلتُ : فأيُّ بني أخي ؟ قال أبو سفين : إيَّايَ تكتُم ! ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجلٌ واحد ؟ قلتُ : وأيُّهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبدالله ،

قلتُ : ما فعل! قال : بلى قد فَعَلَ . ثم أَخرج إليَّ كتاباً من ابنهِ حَنْظَلَةَ [بن أبي] سفيان : إنّي أُخبرُكَ أَنَّ محمداً قام بالأَبْطحِ غُدْوَةً فقال : أَنا رسولُ اللهِ ، أَدعوكم إلى الله . قال قلتُ : يا أَبا حَنْظَلَةَ ، لعلَّه صادقٌ ، قال : مَهْلاً يا أَبا الفَضْلِ ، فوالله ما أُحبُّ أَن تقولَ مِثْلَ هذا ، إني لأَخْشى أَن تكونَ قد كُنْتَ على صيرٍ من هذا الأَمرِ ، ويروى على بصيرةٍ من هذا الحديثِ . ثم قال : يا بني عبد المُطَّلبِ ، إنَّه واللهِ ما بَرِحَتْ قُرَيْشٌ تزعمُ أَن لكم يُمْنَةً وشُؤْمَةً ، كلُّ واحدةٍ منهما عامَّةٌ ، فَنَشَدْتُكَ اللهَ يا أَبا الفَضْلِ ، هل سمِعْتَ ذلك ؟ قُلْتُ : نعم ، قال : فهذهِ واللهِ إِذَنْ شُؤْمَتُكم ، قلتُ : ولعلَّها يُمْنَتُنا . فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قَدِمَ عبدالله بن حُذافةَ السَّهْميُّ بالخَبَرِ وهو مؤمنٌ ، ففشا ذلك في مجالسِ أَهْلِ اليمنِ ، فتُحدِّثَ به فيها .

وكان أَبو سفيان يَجْلسُ إلى حَبْرٍ من أَحبارِ اليهودِ ، فقال له اليهوديُّ : ما هذا الخَبَرُ الذي بلغني ؟ قال : هو ما سَمِعْتَ ، قال : بلغني أَنَّ فيكم عمَّ هذا الرجلِ ، قال أَبو سفيان : صَدَقوا وأَنا عمُّه ، قال اليهودي : أَخو أَبيه ؟ قال : نعم ، قال : حدِّثني عنه ، قال : ما كُنْتُ أَحسبُ أَن يَدَّعيَ هذا الأَمْرَ أَبداً ، وما أُحبُّ أَن أُعيِّبَه ، وغيرهُ خَيْرٌ منه . فقال اليهوديُّ : فليس به إِذَنْ ، ولا بأْسَ على يهود وتَوْراةِ موسى .

قال العباسُ : فتمادى إليَّ الخَبَرُ ، فجئتُ فخرَجْتُ حتى أَجلس [ذلك] المجلس من غَدٍ ، وفيه أَبو سفيان والحَبْرُ . فقلتُ للحَبْرِ : بلغني أَنك سأَلْتَ ابن عمِّي هذا عن رجلٍ مِنَّا يزعمُ أَنَّه رسولُ الله ، وأَخبرَكَ أَنَّه عمُّه ، وليس بعَمِّه ، ولكنه ابنُ عمِّه ، وأَنا عمُّه أَخو أَبيه . فأَقبلَ على أَبي سفيان فقال : أَصَدَقَ ؟ قال : نعم ، قال فقلتُ : سَلْني عنه ، إن كَذَبْتُ فليَرْدُد عليَّ . قال : فأَقْبَلَ عليَّ فقال : نَشَدْتُك اللهَ هل فَشَتْ له فيكم سَفْهَةٌ أَو سَوْأَةٌ ؟ قال قلتُ : لا وإلهِ عبد المُطَّلِبِ ولا كَذِبَةٌ ، وإن كان اسمُهُ عند قُرَيْشٍ الأَمينَ ، قال : فهل كتبَ بيده ؟ [قال] العباسُ رضي الله تعالى عنه وأَرضاه : فَظَنَنْتُ أَنَّه خيرٌ له

أن يكتُبَ بيدِهِ ، فأَرَدْتُ أن أَقولَها ، ثم ذكَرْتُ مكان أَبي سفيان ، وأَنَّه مُكَذِّبي ورادٌّ علي ، فقلتُ : لا يكْتُبُ . فوثب الحَبْرُ وترك رِداءَهُ وجعل يَصيحُ : ذُبِحَتْ يهودُ ! ذُبِحَتْ يهود !

قال العباسُ رضي الله تعالى عنه : فلما رجَعْنا إلى مَنْزِلِنا قال أَبو سفيان : يا أَبا الفَضْلِ ، إنَّ اليهوديَّ لَيَفْزَعُ من ابنِ أَخيك ! قال قلتُ : قد رأَيْتَ ، فهل لك يا أَبا سُفيان أن تؤمِنَ به ، فإن كان حقّاً ، كُنْتَ قد سبقتَ ، وإن كان باطلاً ، تَبِعَكَ غَيْرُكَ من أَكْفائِكَ ؟ قال : لا واللهِ لا أُومن به حتى أَرى الخَيْلَ من كُداءَ ، وهو جبلٌ بمكَّةَ . قال قلتُ : ما تقولُ ؟ قال : كلمةٌ واللهِ جاءت على فَمي ما أُلقَيْتُ لها بالاً ، [وأنا] أَعلمُ أَنَّ الله لا يَتْرُكُ خَيْلاً تطلع من كُداء . [قال] العباسُ : فلما فتح رسولُ اللهِ ﷺ وعلى آلهِ وأَصحابهِ مكَّةَ ، ونَظَرْنا إلى الخَيْلِ قد طلعت من كُداءَ ، قلتُ : يا أَبا سفيان ، أَتذكُرُ الكلمةَ ؟ قال : أَي واللهِ ، إني لذاكِرُها ، فالحمدللهِ الذي هداني للإسلامِ .

٣٧٨ – ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أَنَّ رسولَ الله ﷺ لمّا عَزَم على فَتْحِ مكَّةَ ، خرَجَ لعَشْرٍ مَضَيْنَ من شهرِ رمضان ، فصام وصام الناسُ معه ، حتى إذا كان بالكُدَيْدِ أَفطرَ ، ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى نَزَل مَرَّ الظَّهْران في عشرةِ آلافٍ من المسلمين ، وقد عَمِيَتِ الأَخبارُ عن قريش ، فلا يأْتيهم خَبَرٌ عن رسولِ الله ﷺ ، ولا يَدْرونَ ما هو فاعلٌ . فخرج في تلك الليلةِ أَبو سفيان بنُ حَرْبٍ ، وحكيمُ بن حِزام ، وبُدَيْلُ بن وَرْقاء يتحسَّسون [الأَخْبار] وينظرون هل يجدون خَبَراً أَو يَسْمَعونَهُ .

قال العباسُ : قلتُ : واصَبَاحَ قُرَيْشٍ ! لئن دَخَل رسولُ الله ﷺ مكَّةَ عُنْوَةً قَبْلَ أَن يَسْتأْمِنوا إليه إنَّه لَهلاكُ قريشٍ إلى آخرِ الدَّهْرِ . قال : فركبتُ بَغْلَةَ رسولِ

---

٣٧٨ قارن بمغازي الواقدي، ٢ : ٨١٤ وسيرة ابن هشام ٤ : ٤٠٠ وما بعدها ودلائل النبوة للبيهقي ٥ : ٣٢ والاستيعاب ٤ : ١٦٧٧ .

الله ﷺ البيضاء ، فخرَجْتُ عليها حتى جئتُ الأَراكَ ، أقولُ : لعلِّي أَلقى بَعْضَ الحطَّابةِ ، أو صاحبَ لَبَنٍ ، أَوْ ذا حاجَةٍ ، فيَأْتيهم فيُخبر بمكانِ رسولِ الله ﷺ ، ليخرجوا إليه . قال : فوالله إني لأَسيرُ عليها أَلتَمِسُ ما خرَجْتُ له ، إذ سمِعْتُ كلامَ أَبي سفيان وبُدَيلِ بن وَرْقاء وهما [يتراجعان] وأَبو سفيان يقول : ما رأَيْتُ كالليلةِ نيراناً قَطُّ ولا عَسْكَراً !

قال : فعرَفْتُ صَوْتَ أَبي سفيان فقُلْتُ : يا أَبا حَنْظَلَةَ ، قال : فعرف صوتي فقال : أَبو الفَضْلِ ؟ قلت : نعم ، قال : ما وراءك ، فداك أَبي و أُمِّي ؟ ! قُلْتُ : وَيْلَك ، هذا رسولُ اللهِ ﷺ في الناسِ ، واصَباحَ قُرَيْش ! فقال : ما تأمُرُني ؟ قلت : تركبُ عَجُزَ هذه البغلةِ ، فأَستأْمنُ لك رسولَ الله ﷺ ، فوالله لئن ظفِر بك ، ليَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ . فردِفَني ، فخرَجْتُ به أَرْكُضُ بَغْلَة رسول الله ﷺ . فكلما مرَرْتُ بنيرانٍ من نيران المسلمين قالوا : عمُّ رسولِ الله ﷺ على بغلةِ رسولِ الله ، حتى مَرَرْتُ بنارِ عمرَ بن الخطابِ ، فقال : أَبو سفيان ! الحمدُ لله الذي أَمكن منك بغيرِ عهدٍ ولا عَقْدٍ . ثم اشتدَّ نحو النبيِّ ﷺ ، وركَضْتُ البغلةَ حتى اقتحَمْتُ على بابِ القُبَّةِ ، وسبَقْتُ عُمَرَ بما تسبقُ به الدابةُ الرجلَ البطيءَ . فدخل عمرُ على رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، هذا أَبو سفيان قد أَمكن اللهُ منه بغيرِ عَـهْـدٍ ولا عَقْدٍ ، فَدَعْني أَضرِبْ عُنُقَهُ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إني قد أَجرتُه ، ثم جلسْتُ إلى رسول الله ﷺ ، فأَخذْتُ برأْسِهِ وقلتُ : والله لا يُناجيه اليومَ أَحدٌ دوني . فلما أَكثر فيه عمرُ قلتُ : مَهْلاً يا عُمَرُ ، فوالله ما تَصْنَعُ هذا إلا أَنَّه رجلٌ من بني عبد منافٍ ، ولو كان من بني عديٍّ بن كعب ما قُلْتَ هذا ؛ قال : مهلاً يا عباسُ ! فوالله لإسلامُك يومَ أَسلَمْتَ كان أَحبَّ إليَّ من إسلامِ الخطابِ لو أَسلمَ ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : اذهب فقد أَمَّنَّاهُ حتى تغدوَ به عليَّ . [قال] ، قال : فرَجعْتُ به إلى منزلي ، فلما أَصبح غَدا به على عهدِ رسولِ الله ﷺ ، فلما رآه قال : وَيْحَكَ يا أَبا سفيان ! أَلم يَأْنِ لكَ أَن تعلم أَنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأَبي أَنت وأُمي ، ما أَوصلك وأَحلَمَكَ وأَكرمَك ! والله لقد ظَنَنْتُ أَنَّه لو

كان مع الله عزَّ وجلَّ غيرُهُ لقد أغنى عنّي شيئاً . فقال : وَيْحَكَ يا أبا سُفيان ! ألَمْ يأنِ لك أن تعلمَ أني رسولُ اللهِ ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! أما هذهِ فإنَّ في النّفْس منها شيئاً . قال العباسُ : فقلتُ له : وَيْحَكَ ! تشهدُ شهادةَ الحقِّ قَبْلَ أن تُضْرَبَ عُنُقُكَ ! قال : فتشهَّد . فقال رسولُ الله ﷺ للعباسِ [بعد أن] تشهَّد أبو سفيان : انصَرِف يا عباسُ ، فأَجْلِسْهُ عند خَطْمِ الجبلِ بمضيقِ الوادي حتى تَمرَّ عليه جُنودُ الله عزَّ وجلَّ . فقُلْتُ له : يا رسولَ اللهِ ، إنَّ أبا سفيان رجلٌ يُحِبُّ الفَخْرِ ، فاجعَلْ له شيئاً يكونُ في قَوْمِهِ . فقال : نعم ، مَنْ دخل دارَ أبي سفيان فهو آمِن ، ومن دخل المسجدَ فهو آمِنٌ ، ومن أغلقَ بابَه فهو آمِنٌ . فمَرَرْتُ حتى أجلَسْتُهُ عند خَطْمِ الجَبَلِ بمضيق الوادي ، فمرَّتْ عليه القبائلُ ، فجعل يقولُ : مَنْ هؤلاءِ يا عباسُ ؟ فأقول : سُلَيْم ، فيقول : ما لي ولِسُلَيْم ؟ فتمرُّ به قبيلةٌ أُخرى ، فيقول : مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : أَسْلَمُ ، فيقول : ما لي ولأَسْلَمَ ؟ وتمرُّ عليه جُهَيْنَةُ ، فيقول : ما لي ولجهينةَ ؟ حتى مرَّ رسولُ الله ﷺ في كتيبتِهِ الخَضْراء من المُهاجرين في الحديد لا يُرى منهم إلا الحَدَقُ ، فقال : مَنْ هؤلاءِ يا أبا الفَضْلِ ؟ لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك عظيماً ! فقلتُ : وَيْحك ، إنَّها النبوَّةُ . فقال : نعم إذَنْ . فقُلْتُ : إلحق الآنَ بقَوْمِك فحَذِّرْهُم . فخرج سريعاً حتى أتى مكَّةَ فصرخ في المسجدِ : يا مَعْشَرَ قريش ، هذا محمدٌ قد جاءَكُم بما لا قِبَلَ لكم به ، قالوا : فَمَه ؟ قال : مَنْ دخل داري فهو آمنٌ ، قالوا : وَيْحَك وما تُغني عنّا دارُك ؟ قال : ومن دخل المسجدَ فهو آمِنٌ ، ومن أغلقَ بابه فهو آمنٌ .

٣٧٩ — قال عبدُالله بن الزبيرِ : لمّا كان يومُ اليرموكِ خَلفني أبي فأخَذْتُ فَرَساً ، [. . .] ، فرأيتُ جماعةً من الطلقاءِ فيهم أبو سفيان بن حَرْب ، فوقَفتُ معهم ، فكانت الرومُ إذا هَزمتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيهِ بني الأصفرِ ، فإذا كَشَفَهم المسلمون قال أبو سفيان : [من الخفيف]

---

٣٧٩ الاستيعاب ٤ : ١٦٧٩ وأسد الغابة ٥ : ١٤٩ .

وبنو الأَصفرِ الكرامُ ملوك الرْ ـرُومِ لم يَبْقَ منهمُ مذكورُ

فلما فتح اللهُ على المسلمين حدَّثْتُ أَبي ، فقال : قاتَلَهُ الله ! أَبى إلا نِفاقاً ، أَفَلَسْنا خيراً له من بني الأَصفر ! ؟ ثم كان يأخذُ بيدي فيطوف بي على أَصحابِ رسولِ الله ﷺ ويقولُ : حدِّثْهم ، فأُحدِّثُهم فيعجبون من نِفاقِهِ .

٣٨٠ – ورُوِيَ أَنَّ أَبا سفيان دخل على عثمان [. . .] فقال : هل علينا من عَيْنٍ ؟ فقال له عثمانُ : لا ، فقال : يا عثمانُ ، إِنَّ الأَمر أَمر عالمية [؟] ، والمُلْكَ ملكُ جاهليةٍ ، فاجعل أَوتادَ الأَرضِ بني أُميَّةَ .

٣٨١ – ورُوِيَ أَنه دخل عليه فقال له : إِنَّ الخلافةَ صارتْ في تَيْمٍ وعَديٍّ حتى طمعت فيها ، وقد صارتْ إِليكم فتلقَّفُوها تَلَقُّفَ الكُرَةِ ، فواللهِ ما مِنْ جَنَّةٍ ولا نارٍ ، هذا أَو نحوه . فصاح به عثمانُ : قُمْ عني فعل الله بك وفعل .

٣٨٢ – حدَّث أَبو عُبَيْدَةَ أَنَّ معاويةَ وجَّه جَيْشاً إِلى [بلاد] الرومِ ليغزوَ الصائفةَ ، فأَصابهم جُدَرِيٌّ فمات أَكثرُ المسلمين ، وكان ابنُه يزيدُ مُصْطَبِحاً بدير مُرَّان مع زوجتِهِ أُمِّ كلثوم ، فبلغه خبرُهُم فقال : [من البسيط]

إذا ارتفقْتُ على الأَنماطِ مُصْطَبِحاً بدَيْرِ مُرَّان عندي أُمُّ كلثومِ
فما أُبالي بما لاقَتْ جموعهُمُ بالقرقدونة من حُمَّى ومن مومِ[1]

فبلغ شعرُهُ أَباه فقال : أَمَ واللهِ ليلحقَنَّ بهم ، فليُصيبنَّه ما أَصابهم ، فخرج حتى لحق بهم ، وغزا حتى لحق إلى القُسطنطينيةِ ، فنظر إلى [. . .] الديباجِ ، فإذا كانت الحملةُ للمسلمين ، ارتفع من إحداهما أَصواتُ الطبولِ والدُّفوفِ ، وإذا

---

٣٨٢ قارن بمروج الذهب ٣ : ٢١٤ ومعجم البلدان لياقوت : (دير مران) والروض المعطار : ٤٠٠.
٣٨٣ انظر الكامل لابن الأثير ٦ : ٢١١–٢١٢ وفتوح ابن أعثم ٨ : ٢٨٣–٢٨٥ .

---

[1] الموم : الجدري .

كانت الحملةُ للرومِ ، ارتفع من الأُخرى . فسأل يزيدُ عنهما ، فقيل : هذه ابنةُ ملكِ الرومِ ، وتلك ابنةُ جَبَلَةَ بنِ الأَيْهمِ ، وكلٌّ واحدةٍ تُظهر السرورَ بما تفعلُه عشيرتُها . فقال : أَمَ واللهِ لأَسرَّنَّهما . ثم كفَّ العسكر ، وحمل حتى هزمَ الرومَ فأحجرهم في المدينةِ ، وضرب باب القُسطنطينية بعمودِ حديدٍ كان في يدهِ ، فهشمه حتى انخرق ، فضُرِبَ عليه لوْحٌ من ذَهَبٍ ، فهو عليه إلى اليوم .

٣٨٣ – قال ميمون بن هارون : رأى الرشيدُ فيما يرى النائمُ [امرأة تحمل] كَفَّ تُرابٍ ثم قالت له : هذه [التربة التي تدفن فيها] فأَصبح فَزِعاً ، فقصَّ رؤياه ، فقال له أصحابُه : وما في هذا ؟ قد يرى النائمُ أَكثر من هذا وأَغْلَظَ ، ثم لا يضرُّ . فركب وقال : إني لأَرى الأَمْرَ قريباً ، فبينا هو يسيرُ إذ نظر إلى امرأةٍ واقفةٍ من وراء شُبَّاك حديد تنظرُ إليه ، فقال : هذه واللهِ المرأةُ التي رأَيْتُها ، ولو رأَيتُها بين أَلفِ آمرأةٍ ما خَفِيَتْ عليَّ ، ثم أَمرها أن تأْخُذَ كفَّ تُرابٍ فتدفَعَهُ إليه ، فضربَت بيدِها الأَرْضَ التي كانت عليها فأَعطَتْهُ منها كفَّ تُرابٍ ، فبكى وقال : هذه واللهِ التُّربَةُ التي رأَيْتُها [في منامي وهذه الكف بعينها ، فمات] بعد مُدَّةٍ ، فدُفِنَ في ذلك الموضعِ بعَيْنِهِ ، اشتُرِيَ له ودُفِنَ فيه .

٣٨٤ – كان المأمونُ قد أَطلقَ لأَصحابِهِ الكلامَ والمناظرةَ في مَجْلِسِهِ ، فناظر يوماً بين يَدَيْهِ محمد بن العباسِ الصُّولي عليَّ بنَ الهيثمِ في الإمامةِ ، فتقلَّدها أَحدُهما ودفعه الآخَرُ ، فلجَّت المناظرةُ بينهما إلى أن نبَّط[١] محمدٌ عليّاً ، فقال له عليٌّ : إنما تكلَّمْتَ بلسانِ غيرِك ، ولو كُنْتَ في غيرِ هذا المجلسِ لَسمعتَ أَكثرَ ممّا قُلْتَ .

---

٣٨٤ الأغاني ١٥ : ١٨٢–١٨٦ وعنه تتمة الفراغات الكثيرة في المخطوطة وقارن بوفيات الأعيان ٢ : ٥٢١ وتاريخ الطبري (أبو الفضل) ٨ : ٥٧٧–٥٧٩ .

---

١ أي قال له يا نبطي .

فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قال ، وما كان منه من سوء الأدبِ بحَضْرَتهِ ، ونهض عن فُرُشِهِ ، ونهضَ الجلساءُ فخرجوا . فأراد محمدٌ أن ينصرفَ ، [فمنعه صاحب المصلى وقال علي بن صالح] : أَفَعَلْتَ ما فَعَلْتَ بحَضْرَةِ أميرِ المؤمنين ونهض على الحالِ التي رأيْتَ ، ثم تنصرف بغير إذْنٍ منه ؟ اجلِسْ حتى نعرفَ رَأْيهُ فيك ، وأمر بأن يُحْبَسَ . ومكث المأمونُ ساعةً ثم خرج ، فجلس على سريرِهِ ، وأمر بالجلساء فرُدُّوا إليه ، فدخل إليه عليُّ بن صالح ، فعرَّفه ما كان من قولِ محمد والانصرافِ ، وما كان من مَنْعِهِ إيَّاه ، فقال : دَعْهُ ينصرف إلى لعنةِ الله . فانصرَفَ .

وقال المأمون لجلسائه : أتدرون لمَ دخَلْتُ إلى النساء في هذا الوَقْتِ ؟ قالوا : لا ، قال : إنَّه لمَّا كان من أمْرِ هذا الجاهلِ ما [كان لم آمن فلتات الغضب وله بنا حرمة] فدخَلْتُ إلى النساء فعابثْتُهُنَّ حتى سَكَنَ غَضَبي .

ومضى محمد من وَجْهِهِ إلى طاهرِ بن الحسينِ ، فسأله الركوبَ إلى المأمونِ وأن يَسْتَوْهِبَهُ جُرْمَهُ ، فقال له طاهرٌ : ليس هذا من أوقاتي ، وقد كتب إليَّ خليفتي في الدارِ أنَّه قد دعا بالجُلساء . فقال محمدٌ : أكْرَهُ أن أبيتَ ليلةً وأميرُ المؤمنين عليَّ ساخِطٌ . فلم يَزَلْ به حتى ركبَ طاهرٌ معه ، فأذِنَ له فدخل ومجيرٌ الخادمُ واقفٌ على يمينِ المأمونِ . فلما بصر المأمونُ بطاهرٍ أخذَ منديلاً كان بين يَدَيْهِ ، فمسح بين عَيْنَيْهِ مرَّتين أو ثلاثاً إلى أن وصل إليه [وحرك شفتيه بشيء أنكره طاهر ، ثم دنا] فسلَّم ، فردَّ السلامَ وأمره بالجلوسِ ، فجلس في مَوْضِعِهِ ، فسأله عن مجيئهِ في غيرِ وَقْتِهِ ، فعرَّفه الخَبَرَ واستَوْهَبَهُ ذَنْبَ محمدٍ ، فوهبه له . فانصرفَ ، وعرَّفَ محمَّداً ذلك ، ثم دعا بهارون بن جَعْوَنه[1] ، وكان شيخاً خُراسانيّاً داهيةً ثقةً عنده ، فذكر له فِعْلَ المأمونِ ، وقال له : الْقَ كاتبَ مُجيرِ الخادمِ ، والطفْ به ، وتضمن له عشرة آلافِ درهم على

---

[1] الطبري : جبغويه وفي الطبعة الأوروبية : جيغويه .

تعريفك ما قاله المأمونُ ، ففعل ذلك ، ولطُفَ له ، وعرَّفَهُ أنَّه لمّا رأى طاهراً دَمَعَتْ عيناهُ ، وترحَّم على محمدٍ الأمينِ ، ومَسَحَ دَمْعَه بالمنديلِ . فلما عرفَ ذلك طاهرٌ ركب من وقتِهِ [إلى أحمد بن أبي خالد الأحول] ، وكان طاهرٌ لا يركبُ إلى أحدٍ من أصحابِ المأمون ، وكلُّهم يَرْكبُ إليه ، فقال له : جئتُكَ لتوليني خُراسانَ وتحتالَ لي فيها . وكان أحمدُ يتولّى فَضَّ الخرائطِ بين يَدَيِ المأمونِ وغَسَّانُ بن عباد إذ ذاك يتولى خُراسان . فقال له أحمدُ : هلّا أقَمْتَ بمنزلِكَ وبَعَثْتَ إليَّ حتى أصيرَ إليك ، ولا يُشهر الخبرُ فيما تُريدُهُ بما ليس من عادتِك ، لأنَّ المأمونَ يعلمُ أنَّك لا تركبُ إلى أحدٍ من أصحابهِ ، وسيبلغُه هذا فيُنكره ، فانْصَرِفْ وأغْضِ عن هذا الأمرِ وأمْهِلْني مُدَّةً حتى أحتال لك .

[ولبث مدة ، وزوّر ابن أبي خالد] كتاباً من غسان بنِ عبَّاد إلى المأمونِ يذكُرُ فيهِ أنَّه عليلٌ ، وأنَّه لا يأْمنُ على نَفْسِهِ ، ويسأل أن يستخلفَ غَيْرَهُ على خُراسان ، وجعله في خريطةٍ ، وفضَّها بين يدي المأمون في خرائط وَرَدَتْ عليه . فلما قَرَأَ على المأمونِ الكتابَ ، اغتمَّ به وقال : ما ترى ؟ فقال : لعلَّ هذه علَّةٌ عارِضةٌ تزولُ ، وسَيَرِدُ بعد هذا غيرُهُ ، فيرى حينئذٍ أميرُ المؤمنين رأْيهُ . ثم أمسكَ أيَّاماً وكتب كتاباً آخرَ ودسَّه في الخَرائِطِ يذكر فيه أنَّه قد تناهى في العِلَّةِ إلى ما لا يرجو معه [نفسه . فلما قرأه المأمون قلق وقال : يا أحمد إنه لا مَدْفع لأمر خراسان ، فما ترى ؟] فقال : هذا رأيٌ إن أشَرْتُ فيه بما أرى فلم أُصِبْ ، لم أستَقِلْهُ[1] ، وأميرُ المؤمنين أعلمُ بخَدَمِهِ ومن يصلُحُ لخُراسانَ منهم . قال : فجعل المأمونُ يُسمِّي رِجالاً ويطعنُ أحمدُ على واحدٍ واحدٍ منهم ، إلى أنْ قال له : فما ترى في الأعْوَرِ ؟ فقال : إن كان عند أحدٍ قيامٌ بهذا الأمْرِ ونهوضٌ فيه ، فعِنْدَهُ . فدعا به المأمونُ فعقد له على خُراسان ، وأمره أن يُعَسْكِرَ فعَسْكَرَ بباب خُراسان .

---

١ لم أستقله : لم أطلب الاقالة منه .

ثم تعقَّب الرأيَ ، فعلم أنَّه قد أخطأ ، فتوقَّف عن إمضاء أمرِه ، وخَشيَ أن يُوحشَ طاهراً بنَقْضِهِ ، فمضى شهر تامّ وطاهرٌ [مقيم بمعسكره ، ثم إن المأمون أرق في السحر] من ليلة أحدٍ وثلاثين يوماً من عَقْدِهِ اللواءَ لطاهر . وأمر بإحضارِ مُخارقٍ المُغَنِّي ، فأحضر وقد صلَّى المأمونُ [الغداة] مع طلوعِ الفَجْرِ ، وقال : يا مُخارقُ ، أتُغَنِّي : [من الوافر]

إذا لم تَسْتَطِع شيئاً فَدَعْهُ وجـاوِزْهُ إلى مـا تَسْتطيـعُ
وكيف تُريدُ أن تُدعى عظيماً وأَنْتَ لكلٍّ ما تَهْوى تَبوعُ

الشعر لعمرو بن مَعْد يكرِب . فقال : نعم ، قال : فهاتِهِ ، فغنَّاهُ ، فقال : ما صنَعْتَ شيئاً ، فهل تَعْرِفُ مَنْ يقولُه أَحسَنَ ممَّا تقولُه ؟ قال : نعم ، عَلُّويه الأعسَرُ . فأمر بإحضارِهِ ، [فكأنه كان وراء ستر] ، فغنَّاه واحتفل . قال : ما صنَعْتَ شيئاً ، أفتَعْرِفُ مَنْ يقولُه أَحسَنَ ممَّا تقولُه ؟ قال : نعم ، عمرو بن بانَـةَ ، فأمر بإحضارِهِ ، فدخل في مقدارِ دُخولِ عَلُّويه ، فأمره أن يُغَنِّي الصوتَ ، فغنَّاه فأَحسنَ . فقال : أَحسَنْتَ ما شِئْتَ ! هكذا ينبغي أن يُقالَ . ثم قال : يا غُلامُ ، اسقني رِطْلاً ، واسقِ صاحبَيْهِ رِطْلاً رِطْلاً ، ثم دعا بعشرةِ آلاف درهمٍ ، وخِلْعَةٍ ثلاثةِ أثوابٍ ، ثم أمر بإعادته ، فأعاده ، فردَّ القَوْلَ الذي قاله وأمر بمثْلِ ما أمر به حتى فعل ذلك عَشْراً ، وحصل لعمروٍ مائةُ ألفِ دِرْهم وثلاثون ثوباً . ودخل المؤذِّنون فآذَنوه بالظُّهْرِ ، فنقد [أصبعه الوسطى بابهامه وقال] برق يمان . وكذلك كان يفعلُ إذا أراد أن ينصرفَ من بحضْرَتِهِ من الجُلَساء . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين قد أنْعَمْتَ عليَّ وأَحسَنْتَ إليَّ ، فإن رأيْتَ أن تأْذَنَ لي في مُقاسَمَةِ أخوَيَّ ما وصل إليَّ ، فقد حَضَراه ؟ فقال : ما أَحسَنَ ما اسْتَمَحْتَ لهما ! بل نُعطيهما نحن ولا نُلحقُهما بك . وأمر لكلٍّ واحدٍ منهما بمثلِ نصفِ جائزةِ عمرو .

وبكَّر إلى طاهرٍ ، فرحّله ، فلما ثنى عنانَ دابته منصرفاً ، دنا منه حُمَيْدٌ الطوسي فقال له : اطرَحْ على ذَنَبه تراباً . فقال اخسأْ يا كلب ، ونَفَذَ طاهر

لوجهه . وقدم غسّان بن عبّاد فسأله عن علّتِه وسببها ، فحلف له أنه لم يكن عليلاً ولا كتب بشيء من هذا ، فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بابن أبي خالد ، وأمسك على ذلك ، فلما كان بعد مدة من مَقْدَم طاهر إلى خراسان قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة ، فقال له عونُ بنُ مُجاشعِ بنِ مَسْعَدة صاحبُ البريد : كيف أقدمت على هذا الفعل ولم تَدْعُ في هذه الجمعة لأمير المؤمنين ؟ فقال : سهو وقع فلا تكتب به ، وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية وقال لعون : لا تكتب به ، وفعل مثل ذلك في الجمعة الثالثة ، فقال له عون : إنَّ كتب التجار لا تنقطع من بغداد ، وإن اتصل هذا الخبرُ بأمير المؤمنين من غيري لم آمن أن يكون سبب زوال نعمتي . فقال : اكتب بما أحببت ، فكتب إلى المأمون بالخبر ، فلما وصل كتابه دعا بأحمد بن أبي خالد وقال : إنه لم يَذْهَبْ عليَّ احتيالُك عليَّ في أمر طاهرٍ وتمويهُك له ، وأنا أُعطي الله عَهْداً لئن لم تَشْخَصْ حتى تُوافيني به كما أخرَجْتَهُ من قَبْضتي ، وتصلح ما أَفْسَدْتَهُ عليَّ من أَمْرِ مُلْكي لأبيدنَّ غَضْراءك[1] ، فشخص أحمد وجعل يتلوَّمُ في الطرقِ ويقولُ لأصحابِ البُرُدِ : اكتبوا بِخَبرِ عِلَّةٍ أجدُها . فلما وصل إلى الرَّيِّ لقِيَتْهُ الأخبار بوفاةِ طاهرٍ ، ووافَتْه رُسُلُ طلحة [بن طاهر ، فأغذّ السير حتى قدم] خُراسان فلقِيَه طلحةُ على حدِّ عملِهِ[2] ، فقال له أحمدُ : لا تكلِّمْني ، ولا تُرِني وَجْهَك فإنَّ أباك عرَّضني للعَطَبِ وزوالِ النعمةِ مع احتيالي له وسَعْيي كان في محبَّتِهِ . فقال له : أبي قد مضى لسبيله ، ولو أدْرَكْتَهُ لَما خرَج من طاعتِك ، وأنا فأَحلفُ لك بكلِّ ما تسكُنُ إليه ، وأَبذلُ لك كلَّ ما عندي من مالٍ وغيرِهِ ، فاضمَنْ عني حُسْنَ الطاعةِ وضَبْطَ الناحيةِ ، والإخلاصَ في النصيحة . فكتب أحمدُ بخبرِهِ وخَبَرِ طاهرٍ وخَبَرِ طلحة إلى المأمونِ ، وأشارَ بتقليدِهِ . فأنفذَ المأمونُ إليه اللواءَ والعَهْدَ والخِلَعَ ، وانصرفَ أحمدُ إلى مدينةِ السلام .

---

١ الغضراء : الأرض الطيبة الخضراء ، وأباد غضراءه : أهلك خيره ونضارته .

٢ الأغاني : على حين غفلة .

٣٨٥ – وقد روي [أن المأمون قال] لأحمد حيث أشارَ بطاهرٍ إنّه خالعٌ[1] ، فقال أحمدُ : فأنا أَضْمَنُه ، وأنَّ أحمدَ أَهْدى إلى طاهرٍ خادماً كان ربَّاه ، وقَرَّرَ معه أن يَسُمَّه إنْ تغيَّرَ عن الطاعةِ ، وأنَّ الخادِمَ سمَّه في كامخ حيث فعل طاهِرٌ ما فعل ، والله أعلم .

٣٨٦ – قال مِنْجابُ بنُ راشد : بعث أبو بكرٍ العلاءَ بنَ الحضرميِّ على قتالِ أهلِ الردَّةِ بالبحرين ، فتلاحقَ به مَنْ لَمْ يرتدَّ من المسلمين ، فسلك بنا الدَّهناء حتى إذا كنَّا في بحبوحتِها أراد الله أن يُرِيَنا آيةً ، فنزل العلاءُ وأَمَرَ بالنزولِ ، فنفرتِ الإبلُ في جَوْفِ الليلِ [فما بقي عندنا بعيرٌ] ولا زادٌ ولا مَزادٌ ، فما عَلِمْتُ جَمْعاً هَجَمَ عليهم من الغَمِّ ما هَجَمَ علينا ، وأَوْصى بعضُنا إلى بَعْضٍ . ونادى منادي العلاءِ : اجتمعوا ، فاجتمعنا إليه ، فقال : ما هذا الذي ظَهَرَ فيكم وغَلَبَ عليكم ؟ فقال الناسُ : وكيف نُلامُ ونحنُ إنْ بَلَغْنا غداً لم تَحْمَ شَمْسُهُ حتى نَصيرَ حديثاً ؟ فقال : يا أيُّها الناسُ ، لا تُراعوا ، أَلستُم مسلمين ؟ أَلستُم في سبيل الله ؟ أَلستُم أنصارَ الله ؟ قالوا : بلى ، قال : فأَبشِروا ، فوالله لا يخذلُ الله مَنْ كان في مِثْلِ حالِكم . ونادى المُنادي بصلاةِ الصبح حين طلع الفَجْرُ ، فصلَّى بنا ، ومِنَّا المُتَيَمِّمُ ومِنَّا مَنْ لم يَزَلْ على طهوره . فلما قضى صلاته [جثا لركبتيه وجثا الناسُ ، فنصب في] الدعاء ونصبوا له . فلمع سَرابٌ ، فأَقبَلَ على الدُّعاء ، ثم لمع لهم آخَرُ كذلك ، فقال الرّائدُ : ماءٌ ! فقام وقام الناسُ ، فمشينا إليه حتى نزلنا عليه فَشرِبْنا واغتسلنا ، فما تعالى النهارُ حتى أقبلت الإبلُ من كلِّ وَجْهٍ ، فأَناخَتْ ، فقام كلُّ رجلٍ منّا إلى ظَهْرِهِ فأَخَذَه ، فما فَقَدْنا سلكاً ، فأَروَيْناها وسقيناها العَلَلَ بعد النَّهَلِ ، وتروَّينا ثم تروَّحنا .

٣٨٥ وفيات الأعيان ٢ :٥٢٢ .

٣٨٦ الأغاني ١٥ : ٢٠١–٢٠٥ وتاريخ الطبري ٣ : ٣٠٦ .

١ وفيات الأعيان : جائع .

وكان أَبو هريرة رفيقي ، فلما غِبْنا عن ذلك المكان قال لي : كيفَ علمُكَ بموضعِ ذلك الماءِ ؟ قلت : أَنا مِنْ أَهْدى العربِ بهذه البلادِ ، قال : فكرَّ معي حتى تُقيمني عليه . [فكررتُ به] فأَتى على ذلك المكانِ بعينِه ، فإذا هو لا غَديرَ به ولا مطر ولا أَثَرَ لماءٍ . فقلتُ له : والله لولا أَني لا أَرى الغديرَ لأَخبرتُك أَنَّ هذا هو المكانُ ، وما رأَيْتُ بهذا المكانِ ماءً من قَبْلِ ذلك اليومِ . فنظر أَبو هريرة إداوَتَهُ مملوءةً فقال : هذا والله المكانُ بعَيْنِهِ ، ولهذا رَجَعْتُ ورجَعْتُ بك ، وملأْتُ إداوَتي ثم وضعتُها على شفير الوادي . فقلتُ : إنْ كان منّاً من المَنِّ وكانت آيةً عرَفْتُها ، وحَمِدَ الله ، ثم سِرْنا حتى نَنْزِلَ هَجَرَ .

[وأرسل] العلاءُ إلى الجارودِ ورجلٍ آخَرَ أَن انضمّا في عبد القيسِ حتى تنزلا على الحُطَم ممَّا يليكما . (وكان الحُطم ، وهو [شريح بن ضبيعة] ممَّن ٱرتدَّ وقويَت شوكتُه ، واجتمعت ربيعةُ بالبحرَيْن ، وردُّوا المُلْكَ في آلِ المُنْذِرِ فملَّكوا المنذرَ بنَ النعمانِ بنِ المنذرِ ، وقيل : هو ابن سويد بن المنذرِ أَخي النعمان وكان يُسَمَّى الغَرور ، ثم أَسلمَ بعد ذلك ، وكان يقول : لستُ بالغَرورِ ، ولكني المَغْرورُ)[1] .

وخَرَج العلاءُ بن الحضرميِّ بمَنْ معه ومَنْ [قَدِمَ] عليه حتى نزل ممَّا يلي هَجَرَ ، وتجمَّع المشركون كلُّهم على العلاءِ[2] . وخَنْدَقَ المسلمون والمشركون ، وكانوا يتراوحون القتالَ ويرجعون إلى خَنْدَقِهم ، فكانوا على ذلك شُهوراً[3] . فبينا الناسُ ليلةً كذلك إذ سَمِع المسلمون في معسكرِ المشركين [ضَوْضاءَ شديدةً كأنها ضوضاءُ] هزيمةٍ [أو قتال] ، فقال العلاءُ : مَنْ يأْتينا بخبر القومِ ؟ [فقال عبدالله بن حَذَف : أَنا آتيكم بخبرِ القوم] – وكانت أُمُّه عِجْلِيَّةً – فخرج حتى إذا دَنا من خندقِهم أَخذوه فقالوا له : مَنْ أَنتَ ؟ فانتسب لهم وجعل يُنادي : يا

١ ما بين قوسين نقل مضطرب من سياق آخر عند الطبري وأبي الفرج .
٢ الأغاني : وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء .
٣ في المصدرين : شهراً .

أَبْجراه ! فجاء أَبْجَرُ بن بُجَيْر فعرَفَه ، فقال : ما شأْنُك ؟ قال : لا أُضيعَنَّ الليلةَ بين اللهازمِ ، وعلامَ أُقْتَلُ وحولي عساكرُ من عِجْل وتَيْمِ اللات وقَيْسٍ وعَنَزَة ؟ أَيتلاعَبُ بِيَ الحُطَمُ ونُزَّاعُ القبائلِ وأنتم شُهودٌ ؟ فتخلَّصه وقال : والله إنِّي لأَظنُّك بئسَ ابنُ الأُختِ لأَخوالِك الليلةَ ! فقال : دَعْني مِنْ هذا ، وأَطعِمْني ، فقد مُتُّ جوعاً . فقرَّب إليه طعاماً فأكل ثم قال : زوِّدْني [واحملني وجَوِّزْني أَنطَلِقُ إلى طِيَّتي] – ويقول ذلك لرجلٍ قد غلب عليه الشرابُ – ففعل وحمله على بعيرٍ وزوَّده وجَوَّزَهُ . وخَرَج عبدالله حتى دخل عَسْكَرَ المسلمين وأخبرهم أَنَّ القَوْمَ سُكارى . فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عسكرهم ، فوضعوا فيهم السيوفَ حيث شاءوا ، فتقحَّموا الخندقَ هُرَّاباً ، فَمُتَرَدٍّ ، وناجٍ ودَهِشٌ ومقتولٌ ومأسورٌ ، واستولى المسلمون على ما في العسكرِ ، فلم يُفْلِت رجلٌ إلا بما عليه . فأَمَّا أَبْجَرُ فأَفْلَتَ ، وأَما الحُطَمُ فإنَّه بَعِلَ[1] ودُهِش ، فقام إلى فرسِهِ – والمسلمون خلالهم – ليركبَ ، فلما وضع رِجْلَهُ في الرِّكابِ انقطع ، فَمَرَّ به عفيف بن [المنذر] والحُطَمُ يستغيث ويقول : أَلا رجلٌ من بني قيس بن ثعلبةَ يعقلني ، فرفع صَوْتَهُ ، فعرفه عفيفٌ فقال : أَبو ضُبيعةَ ؟ قال : نعم ، قال : أَعطِني رِجْلَك أَعقِلْك . فأَعطاه رِجْلَهُ يعقِلُها ، فَنَفَحها فأَطنَّها[2] من الفَخِذِ وتركه ، فقال : أَجْهِزْ عليَّ ، فقال : إني لأُحبُّ أَلا تموتَ حتى أُمِضَّك – وكان مع عفيفٍ عِدَّةٌ من ولدِ أَبيه ، فأُصيبوا ليلتئذٍ – وجعل الحُطَمُ يطلبُ مَنْ يقتلُهُ ، يقول ذلك لمن لا يعرفُهُ ، حتى مرَّ به قيس بن عاصم فمال عليه فقتله ، فلما رأى فَخِذَه نادرةً قال : واسَوْأتاه ! لو علمتُ الذي به لَمْ أُجْهِزْ عليه .

وخرج المسلمون بعدما أَحرزوا الخندقَ على القومِ يطلبونهم ، فاتبعوهم [فلحِقَ قيسُ بن عاصمٍ أَبْجَرَ – وكان] فَرَسُ أَبْجَرَ أَقوى من فرسِ قيس ، فلما خَشِيَ أَن يفوتَهُ طَعَنَهُ في العُرقوبِ ، فقطع العصب ، وسَلِمَ النَّسَا ، فقال عفيف

---

١ بعل : خاف ودهش .

٢ نفحها فأطنها : ضربها بالسيف فقطعها .

بن المنذرِ في ذلك : [من الطويل]

فإن يَرْقأ العرقوبُ لا يرقأ النَّسا ۔ وما كلُّ مَنْ يلقى بذلك عالمُ
ألمْ ترَ أنَّا قد فَلَلْنا حُماتَهم بأُسْرَةِ عَمْرٍو ، والرِّبابُ الأَكارمُ

وأَسَرَ عفيف بن المنذرِ الغَرورَ ، فكلَّمَتْهُ الرِّبابُ فيه وكان ابن أُختِهم ، وسألوه أن يُجيرَهُ ، فجاء به إلى العلاء فقال : إني أَجَرْتُه ، فقال : ومَنْ هو ؟ قال الغَرورُ ، فقال له الغَرور : إني لستُ بالغَرورِ [ولكني المغرور ، قال : أَسلِمْ ، فأسلم وبَقِيَ] بهَجَرَ ، وأصبح العلاءُ يقسمُ الأنفالَ ، ونَفَّل رجالاً من أَهلِ البلادِ ثياباً ، فَمِمَّن نُفِّلَ عفيفُ بن المُنذر ، وقيس بن عاصم ، وثُمامة بنُ أثال . فأَما ثُمامةُ فنُفِّل ثِياباً فيها خميصةٌ ذاتُ أَعلامٍ كان الحُطَمُ يُباهي بها ، فأَخَذَ منها وباع الباقي .

وهربَ الفُلاَّلُ إلى دارين ، فركبوا إليها السفنَ ، فجمعهم الله إليها ، ونَدَبَ العلاءُ الناسَ إلى دارين ، وخَطَبَهم فقال : إنَّ الله قد جمع لكم إخوانَ الشيطان وشُرَّادَ الحَرْبِ في هذا اليومِ ، وقد أَراكم من آياتِهِ في البَرِّ لتعتبروا بما في البحرِ ، فانهَضوا إلى عدوِّكم واستعرِضوا البَحْرَ [إليهم ، فإنَّ الله قد جَمَعَهم ، فقالوا : نَفْعَلُ] ولا نَهابُ والله [بعد الدَّهناءِ هَوْلاً ما بقينا] .

فارتحل وارتحلوا حتى إذا أُتى ساحلَ البحرِ اقتحموه على الخيلِ والحمولةِ والإبلِ والبغالِ والراكبِ والراجلِ ، ودعا ودَعَوا ، وكان دعاؤهم : يا أَرحَمَ الراحمين ، يا كريمُ ، يا حليمُ ، يا أَحَدُ ، يا صَمَدُ ، يا حيُّ ، يا محيي الموتى ، يا حيُّ يا قيُّوم ، لا إله إلا أَنْتَ يا ربَّنا . فأَجازوا ذلك الخليجَ بإذنِ الله يمشون على مِثْلِ رَمْلَةٍ مَيْثاءَ فوقَها ماءٌ يَغْمُرُ أَخْفافَ الإبلِ ، وبين الساحلِ ودارين مسيرةُ يومٍ وليلةٍ لِسُفُنِ البَحْرِ . ووصل المسلمون إليها فما تركوا بها من المشركين مُخْبِراً ، وسَبَوا الذَّراريَّ ، واستاقوا الأَموالَ ، فبلغ نَفَلُ [الفارسِ ستَّةَ آلاف] والراجلِ أَلفَيْن فلما [فرغوا رجعوا] عَوْدَهم على بَدْئِهم حتى عبروا . وأُنشد في ذلك [عفيف] : [من الطويل]

أَلم تَرَ أَنَّ الله ذَلَّل بَحْرَهُ   وأَنْزَلَ بالكفَّارِ إِحدى الجلائلِ
دَعَوْنا الذي شقَّ البحارَ فجاءَنا   بأَعجَبَ من شَقّ البحارِ الأَوائلِ

وكان بهَجَرَ راهبٌ فأَسلم يومئذٍ ، فقيل له : ما دَعاك إلى الإسلامِ ؟ قال : ثلاثةُ أَشياءَ خشيتُ أَن يَمْسخني الله بعدها إنْ أَنا لم أَفْعَلْ : فَيْضُ الماء في الرمالِ ، وتمهيدُ أَثباجِ البحورِ ، ودعاءٌ سمعتُه في عسكرِهم في الهواء في السَّحَرِ ، قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم أَنْتَ أَرحمُ الراحمين ، لا إله إلا أَنْتَ ، [البديعُ ، ليس قبلك] شيءٌ ، والدائم غير [الغافل] ، والحيُّ الذي لا يموت ، وخالقُ ما يُرى و[ما] لا يُرى ، وكلَّ يومٍ أَنت في شأنٍ ، وعَلِمْتَ اللهم كلَّ شيءٍ بغير تعليمٍ ، فعلمتُ أَنَّ القومَ لم يُغاثوا بالملائكةِ إلا وهُم على أَمرِ الله .

٣٨٧ – دخل رجالٌ من قريشٍ وبني هاشمٍ فيهم عبدالله بن العباسِ على معاوية في خلافتِهِ . فأَقبَلَ معاويةُ على القَوْمِ بوَجْهِهِ وقال : يا بني هاشمٍ ، بِمَ تَفْخرون علينا ؟ أَليسَ الأَبُ واحداً ، والأُمُّ واحدةً ، والدارُ واحدةً ؟ فقال ابنُ عباسٍ : نَفْخر عليك بما أَصبَحْتَ تفْخر به على سائرِ قريشٍ ، وتفخر به قريشٌ على الأَنصارِ ، وتفْخر به الأَنصارُ على العربِ ، وتفخر به العربُ على العجم ، برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بما لا تستطيع له [إنكاراً] ولا مِنْهُ فِراراً . [فقال : يا ابن عباس ! لقد أَعطيت لساناً ذرباً ، تكاد تغلب بباطلك حق سواك] . فقال ابن عباسٍ : يا معاويةُ ، إنَّ الباطل لا يَغْلِبُ الحقَّ ، فَدَعْ عنك الحَسَدَ ، فبئسَ الشعارُ الحَسَدُ ! فقال معاويـةُ : صدَقْتَ يا ابنَ عباس . أَمَا والله إنِّي لأُحبُّك لأَربعٍ : إحداهُنَّ لقرابتك من رسولِ الله ﷺ ، والثانيةُ لأنك رجلٌ من أُسرتي ، والثالثةُ لأَنَّك لسانُ قُريشٍ وزعيمُها ، وأَما

---

٣٨٧ الخبر مع بعض اختلاف في العبارة في أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي : ٦٢-٦٦ وعنه التصويبات وملء الفراغات في الأصل .

الرابعةُ ، فإنَّ أَباكَ كان خِلّاً لأَبي . وقد غَفَرْتُ لك أَربعاً : فإحداهُنَّ : عَدْوُك عليَّ بصفِّين فيمن عدا ، وإساءتُك في خِذْلان عثمانَ فيمن أَساءَ ، وسَعْيُكَ على عائشةَ فيمن سعى ، ونَفْيُكَ عنِّي زياداً فيمن نَفَى . [فضربتُ أنف هذا الأمر وعينه حتى استخرجت مِقَتَك] في كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وفي قولِ الشاعر . فأَما ما وافَقَ كتابَ الله عزَّ وجلَّ فقَوْلُه : ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخَرَ سيِّئاً ، عسى الله أَن يتوبَ عليهم﴾ (التوبة : ١٠٢) وأَمَّا في الشعرِ ، فقولُ الذُّبيانيِّ : [من الطويل]

ولسْتَ بمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ ، أَيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ[١]

إِنَّا قد قبلنا منك الأَوَّلَ ، وغَفَرنا لك الآخِرَ .

فقال ابنُ عباسٍ : الحمدُ لله الذي أَمَرَ بحمدِهِ ، ووعَدَ عليه ثوابَهُ ، أَحْمَدُهُ كثيراً كما أَنعَمَ علينا كثيراً ، وأَشهد أَن لا إله إلا الله ، وأَنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُه ﷺ .

[أما بعد ، فإنك ذكرت أنك تحبني] لقرابتي من رسولِ الله ﷺ ، وذلك الواجبُ عليك وعلى كُلِّ مَنْ آمَنَ برسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه لأَنَّه الأَجْرُ الذي سأَلكم : ﴿قُلْ لا أَسأَلكم عليه أَجْراً إلا المودَّةَ في القُرْبى﴾ (الشورى : ٢٣) ، وهو الأَجرُ الذي سأَلكم عمَّا أَتاكم به من الضياء والنهار المنير ، فَمَنْ لم يُحِبَّ رسولَ الله ﷺ فقد خابَ وكبا ، وخَزِيَ وهوى ، وحلَّ مَحَلَّ الأَشقياء .

وأَما قولُك : إني من أُسرَتِك وأَهلِ بيتك ، فهو كذلك ، إنما أَرَدْتَ صِلَةَ الرحِمِ ، وصلةُ الرحِمِ من أَفعالِ الأَبرارِ ، ولَعَمْري إنَّك وصولٌ لِرَحِمِك مع ما كان منك ممّا لا [تثريب عليك فيه اليوم] .

وأَمَّا قولك : إني لسانُ قريشٍ وزعيمُها ، فإني لم أُعْطَ من ذلك شيئاً لم تُعْطَهُ ، ولكنك قُلْتَ ذلك لِشرفِك وفَضْلِك كما قال الأَول : [من الطويل]

---

١ ديوان النابغة (أبو الفضل إبراهيم) : ٧٤ .

وكلُّ كريمٍ للكريمِ مُفَضِّلٌ   يراهُ له أَهلاً وإن كان أَفْضَلا

وأَما قولُك : إنَّ أَبي كان خِلّاً لأَبيك ، فقد كان ذلك كذلك ، وقد علمْتَ ما كان من أَبي إليه يومَ الفتحِ ، وكان شاكراً كريماً ، وقد قال الأولُ : [من الطويل]

سأَحفَظُ مَنْ آخى أَبي في حياتِهِ   وأَحفَظُه من بَعْدِهِ في الأَقارِبِ
ولستُ لمن لا يحفظُ العَهْدَ وامقاً   صديقاً ولا عند المُلمِّ بصاحبِ

وأَمَّا قولُك في [عدوي عليك] بصِفِّين ، فوالله لو لم أَفعَلْ لكنتُ من شَرِّ العالمين ؛ يا معاويةُ ، أكانت تحدِّثُك نَفْسُك أَني كنتُ خاذِلاً لابنِ عمِّي أَميرِ المؤمنين وقد حَشَدَ له المهاجرون والأَنصارُ ؟ لم يا معاويةُ ؟ أَضَنٌّ بنفسي أَم شكٌّ في ديني ، أَم جُبْنٌ من سَجِيَّتي ؟ والله لو فعلتُ ذلك لاختَبأْتَه فيَّ ، وإن كُنْتَ قد عاتبتَ عليه .

وأَما خذْلانُ عثمانَ ، فقد خَذَلَهُ مَنْ هو أَمسُّ رَحِماً به مِنِّي وأَبْعدُ رحِماً ، فَلي في الأَقربين والأَبعدين أُسوةٌ ، ولمْ أَعْدُ عليه مَعْ مَنْ عدا ، بل كنتُ أَكفُّ أَهْلَ الحجازِ عنه[1] .

وأَما قولك في عائشة أُمِّ المؤمنين ، فلو قَرَّتْ في بيتِها كما أَمَرَها ربُّها لكان . . . عنها[2] .

وأَما قولُك في زيادٍ ، فإني لم أَنْفِهِ ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ نَفاه .

(يعني بقوله هذا : «الولدُ للفراشِ ، وللعاهرِ الحَجَرُ»)[3] .

وإني مع هذا لأُحبُّ ما سَرَّك في جميع أُمرِك .

فاعترضَ عمرو بن العاصِ فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، لا يَخْدَعَنَّك ابنُ عباسٍ

---

١ في أخبار الدولة العباسية : بل كففت عنه كما كف أهل الحجاز .
٢ في أخبار الدولة العباسية : وأما قولك في عائشة فإن الله أمرها أن تحتجب بسترها وتقر في بيتها ، فلما عصت ربها ، وخالفت نبيها ، صنعنا ما كان منا إليها .
٣ متفق عليه .

بلسانِهِ ، واللهِ ما أُحبُّك طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ . وإنَّك وإيَّاه لَكَما قال الأَوَّلُ : [من الطويل]

وقد كُنْتُ جَلْداً في الحياةِ مُرَزَّأً وقد كُنْتُ لبَّاسَ الرِّجالِ على ضِغْنِ[1]

فقال ابنُ عباسٍ : إنَّ عَمْراً دخل بين العَظْمِ واللحمِ ، والعصا واللِّحاء ، [وقد قال فليسمع ، وقد وافق قرناً] . إني واللهِ ما أُصبَحْتُ أُعتَذِرُ إلى أُحدٍ من أن أكون شانئاً لك قالياً . ألا إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول لنبيه ﷺ : ﴿إنَّ شانئك هو الأَبْتَر﴾ (الكوثر : ٣) . [فأنت الأبتر] من الدين والدنيا . ووجَدْتُ اللهَ عزَّ وجلَّ قد قال في عَقْدِ كتابِهِ : ﴿لا تَجدُ قوماً يؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ يُوادّون مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَه﴾ (المجادلة : ٢٢) فإنك قد حادَدْتَ اللهَ ورسولَه . ولقد جَهِدْتَ على رسولِ اللهِ ﷺ جَهْدَكَ ، وأَجْلَبْتَ عليه بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ ، حتى إذا غلبك اللهُ على أُمرِكَ ، وأَوْهَنَ حزبَكَ ، وردَّ كَيْدَكَ في نَحْرِكَ ، عُدْتَ لعداوةِ أُهل [بيته من بعده ، ليس بك في] ذلك حبُّ معاوية إلا للعداوة لله ورسولِهِ للحسدِ القديم لأَبناء عبد مَناف ، والبغضِ لهم ، فإنك وإيَّاهم [كما] قال الشاعرُ : [من الطويل]

تعرَّضَ لي عمروٌ ، وعمروٌ خَزايةٌ تعرُّضَ ضبع القَفْرِ للأُسدِ الوَرْدِ

فما هو لي نِدٌّ فأُشتمَ عِرْضَهُ ولا هو لي عَبْدٌ فأُبطشَ بالعَبْدِ

فأَراد عمرو الكلامَ ، فقال معاويةُ : واللهِ ما أُنت مِن رجالهِ ، فإن شِئْتَ فَقُلْ ، وإن شِئْتَ فَدَعْ .

٣٨٨ – ذُكِرَ أَنَّ مُعِزَّ الدولةِ أَبا الحسنِ أَحمدَ بنَ بُوَيْهِ دخل عليه أَبو عبدالله ابن الداعي العلويُّ وقال له : قد أَقْطَعْتَ فُلاناً اصفهسلارية الدَّيْلم ، كلَّ واحدٍ مائة أَلفٍ ؟ قال : نعم ، فقال : أَنت تُعَظِّمُ حُرْمَةَ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ فقال : نعم ،

---

[1] أخبار الدولة العباسية : «على غمر» بدلاً من «على ضغن» .

فقال : يجوزُ أن تُقْطِعَ جَدِّي وآله مائة أَلف ، قال : كيف ؟ فقال : لأنك قد ضَمَّنْتَ القَضاءَ لابنِ أَبي الشوارب بمائة أَلف ، وتَحَيَّلَ عليه الغِلمان في الشهواتِ والخُمورِ ، وما بقي من آثار رسولِ الله ﷺ وشريعتِهِ إلا الحُكْمُ ، فلو تركْتَ هذه المائة أَلفٍ له . فقال : قد فعلتُ ، ولكن انظر مَنْ يصلحُ للقضاءِ ، فأَثْبتُه لي حتى أُولِّيَه لِمَنْ يعملُ فيه بالواجبِ . فمضى أَبو عبدالله ابنُ الداعي إلى أَبي عبدالله البَصْريِّ ، وسأله مَنْ يصلح لذلك ، فأَمْلى عليه ستَّةَ عَشَرَ نَفَراً : أَبو بكْرٍ الرازيُّ ، وابن معروف ، وأَبو بكر بنُ سيَّارٍ من أَصحابِ أَبي حنيفة ، وأَبو بكرٍ الأَبْهريُّ ، وأَبو الحسن ابنُ أُمِّ شيبان من أَصحاب مالك ، وأَبو بِشْر بنُ أَكْثَمَ من أَصحاب الشافعيِّ . فجاءَ ابنُ الداعي إلى ابن بُوَيْهٍ وعَرَضَ عليه الأَسماء ، فقال : أَمَّا أَبو بكرٍ الرازي وأَبو بكرٍ الأَبْهري ، فكُلّ واحدٍ منهما يصلحُ أَن يكونَ قاضي قضاة الدنيا فَضْلاً عن بغداد ، ولا مَطْعَنَ عليهما في شيءٍ ، إلا أَنَّ أَخي رُكْنَ الدولةِ أَبا عليٍّ إن بلغه هذا يقولُ : أَما وَجَدَ ببغداد – وهي حضرة الخلافة – أَحداً يولّيه القضاءَ حتى ولَّى مَنْ هو مِنْ أَهلِ عملي ، والسياسةُ تُوجبُ . . . . يرجع إليهما .

وأَما أَبو محمد بن معروف ، فقيل لي إنَّه يحضرُ الغِناءَ . وبَعْدَ أَن جعلتُ في نفسي أَن أُولّيَ هذا الأَمْرَ لله ، فلا أُريدُ أَنْ أُولِّيَ فيه مَنْ يَتَطَرَّقُ عليه بشيءٍ . وأَمّا أَبو الحسن ابنُ أُمِّ شيبان فيصلحُ لهذا ، وقد كان تولَّى قَضاء القُضاةِ قَبْلَ هذا ، ولكنه هاشميٌّ وهو ابنُ عمٍّ الخليفة ، ومتى صار القضاءُ إليه وازَرَ الخليفةَ ولم أُطِقْهُ ، وخَرَجَ القضاءُ عن يدي .

وأَمّا أَبو بكر بنُ سيَّارٍ ، فكُنْتُ قد أَنْفَذْتُهُ في رسالةٍ إلى الأَهوازِ ، فعاد وأَهْدى إليَّ غُلاماً حَسَناً وهو يعرِفُ رأْيي في الغِلْمانِ ، ومَنْ يتقرَّب بمثل هذا لا أُريدُ أَنْ أُولِّيَهُ القضاءَ ، فقلتُ له : أَبو بِشْرٍ ؟

وعَرَّفْتُ أَبا عبدالله البصريَّ ، فقال لأَبي محمدٍ الأَكفاني : امضِ إلى أَبي بِشْر ابن أَكثم وسَلِّم عليه بقضاءِ القُضاةِ ، وعَرِّفْهُ الحالَ ليعلمَ أَنَّ هذا مِنْ قِبَلِنا ، وتكونَ لنا عنده يَدٌ . فمضى إلى أَبي بِشْرٍ ، وكان شيخاً قد كَبُرتْ سنُّه ، فسلَّم عليه

بالقَضاء ، فقال : أتَهْزأُ بي وأنا شيخٌ كبيرٌ ؟ ! فقال : ما أَهْزأُ ، وعرَّفَهُ القصة . فقبَّل بين عَيْنَي أبي محمدٍ ، وتولّى قضاءَ القُضاةِ ، وأقامَ نَحْواً من أربعِ سنين . ثم اطّلع بعد ذلك على خيانتِه ، ووقف للناسِ ثم تغيَّرت الأحوالُ .

٣٨٩ – كان جامعُ بن أُميةَ المُحاربيُّ من الخُطباء البُلغاء وكان مُتَديِّناً [صالحاً ، وهو الذي قال للحجاج حين بنى] مدينة واسط : بنيتها في غير بلدِك ، وتُورِّثُها غَيْرَ ولدِكَ .

وشكا إليه الحجاجُ أهلَ العراق ، وأخبرَهُ عن سُوء نِيَّاتِهم ، وخُبْثِ سريرتهم ، وقلَّةِ طاعتهم ، وكثرة خلافهم ، فقال له جامعٌ : أما إنَّهم لو أحبُّوكَ لأطاعوك ، على أنَّهم ما [شنئوك] لِنَسَبِك ولا لبلدِكَ ، ولا في بطنك وظَهْرِكَ[١] ، فَدَعْ ما يُبعدهم منك إلى ما يُقرِّبُهم إليك ، والتَمِس العافيةَ ممَّن دونك تُعْطَها ممَّن فَوْقَك ، وليَكُنْ إيقاعُكَ بعد وعيدِكَ ووعيدُكَ بَعْدَ وَعْدِك .

قال الحجاجُ : إني والله ما أرى أن أَردَّ بني اللكيعةِ إلى طاعتي إلا بالسيفِ .

قال : أيُّها الأميرُ ، إنَّ السيفَ إذا لَقِيَ السيفَ [ذهب الخيار . قال الحجاج : الخيار] يومئذٍ لله . قال : أجل ، ولكنك لا [تدري] لمن يجعله الله . فغضب الحجاجُ وقال : يا هَناهُ ! إنك من محارب . فقال جامعٌ : [من الطويل]

وللحربِ سُمِّينا وكُنَّا محارِباً إذا ما القنا أمسى من الطَّعْنِ أحمرا

قال الحجاج : والله لقد هَمَمْتُ أن أَخْلَعَ لسانَك وأَضْرِبَ به وَجْهَكَ . قال جامعٌ : إنْ صَدَقْناك أغضبناك ، وإن غَشَشْناكَ أَغْضَبْنا الله ، وغَضَبُ الأميرِ أهونُ علينا من غَضَبِ الله . قال : أجَلْ . وسكن الحجاج وشُغِل ببعضِ الأمْرِ ، فانْسَلَّ جامعٌ وخرَج من بين الصفوفِ من خَيْلِ الشامِ حتى صار إلى

---

٣٨٩ البيان والتبيين ٢ : ١٣٥–١٣٧ والعقد ٢ : ١٧٩–١٨٠ وعيون الأخبار ٢ : ٢١٢ .

١ في المصادر : ولا لذات نفسك .

خَيْلِ أَهلِ العراقِ ، [وكان الحجاج لا يخلط] أَهلَ الشام بأَهلِ العراقِ . فأَبصر كَبْكَبَةً فيها جماعةٌ من بَكْرِ العراقِ وقيس العراق وتَميم العراق [وأزد العراق] ، فلما رأَوْهُ اشْرَأَبُّوا إليه ، وبلغهم خروجُه فقالوا له : ما عندك دافع الله لنا عنك ؟ قال : ويحكم ! عُمُّوه بالخَلْع كما يعمُّكم بالعداوَةِ ، ودعوا التعادي بينكم ما عاداكم ، فإِنَّه أَقْوى أَعدائكم ، وأَحدُّهم ناباً ومِخْلباً ، وأَجرَؤهم ، إنْ ظَفِرَ بكم لا يَدَعُ منكم لساناً ينطقُ ، ولا عَيْناً تَطْرِفُ ؛ وإن أَظْفَرَكُم الله به ، تراجعتُم العداوَةَ والتحارُبَ بينكم أَو تعافيتُم . أَيُّها التميميُّ ، هو والله أَعدى لك من الأَزْديِّ ، وأَيُّها القَيْسيُّ هو أَعدى لك من التغلبيِّ ، وهَلْ ظَفِرِ بمن ناوأه منكم إلا بمَنْ بَقِيَ معه من رؤسائكم . ثم هَرَبَ جامعٌ من فَوْرِهِ ذلك إلى الشام ، فاستجار بزُفَرَ بنِ الحارثِ فأَجارَهُ .

٣٩٠ – قال عليٌّ الحِمْيريُّ : لمَّا أَشْخَصَ المنصورُ أَبا حنيفةَ إلى بغداد شَخَصْتُ معه ، فقَدِمَ بغداد ، فحضَرَ الدارَ ، وأُعْلِمَ به المنصورُ ، فدخل إليه ثم خَرَجَ إليَّ وهو مُمْتَقِعُ اللونِ ، فسأَلتُه عن حالِهِ فقال لي : المنزلَ ، المنزلَ ! فمضيتُ معه فقال : إنَّ هذا دَعاني إلى القَّضاءِ ، فأَعلمتُه أَني لا أُصلحُ ، وافترصها منِّي وظنَّ أَني قد كَذَبْتَهُ ، فقال لي : قد جلسْتَ تُفتي الناسَ ، وتزعمُ أَنك لا تصلحُ للقضاء ، قال : فقلتُ له : إني لم أَقُل إني لا أُصلحُ لأَني لا أَعلمُ أن البَيِّنَةَ [على المدعي واليمين على من أنكر] ولكنه لا يصلحُ للقضاءِ إلا رجلٌ له نَفْسٌ يحكمُ بها عليكَ وعلى ولدِكَ وعلى قُوَّادِك ، وليست تلك النفسُ لي ، والله يعلمُ أَنك لتدعوني ، فما ترجعُ نفسي إليَّ حتى أُفارقَك ؛ فلما سَمِع ذلك منِّي أَطرقَ ثم رفع رأْسَهُ إليَّ ، وقال : فلِمَ لا تقبلُ صِلَتي ؟ فقلتُ : أَفَوَصلني أَميرُ المؤمنين من مالِهِ بشيءٍ فَرَدَدْتُهُ ولم أَقْبَلْهُ ؟ وإنَّما وصلتني من بيتِ مالِ المسلمين ولا حقَّ لي فيه ؛ لأَني لستُ مُقاتِلاً من وَرائِهم فآخُذَ مع المُقاتِلةِ ، ولستُ من وِلْدانِهم فآخُذَ ما يأخذون ،

---

٣٩٠ مناقب أبي حنيفة للموفق بن أحمد المكي مع بعض اختلاف ١ : ١٩١ .

ولستُ من فُقرائِهم فآخُذَ ما يأخُذُ الفُقراءُ ، أنا من الله بخيرٍ ، وبنعمتِهِ في كفايةٍ ، فقال لي : أَقِمْ بمكانِكَ تكاتِبْكَ القُضاةُ فيما [لعلهم أن يحتاجوا إليك . قلت :] سمعاً وطاعةً .

٣٩١ – قال عبدالله بن المبارَكِ : لمَّا أَفْضَتِ الخلافةُ إلى هارون ، وَقَعَتْ في نَفْسِهِ جارِيةٌ من جَواري المَهْديِّ ، فأرادَها على نَفْسِها ، فقالت : لا أُصلحُ لك ؛ إنَّ أَباك قد أَطافَ بي ، فأُغرِيَ بها . قال : فبعث إلى أَبي يوسفَ فقال : جاريةٌ من جَواري المهديِّ أَرَدْتُها فتحصَّنَت منِّي وذكرتْ أَنَّ أَبي قد وقع بها ، فعندك في هذا شيءٌ ؟ قال : نعم يا أَميرَ المؤمنين ، لا تُصَدِّقْها ، ليست بمأمونةٍ على نَفْسِها .

قال عبدُالله بن المُبارَك : فلم أَدْرِ من أَيِّهم أَعْجَبُ ، من هذا الذي قد وضع يده في دماءِ المسلمين وأَموالِهم يتحرَّجُ من [وطء جارية] لأَبيه رغِبت بنَفْسِها عن أَميرِ المؤمنين ، أَم من هذا فَقيهِ الأَرضِ وقاضيها ، قال : تَهتِكُ حُرْمَةَ أَبيك واقضِ شَهْوَتَكَ وصَيِّرْهُ في رقبتي .

٣٩٢ – [جرى] بين عبدالله بن الزبير وبين عتبة بن أَبي سفيان لِحاءٌ بين يَدَيْ معاويةَ ، فجعل ابنُ الزبيرِ يَعْدِلُ بكلامِهِ عن عتبةَ ويُعَرِّضُ بمعاوية ، حتى أَطالَ وأَكْثَرَ من ذلك ، فالتفت معاويةُ وقال مُتَمَثِّلاً : [من الطويل]

ورامٍ بعُورانِ الكلامِ كأَنَّها ... نوافِرُ صُبْحٍ نَفَّرَتْها المراتِعُ
وقد يُدحضُ الْمرءُ المُواربُ بالخنا ... وقد تُدرك المرءَ الكريمَ المصانِعُ

ثم قال لابن الزبير : [من يقول هذا ؟] فقال : ذو الاصبع ، قال : أَتَرْويه ؟ قال : لا ، قال : مَنْ ههُنا يروي هذه الأَبيات ؟ فقال رجلٌ من قَيْسٍ : أَنا أَرْويها يا أَميرَ المؤمنين ، فقال : أَنْشِدْني ، فأَنْشَدَهُ حتى أَتى على قولهِ :

---

٣٩١ أخبار القضاة ٣ : ٢٦١ ولكن دون تعليق ابن المبارك أو تسمية الخليفة .

٣٩٢ الأغاني ٣ : ٩٦–٩٧ .

وساعٍ برجلَيْهِ لآخَرَ قاعدٍ ومعطٍ كريمٌ ذو يسارٍ ومانِعُ
وبانٍ لأحسابِ الرجالِ وهادمٌ وخافضُ مولاه سفاهاً ورافِعُ
ومُغْضٍ على بَعْضِ الخُطوبِ وقد بَدَتْ له عورةٌ من ذي القَرابةِ هاجعُ
وطالبُ حُوبٍ باللبانِ[1] وقَلْبُهُ يرى الحقَّ لا تَخفى عليه الشرائعُ

فقال : [كم عطاؤك ؟] قال : سبعمائة ، قال : اجعلوها أَلْفاً ، وقطع الكلامَ بين عبدالله وعتبة .

٣٩٣ – لـمّا وَلِيَ الوليد بن عقبةَ الكوفةَ من قِبَلِ عثمان ، قَدِمَها وبها سعدُ بنُ أبي وقاص أميراً ، فدخل عليه ، فقال له سعدٌ : ما أَقْدَمَكَ أَبا وَهْبٍ ؟ قال : أَحبَبْتُ زِيارَتَك ؛ قال : وعلى ذاك أجئت بريداً ، قال : أَنا أَرْزَنُ من ذاك ، ولكنَّ القَوْمَ احتاجوا إلى عملِهم فَسَرَّحوني إليه ، وقد استعملني أَميرُ المؤمنين على الكوفةِ . فمكث سعدٌ طويلاً وقال له : ما أَدري ، أَلِسنْتَ[2] بَعْدَنا أم حمُقْنا بَعْدَكَ ؟ (فقال : لاتجزَعَنَّ أَبا إسحاقَ ، فإنَّما هو المُلْكُ ، يتغدَّاهُ قَوْمٌ ويتعشَّاه آخرون ، فقال : أَراكم والله ستجعلونه مُلْكاً)[3] ثم قال : [من الطويل]

خُذيني فَجُرِّيني ضَباعُ وأَبْشري بلَحْمِ آمرىءٍ لم يَشْهدِ اليومَ ناصِرُه

٣٩٤ – وقال العجاج : [من الرجز]

وكلُّ معدودٍ إلى أَن يَنْفَدا وغايةُ الأَقوامِ مَهْواةُ الردى
والدهرُ ما أَصلحَ يوماً أَفْسَدا وعادَ مُبْليهِ على ما جَدَّدا

---

٣٩٣ الأغاني بتفصيل أوسع ٥ : ١١٣ .
٣٩٤ لم يرد هذا الرجز في ديوان العجاج .

---

١ الأغاني : باللسان .
٢ الأغاني : أصلحت . . . فسدنا .
٣ ما بين قوسين لم يرد في الأغاني .

ولا أرى الإنسانَ مَتْروكاً سُدى ويجعلُ اللهُ وإنْ طالَ المدى
لكلِّ شيءٍ مُنْتهىً وأَمَدا

٣٩٥ – لمَّا قَدِم عمرُ الشامَ وقف على طُورِ زَيْتا ، فأَرسلَ البِطريقُ عظيماً لهم ثم قال : انظُر إلى مَلكِ العربِ ؛ فرآه على فَرَسٍ وعليه جُبَّةُ صوفٍ مرقَّعَةٌ ، مُسْتقبلَ الشمس بوَجْهِهِ ، ومِخْلاتُه في قَرَبوسِ سَرْجِهِ ، وعمرُ يُدخلُ يَدَهُ فيها فيُخرجُ فِلَقَ خُبْزٍ يابسٍ فوصفه للبطريق ، فقال : لا [طاقة] لنا بمُحاربةِ هذا ، أَعطوه ما شاءَ .

٣٩٦ – قال عبدُ الملك بنُ مروان : تَمَكَّنا من أُمِّ خَنُّوْر ، وذلك لمَّا اشتدَّ مُلْكُهُ ، وقَهَرَ أَعداءه ، وظنَّ أَنَّ الأَرضَ قد دانَتْ له ، فلم يَعِشْ بعدها إلا أُسبوعاً .

أُم خَنُّوْر : كُنيةُ الدنيا . أهلُ الكوفة يقولون : خَنُّور كسَفُّود . وأَهْلُ البصرة يقولوم : خَنَوَّر كتَحَوَّل ، وأَصلها في الضَّبُعِ ، فَشُبِّهت بها لأَكْلِها الناسَ كما قيل للسنةِ : الضَّبُع .

٣٩٧ – قال عبدُ الملك : وُلدتُ في شهرِ رمضان ، وفُطِمْتُ في شهرِ رمضان ، وخَتَمْتُ القرآن في شهرِ رمضان ، وأَتَتْني الخلافةُ في شهرِ رمضان ، وأَخافُ أَن أَموتَ في شهرِ رمضان . فلما دخل شوَّالٌ وأَمِنَ بها مات .

٣٩٨ – قال علي بن أَبي طالب : أَبو بكرٍ سَلِمَ من الدنيا وسَلِمَتْ منه ، وعمرُ عالجَها وعالجَتْهُ ، وعثمانُ نالَ منها ونالَتْ منه ، وأَمَّا أَنا فقد تَضَجَّعْتُ فيها ظَهْراً لِبَطْنٍ .

٣٩٩ – ويُروى أَنَّ رجلاً من الأَوّلين كان يأْكُلُ وبين يَدَيْهِ دجاجةٌ مشويَّةٌ ، فجاءَ سائلٌ فردَّه خائباً ، وكان الرجلُ مُسْرِفاً فوقعت بينه وبين امرأته فُرْقَةٌ ،

٣٩٥ أخبار قدوم عمر إلى بيت المقدس كثيرة في كتب التاريخ .
٣٩٦ انظر اللسان (خنر) .
٣٩٧ نهاية الأرب ٢١ : ٢٧٧ .
٣٩٩ نثر الدر ٧ : ٤١٠–٤١١ .

وذهبَ مالُه وتزوَّجَتْ ، فبينما زوجُها الثاني يأكلُ وبين يديهِ دجاجةٌ مَشْوِيَّةٌ إذ جاءَه سائلٌ ، فقال لامرأته : ناوليه الدجاجةَ ، ونظرَتْ فإذا هو زَوْجُها الأوَّلُ ، فأخبَرَتْهُ القصَّةَ ، فقال الثاني : أنا واللهِ ذلك المسكينُ ، خيَّبَني فحوَّل اللهُ نِعْمَتَه وأهلَه إليَّ لقلَّةِ شُكْرِهِ .

٤٠٠ – كانت قريش لا ترغب في أُمَّهاتِ الأولاد حتى وَلَدَتْ ثلاثةً هُم خَيْرُ أهلِ زمانِهم : علي بن الحسين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله ، وذلك أنَّ عُمَرَ رضي الله عنه أُتِيَ ببناتِ يَزْدَجَرْد بن شَهْريار بن كسْرى مَسْبياتٍ ، فأراد بَيْعَهُنَّ فقال له عليٌّ : إنَّ بناتِ الملوكِ لا يُبَعْنَ ، ولكن قَوِّموهُنَّ ، فقوَّموهُنَّ ، فأعطاه فقَسَمهُنَّ بين الحسينِ بنِ عليٍّ ، ومحمدِ بنِ أبي بكرٍ ، وعبداللهِ بنِ عُمَرَ ، فوَلَدْنَ الثلاثةَ .

٤٠١ – قال عمرو بن العاص – عند احتضاره – لابنه : يا بُنيَّ ، مَنْ يأخُذُ هذا المالَ بما فيه ؟ قال : مَنْ جَدع اللهُ أَنْفَهُ ؛ فقال : احملوه إلى بَيْتِ مال المسلمين . ثم دعا بالغُلِّ والقَيْدِ فلبسهما ، ثم قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : إنَّ التوبةَ مبسوطةٌ ما لم يُغَرْغِرْ ابنُ آدم بنَفْسِه ؛ ثم استقبل القبلةَ فقال : اللهم أَمَرْتَنا فَعَصَيْنا ، ونهيتَنا فارتكَبْنا ؛ هذا مَقامُ العائذِ بك ، فإن تَعْفُ فأهلُ العَفْوِ أَنْتَ ، وإنْ تُعاقِبْ فبما قَدَّمَتْ يَداي ، سبحانك لا إله إلا أَنْتَ إني كنتُ من الظالمين . فمات وهو مغلولٌ مقيّد . فبلغَ الحسنَ بنَ عليٍّ فقال : استسلم الشيخُ حين أَيْقَنَ بالموتِ ، ولعلَّها تَنْفَعُهُ .

٤٠٢ – سألَ أعرابيٌّ عمروَ بنَ عُبَيْدٍ عن التوحيدِ ، فتناول بيضةً بين يَدَيْهِ ، فوضعها على راحتِهِ وقال : هذا حصنٌ مُغْلَقٌ لا صَدْعَ فيه ، ثم مِن ورائه غِرْقىء[1]

---

٤٠٠ عيون الأخبار ٤ : ١٧ والمستطرف ٢ : ٨٥ وانظر وفيات الأعيان ٣ : ٢٦٦ .
٤٠١ قارن بمروج الذهب ٣ : ٢١٢ والعقد ٣ : ٢٣٣ وبهجة المجالس ٢ : ٣٧١ .

---

١ الغرقىء : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

يستشف ، ثم مِن ورائهِ دمعةٌ سائلةٌ ، ثم لا تنفكُّ الأيامُ والليالي حتى يتفلَّقَ عن طاوسٍ مُلَمَّع ، فأيُّ شيءٍ في العالمِ إلا وهو دليلٌ على أنَّه ليس كمثْله شيءٌ .

٤٠٣ – ذكر أبو عُبَيْدَةَ أنَّ رجلاً من بني أُميَّة خَطَبَ النَّوارَ بنت أعْيَن المُجاشعيَّةَ فَرَضِيَتْه ، وجعلت أمْرَها إلى الفرزدق ، فقال : أشهدي لي بذلك على نَفْسِكِ شُهوداً ، فَفَعَلَتْ ، واجتمع الناسُ لذلك ، فتكلَّم وقال : اشهدوا بأني قد تزوَّجتُها ، وأصْدَقْتُها كذا وكذا ، فإني أنا ابنُ عمِّها وأحقُّ بها . فبلغ ذلك النَّوارَ ، فأَبَتْهُ واستَتَرَتْ من الفرزدق ، وجَزِعَتْ ولجأتْ إلى بني قيس بن عاصمٍ المِنْقَريِّ ، فقال فيها : [من الطويل]

بني عاصمٍ [لا تلجئوها فإنكم ملاجىءُ للسوءاتِ دُسْمُ العمائمِ]
بني عاصمٍ لو كانَ حيّاً أبوكُم للامَ بنيه اليومَ قَيْسُ بن عاصمِ

فقالوا للفرزدق : واللهِ لئن زدْتَ على هذين البيتين لنقتلنَّك غِيْلَةً . فنافرته النَّوارُ إلى عبدالله بن الزبير فأرادت الخروجَ إليه ، فتجافى الناسَ كِراءَها . ثم إنَّ رجلاً من بني عديٍّ يقالُ له زهيرُ بن ثعلبة وقَوْماً يُعرفون ببني أُمِّ النسير أكْرَوْها . فقال الفرزدق : [من الوافر]

ولولا أن يقولَ بنو عديٍّ أَلَيسَتْ أُمَّ حنظلةَ النوارُ

يعني بالنوارِ ههنا بنتَ حمل[١] بن عدي بن عبد مَناة ، وهي أُمُّ حنظلة بن مالك بن زيد مَناة وهي إحدى جدَّاته . وقال لبني أُمِّ النُّسَيْر : [من الطويل]

لعمري لقد أَرْدَى النَّوارَ وساقَها إلى الغَوْرِ أحلامٌ خِفافٌ عقولُها

---

٤٠٣ الأغاني ٩ : ٣١٨ وما بعدها و٢١ : ٣٢١ وما بعدها والنقائض ٢ : ٨٠٣ وما بعدها وطبقات ابن سلام ١ : ٣٣٢–٣٣٥ والشعر كله في الأغاني وفي مواضع متفرقة من ديواني الفرزدق وجرير .

---

١ النقائض : بنت جلّ .

يقول فيها :

فدونكها يا ابنَ الزبير فإنَّها مولَّعةٌ يُوهي الحجارةَ قيلُها

فلما قَدِمت مكَّةَ نزلت على بنت منظورِ بنِ زَبَّان ، واستَشْفَعَتْ بها إلى زَوْجِها عبدالله ، وانضم الفرزدق إلى حمزة بن عبدالله وأُمُّه بنت منظور هذه . وقال فيه : [من البسيط]

يا حَمْزُ هَلْ لك في ذي حاجةٍ عَرَضَتْ أنضاؤه بمكانٍ غيرِ ممطورِ
فأنت أحرى قريشٍ أن تكونَ لها وأَنْتَ بين أبي بكرٍ ومنظورِ
بين الحَواريِّ والصدِّيقِ في شُعَبٍ نَبَتْنَ في طيِّبِ الإسلامِ والخيرِ

وقال في النوار : [من الوافر]

تخاصمني النُّوارُ وغابَ فيها كرأسِ الضَّبِّ يلتمسُ الجَرادا

فجعل أَمرُ النَّوارِ يقوى ، وأَمْرُ الفرزدق يضعُفُ ، فقال الفرزدقُ : [من البسيط]

أمَّا بنوه فلم تُقْبَلْ شفاعتُهم وشُفِّعَتْ بنتُ منظورِ بنِ زبَّانا
ليس الشفيعُ الذي يأتيك مُؤتزِراً مِثْلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا

فبلغ ابنَ الزبير الشعرُ ، فقال للنَّوارِ : إنْ شئتِ فرَّقْتُ بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبداً ، وإن شئتِ سيَّرْتُه إلى بلادِ العدوِّ ؛ فقالت : ما أُريدُ واحدةً منهما ؛ قال : إنَّه ابنُ عمِّك وهو فيكِ راغبٌ ، أفأزوِّجُه إيَّاكِ ؟ قالت : نعم . فزوَّجَهُ إيَّاها ، فكان الفرزدق يقولُ : خرَجْنا مُتباغِضَيْن ، ورَجْعنا مُتحابَّيْن .

قال عثمان بن أبي سليمان : شهِدْتُ الفرزدقَ يومَ نازَعَ النوارَ ، فتوجَّه القضاءُ عليه ، فأشفق من ذلك ، فعرَّض لابنِ الزبير بكلامٍ ، فأغْضَبَهُ .

وروى غيرُهُ أنَّه قال : إنَّما حكَمْتَ عليَّ بهذا لأُفارِقَها فَتَثِبَ عليها ، فقال : يا أَلأَمَ الناسِ ، وهل أنْتَ وقومُك إلا جالية العربِ . وأَمَرَ به فأُقيم وأَقبل علينا فقال : إنَّ بني تميمٍ كانوا وثَبوا على البيتِ قَبْلَ الإسلامِ بمائة وخمسين سنةً

فاستلبوه ، واجتمعت العربُ عليها لمّا انتهكت ما لم ينتهكْهُ أحدٌ قَبْلَها وأَجْلَتْها عن أرضِ تِهامةَ .

قال : ثم خرج عبدالله بنُ الزبير إلى المسجدِ ، فرأى الفرزدقَ في بعض طُرقِ مكَّةَ ، وقد بَلَغَتْهُ أبياتٌ قالَها يفتخر فيها ويتهدَّدُ ، فقبض ابنُ الزبير على عُنُقِهِ فكاد أن يدقَّها ، ثم قال : [من الطويل]

لقد أُصبَحَتْ عِرْسُ الفَرَزدقِ ناشزاً ولو رضِيَتْ رَمْحَ استِه لاستقرَّتِ

وهذا الشعرُ لجعفرِ بن الزبيرِ .

ولمّا قال جعفرٌ هذا البيت ، قال عبدالله بن الزبير : أَتُجْزِرُنا كَلْباً من كلاب بني تميم ؟ إن عُدْت لم أُكَلِّمْكَ أبداً .

ولمّا أَذِنَت النَّوارُ لابنِ الزبيرِ في تزويجِها بالفرزدق ، حكم عليه بمَهْرِ مثلها عشرة آلاف درهم ، فسألَ أَهْلَ مكَّةَ : هل بها أَحدٌ يُعينُه على ذلك ، فَدُلَّ على سَلْمِ بن زياد وكان [ابن] الزبير حَبَسَهُ فقال فيه : [من الطويل]

دَعي مُغْلقي الأَبوابَ دون فَعالهم ومُرِّي تَمَشَّي بي هُبِلْتِ على سَلْمِ
إلى مَنْ يرى المعروف سهلاً سبيلُه ويَفْعلُ أفعالَ الكرامِ التي تَنْمي

ثم دخل على سَلْمٍ فأنشده ، فقال : هي لك ومثلُها نفقتُك ، فأَمَرَ له بعشرين ألفاً ، فقبضها فقالت له زَوْجَتُه أُمُّ عثمان بنت عبدالله [بن عثمان] بن أبي العاصي الفقيه : أتُعطي عشرين ألفاً وأَنتَ محبوسٌ ؟ ! فقال : [من الطويل]

أَلا بَكَرَتْ عِرْسي تلومُ سفاهةً على ما مضى مِنّي وتأمُر بالبُخْلِ
فقلتُ لها والجودُ مني سَجِيَّةٌ وهل يَمْنَعُ المعروفَ سؤّالَه مِثْلي
ذريني فإني غير تاركٍ شيمتي ولا مُقْصِرٌ عن السماحةِ والبَذْلِ

وهي أبيات .

ثم اصطلحا ورضِيتْ به ، وساق المَهْرَ إليها ، ودخل بها وأَحْبَلَها قَبْلَ أن

يخرجَ من مكة . ثم خرَج بها وهما عَديلانِ في مَحْمَلٍ . فكانت لا تَزالُ تُشارّهُ وتخالفُه لأنَّها كانت صالحةً حَسَنَةَ الدينِ ، وكانت تكرهُ كثيراً من أَمْرِهِ فتزوَّج عليها حَدْراء بنتَ زِيق بن بِسْطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ابن عبدالله بن عمرو بن الحارثِ بن همَّام بن مُرَّة بن ذُهل بن شيبان . فتزوَّجَها على مائة من الإبلِ ، فقالت له النَّوارُ : ويلك ! أَتزوَّجْتَ عليَّ أعرابيَّةً دقيقةَ الساقَين ، بَوَّالةً على عَقِبَيْها على مائة بعير ! فقال الفرزدقُ يفضّلها عليها ، ويُعَيِّرُها بأُمِّها وكانت أَمةً[1] : [من الطويل]

لَجاريةٌ بين السليل عروقُها ... وبين أَبي الصهباء[2] من آل خالدِ
أَحقُّ بإعلاءِ المهورِ من التي ... زَنَتْ وهي تَنْزو في جُحور الولائدِ

وقال أَيضاً : [من الطويل]

لعمري لأَعرابيةٌ في مِظلّةٍ ... تظلُّ برَوْقَي بيتِها الريحُ تخفقُ
كأُمِّ غَزالٍ أَو كدرَّةِ غائصٍ ... إذا ما بَدَت مِثْلَ الغمامةِ تُشرقُ
أَحبُّ إلينا من ضَناكٍ ضِفِنَّةٍ ... إذا وُضِعت عنها المراوحُ تعرقُ[3]

ومَدَحها أَيضاً فقال : [من البسيط]

عَقيلةٌ من بني شَيْبانَ ترفعُها ... دعائمٌ للعُلى من آلِ هَمَّامِ
من آل مُرَّةَ بين المستضاء بهم ... من رَهْطِ صِيدٍ مصاليتٍ وحكَّامِ
بين الأَحاوصِ من كَلْبٍ مُرَكَّبُها ... وبين قَيْس بن مسعودٍ وبِسْطامِ

فأَغْضَبَ النَّوارَ مَدْحُه إيَّاها ، فقالت : والله لأخزينَّك يا فاسقُ ، وبعثت إلى جَريرٍ فجاءها فقالت : ألا ترى ما قال لي الفاسقُ ؟ وشكت إليه ، فقال جَريرٌ : أَنا

---

١ الأغاني : وكانت تربيها أَمة .

٢ وردت السلول وأَبي الشهباء في الأَصل .

٣ الضناك : الضخمة من النساء والضفنة : الحمقاء مع عظم الخلق .

أكفيك ، وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

ولستُ بمُعْطي الحكْمَ عن شِفٍّ مَنْصبٍ ولا عَنْ بناتِ الحنظليّين راغِبُ
وهُنَّ كماءِ المُزْنِ يَشْفى به الصَّدى وكانَتْ مِلاحاً غَيْرَهنَّ المشارِبُ
وما عَدَلَتْ ذاتُ الصليبِ ظعينةً [عُتيبةُ والرِّدْفانِ منها وحاجبُ]
[أأهديتَ يا زيقُ بن زيق غريبةً] إلى شرٍّ من تهدى إليه الغرائب
ألا ربَّما لم نُعطِ زيقاً بحُكْمِهِ وأَدَّى إلينا الحُكْمَ والغُلُّ لازِبُ
حَوَيْنا أبا زيقٍ وزيقاً وعمَّهُ [وجَدَّةُ زِيقٍ قد حوَتْها] المقانبُ

فأجابه الفرزدقُ بقصيدةٍ منها : [من الطويل]

فَنَلْ مِثْلَها من مِثْلِهِم ثمَّ لُمْهُمُ بما لَكَ من مالٍ مُراحٍ وعازبِ
وإنِّي لأَخشى إن خطبْتَ إليهم عليك الذي لاقى يسارُ الكواعبِ
وقالوا سمِعْنا أنَّ حَدْراءَ زُوِّجَتْ على مئةٍ شُمِّ الذُرى والغوارِبِ
ولو كُنْتَ من أكفاء حَدراء لم تُلَمْ على دارميٍّ بين ليلى وغالبِ
ولو قَبِلوا مني عطيةَ سُقْتُه إلى آلِ زيقٍ من وَصيفٍ مُقارِبِ
[همُ زوَّجوا قبلي ضِراراً] وأَنكحوا لَقيطاً وهم أَكفاؤنا في المناسب
ولو تُنكحُ الشمسُ النجومَ بناتِها إذاً لنكحناهُنَّ قَبْلَ الكواكبِ

يَسار : كان عبداً لبني غُدانَةَ ، فأراد مَوْلاتَه على نَفْسِها فَنَهَتْهُ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ، وألحَّ عليها فوعَدَتْهُ ، فجاء فقالت : إني أُريدُ أن أُبَخِّرَك ، فإنَّ رائحتك مُتغيِّرةٌ ؛ فوضَعَتْ تحته مِجْمَراً وقد أَعدَّتْ له حَديدةً ، فأَدخلَتْ يَدَها فقبضت على ذكَرِهِ وهو يرى أنَّ ذلك لشيءٍ ، فقطعته بالموسى ، فقال : صبراً على مجامرِ الكرامِ . فذهبت مثلاً .

وقال جَريرٌ : [من البسيط]

---

[1] الأبيات مضطربة في المخطوط والتصويب من الأغاني والديوان .

يا زيقُ أَنكَحْتَ قَيْناً باسْتِهِ حَمَمٌ ... يا زيقُ ويحك من أَنكَحْتَ يا زيقُ
غابَ المثنّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكُما ... والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْكَ مفروقُ
أَيْنَ الأُلى أَنْزلوا النعمانَ مُقْتسراً ... أَم أَينَ أَبناءُ شيبانَ الغرانيقُ
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البناء بِهِ ... لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ابنُ القَيْنِ معشوقُ

فتعرَّضَ الفرزدقُ للحجاجِ أَن يسوقَ عنه المَهْرَ ، فَعَذَلَهُ الحجاجُ وقال : أَتزوَّجْتَ نصرانيةً على حُكْمِ أَنَّها مائة بَعيرٍ ! أَخْرُجْ ، ما لَكَ عندنا شيءٌ ، فقال عَنْبَسَةُ بن سعيد بن العاصي وأَراد نَفْعَهُ : إِنَّها من حواشي إِبلِ الصدقةِ ، فأَمَرَ له بها .

ولمّا كان الفرزدقُ ببعضِ الطريقِ ومعه أَوفى بن خزير[1] أَحدُ بني التَّيْمِ بن شيبان بن ثَعلبةَ رأى كَبْشاً مَذْبوحاً ، فقال : يا أَوْفى ، هلكت واللهِ حَدْراءُ . فلما بلغ قال له بَعْضُ قَوْمِها : هذا البيت فانزِلْ ، وأَمَّا حَدْراءُ فقد هَلَكَتْ ، وقد عَرَفْنا الذي يُصيبك في دينكم مِن ميراثِها وهو النصفُ ، وهو لك عندنا ، فقال : لا واللهِ لا أَرْزَأُ من ذلك قِطْميرا ، وهذه صدقتُها فاقبضوها . فقالوا : يا بني دارِمٍ ، واللهِ ما صاهَرْنا أَكْرَمَ منكم .

وقيل : إِنَّ قَوْمَها اعتلُّوا عليه ، وادَّعوا مَوْتَها لئلّا يَهْتِكَ جريرٌ أَعراضَهم .
وقال جريرٌ : [من الطويل]

رأَوْا أَنَّ صِهْرَ القَوْمِ عارٌ عليهمُ ... وأَنَّ لِبِسطام على غالبٍ فَضْلا

٤٠٤ – حدَّث بعضُ الموالي قال : حَضَرْتُ الفضل بن يحيى وقد قال لأَبي البَصيرِ[2] : يا أَبا البَصير ، أَنْتَ القائلُ فينا : [من الطويل]

---

٤٠٤ الأغاني ١١ : ٢٦٨ .

---

١ الأغاني : خنزير .
٢ الأغاني : النضير .

إذا كنتُ من بغدادَ في رأسِ فَرْسَخٍ وَجَدْتُ نَسيمَ الجودِ من آلِ بَرْمَكِ

لقد ضَيَّقْت علينا جدّاً . قال : أفلأَجلِ ذلك أيها الأمير ضاقَتْ عليَّ صِلَتُكَ ، وضاقَتْ عني مكافأتُك وأنا الذي أقولُ : [من السريع]

تشاغَــلَ النــاسُ ببُنياهــم والفَضْلُ في بني العلا جاهدُ
كلُّ ذوي [الفضل] وأهلِ النُّهى للفَضْل في تدبيرِهِ حامِدُ

وعلى ذلك فما قُلْتُ البيتَ الأوَّل كما بلغ الأميرَ ، وإنَّما قُلْتُ : [من الطويل]

إذا كُنْتُ من بغدادَ في مَقْطع الثَّرى وجدْتُ نَسيمَ الجودِ من آلِ بَرْمَكِ

فقال له الفَضْلُ : إنَّما أخرّت ذلك عنك لأُمازِحَك ، وأمرَ له بثلاثين ألف دِرْهَم .

٤٠٥ – قال عمرو بن جابر الحنفيُّ في المُداجاةِ : [من الطويل]

أُكاشِحُ أقواماً على شَرٍّ بِغْضَةٍ وأُضْحَكُ في وجه العدوِّ المُكاشِرِ
أُريه كذاكم ما يُريني وأبتغي به في غَدٍ خَوْنَ الجُدودِ العواثِرِ
كلانا يرى أن ليس [. . . .]

٤٠٦ – وقال آخر : [من الوافر]

أُكاشِرُهُ وأعلم أنْ كِلانا على ما ساءَ صاحبَه حريصُ

٤٠٧ – وقال المتلمِّسُ : [من الطويل]

وأطرق إطراقَ الشجاعِ ولو يَرى مساغاً لنابَيْه الشجاعُ لصمَّما

٤٠٨ – وقال عبدالله بن مالك الطائي : [من الوافر]

---

٤٠٥ مجموعة المعاني ١٤٨ .
٤٠٦ مجموعة المعاني : ١٤٨ وحماسة البحتري : ١٨ أيضاً لعمرو بن جابر الحنفي .
٤٠٧ الأغاني ٢٣ : ٥٧٠ وشرح الحماسية ٢٢١ عند المرزوقي ومجموعة المعاني : ١٤٢ .
٤٠٨ الأغاني ٣ : ٦٩ لعروة بن الورد وحماسة البحتري : ٧٧ لعبد الله بن مالك .

وخِلٍّ كنتُ عينَ النُّصْحِ منه   لذي خَطَرٍ ومستمعٍ سميعا
أَطافَ بِغَيَّةٍ فنَهَيْتُ عنها   وقلتُ له أَرى أَمراً فَظيعا

٤٠٩ – ومثله لدريد بن الصمة : [من الطويل]

أَمَرْتُهُمُ أَمري بمنعرجِ اللِّوى   فلم يستبينوا النُّصْحَ إلا ضُحى الغَدِ
فلما عَصَوْني كنتُ فيهم وقد أَرى   غوايتهم وأَنَّني غَيْرُ مُهْتدي
وما أَنا إلا من غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ   غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غزيَّةُ أَرْشُدِ

٤١٠ – وقال رجلٌ من بني الحارث بن كعب : [من الطويل]

لعَمْرك ما صبر الفتى في أُمورِهِ   [بحتمٍ] إذا ما الأَمْرُ جلَّ عن الصبرِ
فقد يجزعُ المرءُ الجليدُ ويبتلي   عزيمةَ رأي المرء نائبةُ الدهرِ
تعاورُهُ الأيام في ما ينوبُهُ   فيقوى على أمرٍ ويضعفُ عن أمر

٤١١ – وقال أَيضاً : [من الطويل]

وعيرتمونا أَنْ جزعنا ولم نكنْ   لِنجزعَ لو أَنّا قدرنا على الصبرِ
صبرنا فلما لم نَر الصبرَ نافعاً   جزعنا وكان الله أملك بالعذر

٤١٢ – وقال خراش بن مرة الضبي : [من الطويل]

إذا عيل صبر المرء فيما ينوبه   فلا بدّ من أن يستكينَ ويجزعا
وما يبلغ الانسان فوق اجتهاده   إذا هو لم يملك لما جاء مدفعا

٤١٣ – وقال عبيد بن أيوب وذكر شدة خوفه : [من الطويل]

---

٤٠٩ مجموعة المعاني : ٧٧ وديوان دريد : ٤٧ .
٤١٠ مجموعة المعاني : ٧٧ وحماسة البحتري : ١٣١ .
٤١١ مجموعة المعاني : ٧٧ وحماسة البحتري : ١٣١ .
٤١٢ مجموعة المعاني : ٧٧ وحماسة البحتري : ١٣١ .
٤١٣ مجموعة المعاني : ٧٧ وحماسة البحتري : ٢٦٠ .

لقد خفتُ حتى لو تمرُّ حمامةٌ ... لقلتُ عدوٌّ أو طليعةُ معشرِ
وخفتُ خليلي ذا الصفاء ورابني ... مقال فلان أو فلانة فاحذر
فمن قال خيراً قلت هذا خديعةٌ ... ومن قال شرّاً قلت نصحٌ فشمِّرِ
وأصبحتُ كالوحشيّ يتبعُ ماحلاً ... ويتركُ موطوءَ البلاد المدعثر

٤١٤ – وقال أيضاً : [من الطويل]

لقد خِفْتُ حتى خِلْتُ أن ليس ناظِراً ... إلى أحدٍ غيري فكِدْتُ أطيرُ[1]
وليس فَمٌ إلا بسِرِّي مُحَدِّثٌ ... وليس يَدٌ إلا إليَّ تُشيرُ

٤١٥ – وقال مُضَرِّسُ بن رِبْعيٍّ الأسديُّ : [من الطويل]

كأنَّ على ذي الظنِّ عَيْناً بصيرةً ... بمنطقِهِ أو منظرٍ هو ناظِرُه
يُحاذرُ حتى يَحْسِبَ الناسَ كُلَّهم ... من الخوفِ لا تَخْفى عليهم سرائِرُه

٤١٦ – [وقال] مسكين الدارميُّ واسمُه ربيعةُ بن عامرٍ : [من الطويل]

إنْ أُدْعَ مسكيناً فلستُ بمُنكرٍ ... وهل تُنكرنَّ الشمسُ ذَرَّ شعاعُها
لعمركَ ما الأسماءُ إلا علامةٌ ... منارٌ ومن خيرِ المنارِ ارتفاعُها

٤١٧ – وقال أيضاً في الغَيْرَةِ : [من المتقارب]

ألا أيُّها الغائرُ المستشاطُ ... علامَ تَغارُ إذا لم تُغَرْ
[فما خَيْرُ عِرْسٍ إذا خِفْتَها] ... وما خَيْرُ عِرْسٍ إذا لم تُزَرْ

---

٤١٤ مجموعة المعاني : ٧٧ وحماسة البحتري : ٢٦١ .
٤١٥ مجموعة المعاني : ٧٧ وحماسة البحتري : ٢٦١ .
٤١٦ الأغاني ٢٠ : ١٦٨ ومجموعة المعاني : ١٤٩ وديوان الدارمي : ٥٣ .
٤١٧ الأغاني ٢٠ : ١٧٩ وديوانه : ٤١ .

---

[1] مجموعة المعاني : ناظر .

تغارُ على الناسِ أن ينظروا وهل يَفْتِنُ الصالحاتِ النَّظَرْ
وإني سأخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذرْ
إذا الله لم يُعْطني حُبَّها فلا يعطني الحبَّ سوطٌ مُمَرّ[1]

٤١٨ – قال الشعبيُّ : قال لي شُريحٌ يعني القاضي : يا شَعْبيُّ ، عليكم بنساء تميم ، فإنَّهن النساءُ . قلتُ : كيف ؟ قال : انصرَفْتُ من جنازةٍ ذاتَ يوم مُظْهِراً[2] فَمَرَرْتُ بدورِ بني تَميم ، فإذا امرأةٌ جالسةٌ في سقيفةٍ على وسادةٍ وتجاهَها جاريةٌ رُؤدٌ – يعني التي بلغت– ولها ذؤابةٌ على ظهرِها جالسةٌ تبكي ، [فاستسقيت] فقالت لي : أيُّ الشرابِ أعجبُ إليك ؟ النبيذُ أم اللبنُ أم الماءُ ؟ قلتُ : أي ذلك تَيَسَّر عليكم . فقالت : اسقوا الرجلَ لَبَناً فإني إخالُه عَزَباً[3] ، فلما شربتُ نَظَرْتُ إلى الجاريةِ فأعجبتني ، فقلتُ : مَنْ هذه ؟ فقالت : ابنتي ، فقلتُ : ممَّن ؟ قالت : هذه زينبُ بنت حُديرٍ إحدى نساءِ بني تَميم ، ثم إحدى نساء بني حَنْظَلَةَ ، ثم إحدى نساء بني طُهَيَّة ، قلتُ : أفارِغةٌ أم مَشْغولةٌ ؟ قالت : بل فارغةٌ ؛ قلتُ : أَفَتُزوّجينها ؟ قالت : نعم إنْ كُنْتَ لها كُفؤاً ، ولها عمٌّ فاقصُدْهُ . فامتنَعْتُ من القائلةِ ، وأرسلْتُ إلى إخواني من القُرَّاءِ والأشرافِ ، مسروقِ بن الأجدع ، والمسيَّب بن نَجَبَةَ ، وسليمان بن صُرَد الخُزاعيّ ، وخالد بن عُرْفُطَةَ العَدَويّ ، وعروة بن المغيرة بن شعبة ، وأبي بُردة بن أبي موسى ، فوافَيْتُ معهم صلاةَ العصرِ ، فإذا عمُّها جالسٌ ، فقال : أبا أُمامةَ[4] ؟ حاجتُك ، فقلت : إليك ،

٤١٨ الأغاني ١٧ : ١٥٠–١٥٣ والعقد ٦ : ٩٢–٩٥ والجليس الصالح ٣ : ٣٠١–٣٠٣ والمستطرف ٢ : ٢٥٠–٢٥١ وفي جميعها بعض اختلاف ولكن النص هنا أقرب إلى الأغاني .

١ ممر : مفتول .
٢ مظهر : دخل في الظهيرة .
٣ الأغاني : عربياً والعقد : غريباً .
٤ كنية القاضي شريح أبو أمية . انظر وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٠ .

قال : وما هي ؟ قلتُ : بنتُ أخيك زينب بنت حُدَيرٍ ، قال : ما بها عنك رَغْبَةٌ ، ولا بِك عنها مقْصر وإنَّك لَنُهْزَةٌ[1] .

فتكلَّمْتُ فحَمِدتُ الله عزَّ وجلَّ ، وصليتُ على النبيِّ ﷺ ، وذكَرْتُ حاجتي . فردَّ الرجلُ عليَّ وزوَّجني ، وبارك القومُ لي ، ثم نَهَضْنا ، فما بلغتُ منزلي حتى نَدِمْتُ ؛ فقلتُ : تزوجْتُ إلى أَغْلَظِ العرب وأحقَدِها ، فهَمَمْتُ بطلاقِها ، ثم قلتُ : أجمعُها إليَّ ، فإن رأَيْتُ ما أُحبُّ وإلا طلَّقْتُها . فأقَمْتُ أيَّاماً ، ثم أَقْبَلَ نساؤها يهادينَها ، فلما أُجْلِسَتْ في البيتِ أَخَذْتُ بناصيتِها ، فبرَّكْتُ ، وأُخْلِيَ لي البيتُ ، فقلتُ : يا هذه ، إنَّ من السنَّةِ إذا دَخَلَتِ المرأةُ على الرجلِ أَن تُصلِّيَ ركعتين ويُصلِّي ركعتين ، ويسألا الله خَيْرَ ليلتهما ويتعوَّذا بالله من شَرِّها ؛ ثم التفتُّ فإذا هي خَلْفي تُصلِّي ؛ فصلَّيْتُ ، ثم التفتُّ فإذا هي على فراشِها ، فَمَدَدْتُ يدي فقالت : على رِسْلِكَ ، فقلتُ : إحدى الدواهي مُنيتُ بها ، فقالت : الحمدُ لله ، أحمدُهُ وأستعينُه ، إني امرأةٌ غريبةٌ ، ولا والله ما سِرْتُ مسيراً قطُّ أشدَّ عليَّ منه ، وأَنت رجلٌ غريبٌ لا أَعرِفُ أَخلاقَك ، فَحَدِّثْني بما تُحبُّ فآتيه ، وما تكرَهُ فأَنزَجر عنه .

فقلتُ : الحمدُ لله ، وصلى الله على محمدٍ . قَدِمْتِ خَيْرَ مَقْدَمٍ على أَهْلِ دارٍ زوجُك سَيِّدُ رجالهم ، وأَنتِ سيدةُ نسائِهم إنْ شاءَ الله . أُحبُّ كذا وكذا ، وأَكره كذا وكذا . قالت : أَخبِرْني عن أختانِك ، أتحبُّ أن يزوروك ؟ قلتُ : إني رجلٌ قاضٍ ، وما أُحبُّ أَن يُمِلُّوني . فبتُّ بأَنْعَم ليلةٍ ، ثم أَقَمْتُ عندها ثلاثاً ، ثم خرَجْتُ إلى مجلسِ القضاء ، فكُنْتُ لا أَرى يوماً إلا وهو أَفْضلُ من الذي قَبْلَهُ ، حتى إذا كان عند رأسِ الحَوْلِ دَخَلْتُ منزلي وإذا عجوزٌ تأمُرُ وتَنْهى ، فقلتُ : يا زينبُ ، مَنْ هذه ؟ قالت : أُمي فلانةٌ ؛ قلتُ : حيَّاكِ الله بالسلامِ ، قالت : أَبا أُمامةَ ، كيف أَنْتَ وزوجتك ؟ قلتُ : [بخير] ، قالت : إنَّ المرأَةَ لا تُرى في

---

[1] نهزة : فرصة تنتهز .

حالٍ أَسوأ منها خُلُقاً في حالين : إذا حَظِيَتْ عند زَوْجِها ، وإذا وَلَدَتْ غُلاماً ، فإن رابَك منها شيءٌ فالسوطُ ، فإنَّ الرجالَ واللهِ ما حازَتْ إلى بيوتِها شرّاً من الوَرْهاءِ[1] المُدِلَّةِ . قلتُ : أَشهدُ أَنَّها ابنتُكِ ، قد كفَيْتِنا الرياضةَ وأَحسَنْتِ الأَدَبَ .

قال : فكانت في كلِّ حَوْلٍ تأتينا ، فتذكر هذا ثمَّ تنصرفُ .

قال شُرَيحٌ : فما غضبتُ عليها قطُّ إلا مَرَّةً واحدةً كنتُ لها ظالماً فيها : كنتُ أمامَ قَوْمٍ فسمعتُ الإقامةَ وقد ركعتُ ركعتي الفجرِ ، فأَبصَرْتُ عَقْرباً ، فَعَجِلْتُ عن قَتْلِها فأَكْفَأْتُ عليها الإناءَ ، فلما كنتُ عند البابِ قلتُ : يا زينبُ ، لا تحرِّكي الإناءَ حتى أَجيءَ ، فَعَجِلَتْ فحرَّكتِ الإناءَ ، فضرَبَتْها العقربُ ، وجئتُ فإذا هي تلوَّى ، قلتُ : ما لَكِ ؟ قالت : لسعتني العقربُ ، فلو رأَيتَني يا شعبيُّ وأَنا أَفْرُكُ إِصْبَعَها بالمِلْح وأَقرأُ عليها المعوِّذَتَيْن وفاتحةَ الكتابِ . وكان لي يا شعبيُّ جارٌ يُقال له مَيْسَرَةُ ، وكان لا يزالُ يضربُ امرأَتَه ، فقلتُ : [من الطويل]

رأَيْتُ رجالاً يضربون نساءهم   فشَلَّت يميني يومَ أَضربُ زَيْنَبا

يا شَعبيُّ ، ودِدْت لو أَني قاسمتُها عيشي .

٤١٩ – قال حمدون بن إسماعيل : كنتُ حاضراً عند المأمون ببلادِ الرومِ بعد العشاء ، [وبين يديه شَمْعَةٌ] في ليلةٍ ظَلْماء ذاتِ رُعودٍ وبروق ، فقال لي المأمونُ : اركب الآن فَرَسَ النوبة ، وسِرْ إلى عسكرِ أَبي إسحاق ، يعني المعتصم ، فأَدِّ إليه رِسالتي وهي كَيْتُ وكَيْت . قال : فركبتُ ، فلم تثبت معي شمعةٌ ، وسمعتُ وَقْعَ حافرِ دابَّةٍ ، فرهِبْتُ ذلك وجعلتُ أَتوَقّاهُ حتى صكَّ

٤١٩ الأغاني ٢١ : ٩١–٩٢ .

[1] الورهاء : الحمقاء .

ركابي [ركاب تلك] الدابة ، وبرقَتْ بارقةٌ فأبْصَرْتُ وَجْهَ الراكبِ ، فإذا عَريب ، فقلتُ : عريبُ ؟ فقالت : نعم ، حَمْدون ؟ [قلت : نعم] . ثم قلتُ لها : من أَيْنَ أَقْبَلْتِ في هذا الوَقْتِ ؟ قالت : من عند محمد بن حامد ، قلتُ : وما صَنَعْتِ عنده ؟ قالت : يا تكْش ! عريبُ تجيءُ في هذا الوَقْتِ من عند محمد بن حامد خارجةً من مضربِ الخليفة وراجعةً إليه تقول لها : أي شيءٍ عملتِ معه ؟ ! صلَّيْتُ معه التراويحَ ، أو قَرَأْتُ عليه أجزاءً من القُرآنِ ، أو دارَسْتُهُ شيئاً من الفِقْهِ ! يا أحمقُ ! تحادَثْنا ، وتعاتَبْنا ، واصطلحنا ، وشرِبْنا ، ولعبْنا ، وغنَّيْنا ، وتنايكنا ، وانصرفنا . فأخْجَلَتْني ، وغاظَتْني ، وافترَقْنا ، ومضَيتُ فأدَّيْتُ الرسالةَ . ثم عُدتُ إلى المأمونِ ، وأخَذْنا في الحديثِ وتناشُدِ الأشعارِ ، فهَمَمْتُ أن أُحدِّثَه بحديثِها ثم هِبْتُهُ ، فقلتُ : أُقدِّمُ قَبْل ذلك بشيءٍ من الشعرِ ، فأنشدتُه : [من الطويل]

ألا حـيٌّ أطـلالاً لقاطعـةِ الحبْـلِ ... ألوفٍ تُساوي صالحَ القَوْمِ بالرَّذْلِ[1]
فلو أنَّ مَنْ أمسى بجانبِ [تلْعَةٍ ... إلى جَبَلَـيْ طـيٍّ فساقطةِ] الحبْلِ
جلوسٌ إلى أن يقصُرَ الظلُّ عندَها ... لراحوا وكلُّ القَوْمِ منها على وَصْلِ

فقال المأمونُ : اخفِضْ صوتَك لا تَسْمَع عَريب فتغضب وتظنُّ أنَّا في حديثِها ، فأمسَكْتُ عمَّا أرَدْتُ أن أُخْبِرَهُ به ، وخار الله لي في ذلك .

٤٢٠ – أنشد أحمد بن يحيى : [من الطويل]

أحبُّ بلادِ الله ما بين منعجٍ ... إليَّ وسلمى أن يصوبَ ربابُـها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تميمتي ... وأوَّلُ أرضٍ مسَّ جِلْدي تُرابُـها

---

٤٢٠ انظر هامش الصفحة ٦٥٦ في الشعر والشعراء ومعجم البلدان (منعج) ومجموعة المعاني : ٥٧ .

---

١ الأغاني : لواسعة الحبل .

٤٢١ – لمّا مات ضرارُ بنُ ثَعلبةَ [بن سعد] ترك بنيه الشعراءَ الثلاثةَ صبياناً وهم : شمَّاخٌ ، ومزرِّدٌ ، وجَزْءٌ . وأرادت أُمُّهم – وهي أُمُّ أوسٍ – أن تتزوَّجَ رجلاً يُسَمَّى أَوساً ، وكان أَوْسٌ هذا شاعراً ، فلما رآه بنو ضِرارٍ بفناء أُمِّهم للخِطبةِ ، تناول شمَّاخٌ حَبْلَ الدلوِ ثم مَتَحَ وهو يقولُ : [من الرجز]

أُمُّ أُويس نكحت أُوَيْسا

وجاء مزرِّدٌ فتناول الحبلَ ثم قال :

أعجبها حدارةً وكَيْسا[1]

وجاء جَزْءٌ فتناول الحبلَ ثم قال :

أَصدق منها لَجْبةً وتيسا[2]

فلما سمِعَ أَوْسٌ رَجَزَ الصبيانِ هَرَبَ وتركَها .

٤٢٢ – شاعر : [من الطويل]

أَبَتْ مِصرُ إسْعافي بما كُنْتُ أَشتهي ... وأَخلفني منها الذي كُنْتُ آمُلُ
وما كلُّ ما يخشى الفتى نازلٌ به ... وما كل [ما يرجو الفتى] هو نائلُ
فواللهِ ما فرَّطتُ في جَنْبِ حِيلةٍ ... ولكنه ما قَدَّر اللهُ نازِلُ
وقد يسلمُ الانسانُ من حيثُ يتَّقي ... ويُؤتى الفَتى من أَمْنِهِ وهو غافلُ

---

٤٢١ البيان والتبيين ٤ : ٣٤–٣٥ .
٤٢٢ الأغاني ١٥ : ٢١ والبيتان الأول والثاني في البيان والتبيين ٢ : ٢٩١ ، وصدر البيت الأول في الاثنين : «لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي» . والشعر لأبي دهمان الغلابي كما في الأغاني ٢٢ : ٢٦١ .

---

١ الحدارة : الامتلاء واجتماع الخلق في سمن .
٢ أصدق : جعل لها صداقاً . اللجبة : الشاة القليلة اللبن .

٤٢٣ – محمد بن بشير الخارجيُّ : [من الطويل]

يسعى لك المولى ذليلاً مُدَفَّعاً ويخذلُك المَوْلى إذا اشتَدَّ كاهِلُه
فأمسِكْ عليك العَبْدَ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ولا تَنْفَلِتْ من راحتَيْك حبائِلُهْ

٤٢٤ – وقال : [من الطويل]

إذا افتقر المولى سعى لك جاهدا لِتَرْضى ، وإن نالَ الغِنى عنك أَدْبَرا

٤٢٥ – كانت أُمُّ أَبان بنتُ عُتبةَ بنِ ربيعةَ عند يزيدَ بنِ أَبي سفيان ، فمات عنها . فخطبها عليٌّ عليه السلام فردَّتْهُ . فقيل لها : أَتَرُدِّين عليَّ بنَ أَبي طالب ، ابنَ عمِّ رسولِ الله ﷺ ، وزوجَ فاطمةَ ، وأَبا الحسنِ والحسين ، وحالُه في الإسلامِ حالُه ؟ قالت : نعم ، لا أُوثِرُ هواه على هواي ؛ ليس لامرأتِهِ منه إلا جُلوسُه بين شُعَبِها الأَربع ، وهو صاحبُ خير من النساء .

ثم خطبها عمرُ رضي الله عنه ، فردَّتْهُ ، فقيل لها : أَتَرُدِّين أَميرَ المؤمنين الفاروقَ ، وحالُه في الإسلامِ حالُه ؟ قالت : نعم ، لا أُوثِرُ هواه على هواي ؛ يدخلُ عابساً ويخرجُ عابساً ، ويُغْلِقُ عليَّ بابَهُ ، وأَنا امرأَةٌ بَرْزَةٌ .

ثم خَطَبها الزبيرُ ، فردَّتْهُ ، فقيل لها : أَتردّين الزبيرَ حواريَّ رسولِ الله وابن عمَّتِهِ وحالُه في الإسلامِ حالُه ؟ قالت : نعم ، لا أُوثِرُ هواه على هَواي ؛ يَدٌ فيها قُروني ، ويدٌ فيها السوطُ .

ثم خطبها طلحة ، فقالت : [هذا] زوجي حقّاً ، يدخُل عليَّ بَسَّاماً ، إن سأَلْتُ بَذَلَ وإنْ أَعطى أَجْزَلَ ، وإن أَذْنَبْتُ غَفَرَ ، وإن أَحسَنْتُ شَكَرَ . فتزوَّجَتْهُ فأَولم ثم دعا هؤلاء النَّفَرَ ، وهي في خِدْرِها – وكذلك كانوا يفعلون – فقال عليٌّ عليه السلامُ : يا أَبا محمدٍ ، ائـذَنْ لي أُكَلِّمْ هذهِ ؛ فقال : يا أُمَّ أَبان ، تَسَتَّري ،

---

٤٢٣ – **٤٢٤** الأغاني ١٦ : ٦٥ ومجموعة المعاني : ٦٤ .
٤٢٥ أعلام النساء ١ : ٢٠–٢١ وانظر عيون الأخبار ٤ : ١٧ .

فتَستَّرتْ . ثم رَفَعَ سِجْفَ الحَجَلَةِ فقال : يا عُدَيَّةَ نَفْسِها ! خَطَبْتُك وليس بقُرشيٍّ عني رَغْبَةٌ بعد فاطمةَ بنت رسولِ الله ﷺ ، فرَدَدْتني ، وخطبك الزبيرُ حواريُّ رسولِ الله ﷺ وابنُ عمَّتِهِ فَرَدَدْتِه ، واختَرْتِ علينا ابنَ الصَّعْبَةِ ! ؟

قالت : فلو وَجَدْتُ نَفَقاً لدَخلتُ فيه . قالت : فأَحَلْتُ على الزاملةِ التي تحملُ كلَّ شيءٍ فقُلْتُ : أَمْرٌ قُضِيَ ، وما كان ذلك بيدي . فقال : صَدَقْتِ رحِمَكِ الله . أما على ذلك فقد نكَحْتِ أَصبَحَنا وَجْهاً ، وأَسْخانا كفّاً ، وأكْرَمَنا للنساءِ صُحْبَةً . ثم قال : يا أَبا محمدٍ ، سَلْها عمَّا قُلْتُ لها ، فإني لم أَقُلْ إلا الذي تُحبُّ ، قال : لا أَسأَلُها عنه أَبَداً .

٤٢٦ – قال السُّدِّيُّ : أَتَيْتُ كَربلاءَ أَبيعُ البَزَّ بها ، فعَمِلَ لنا شَيْخٌ من طيِّءٍ طعاماً [وبتنا] عنده ، فَذَكَرْنا قَتْلَ الحسينِ عليه السلامُ ، فقلتُ : ما شَرِكَ في قَتْلِهِ أَحدٌ إلا مات بأَسوَأ ميتةٍ ، فقال : ما أَكذَبَكم يا أَهلَ العراقِ ، فأَنا ممَّن شَرِكَ في دَمِهِ . فلم نَبْرَحْ حتى دنا من المصباحِ وهو يَتَّقِدُ بِنفْطٍ ، فذهب يُخرجُ الفتيلةَ بإصبَعِهِ ، فأخذت النارُ فيها ، فذهب يُطفِئُها بريقِهِ ، فأَخَذَت النارُ في لحيته ، فَعدا فألقى نَفْسَهُ في الماءِ ، فرأَيْتُه كأَنَّه فحمةٌ[1] .

٤٢٧ – قال عُبيد الله بنُ عبدالله بنِ طاهرٍ : حدَّثني أَبو محمد الرِّباطي (رباط خاوة من عملِ جُرْجان) قال : كُنْتُ قَبَّاراً ، فَبَيْنا أَنا في منزلي إذ طرقني ليلاً ركْبٌ يستعجلونني ، فَخَرَجْتُ فإذا أَنا بشُموعٍ وخَدَمٍ ، فأَمروني بالحَفْرِ ، فحفرتُ قَبْراً وأَوْدعوه تابوتاً ، وعَفَّيْتُ عليه بالتراب ، وأَجالوا عليه الخَيْلَ تَغْويراً للموضعِ وانصرفوا . فظَنَنْتُ أَنَّه كَنْزٌ ، فأَسرعتُ فَنَبَشْتُهُ وكَشَفْتُ عن التابوتِ ،

---

٤٢٦ مختصر تاريخ دمشق ٧ : ١٥١ ونثر الدر ٧ : ٤١٠ .
٤٢٧ نثر الدر ٧ : ٤١٣–٤١٤ .

---

١ المختصر : حممة .

فإذا فيه رجلٌ ، فوضَعْتُ يدي على أَنْفِهِ فإذا هو قريبٌ من التَّلَفِ ، فاستخرجْتُهُ وأَعَدْتُ الترابَ إلى ما كان عليه . واحتملته إلى منزلي .

وعاد القومُ حَذَراً من أَن أَكونَ قد تنبَّهْتُ على ما في التابوتِ ، ونفضوا الصحراء التي كان فيها فلم يَرَوْا أثراً ولا حِسّاً لأَحدٍ ، وأنا مُشْرِفٌ في مَنْزِلي أَرى ما يصنعون . فلما أَمِنوا ممَّا توهَّموا انصرفوا وترادّت نفْس الرجلِ ، فسأَلْتُهُ عن حالِهِ ، فقال : أَنا محمد بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ . فأَقامَ عندي إلى أَن قَوِيَت نفْسُهُ وتراجَعَتْ . ثم شَخَص إلى العراقِ ، ثم إلى الحجازِ ، وظهر باليمنِ وبُويع له بإمْرةِ أَميرِ المؤمنين ، ودخل مكَّةَ ثم خَرَج على عَهْدٍ ، وبايع المأمونُ لابنِ أَخيه عليٍّ بن موسى بالعَهْدِ ، فخرج محمد إلى المأمونِ بخراسان ، فأَدْرَكَتْهُ منيَّتُهُ بجُرجان ، فاحتَفَرتُ له ودَفَنْتُه . فكان بين الدفنَيْن عَشْرُ سنين .

٤٢٨ – خَرَج أَبو العيناء وهو ضريرٌ له نَيِّفٌ وتسعون سنةً في سفينةٍ فيها ثمانون نَفْساً ، فَغرِقَتْ ، فلم يَسْلَمْ غَيْرُه ، فلما صارَ إلى البصرةِ توفي بها .

٤٢٩ – قالوا : بَيْنا حذيفةُ بن اليمانِ وسَلْمانُ الفارسيُّ يتذاكران عجائبَ الزمانِ وتغيُّرَ الأَحوالِ والأَيَّام وهُما في عَرْصَةِ إيوان كِسْرى ، وكان أَعرابيٌّ من غامِدٍ يَرْعي شُوَيْهاتٍ له نَهاراً ، فإذا كان الليلُ صيَّرَهُنَّ إلى داخلِ العَرْصَةِ ، وفي العَرْصةِ سريرُ رُخام ربما كان يجلس كِسْرى عليه ، فصعدت شُوَيْهات الغامديِّ إلى ذلك السَّريرِ ، فقال سلمان : ومن أَعجبِ ما تذاكَرْنا صعود غُنيمات الغامديِّ إلى إيوان كِسْرى .

٤٣٠ – يُقال إن المغيرة بنَ شُعبة قال لِحُرَقَةَ بنتِ النعمان : ما أَعجبُ ما

---

٤٢٨ مروج الذهب ٤ : ٢٦٤ وتاريخ بغداد ٣ : ١٧٩ وقد ذكر ياقوت ٦ : ٢٦١٢ أنه توفي في بغداد .

٤٢٩ نثر الدر ٧ : ٤٢٣ والبيان والتبيين ٣ : ١٤٨ .

٤٣٠ ربيع الأبرار ١ : ٥٦٩ ومعجم البلدان ٢ : ٧٠٨ (دير هند الصغرى) وانظر كتاب الاعتبار لابن أبي الدنيا ٣٢–٣٣ .

رأيتِ ؟ فقالت : [بتنا] ليلةً وما مِنْ أحدٍ إلا وهو يرجونا أو يخشانا ، وأصبحْنا وما من أحدٍ إلا وهو يرحمُنا ثم قالت : [من الطويل]

فبينا نسوسُ الناسَ والأمْرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نتنصَّفُ
فأُفٍّ لدنيا لا يدوم نَعيمُها تَقَلَّبُ حالاتٍ بنا وتَصرَّفُ

٤٣١ – دخل إيتاخ إلى الواثقِ وهو بآخرِ رَمَقٍ لينظرَ : هل مات أم لا ؟ فلما دنا منه نظر إليه الواثقُ بمؤْخَرِ عينِهِ ، ففَزِعَ إيتاخُ ورجع القَهْقرى إلى أن وقع سَيْفُهُ في [شق] البابِ فاندقَّ وسقط إيتاخ على قفاهُ هَيْبَةً لنظرةِ الواثقِ إليه . فلم تَمْضِ ساعةٌ حتى مات ، فعُزِل في بيتٍ ليُغْسَلَ واشتُغِلَ عنه ؛ فجاءت هِرَّةٌ فأكلت عَيْنَه التي نظر بها إلى إيتاخ ، فعجب الناسُ من ذلك ، وكان إيتاخ زعيماً لتسعين ألفَ غلامٍ .

٤٣٢ – ومِثْلُهُ لسانُ مروان بن محمد ، فإنه لمَّا قُتِل واحتزُّوا رأْسَه وأرادوا إنفاذَهُ إلى أبي العباسِ ، أمروا بتنظيفهِ ، فجاء كلبٌ فأخذ لسانَه فجعل يمضغُهُ ، فقال عبدالله بن عليٍّ : لو لمْ يُرنا الدهرُ من عجائبِهِ إلا لسانَ مروان في فَمِ كلبٍ لكفى .

٤٣٣ – ووجدَ في بعضِ الأوَارجات[١] السلطانية : وما حُمِل إلى الأمير أبي الفضل جعفر بن يحيى أعزَّه الله لهديةِ السرورِ من العَيْنِ الطريِّ مائة ألفِ دينار . وفي آخرِ الحسابِ : وما أُخْرِجَ لثمنِ النِّفْطِ والبَواري والحطب لإحراق جثة جعفر

---

٤٣١ نثر الدر ٧ : ٤١٨ ونشوار المحاضرة ٢ : ٧٣–٧٤ ولكن من طريق آخر غير ايتاخ ، وما أكل عين الواثق فيه حرذون ، ونهاية الأرب ٢٧٠–٢٧١ وأكل العين فيه جرذ ، وقارن بالطبري أحداث سنة ٢٣٢ .

٤٣٢ نثر الدر ٧ : ٤١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٧٩ ونهاية الأرب ٢٢ : ٤٨ (في فم هرة) .

٤٣٣ نثر الدر ٧ : ٤٠٩ .

---

١ الأوارجات : دفاتر أصحاب الدواوين ، مفردها أوارجة .

ابن يحيى بضعة عشر درهماً .

٤٣٤ - خَبَرُ المغيرة بن شعبة حين شُهِد عليه بالزِّنا

كان المغيرةُ بن شعبة الثقفي أميراً على الكوفة في خلافة عمَر رضوان الله عليه ، وكان من دهاةِ العَرَبِ ورجالها . فَرُوِيَ أنه كان يخرجُ من دارِ الإمارةِ وسط النهارِ ، فيلقاه أبو بَكْرةَ فيقول له : أين يذهبُ الأميرُ ؟ فيقول له : إلى حاجةٍ ، فيقول له : حاجَةُ ماذا ؟ إنَّ الأميرَ يُزارُ ولا يَزور . وكانت المرأةُ التي يأتيها جارةً لأبي بكرة ، وقيل : إنَّها بنت جميل بن عمرو .

قيل : فبينا أبو بكرةَ في غُرفةٍ له مع إخوته نافع وزيادٍ ورجلٍ آخر يُقال له : شِبْل بن مَعْبَد ، وكانت غرفةُ جارته بحذاء غرفةِ أبي بكرة ، فضربت الريحُ بابَ المرأةِ ففتحَتْهُ فنظر القَوْمُ فإذا هُم بالمغيرةِ ينكحُها ، فقال أبو بكرة : هذه بَلِيَّةٌ ابتليتم بها ، فانظروا ، فنظروا حتى أثبتوا . فنزل أبو بكرة حتى خرج عليه المغيرةُ من بيتِ المرأةِ فقال : إنَّه قد كان من أمرِك ما قد علمْتَ ، فاعتَزِلْنا . قال : وذهب ليصلّي بالناسِ الظُّهْرَ فمنعه أبو بكرةَ وقال : والله ما تُصلِّي بنا وقد فَعَلْتَ ما فَعَلْتَ . فقال الناسُ : دعوه يُصلِّي فإنه الأميرُ ، واكتبوا بذلك إلى عُمَرَ ؛ فكتبوا إليه ، فورد كتابُه بأن يَقْدُموا عليه جميعاً : المغيرةُ والشُّهودُ . وقيل : بعث عمرُ بأبي موسى الأشعريِّ [على البصرة] ، وعزم عليه أن لا يَضَعَ كتابَه من يَدِهِ حتى يرحلَ المغيرة بن شعبة .

وقيل : إن أبا موسى قال لعمرَ لمّا أَمرَهُ أن يُرحله من وقته : أَو خَيْرٌ من ذلك ، يا أميرَ المؤمنين ، تتركه يتجهَّزُ ثلاثاً ثم يخرج . قال : فدخل أبو موسى المسجدَ وهم يُصلُّون : الرجال والنساء مختلطين ، فدخل رجلٌ على المغيرةِ فقال له : إني رأَيْتُ أبا موسى في جانب المسجدِ عليه بُرْنُس ، فقال المغيرةُ : ما جاءَ زائراً

---

٤٣٤ الأغاني ١٦ : ٥٤-٥٩ وانظر تاريخ الطبري : حوادث سنة ١٧ ووفيات الأعيان ٦ : ٣٦٤-٣٦٥ وأبيات حسان في ديوانه : ١١٢ .

ولا تاجراً . فدخل عليه ومعه صحيفةٌ مثل هذه . فلما رآه قال : أميرٌ ؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب . فلما ذهب يتحرَّكُ عن سريرِهِ قال أبو موسى : مكانَك ! تجهَّزْ ثلاثاً . وقيل : بل أمرَهُ أن يَرْحَلَ من وقْتِهِ على اختلافِ الروايةِ فيما أمره به عُمَرُ . فقال له المغيرةُ : قد علمت ما وُجِّهْتَ له ، فهلّا تقدَّمْتَ فصلَّيْتَ ؟ فقال له أبو موسى : ما أنا وأنْتَ في هذا الأمرِ إلا سواء . فقال له المغيرةُ : إني أُحبُّ أنْ أُقيمَ ثلاثاً لأتجهَّزَ ، فقال : قد عزم عليَّ أميرُ المؤمنين ألا أضَعَ عهدي من يدي إذا قرأْتَهُ حتى أرحلك إليه . قال : إن شئتَ شفَّعْتَني وأبْرَرْتَ قَسَمَ أميرِ المؤمنين بأن تؤجّلَني إلى الظُّهْرِ وتُمْسِكَ الكتابَ بيدِك . قال : فلقد رُؤِي أبو موسى مُقْبلاً ومدبراً وإنَّ الكتابَ في يدِهِ معلّقٌ بخيطٍ . فتجهَّزَ المغيرةُ ، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة جاريةٍ عربيةٍ من سَبْيِ اليمامةِ من بني حنيفةَ ، وقيل : إنَّها كانت [من] مولدة الطائف ومعها خادمٌ .

وسار المغيرةُ حين صلَّى الظهرَ حتى قَدِم على عمرَ رضي الله عنه . فلما قَدِم عليه قال : إنَّه شُهِد عليك بأمْرٍ إن كان حقّاً لأن تكونَ مُتَّ قَبْلَ ذلك كان خَيْراً لك . وجلس .

ودُعيَ بالمغيرةِ والشُّهودِ ، فتقدَّم أبو بكرة ، فقال : أرأيْتَهُ بين فَخِذَيْها ؟ قال : نعم ، والله لكأني أنظرُ إلى تشريم[1] جُدَريٍّ بفَخذَيْها . فقال له المغيرةُ : لقد ألْطَفْتَ النظَر ، فقال له : لم آلُ أن أتَيْتَ بما يُخزيك الله به ، فقال له عمرُ : لا والله حتى تشهد لقد رأيته يَلِجُ فيها وُلوجَ المِرْوَدِ في المُكْحُلَةِ ، قال : نعم ، أشهدُ على ذلك . قال : اذهَبْ عنك ، مُغيرةُ ، ذَهَبَ رُبْعُكَ ! .

ثم دعا نافعاً فقال : على ما تشهدُ ؟ قال : على مِثْلِ شهادةِ أبي بكرة ، قال : لا ، حتى تَشْهَدَ أنَّه يَلِجُ فيها وُلوجَ المِرْوَدِ في المُكْحُلَة ، فقال : نعم حتى بلغ قُذَذَه ، قال : اذهب عنك ، مغيرةُ ، ذهبَ نصفُك ! ثم دعا الثالثَ ، فقال : علام

---

[1] الأغاني : تشريم .

تشهدُ ؟ قال : على مِثْلِ شهادةِ صاحبيَّ .

فقال عليٌّ عليه السلام : اذهب عنك ، مغيرةُ ، ذهب ثلاثةُ أرباعِك . قال : حتى بكى إلى المهاجرين فَبَكَوْا ، وبكى إلى أُمَّهاتِ المؤمنين حتى بكين معه ، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثةَ أحدٌ من أهلِ المدينةِ . ثم كتب إلى زيادٍ ، فقَدِم على عُمَرَ ، فلما رآه جلس له في المسجدِ ، فاجتمع عنده رؤوسِ المهاجرين والأنصار . قال المغيرةُ : ومعي كلمة قد رفعتها لأُحْكَمِ[1] القَوْمِ . فلما رآه عمرُ مُقْبلاً قال : إني أرى رجلاً لن يُخزِيَ الله على لسانهِ رجلاً من المهاجرين . قال المغيرةُ فقلتُ : لا مخبأ لِعِطْرٍ بعد عروس ؛ ثم قُمْتُ فقلتُ : يا زياد ، اذكر الله واذكر موقفَ يومِ القيامةِ [فإنّ الله] وكتابَه ورسلَه وأميرَ المؤمنين قد احتقنوا[2] دمي إلا أن تتجاوَزَ إلى ما لَمْ تَرَ ما رأَيْتَ ، أين مسلك ذكري منها ؟ قال : فرفعت عيناه واحمرَّ وجهُهُ وقال : يا أميرَ المؤمنين ، أما إنَّ أحقَّ ما حقَّ القَوْم فليس عندي ، ولكني رأيْتُ مجلساً قبيحاً ، وسمعتُ نفساً حثيثاً وانبهاراً ، ورأيتُه مُتبطِّنَها . فقال له : أرأيْتَه يُدخلُه ويُخرجُه كالميلِ في المُكْحُلَةِ ؟ فقال : لا . فقال عمرُ : الله أكبر ، قم إليهم فاضربْهُم . فقام إلى أبي بكرة وضربَه ثمانين ، وضرب الباقين . وأعجبَ عمرَ قولُ زيادٍ ، ودرأ عن المغيرةِ الحدَّ . فقال أبو بكرة بعد أَنْ ضُرِبَ : فإني أشهدُ أَنَّ المغيرةَ فعل كذا وكذا ، فأَمَرَ عمرُ بضربه ، فقال له عليٌّ : إن ضَرَبْتَه رجَمْتَ صاحبَك ، ونهاه عن ذلك . يعني إن ضَرَبَهُ جعل شهادته شهادتَيْن ، فوجب لذلك الرجمُ على المغيرةِ .

وحدَّث عبدُ الكريم بنُ رشيد عن أبي عثمان النهديِّ قال : لمّا شهِد عند عمرَ الأولُ تغيَّرَ لذلك لونُ عمرَ ، ثم جاء آخَرُ فَشَهِد ، فانكسر لذلك انكساراً شديداً ، ثم جاء رجلٌ شابٌ يخطرُ بين يديهِ ، فرفع عمرُ رأسَه إليه وقال : ما

١ الأغاني : لأكلم .
٢ الأغاني : حقنوا .

عندك يا سَلْحَ العُقاب ؟ – فصاح أبو عثمانَ صيحةً تحكي صيحةَ عمرَ – قال عبدُ الكريم : لقد كدتُ أن يُغْشى عليَّ .

واستتابَ عمرُ أبا بكرةَ ، قال : إنّما [تَسْتَتِيبُني] لتقبل شهادتي ؟ قال : أجَل ؛ قال : لا أَشْهَدُ بين اثنين ما بقيتُ في الدنيا .

قال : فلما ضُرِبوا الحدَّ قال المغيرةُ : اللهُ أكبر ، الحمدُ لله الذي أخزاكم ، فقال له عمر : أخزى اللهُ مكاناً رأَوْكَ فيه . وأقامَ أبو بكرةَ على قوله وكان يقولُ : والله لا أَنْسى رَقَطَ فخذَيْها ، وتابَ الاثنان فقَبِل شهادتَهما . وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعي إلى شهادةٍ قال : اطلُب غيري فإنَّ زياداً أَفْسَدَ عليَّ شهادتي .

ولما ضُرِبَ أبو بكرة أَمرت أُمُّه بشاةٍ ، فذُبحَت ، وجعلت جِلْدَها على ظَهْرِهِ ، فكان يُقال : ما ذلك إلا من ضَرْبٍ شديدٍ .

وكان عمر رضي الله عنه يقول للمغيرة : والله ما أَظنُّ أنَّ أبا بكرة كذبَ عليك ، وما رأَيْتك إلا خفْتُ أن أُرْمى بحجارةٍ من السماء .

ورويَ أن عليّاً عليه السلامُ قال : لئن لم يَنْتَهِ المغيرةُ لأُتْبِعَنَّه أحجارَهُ .

وقال حسان بن ثابت يهجو المغيرةَ : [من الوافر]

لو انَّ اللؤمَ يُنسبُ كان عبداً قَبيحَ الوَجْهِ أَعْوَرَ من ثَقيفِ
تركْتَ الدينَ والإسلامَ لـمّا بَدَتْ لك غُدْوَةً ذاتُ النصيفِ
فراجعتَ الصِّبا وذكرْتَ لَهْواً من الفتيانِ والعمر اللطيفِ

ولمّا شخص المغيرةُ إلى عمرَ ، رأى في طريقه جاريةً فأعجَبَتْه ، فخطبها إلى [أبيها][1] فقال له : أنْتَ على هذه الحالِ ! فقال له : وما عليك ، إن أُعْفَ فهو الذي تُريدُ ، وإنْ أُقتلْ تَرِثْني ، فزوَّجه .

قال الواقديُّ : تزوَّجَها بالرَّقم ، وهي امرأةٌ من بني مُرَّةَ . فلما قَدِمَ بها على

---

١ في الأصل «أمها» والتصويب عن الأغاني وهو ما يقتضيه السياق .

عُمَرَ قال : إنَّك لَفارِغُ القَلْبِ طويلُ الشَّبَقِ .

٤٣٥ – خبر ادعاء معاوية زياداً

كان زياد عامل عليّ عليه السلام على فارس فلما قتل تمسك بعمله ولم يدع إلى معاوية ؛ فقلق معاوية بأمره ، وهوَّنه عنده المغيرة بن شعبة ، فقال : بئس المركب الغَرور زياد وقلاع فارس . [فقال معاوية] : ما يؤمنني أن يدعو إلى رجل من أهل هذا البيت فإذا هو قد أعادها جذعة . فسعى المغيرة في أمره وقصدَه إلى فارس وأصلحه لمعاوية .

ولما أراد أن يدَّعيَه بعث إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيْز وعبدالله بن خالد بن أَسيد وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ، فقال : إنكم أسرتي وقرابتي ، ولقد أردت أمراً لم يفتأني عنه إلا التوبيخ أو طعن طاعن عليّ أن يثلبَني ، والله أحقُّ من راقب المرءُ وأطاعه ، فإنه قال لنبيه ﷺ : ﴿وتَخْشَى النَّاسَ والله أَحَقُّ أن تَخْشَاه﴾ (الأحزاب : ٣٧) . وقال : ﴿واتَّقُوا الله الذي تَسَاءلونَ به والأَرْحَام﴾ (النساء : ١) ؛ هذا زياد أردتُ أن أُلحقَه بنسبه وأَنسبَه إلى أبيه أبي سفيان ، فما ترون ؟ فقال مروان بن الحكم : أُعيذُك بالله أن تَسَمَ هذا بأنفك ، أو يكونَ هذا من رأيك ، أو تردّ قضاءَ رسول الله ﷺ فإنه قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر . وأنت تريد أن تجعل للعاهر الولد وللفراش الحجر . ثم قال : هات ما عندك يا ابن كُرَيز ، قال : أرى أن لا تدّعيه فإنه لم يَدَّعِ رجلٌ قطّ رجلاً إلا مات المدّعي وبقي الدَّعيّ . قال : فما عندك يا ابن أَسيد قال : أرى إن كنتَ إنما تدَّعيه لتعتزّ به فإن الله جلّ وتَقدَّس لم يكن يُعزُّ سلطانه برجلٍ دَعيّ ، والعربُ أطوعُ لك ، ولو لم تكره ذلك إلا ليقول قائلٌ : إنما ادّعى زياداً لحاجته إليه مع إحداثك في الاسلام من هذه الخُصلةِ لما لم يسبقْكَ إليها أحد من السلف . ثم قال : ما عندك يا ابن العاص ؟ قال : أرى أن تدّعيه بشهادةِ شهودٍ ، فإن كان ابنَ أبي سفيان فقد أَلحقتَه بأبيه ، وإن لم يكن

٤٣٥ مروج الذهب ٣ : ١٩١–١٩٤ والطبري أحداث سنة ٤٤ والعقد ٥ : ٦ ، ١٢ و ٦ : ١٣٢ .

فإنما إثمُهُ على الشهود ، وتستعينُ به فيما أنت فيه . قال معاوية : أنت أنصحُهم جَيْباً وآمنُهم غَيباً ، صدقت ، أخرجوا المنبر ونادوا الصلاة جامعة . فاجتمع الناس لذلك ، وحضرَت الشهود وهم المستورد الثقفي وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وجلس زياد إلى جانب المنبر . فبدأ معاوية بالمستورد فقال : قُمْ فاشهدْ بما علمتَ . فقال : أشهدُ أن أبا سفيان قدم الطائف فيما كان يبتاع من الأَدَم وغير ذلك ، وأتانا آتٍ ونحن في مجلسنا فقال : هذه جاريةُ الحارثِ بن كَلَدة قد أُدخلَتْ على أبي سفيان ، وأُغلق دونها الباب ؛ فبعثنا من نظر في ذلك فكان الخبرُ كما أُخبرنا ، فحسَبْنا من ذلك اليوم فلم يمضِ إلا شهرٌ حتى مرّت بنا وقد اصفرّ لونها [. . . . .] ، فولدت زياداً لتمامِ تسعةِ أشهرٍ من ذلك اليوم الذي أُخبرنا فيه . وشهد غيره بمثل ذلك . وقال لأبي مريم : اشهدْ بما علمتَ . قال : إنكم إن أعفيتموني كان أحَبَّ إليّ ، وإن أبيتم إلا أن أشهدَ أتيتُ بالشهادة على وجهها ؛ قد علم من حضر الطائف أن أبا سفيان كان خلاً لي [وأنه إنما قدم] الطائف علىّ حتى نظعن ؛ فقدم عليّ قَدمتَه تلك . فقال : يا أبا مريم إني قد تغرَّبتُ منذ أشهر ، فابغِ لي امرأةً ، فقلت : أتتزوجُ ؟ فقال : لا أقدر على ذلك مع ابنة عتبة . فقلت : إني لا أقدرُ عليها إلا مومسةً ، قال : لا أبالي بعد أن تكون وضيئة ؛ فأتيته [بسمية] ؛ (قال ، قلت : لا أقدر عليها إلا أمةً ، قال : لا أبالي وأريدها وضيئة ، فأتيته بسُميّة)[1] جارية الحارث بن كَلَدة – ولا أعرف يومئذٍ بالطائف جاريةً أشهر منها بالفجور . فدعوتُها وأعلمتُها بحال أبي سفيان ، فقلت : لئن أُصبتِ منه ولداً لم تزالي في علية ما بقيتِ . فأَسمَحتْ حتى أخذ بكُمّ درعها ، فدخلا البيت فلم يلبث أن خرج عليّ يمسح جبينه ؛ فقلت : مَهْيَم ، فقال : ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء في ثديها وذَفَرٌ في رُفْغيها[2] .

قال : فقال زياد : لا تَسبَّ أمهات الرجالِ فتُشتَمَ أُمُّك ، إنما أنت شاهد .

---

١ ما بين قوسين قد يكون سهواً من الناسخ أو إشارة إلى رواية أخرى .

٢ الرفغ : أصل الفخذ .

ويقال إن زياداً قال : ما هذا ! إنما دعيتَ شاهداً ، ولم تدع شاتماً ! .

قال أبو مريم : قد جهدتُ أن تعفوني فلما أبَيْتُم شهدتُ بما رأيتُ وعاينتُ .

وقال : يا سعيد اشهد بما رأيتَ قال : رأيت زياداً يخطب — وقدم من عند أبي موسى في زمنِ عمرَ بنِ الخطاب — فتعجّبَ الناسُ من منطقه ، فقال أبو سفيان وأنا إلى جنبه : من هذا المتكلم إني لأعرف فيه [منطق] آل حرب . فقلت : هذا زيادُ بنُ عبيد فقال : لولا مخافتي عمَّك أن يعبثَ بي ويعنّفَني لأخبرتُك أنه لم يضعْهُ في رحمِ أمِّه غيري .

فوثب يونس بن سعيد بن زيد مولى زياد فقال : الله الله يا معاويةُ في مولاي أن تغلبَني عليه ، ما كان كما قلت ، إنه عبدٌ لعمتي صفية ، ولكن أعتقَتْه ، فلِمَ تستحِلُّ أن تأخذَ منها مولاها ؟ فقال معاوية : لَتنتهينَّ يا يونس أو لأُطِيرَنَّ بك طَيرةً بعيداً وقوعها . فقال يونس : هي إلى الله ثم نقع .

قال : ثم إن زياداً كان على العراق ، فكتب إلى معاوية : إني قد أخذتُ العراقَ بيميني وشمالي فارغة ؛ وهو يعرض [بالحجاز] يرجو أن يضمها إليه مع العراق ، فلم يُرجع إليه جوابَ كتابه حتى مات .

ويقال إن زياداً بدا له أن يَخطِب إلى سعيد بنِ العاص ابنتَه ، فكتب إليه [بذلك ، فأجابه سعيد] : أما بعد فإن أمير المؤمنين لم يُنزلْكَ من نفسه هذه المنزلة ، ولم يجعل في يديك ولايته ، ولم يُؤهِّلْك لما أنتَ فيه إلا لما يريد أن يُوصِلَ إليك من تنويه الاسم ورفيع الدرجة . [فأجابه زياد] : . . . . وكأنّا قد أحبَبْنا التوسُّلَ إليك ببعض ما يعود عليك نفعُه ويشتبك الحالُ فيما بيننا وبينك وتتشعّبُ القرابات منا ، فنحظى ونسعد بكم ؛ وقد مهرنا كريمَتك فلانة مائةَ ألف درهم : العاجل خمسون ألفاً والآجل مثلُ ذلك ، فإذا عزمت على [تزويجنا] فمُرْ من يقبض المال والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فلما ورد الكتاب على سعيد امتنع من الطعام يومَه ذلك ، وكتم الناسَ أمرَه ؛

فلما كان الغد دعا بالفرزدق ، فقال : ألا أعجِّبك من بيضة البلد ؟ قال : وما ذاك ؟ فأراه سعيدٌ الكتابَ ، فقال الفرزدق : أصلحك الله ، أراد تثبيت النسب وتعقيد الحسب . فتبسَّمَ سعيدٌ وكتب إلى زياد : أما بعد ، ﴿إن الانسان ليَطْغى أنْ رآهُ اسْتَغنى﴾ (العلق : ٧) والسلام عليك . وكان هذا القول من الفرزدق سبب فراره من زياد فلم يدخل العراق حتى مات .

٤٣٦ – ادّعى رجلٌ على جعفر بن محمد – رضي الله عنهما – دعوةً واستحضره إلى القاضي ، فلما ذكر دعواه قال جعفر : بَرِئْتُ إليه من ذلك . فأنكرَ الرجلُ ولم تقُمْ لجعفرٍ عليه بيِّنة . فقال له القاضي : حقك عليه اليمين . قال : نعم ، أنا أستحلفه . فقال له القاضي : إن شئت . فقال له جعفر : قل والله إنّ لي عندَك كذا وكذا وأستحقُّه عليك . فقال ذلك ، فخرّ ميّتاً . فقال القاضي لجعفر : كيف هذا ؟ ! قال : إنّ استحلافك له بيمين فيها ثناءٌ على الله ومدحٌ ، وإن الله إذا أُثني عيه ومُدح لم يعاجل بالعقوبة كرماً منه وتفضلاً .

٤٣٧ – قال عبد الملك بن عمير الليثي : دخلتُ على عبد الملك بن مروان وهو جالسٌ في بهوٍ على سريرٍ وقد وُضع بين يديه رأسُ مصعبِ بن الزبير . فلما رأيتُه قلتُ متعجّباً : لا إله إلا الله ! لقد رأيت اليوم عجباً تذكرتُ به عجائبَ . قال : وما ذاك ؟ قلت : رأيتُ عبيدالله بنَ زياد في هذا البهو جالساً على هذا السرير وبين يديه رأس الحسين بن علي عليه السلام ، ثم دخلتُ بعد ذلك على المختار في هذا البهو فوجدته جالساً على هذا السرير وبين يديه رأس عبيدالله بن زياد ، ثم دخلتُ على مصعبٍ في هذا البهو وهو على هذا السرير وبين يديه رأسُ المختار ، وقد دخلت عليك يا أمير المؤمنين في هذا البهو وأنت على هذا السرير وبين يديك رأسُ مصعبٍ . فبادر عبد الملك ونزل عن السرير وخرج عن البهو وأمر بهدمه .

---

٤٣٧ نثر الدر٧ : ٤٠٨ ومروج الذهب ٣ : ٣١٢ وربيع الأبرار ١ : ٥٦٧ والمستطرف ٢ : ٦٧ .

٤٣٨ – قال بعض تجار البحر : حملنا مرّة متاعاً إلى الصين من الأُبُلّة ، وكان قد اجتمع ركبٌ فيه عشر سفن ، قال : ومن رَسْمِنا إذا توجهنا في مثل هذا الوجه أن نأخذ قوماً ضعفاء ونأخذَ بضائعَ قوم . فبينا أنا قد أصلحتُ ما أريد ، إذ وقف شيخٌ فسلّم ، فرددتُ ؛ فقال : لي حاجة قد سألتُها غيرَك من التجار فلم يقضها ، قلت : فما هي ؟ قال : اضمن لي قضاءها حتى أقولَ ، فضمنتُ ؛ فأحضر لي رصاصة فيها نحو مائة مَنٍّ وقال : تأمرُ بحمل هذه الرصاصة معك ، فإذا صرتُم في لُجّة هذا البحر فاطرَحْها في البحر ، فقلتُ : يا هذا ليس هذا ممّا أفعلُه ؛ قال : قد ضمنتَ لي ، وما زال بي حتى قبلتُ وكتبتُه في روزنامجي . فلما صرنا في ذلك الموضع عصفت علينا ريح فيئسنا من أنفسنا وممّا معنا ، ونسينا الرصاصة ، ثم خرجنا من اللجّة وسرنا حتى بلغنا موضعنا ، فبعتُ ما صحبني ، وحضرني رجلٌ فقال لي : معك رصاص ؟ فقلتُ : ليس معي رصاص ، فقال لي غلامي : معنا رصاص ، قلت : لم أحمل رصاصاً معي ، قال : بلى ، للشيخ . فذكرتُ فقلت : خالفناه وبلغنا ههنا ، وما عليّ أن أبيعَهُ ، فقلت للغلام : أحضرْها . وساومني الرجل بها فبعت بمائة وثلاثين ديناراً ، وابتعتُ بها للشيخ طرائف الصين . وخرجنا فوافينا المدينة ، وبعتُ تلك الطرائفَ بمبلغ سبعمائة ، وصرتُ إلى البصرة إلى الموضع الذي وصفه لي الشيخ ، ودققتُ بابَ داره وسألتُ عنه ، فقيل تُوفّي ؛ فقلت : هل خلّفَ أحداً يرثُه ؟ قالوا : لا نعلمُ له إلا ابنَ أخ في بعض نواحي البحر . قال : فتحيَّرتُ فقيل لي : إن دارَهُ موقوفةٌ في يدِ أمينِ القاضي ؛ فرجعتُ إلى الأُبُلّة والمالُ معي . فبينا أنا ذاتَ يومٍ جالسٌ إذ وقف على رأسي رجلٌ فقال : أنت فلان ؟ قلت : نعم . قال : أكنتَ خرجتَ إلى الصين ؟ قلت : نعم . قال : وبعتَ رجلاً هناك رصاصاً ؟ قلت : نعم ، قال : أفتعرفُ الرجلَ ؟ فتأمّلتُه وقلتُ : أنت هو ، قال : نعم ، إني قطعتُ من تلك الرصاصة

---

٤٣٨ نثر الدر ٧ : ٤١١–٤١٣ .

شيئاً لأعملَه فوجدتُها مجوَّفةً ، ووجدتُ فيها اثني عشر ألف دينار ، وقد جئتُ بالمال ، فخذه عافاك الله . فقلتُ له : ويحكَ ! والله ما المال لي ، ولكنه كان من خبره كذا ؛ وحدثته فتبسَّمَ الرجلُ ثم قال : أتعرف الشيخ ؟ قلت : لا ، قال : هو عمي وأنا ابنُ أخيه ، وليس له وارثٌ غيري ، وأراد أن يَزْوِيَ هذا المال عني وهرّبني من البصرة سبع عشرة سنة ، فأبى الله سبحانه وتعالى إلا ما ترى على رغمه . قال : فأعطيناه الدنانير كلَّها ومضى إلى البصرة وأقام بها .

٤٣٩ – قال الصولي : كان المعتصم في فتنة الأمين يمضي إلى علي بن الجنيد الاسكافي فيقيم عنده ، ولا يقصر عليٌّ في خدمته وإكرامه والنفقة عليه – وكان عليٌّ أكثر الناس مِزاحاً وأحسنَهم كلاماً – فآذاه المعتصم في شيء ، فقال علي : والله لا يفلح أبداً على المزح ، فحفظها المعتصم . فلما دخل بغداد خليفة أمر وصيفاً باحضارِ علي فأحضره – وكان عدواً للفضل بن مروان – فضحك المعتصم ، وكان يقول : ذلك اليوم اعتقدت أن أنكبَ الفضل ؛ ثم قال : يا علي تذكرُ حيث وقفت لابراهيم ابن المهدي بمربَّعة الحرسي فنزلت فقبلتُ يده ثم أدنيتُ ابني هارون فقبّل يده وقلت : عبدُك هارون ابني ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ؟ قال علي : أذكر ذلك ؛ قال : فإنه ترجّل لي اليوم وقبّل يدي في ذلك الموضع بعينه ، ثم قال لي : عبدُك هبةُ الله ابني ، فأدناه فقبّل يدي ، فأمرتُ له بعشرة آلاف درهم ، ولم تطبْ له نفسي بغيرها . فقال : بئس والله ما فعلَ أميرُ المؤمنين . قال : وكيف ويلك ؟ قال : إبراهيم كان أمر لهارون بعشرة آلاف درهم وليست في يده إلا بغداد وحدها ، وفي يد أمير المؤمنين من المشرق إلى المغرب . قال : صدقتَ ، أعطوه عشرةَ آلافِ دينار ؛ وفرّق المعتصم في أهله ثلاثين ألفِ ألفِ درهم .

٤٤٠ – قال أحمد بن أبي الأصبغ : لما ولي المستعينُ الخلافة دعاني أحمدُ بنُ

---

٤٣٩ نثر الدر ٧ : ٤١٦–٤١٧ .
٤٤٠ نثر الدر ٧ : ٤٢٠–٤٢١ .

الخصيب ، وقد استوزره ، فقال لي : اكتب الساعةَ في إشخاص أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد بفرانق بأسرعَ مَن عندك وأفرهَهم . فورد أبو صالح بعد شهر ، فمكث جمعة وَدَبّ في أمر أحمدَ بنِ الخصيب حتى وليَ مكانَه ونفى أحمدَ بنَ الخصيب إلى اقريطش . [. . . .] فدعاني أبو صالح حين وليَ فقال : اكتب الساعةَ إلى همذان في إشخاص شجاع بن القاسم إلى الحضرة ووجه إليه بالذي جاء بي من فارس . قال : ففعلتُ ذلك ، فوافى شجاعٌ فتقلد كتبة أوتامش ؛ فلما تمكّن نكب أبا صالح وأقام مكانه .

٤٤١ – حدّث القاضي أبو علي المحسّنُ بن علي التنوخي قال : حدثني عضدُ الدولةِ أبو شجاع فنّاخُسرو ببغداد ، وذلك في سنة سبعين وثلاثمائة ، قال : حدثتني أمّي – رحمها الله – أنها ولدتْ للأمير ركنِ الدولة ولداً قبلي كنّاه أبا دُلف ، وعاش قليلاً ومضى لسبيله . قالت : فحزنتُ عليه حزناً شديداً أسفاً على فقده وإشفاقاً من أن ينقطعَ ما بيني وبين الأمير بعده ، فسلّاني مولاي وسكّنني وأقبلَ عليَّ وقرّبني ؛ ومضَتِ الأيامُ وتطاولَ العهدُ وسلوتُ ، ثم حملتُ بك بأصفهان فخفتُ أن أجيء ببنتٍ فلا أرى مولاي ولا يراني ، لما أعرفُه من كراهيّته للبنات وضيقِ صدرِه بهنّ وطولِ إعراضِه عنهن ؛ ولم أزل على جملة القلق والجزع إلى أن دخلتُ في شهري وقرب ما أترقّبُه من أمري ، وأقبلتُ على البكاء والدعاء ومداومة الصلاةِ والأدعية إلى الله في أن يجعلَه ولداً ذكراً سويّاً محظوظاً (أو كما قال عضد الدولة) ؛ ثم حضرَتْ أيامي ، واتفق أن غلبني النومُ فنمت في مخادعي ، ورأيت في منامي رجلاً شيخاً نظيفَ البزّة ربعةً كثَّ اللحية ، أعينَ[1] عريضَ الأكتافِ ، وقد دخل عليّ وعندي أنه مولاي ركنُ الدولة ، فلما تبيَّنْتُ

---

٤٤١ نشوار المحاضرة ٤ : ١١٨–١٢٢ .

---

١ أعين : واسع العين عظيم سوادها .

صورتَه ارتعتُ منه وقلت : يا جواريّ ، مَن هذا الهاجم علينا ؟ فتساعَيْنَ إليه فزَبَرَهنّ وقال : أنا عليُّ بنُ أبي طالب ، فنهضت إليه وقبلتُ الأرضَ بين يديه ، فقال : لا ، لا ، وقلت : قد ترى يا مولاي ما أنا فيه ، فادعُ اللهَ لي بأن يكشفَه ويَهبَ لي ذكراً سوياً محظوظاً ، فقال : يا فلانة ، وسمّاني باسمي – وكذا كنّى الملك عضد الدولة عن الاسم – قد فرغ الله ممّا ذكرتِ ، وستلدين ذكراً سوياً نجيباً ذكياً عاقلاً فاضلاً ، جليلَ القدرِ ، سائرَ الذكرِ ، عظيمَ الصَّولة ، شديدَ السّطوة ، يملك بلاد فارس وكرمان والبحرَ وعُمانَ والعراقَ والجزيرةَ إلى حلب ، ويسوسُ الناسَ كافّة ويقودُهم إلى طاعته بالرغبة والرهبة ، ويجمعُ الاموالَ الكثيرة ، ويقهرُ الاعداءَ ، ويقول بجميع ما أنا فيه – يقول الملك ذاك – ويعيش كذا وكذا سنة – لعمر طويل أرجو بلوغه – ولم يبين الملك قدره – ويملك ولدُه من بعده ، فيكونُ من حالهم كذا وكذا لشيء طويل ، هذه حكاية لفظه .

قال الملك عضدُ الدولة : فكلما ذكرتُ هذا المنام وتأملتُ أمري وجدتُه موافقاً له حرفاً بحرف . ومضت على ذلك السنون ودعاني عمّي عماد الدولة إلى فارس ، واستخلفني عليها ، وصرت رجلاً وماتت أمي .

وحدث أبو الحسين الصوفي – يقول الملك هذا وأبو الحسين حاضر يسمع حديثه – : واعتللتُ علةً صعبةً أيِسْتُ فيها من نفسي وأيسَ الطبُّ مني ، وكانت سنتي المتحولةُ فيها سنةً رديئة الدلائل ، موحشةَ الشواهد ؛ وبلغت إلى حد أمرتُ فيه أن يُحجبَ الناسُ عني ، حتى الأطباء لضجري بهم ، وتبرمي بأمورهم ، وما أحتاجُ إلى شرحه لهم ، ولاَ يصل إليّ إلا حاجبُ النوبة ؛ وبينا أنا على ذلك وقد مضت عليَّ فيه ثلاثة أيام أو أربعة ولا شغلَ لي إلا البكاءُ على نفسي والحسرةُ من مفارقة الحياة ، إذ دخل حاجب النوبة فقال : أبو الحسين الصوفي في الدار منذ [الغداة] يسأل الوصول ، وقد اجتهدتُ به في الانصراف فأبى إلا القعودَ ، وترك القبول ، وهو يقول : لا بد لي من لقاء مولانا فإن عندي بشارةً ولا يجوزُ أن يتأخر وقوفُه عليها وسماعُه إياها . فلم أحب ان أجدّ به في المنع والصرف إلا بعد

المطالعة وخروج الأمر . فقلت له على مضضٍ غالبٍ وبصوتٍ خافتٍ : قل له كأني بك وأنت تقولُ قد بلغ الكوكبُ الفلاني إلى الموضع الفلاني ، وتهذي علي في هذا المعنى هذياناً لا يتسع له صدري ، ولا يحتمله قلبي وجسمي ، وما أقدرُ على سماع ما عندك فانصرف .

فخرج الحاجب وعاد متعجباً وقال : إما أن يكونَ [أبو] الحسين قد اختلّ وإما أن يكون عنده أمرٌ عظيمٌ ، فإنني أعدتُ عليه ما قاله مولانا ، فقال : ارجع وقل له والله لو أمرتَ بضربِ رقبتي لما انصرفتُ أو أراك ، ومتى أوردتُ عليك في معنى النجوم حرفاً فحكمُك ماضٍ فيّ ، وإذا سمعت ما أُحدثُك به عُوفيتَ في الوقت وزال ما تجده .

فعجبت من هذا القول عجباً شديداً مع علمي بعقل أبي الحسين وشدة تحقيقه وقلّة تحريفه ، وتطلعتْ نفسي إلى ما عنده ، فقلت : هاته ! فلما دخل قبّل الأرض وبكى ، وقال : أنت والله يا مولانا في عافيةٍ ولا خوفَ عليك ، اليوم تُبِلّ وتستقلّ ، ومعي دلالة على ذلك . قلت : وما هي ؟ ولم أكن حدثته من قبل بحديث المنام الذي رأته أمي ولا سمعه أحدٌ مني . فقال : رأيتُ البارحة في منامي أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، والناس يُهرَعون إليه ، ويجتمعون عليه ، ويفاوضونه أمورهم ، ويسألونه حوائجهم ، وكأني قد تقدمت إليه وقلت له : يا أميرَ المؤمنين ، أنا رجل في هذا البلد غريبٌ ، تركت نعمتي وتجارتي بالريّ ، وتعلقتُ بخدمة هذا الأميرِ الذي أنا معه ، وقد بلغ في علّته إلى حدٍّ أَيِسَ فيه من عافيته ، وأخافُ ان أهلكَ بهلاكه ، فادعُ الله له بالسلامة . قال : تعني فنّاخسرو بنَ الحسن بنِ بويه ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : امضِ إليه غداً وقل له : أنسيتَ ما أخبرتْك به أمُّك عني في المنام الذي رأته وهي حاملٌ بك ؟ ألم أُخبرها مدةَ عمرِك وأنك ستعتلّ إذا بلغت كذا وكذا سنة علّة ييأسُ فيها منك أهلُك وطبك ، ثم تبرأُ منها ، وفي غدٍ يبتدىء بُرؤك ، ويتزايد إلى أن تركب وتعود إلى عاداتك كلها في كذا وكذا

يوماً ، ولا قاطعَ على أجلك إلى الوقت الذي أخبَرتْك به أمّك عني . قال الملك عضد الدولة : وقد كنتُ أُنسيتُ أن أمي ذكرت ذلك في المنام [وأني] إذا بلغت هذه السنة من عمري اعتللتُ هذه العلّة التي ذكرها ؛ فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله ؛ فحين سمعتُ ما سمعتُه حدثَتْ لي في الحال قوّةُ نفسٍ لم تكن من قبل ، وقلت : أقعِدوني . فجاء الغلمان وأجلسوني . فلما استقلَلْتُ على الفراش قلت لأبي الحسين : اجلس وأعد الحديث ؛ فجلس وأعاد ، وتولّدتْ بي شهوةُ الطعام ، واستدعيتُ الطبّ فأشاروا بتناول غذاءٍ عمل في الوقت وأكلتُه ، ولم يتصرم الوقت حتى أحسست بالصلاح الكثير ، وتدرَّجَت العافية فركبت وعاودت عاداتي في اليوم الذي قاله أبو الحسين .

وكان الملك يشرحُ هذا الشرحَ وأبو الحسين حاضرٌ ، يقول : كذا والله قلت لمولانا ، وأعيذُه بالله فما أحسن حفظه وذكره .

ثم قال لي : بقي في نفسي من هذا المنام شيءٌ ، قلتُ : يُبلغُ الله مولانا آمالَه ، ويزيدُه من كل ما يهواه ، ويصرف عنه كل ما يخشاه ؛ ولم أتجاوز الدعاءَ لعلمي بأن سؤالَه عن ذلك سوءُ أدب . فعلم ما في نفسي وقال : وقوفه على أنني أملك حلب ، ولو كان عنده أنني أتجاوزُها لقال ، حتى إنه لما ورد الخبر بإقامة ابن سيف الدعوة لي بها ذكرت المنام فنغص عليّ أمرها إشفاقاً من أن تكون آخرَ حدودِ مملكتي من ذلك الصقع . فدعوت له وانقطع الحديث .

٤٤٢ — قال الصولي : حدثني عبيدُالله بن عبدالله بن طاهر قال : لما دُعيَ محمدُ بن عبدالله أخي من مقتل يحيى بن عمر العلوي ، دخلتُ إليه بعد ذلك بمدةٍ ، يوماً سحراً ، وهو كئيبُ الوجه ، ناكسُ الرأسِ ، غائصٌ في الهمّ ، كأنه معروضٌ على السيف ، وأختُه واقفةٌ وجواريه قيام . فلم أُقدِم على مسألته عن أمره ، وأومأت إلى أختي أنْ ما له ؟ قالت : رأى رؤيا قد روَّعته وأفزعته . فتقدمتُ حينئذ وقلت : أيها الأمير رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : إذا رأى أحدُكم في منامه ما لا يُحبُّه فلْيتحَوَّلْ من جانبه الذي يكون عليه مضطجعاً إلى

الجانب الآخر وليتفل ثلاثاً [عن يساره] ولْيَلعَنْ إبليسَ وَلْيَستَعِيذْ بالله منه ولْيَنَم[1] . قال : فرفع رأسَه وقال : يا أخي إذا لم تكنْ البلية العظمى والطامة الكبرى من جهة رسول الله ﷺ ! فقلت : أعوذُ بالله قال : أتذكُر رؤيا طاهر ابن الحسين جدّنا قلت : بلى .

قال عبيدالله : وكان طاهرٌ وهو صغيرُ الحالِ رأى النبيّ ﷺ في منامه وهو يقول له : يا طاهر إنك ستبلغُ من الدنيا مبلغاً كبيراً فاتَّقِ الله واحفظني في ولدي ، فإنك لا تزالُ محفوظاً ما حفظتني فيهم . قال : فما تعرّضَ طاهرٌ لقتالِ علوي وندب إلى [قتال يحيى] ولم يفعل .

قال : ثم قال لي محمدٌ أخي : إنني رأيتُ البارحةَ في منامي رسول الله ﷺ وكأنه يقول لي : نُكِبْتُم ! فانتبهتُ فزِعاً وتحوَّلتُ واستعذتُ من إبليس ولعنته واستغفرت الله ، ونمت ، فرأيته ﷺ وهو يقول لي : يا محمد نكثتُم وقتلتُم أولادي ، والله لا تفلحون بعدها أبداً . فانتبهتُ وأنا على هذه الصورة التي تراني عليها منذ نصف الليل .

قال : واندفع يبكي وبكيتُ معه . فما مضَتْ على ذلك [إلا مدةٌ يسيرة] ونُكبنا بأسرنا أقبح نكبة ، وصرفنا عن ولايتنا ، ولم يزل أمرُنا يخمل حتى لم يبقِ لنا اسمٌ على منبر ، ولا علمٌ على جيش ، وحصلنا إلى الآن تحت المحنة .

٤٤٣ – قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام : كيف أصبحتَ ؟ فقال : أصبحنا خائفين برسولِ الله ﷺ وأصبح جميعُ أهلِ الإسلام آمنين به .

٤٤٤ – نظر رجل إلى عبدالله بن الحسن بن الحسن وهو مغموم فقال : ما غمّك يا ابن رسول الله ؟ فقال : كيف لا أغتمُّ وقد امتُحِنْتُ بأعظمَ من محنةِ إبراهيم خليلِ الله ، ذاك أُمر بذبح ابنه ليدخلَ الجنّة وأنا مأخوذٌ بأن أُحضر ابنيَّ ليقتلا فأُدخلَ النار .

---

[1] قارن بصحيح مسلم (٢٢٦٢) وابن ماجة (٣٩٠٨) .

٤٤٥ – روي أن عبدالله بنَ عمر رضي الله عنهما استأذن على الحجاج ليلاً فقال الحجاج : إحدى حمقات أبي عبد الرحمن . فدخل فقال له الحجاج : ما جاء بك ؟ قال : ذكرتُ قولَ النبيّ ﷺ : من مات وليس في عنقه بيعةٌ لإمام مات مِيتةً جاهليةً . فمدّ إليه رجلَه فقال : خذ فبايع .

أراد بذلك الغضَّ منه .

٤٤٦ – قال المنصور لعمرو بن عبيد : عظني ، قال : بما رأيتُ أو بما سمعتُ قال : بل عِظني بما رأيتَ . فقال له : مات عمرُ بن عبد العزيز فخلّفَ أحد عشر ابناً ، وبلغَتْ تركَتُه سبعة عشر ديناراً كُفّن منها بخمسة دنانير واشترى موضعاً لقبره بدينارين ، وأصاب كل واحد من [أولاده تسعة عشر درهماً] . ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابناً ، وأصاب كلٌّ واحدٍ من ولده ألفُ ألفِ دينار ، فرأيتُ رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمَل في يوم واحدٍ على مائة فرسٍ في سبيل الله ، ورأيتُ رجلاً من ولد هشام يسأل ليُتصدَّقَ عليه .

٤٤٧ – كان محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ذا نعمة ضخمة ، ولم يكن له ولدٌ إلا بنتٌ واحدةٌ ماتت قبله ؛ ووُلد لأخيه جعفر مائةُ نسمة من ذكر وأنثى . وكان محمد يقول : أشتهي أن يصفوَ لي يومٌ لا يُعارض سروري فيه غمّ . فكان أخوه جعفر يقول : لا تمتحن هذا ، فقلَّ من امتحنه إلا امْتُحِنَ فيه [. . . .] أحضر كل من تحب حضوره . فبينما هو على أتمِّ أمر وأسرِّ حالٍ إذ سمع صراخاً ، فسأل عنه فكُتِمَ فألحَّ ، فعرف أن ابنته صعدت درجةً فسقطَتْ منها فماتت . فلم يَفِ سرورُهُ صدَرَ نهاره بما عقّبَ من غمِّه .

٤٤٨ – وشبيه بهذا ما حكي عن يزيد بن عبد الملك أنه قال يوماً : يقال إن

---

٤٤٦ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (لابن الجوزي) : ٣٣٨ وفيه أن الواعظ هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وانظر العقد ٤ : ٤٣٩–٤٤٠ والمستطرف ٢ : ٥٢ .

٤٤٨ انظر الأغاني ١٥ : ١١١ والعقد ٤ : ٤٤٤–٤٤٥ والبيت لكثير في ديوانه : ٤٣٥ .

الدنيا لم تَصْفُ لأحدٍ يوماً واحداً ، فإذا خلوتُ يومي هذا فاحجبوا عني الأخبارَ وخلّوني ولذّتي . وخلا مع جاريته حبَّابة – وكان شديدَ الشَغَفِ بها – فبينا هو يسقيها وتسقيه وتغنيه إذ تناولت حبّة رمّان فغصَّتْ بها فماتَتْ لوقتها . فانزعجَ وتركها [أياماً] حتى عذلَه بنو أميّة وقالوا : إنها جيفة ! وألحّوا عليه فدفنها ومشى في جنازتها وهو يقول : [من الطويل]

فإن تَسلُ عنكِ النفْسُ أو تَدعِ الهوى فباليأس تسلو عنكِ لا بالتجلّدِ

فعدّ بينهما خمسة عشر يوماً .

٤٤٩ – قال محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : كانت لي نوبةٌ في خدمة الواثق في كل جمعة ، إذا حضرَتْ ركبتُ إلى الدار ، فإن نشط للشراب أقمتُ عنده ، وإن لم ينشطْ انصرفت ؛ وكان رسمنا أن لا يحضَر أحدٌ منا إلا في يوم نوبته . فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي ، إذا برسُلِ الخليفةِ قد هجموا عليّ وقالوا [لي : احضُر ؛ فقلت : ألخيرٍ ؟ قالوا : خير] ، فقلت : إن هذا يومٌ لم يُحضرني فيه أميرُ المؤمنين قطّ ، [ولعلكم] غلطتم ؛ قالوا : الله المستعان ! لا تطولْ وبادِر ، فقد أمرنا أن لا ندعَك تستقرُّ على الأرض . فدخلني فزعٌ شديدٌ ، وخفتُ أن يكونَ ساعٍ قد سعى بي ، وبليَّةٌ قد حدثَتْ في رأي الخليفة عليّ . فتقدَّمتُ بما أردتُ وركبتُ حتى وافَيْنا الدارَ ، فذهبتُ لأدخلَ على رسمي من حيث كنتُ أدخل فمُنِعتُ . وأخذ بيدي الخدمُ فعدلوا بي إلى ممراتٍ لا أعرفها ، فزاد ذلك من جزَعي وغمّي . ثم لم يزل الخدمُ يُسْلمونني من خدمٍ إلى خدمٍ حتى أفضيتُ إلى دارٍ مفروشة الصحن ، ملبَّسة الحيطانِ بالوَشْي المنسوج بالذهب ، ثم أفضَوْا بي إلى رواقٍ أرضُه وحيطانُه ملبَّسةٌ بمثل ذلك ، وإذا الواثق في صدره على سرير مرصَّعٍ بالجوهرِ ، وعليه ثيابٌ منسوجةٌ بالذهبِ ، وإلى جانبه فريدةُ جاريتُه ، عليها مثلُ ثيابه ، وفي حجرها عودٌ .

٤٤٩ الأغاني ٤ : ١١٨–١٢٠ ونهاية الأرب ٢١ : ٢٧١–٢٧٥ .

فلما رآني قال : قد جوّدْتَ واللهِ يا محمد ، إلينا إلينا ! فقبّلتُ الأرضَ ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، خيراً ! قال خيراً ! أما ترانا ! طلبتُ واللهِ ثالثاً يؤنسُنا فلم أرَ [أحقَّ] بذلك منك ، فبحياتي بادر وكُلْ شيئاً وبادِرْ إلينا ؛ فقلتُ : قَدْ واللهِ يا سيّدي أكَلْتُ وشَرِبْتُ أيضاً ، قال : فاجْلِسْ ، فجلستُ وقال : هاتوا لمحمدٍ رِطْلاً في قَدحٍ ، فأُحْضِرْتُ ذلك واندفعَتْ فريدةُ تُغَنّي : [من الطويل]

أَهابُكِ إجلالاً [وما بك] قُدْرَةٌ   عليَّ ولكنْ مِلْءُ نَفْسٍ حبيبُها[1]

فجاءتْ واللهِ بالسِّحْرِ ، وجعل الواثقُ يُجاذِبُها ، وفي خلالِ ذلك تُغَنّي الصوتَ بعد الصوتِ ، وأُغَنّي أنا في خلالِ غنائِها ، فَمَرَّ لنا أَحْسَنُ ما مرَّ لأَحدٍ . فإنّا لكذلك إذْ رَفَعَ رِجْلَهَ فضرب بها صَدْرَ فريدةَ ضَرْبةً تَدَحرَجَتْ بها من أعلى السريرِ إلى الأرضِ ، وتَفَتَّتَ عودُها ، ومرَّتْ تَعْدو وتَصيحُ ؛ وبقيتُ كالمنزوعِ الروحِ ، ولم أشكَّ في أنَّ عَيْنَه وقعتْ عليَّ ، وقد نَظَرَتْ إليَّ ونَظَرْتُ إليها . وأطرقَ إلى الأرضِ مُتحيِّراً ، وأطرَقْتُ أتوقَّعُ ضَرْبَ العُنُقِ . فإني كذلك إذْ قال لي : يا محمدُ ، فوَثَبْتُ ، فقال لي : ويحك أرأيْتَ أعجَبَ ممَّا [تهيَّأ علينا] ؟ فقلتُ : يا سيدي ، الساعةَ واللهِ تخرجُ روحي ، فعلى مَنْ أصابَنا بِعَيْنٍ لعنةُ اللهِ ، فما كان السببُ والذَّنْبُ ؟ قال : لا واللهِ ، ولكن فكَّرْتُ في أنَّ جَعْفرا يَقْعُدُ هذا المقعدَ غداً وتَقْعُدُ معه كما هي قاعدةٌ معي ، فلم أُطِقِ الصَّبْرَ ، وخامَرَني ما أخرَجني إلى ما رأَيْتَ . فسُرِّيَ عني وقلتُ : بل يَقتُل اللهُ جعفراً ، ويحيا أميرُ المؤمنين أبداً ، وقَبَّلْتُ الأرضَ وقلتُ : يا سيِّدي ، ارحَمْها وَمُرْ بردِّها . فقال لبعضِ الخدمِ الوقوف : مُرْ [مَنْ] يجيء بها ، فلم يكن بأسرعَ من أن خَرَجَتْ وفي يدِها عودُها ، وعليها غَيْرُ الثيابِ التي كانت عليها ، فلما رآها جَذَبَها إليه ، وغلبها البكاءُ فبكت ، وجعل هو يبكي واندَفَعْتُ أنا في البكاء . فقالت : ما ذَنْبي يا مَوْلايَ ؟ وبأيِّ شيءٍ استَوْجَبْتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي

---

١ في سمط اللآلىء ٤٠١ لنصيب وانظر شرح الحماسة ٥٥٩ عند المرزوقي .

تبكي ؛ فقالت : سألتُك بالله يا أميرَ المؤمنين إلا ضَرَبْتَ عُنُقي الساعةَ وأَرَحْتني من الفِكرِ في هذا ، وأَرَحْتَ قلبَكَ من الهمِّ ! ثم مسحا أَعيُنَهما ، ورجعَتْ إلى الغناء . وأَوْمأَ إلى خدَمٍ وُقوفٍ بشيءٍ لا أَعرِفُه ، فمضَوْا وأَحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ ووَرِقٌ[1] ، ورُزَماً فيها ثيابٌ كثيرةٌ ، وجاء خادمٌ بدُرجٍ فَفَتَحَهُ ، وأَخرج منه عِقْداً ما رأَيْتُ قطُّ مِثْلَ جوهرٍ كان فيه ، وأُحضِرَتْ بَدْرَةٌ فيها عشرةُ آلافٍ فجُعلت بين يديَّ ، وخمسةُ تُخوت عليها ثيابٌ ، وعُدْنا إلى أَمْرِنا وإلى أَحسن ما كنَّا ، فلم نَزَلْ كذلك إلى الليلِ وتفرَّقْنا .

وضَرَبَ الدهرُ من ضَرْبِهِ ، وتقلَّدَ المتوكّلُ ، فوالله إني لفي منزلي يومَ نَوْبَتي إذْ هجم رُسُلُ الخليفةِ عليَّ فما أَمْهلوني حتى ركبتُ ، فصِرْتُ إلى الدارِ ، فأُدخلْتُ الحجرةَ بعينها ، وإذا المتوكلُ في الموضعِ الذي كان فيه الواثقُ وعلى السريرِ بعَيْنِهِ ، وإلى جانبِهِ فريدةُ ، فلما رآني قال : وَيْحَكَ ! ما ترى ما أَنا فيه من هذه ؟ أَنا مِن غدوةٍ أُطالبُها بأَن تُغَنّيَ فتأْبى ذلك ، فقلتُ لها : سبحانَ الله ! تُخالفين سيِّدَكِ وسيِّدَنا وسيِّدَ البَشَرِ ! بحياتِهِ غَنّي ، فضربت ثم اندفعت تقول[2] : [من الوافر]

مُقيمٌ بالمجازةِ من [قَنَوْنا] وأَهلُكَ بالأُجَيْفِرِ فالثِّمادِ
فلا تَبْعَدْ فكُلُّ فتىً سيأتي عليه الموتُ يطرقُ أَو يُغادي

ثم ضربت بالعودِ الأَرضَ ورَمَتْ بِنَفْسِها عن السريرِ ، ومرَّت تعدو وهي تصرخُ : واسيِّداه ! فقال لي : ويحك ! ما هذا ؟ فقلتُ : لا أَدري والله يا سيدي ، فقال : ما ترى ؟ قلتُ : أَرى والله أَن تُحضِرَ هذه ومعها غيرُها ، فإنَّ الأَمرَ يؤول إلى ما يُريدُ أَميرُ المؤمنين ، قال : فانْصَرِفْ في حفْظِ الله ، فانصَرَفْتُ ولم أَدْرِ ما كانت القصَّةُ .

---

١ العين : الذهب المضروب ، والورق : الدراهم من الفضة .

٢ الشعر لكثير عزة ، انظر ديوانه : ٢٢٢ .

٤٥٠ – ورُوِيَ أَنَّ رجلاً من أَهل مكة من بني جُمَحَ وُلِدَتْ له جاريةٌ لم يُولَدْ مثلُها في الحجازِ حُسْناً ، فقال : كأَني بها قد كَبِرَتْ ، فنسب بها عمرُ بنُ أَبي ربيعة وفَضَحها ونوَّه باسمِها كما فعل بنساء قُرَيش ، والله لا أَقَمْتُ بمكة . فباع ضَيْعَةً له بالطائفِ ومكَّةَ ، ورحل بابنتِهِ إلى البصرةِ ، وأَقامَ بها ، وابتاع هناك [ضيعة] . ونشأَتْ ابنتُه من أَجملِ نساء زَمانِها . وماتَ أَبوها ، فلم تَرَ أَحداً من بني جُمَحَ حَضَرَ جنازتَه ، ولا وَجَدَتْ لها مُسْعِداً[1] ، ولا عليها داخلاً . فقالت لِدايةٍ لها سوداء : مَنْ نحنُ ؟ ومن أَيِّ البلادِ نحن ؟ فَخَبَّرَتْها . فقالت : لا جَرَمَ ، والله لا أَقَمْتُ بهذا البلدِ الذي أنا فيه غريبةٌ ! فباعت الضيعةَ والدارَ وخرجَتْ في أَيامِ الحجِّ . وكان عمرُ يَقْدَمُ فيعتمر في ذي القَعْدَةِ ويُحِلُّ ويلبس الحُلل الوَشْيَ ، ويركبُ النجائبَ المخضوبةَ بالحنَّاء عليها القطوعُ[2] والديباجُ ، ويُسْبِلُ لِمَّتَهُ ويتلقَّى العراقيات . فخرج لعادته فإذا قُبَّةٌ مكشوفةٌ فيها جاريةٌ كأَنها القَمَرُ تعادلها جاريةٌ سوداء كالسُّبَجَةِ[3] ، فقال للسوداء : مَنْ أَنْتِ ؟ ومن أَين أَنْتِ يا خالةُ ؟ فقالت : أَطال الله تَعَبَكَ إِن كُنْتَ تسأَلُ هذا العالم مَنْ هم ، ومن أَين هُم ! قال : فأَخبريني عسى أَن يكونَ لذلك شأْنٌ . قالت : نحنُ من أَهلِ العراقِ ، فأَمَّا الأَصْلُ والمَنْشأُ فمكَّةُ ، وقد رَجَعْنا إلى الأَصلِ ودخلْنا مكَّةَ . فضحك ، فلما نظرَتْ إلى سواد ثَنِيَّتِهِ قالت : قد عرفناك . قال : ومَنْ أَنا ؟ قالت : عمرُ بنُ أَبي ربيعةَ ، قال : وبِمَ عَرَفْتِني ؟ قالت : بسَوادِ ثَنِيَّتِكِ وهيئتِك التي ليست إلا لقريشٍ ، فقال : [من الخفيف]

أَصبح القلبُ بالجمالِ رهينا مُقْصَداً يومَ فارقَ الظاعنينا

---

٤٥٠ الأَغاني ١ :٢٠٩ وأَبيات عمر في ديوانه (صادر) : ٤٢٥–٤٢٦ .

---

١ المسعد : من تساعد المرأة في النوح .
٢ القطوع : الطنافس يجعلها الراكب تحته .
٣ السبجة : كساء أسود .

قلتُ مَنْ أَنْتُمُ فَصَدَّتْ وقالت أَمُبِدٌّ سؤالُكَ العالمينا
نحن من ساكني العراقِ وكنَّا قَبْلَهُ ساكنين مكّةَ حينا
قد سألناكَ – إذْ سألْتَ – فمن أنـ ـتَ عسى أن يَجُرَّ شَأْنٌ شُؤُونا

ولم يَزَلْ بها عُمَرُ حتى تزوَّجَها ووَلَدَتْ منه .

٤٥١ – قال عُمَرُ بن شَبَّةَ : مات المَوْصليُّ سنةَ ثمانٍ وثمانين ومائة ، ومات في ذلك اليوم الكسائيُّ النحويُّ ، والعباسُ بن الأَحنفِ الشاعرُ ، وهشيمة الخَمَّارةُ ، فرُفِعَ ذلك إلى الرشيدِ ، فأَمَرَ المأمونَ أن يُصلِّيَ عليهم . فخرج فصُفُّوا بين يَدَيْهِ ، فقال : مَنْ هذا الأَوَّلُ ؟ قالوا : إبراهيم الموصليُّ ، فقال : أَخِّروه وقَدِّموا العباسَ بنَ الأَحنفِ . فقُدِّمَ فصلَّى عليهم ، فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشمُ بنُ عبدالله الخُزاعيُّ فقال : يا سيّدي ، كيف آثَرْتَ العباسَ بالتَّقْدِمةِ على مَنْ حضر ؟ فأَنْشَأَ يقولُ : [من الكامل]

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنَّها لهي التي تَشْقى بها وتكابِدُ
فَجَحَدْتُهم ليكونَ غيرَك ظنُّهم إني ليُعجبني المحبُّ الجاحِدُ

ثم قال : أتحفظها ؟ قال هاشمٌ : نعم ، فقال : أَنْشِدْني باقيها ، فأَنْشَدْتُ :

لمّا رأيتُ الليلَ سُدَّ طريقُه عني وعذَّبني الظلامُ الراكِدُ
والنجمُ في كبدِ السماءِ كأَنَّه أَعمى تحيَّرَ ما لَدَيْهِ قائدُ
ناديْتُ مَنْ طردَ الرُّقادَ بصَدِّه ممَّا أُعالجُ وهو خِلْوٌ هاجِدُ
يا ذا الذي صَدَعَ الفؤادَ بهجرهِ أَنْتَ البلاءُ طريفُهُ والتالِدُ
أَلْقَيْتَ بين جفونِ عيني حُرْقَةً فإلى متى أَنا ساهِرٌ يا راقِدُ

فقال لي المأمون : أليس هذا الذي من قال هذا الشعر حقيقٌ بالتَّقْدِمةِ ؟ قلت : بلى والله .

---

٤٥١ الأغاني ٥ : ٢٢٩–٢٣٠ وأبيات العباس بن الأحنف في ديوانه (صادر) : ١٠٢ .

٤٥٢ – قال عبدالله بن الحسنِ : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوانِ فجلسَ إليَّ فقلتُ له : يا أَبا إسحاقَ ، أَما يصعبُ عليك شيءٌ من الأَلفاظِ تحتاجُ فيه إلى الغريب كما يحتاج إليه سائرُ الناسِ ممَّن يقولُ الشِّعْرَ ؟ فقال : لا ، فقلتُ : إني لأَحسبُ ذلك من كَثْرةِ ركوبِك القوافي السهلةَ ، قال : فاعرِضْ عليَّ ما شئتَ من القوافي الصعبة ، فقلتُ : قل أَبياتاً في مِثْلِ البلاغ ، فقال من ساعته : [من الخفيف]

أيُّ عَيْشٍ يكونُ أَفْضَلَ من عَيْـ ـشٍ كفافٍ قُوتٍ بَقْدرِ البلاغِ
ربَّ ذي لُقْمةٍ[1] تَعرَّضَ منها حائلٌ بينها وبين المساغِ
أَبْلَغَ الدهرُ في مواعظهِ بل زادَ فيهنَّ لي على الإبلاغِ
غشمتني[2] الأَيامُ عقلي ومالي وشبابي وصحَّتي وفَراغي

وكان أَبو العتاهيةِ لتمكُّنِه من الطبعِ يقولُ : الناسُ يتكلَّمون الشِّعْرَ وهم لا يعلمون ، ولو أَحسنوا تأليفَه لكانوا شعراءَ كلُّهم ، فبينا هو يُحَدِّثُ إذ قال رجلٌ لآخَرَ معه مِسْحٌ[3] : يا صاحبَ المِسْحِ تَبيعُ المِسْحَ ؟ فقال أَبو العتاهيةِ : أَلم تسمعوه يقول : [من الرجز]

يا صاحبَ المسحِ تبيع المسحا

قد قال شِعْراً وهو لا يعلمُ ، ثم قال له الرجلُ : تعالَ إنْ كُنْتَ تريد الرِّبْحَ ، فقال أَبو العتاهيةِ : وقد أَجازَ المصراعَ بمصراعٍ آخَرَ وهو لا يعلمُ ، قال :

تعال إن كنتَ تريدُ الربحا

....

٤٥٢ الأغاني ٤ : ٤١–٤٢ وشعر أبي العتاهية في ديوانه (صادر) : ٢٧٥ .

---

١ الأغاني : نعمة .
٢ الأغاني : غبنتني .
٣ المسح : كساء من شعر .

وكانوا يقولون : لو أُعينَ طَبْعُ أَبي العتاهيةِ بجزالةِ اللفظِ ، لكان أَشْعَرَ الناسِ .

٤٥٣ – ذُكِرَ أَنَّ قَوْماً أَضلُّوا الطريقَ فاستأجروا أعرابياً يدلُّهم على الطريقِ فقال : إني لا أَخرجُ معكم حتى أَشترط عليكم ، قالوا : هاتِ ما لَكَ ؟ قال : يدي مع أَيديكم في الحارِّ والقارِّ ، ولي موضعٌ من النارِ موسَّعٌ عليَّ فيها ، وذِكْرُ والدتي محرَّمٌ عليكم . قالوا : فهذا لك ، فما لنا عليك إنْ أَذْنَبْتَ ؟ قال : إعراضَةٌ لا تؤدِّي إلى مَقْتٍ ، وهِجْرَةٌ لا تمنَعُ من مُجامعةِ السُّفْرَةِ ، قالوا : فإن لم تُعْتِب ؟ قال : فَحَذْفَةٌ بالعصا أَخْطَأَتْ أَم أَصابَتْ .

ويُشْبهُ هذا ما اشترطه راعٍ على صاحبِ الإبلِ فقال له : ليس لك أَن تذكُرَ أُمِّي بخيرٍ أو شَرٍّ ، ولك حَذْفَةٌ بالعصا عند غَضبك أَخْطأَت أَم أَصابَت ، ولي مَقْعَدٌ [من النار] وموضعي من الحارِّ .

٤٥٤ – ذَكَرَ عليُّ بنُ سليمانَ الأَخْفَشُ في كتابِ المُغْتَالِين بإسنادِهِ عَنْ ابنِ الكلبي قال : عَشِقَتْ أُمُّ البنين بنتُ عبدِ العَزيزِ ابنِ مَرْوانَ زَوْجَةُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ وَضَّاحَ اليَمَنِ فكانتْ تُرْسِلُ إليه فَيَدْخلُ إليهَا وَيُقِيمُ عِنْدَهَا ، فإذا خافَتْ وَارَتْهُ في صُنْدُوق عِنْدَهَا وَأَقْفَلَتْ عَلَيْهِ . فَأُهْدِي لِلْوَليدِ جَوْهرٌ له قيمةٌ فَأَعْجَبَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ ، فدعا خادِماً له فبعث به إلى أُمِّ البنين وقال : قُلْ لها إنَّ هَذا الجَوْهَرَ أَعْجَبَنِي فَآثَرْتُكِ به . فَدَخَلَ الخَادِمُ عَلَيْهَا مفاجأةً وَوَضَّاحٌ عِنْدَهَا فأَدْخلَتْهُ الصندوقَ وهو يرى فَأَدّى إليها [رسالة الوليد] ورَفَعَ الجوهرَ إليها وقالَ لها : يا مولاتي ، هبي لي منه حَجَراً ، فقالت : لا يا ابن اللخْناءِ ولا كرامة . فرجع إلى الوليدِ فأَخبرَه فقالَ : كذَبْتَ يا ابن اللخناءِ ، وأَمَرَ به فوجِئَتْ عنقُهُ ، ثمّ لَبِسَ نعلَيْهِ ودَخلَ على أُمِّ البنين وهيَ جالسةٌ في ذلك البيتِ تَمْتَشِطُ وَقدْ وصفَ لهُ الخادمُ الصندوقَ الذي أدخلَتْهُ فيه ، فجاءَ فجلس عليه ثم قال لها : يا أُمَّ البنين ، ما أَحَبَّ إليكِ هذا البيتَ من بين بُيوتِكِ ! فلم تختارينه ؟ فقالت : أَجاسُ فيه وأَختارُهُ لأَنه يجمعُ حوائجي كلَّها فأَتناولها منه من

---

٤٥٤ الأغاني ٦ : ٢١٢ .

قُرْبٍ . فقال لها : هَبي لي صندوقاً من هذه الصناديقِ ، فقالت : كلُّها لك يا أميرَ المؤمنين ، فقال : ما أُريد كلَّها إنما أُريدُ منها واحداً ، قالت : خُذْ أَيَّها شِئْتَ ، قال : هذا الذي جلستُ عليه ، قالت : خُذْ غَيْرَهُ فإنَّ لي فيه أَشياء أَحتاجُ إليها ، قال : ما أُريدُ غيرَه ، قالت : خُذْهُ يا أَميرَ المؤمنين .

فدعا بالخَدَمِ وأَمَرَهم بحملِهِ ، فحملوه حتى انتُهِيَ به إلى مجلِسِهِ ، فوضعه فيه ثم دعا بعبيدٍ له عَجَمٍ فأَمَرَهم بحَفْرِ بئرٍ في المجلس عميقةٍ ، فنُحِّيَ البِساطُ وحُفِرَتْ إلى الماء ، ثم دعا بالصندوق فوُضِعَ على شفير البئْرِ ودنا منه وقال : يا صاحبَ الصندوقِ ! إنَّه قد بلغنا شيءٌ إنْ كان حقّاً فقد كُفيناك ودَفَنَّاك ودَفَنَّا ذِكرَكَ وقَطَعنا أَثَرَك إلى آخرِ الدهرِ ، وإنْ كان باطلاً فإنَّما دفَنَّا الخَشَبَ وما أَهْوَنَ ذلك . ثم قَذَفَ به في البئرِ ، وهِيلَ عليه الترابُ ، وسُوِّيَتِ الأَرضُ ، ورُدَّ البساطُ إلى حالِهِ ، وجلس الوليد عليه . ثم ما رُئي لوضاحٍ بعد ذلك أَثَرٌ في الدنيا إلى هذا اليومِ .

قال : وما رأَتْ أُمُّ البنين لذلك أَثراً في وجه الوليدِ حتى فَرَّقَ الموتُ بينهما .

٤٥٥ – لمّا ماتَ جعفرُ بنُ المنصورِ الأَكبرُ مشى المنصورُ في جنازتِهِ من المدينةِ إلى مقابِرِ قريشٍ ومشى الناسُ أجمعونَ معهُ حتّى دفنَهُ ثُمَّ انصرفَ إلى قصرِهِ فأَقبلَ على الرَّبيعِ فَقَالَ : يا ربيعُ ، [انظر من في أهلي] ينشدني : [من الكامل]

* أَمِنَ المنونِ وَرَيْبِها تَتَوجّعُ *

حتى أَتسلَّى عن مُصيبَتِي . قال الرّبيعُ : فخرجتُ إلى بَنِي هَاشِمٍ وهم بأجمعِهم حُضورٌ فسأَلْتُهم عنهَا فلمْ يكُنْ فيهم أحدٌ يحفظُهَا . فَرَجَعْتُ فَأَخْبَرْتُه ، فقال : واللهِ لمُصِيبَتِي بأَهْلِ بيتي ألا يكونَ فيهم أحدٌ يحْفظُ هذه القصيدَةَ لقلّة رغبَتِهم في الأدبِ أعظمُ عليَّ وأشدُّ من مُصيبَتي بابْني . ثُمَّ قالَ :

---

٤٥٥ الأغاني ٦ : ٢٥٧–٢٥٨ وقصيدة أبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين .

انظُرْ هل في القُوَّادِ والعوامِّ مَنْ يحْفظُهَا فإنِّي أُحِبُّ أَنْ أسْمَعَهَا من إنسانٍ يُنْشدُها . فخرجْتُ فاعْترضْتُ النَّاسَ فلم أجدْ أحداً يُنْشِدُها إلاّ شَيْخاً مُؤَدِّباً قد انْصَرَفَ مِنْ تَأْدِيبِهِ ، فسألتُه : هل [تحفظ شيئاً من الشعر ؟] فقالَ : نعم ، شعرُ أبي ذُؤَيْبٍ . فَقُلْتُ أَنْشِدْني فابتدأ هذه القصيدةَ ، فقلْتُ : أنتَ بُغْيَتي . ثُمَّ أَوْصلْتُهُ إلى المنصورِ فاسْتنشدَهُ إيَّاهَا فلمَّا قالَ :

* وَالدّهَرُ ليسَ بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ *

قَالَ : صَدَقَ ، والله ، فَأَنشِدني هذا البيتَ لِيتردَّدَ عليَّ هذا المِصْرَاعُ ، فَأَنشدَه ثمَّ مرَّ فيها فلمَّا انتهَى إلى قولِهِ : [من الكامل]

وَالدَّهْرُ لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ جَوْنُ السَّرَاةِ له جَدائدُ أَرْبَعُ

قالَ : سلا أَبو ذؤيبٍ عندَ هذا القولِ . وَأَمَرَ الشَّيْخَ بالانصراف . واتَّبَعْتُه فقلتُ : أَمَرَ لكَ أميرُ المؤْمنينَ بشيءٍ ؟ قال : نعم ، وأراني صُرَّةً في يدِهِ فيها مائةُ درهمٍ .

٤٥٦ – قال العلاءُ البندار : كان الوليدُ بن يزيد زِنْديقاً ، وكان رجلٌ من كَلْبٍ من أهلِ الشامِ يقولُ بمقالتِهِ مقالة الثنوية . فدخَلْتُ يوماً على الوليدِ وذلك الكلبيُّ عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رَفَعَ رأْسَه عنه ، وإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضر ، فقال : ادنُ يا علاءُ ، فدنَوْتُ فرفع الحرير ، وإذا في السَّفَطِ صورةُ إنسانٍ ، وإذا الزئبقُ والنوشادِر قد جُعِلا في جفنه فجفنه يطرفُ كأنَّه يتحرَّكُ . فقال : يا علاءُ ، هذا ماني ، لم يبعثِ الله نَبيّاً قبلَهُ ولا يبعثُ نبيّاً بعده . فقلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، اتَّقِ الله ولا [يغرّنّك هذا] الذي ترى من دينِك . فقال الكَلْبيُّ : قد قُلْتُ لك يا أَميرَ المؤمنين ، قد قلتُ لك إنَّ العلاءَ لا يحتملُ هذا الحديثَ .

قال العلاءُ : فمكثْتُ أَياماً ثم جلستُ مع الوليد على بناءٍ كان بَنَاهُ في عسكرِهِ يُشْرِف منه ، والكلبيُّ عنده إذ نزل من عنده ، وقد كان حمله على بِرْذَوْنٍ هِمْلاجٍ

---

٤٥٦ الأغاني ٧ : ٧١ .

أشقرَ من أَفْرَهِ ما سُخِّر ، فخرج على بِرْذَوْنه ذلك ، فمضى في الصحراء حتى غابَ عن العَسكرِ ؛ فما شعر إلا وأَعرابٌ قد جاءوا به منفسخةً عنقُه مَيِّتاً ، وبِرْذَوْنُه يُقادُ حتى سلَّموه . فبلغني ذلك فخرجْتُ مُتعمِّداً حتى أتيتُ أولئك الأَعرابَ ، وكان لهم أَبياتٌ بالقُرْبِ من أَرضِ البَخْراء لا حجرَ بها ولا مَدَر ، فقلتُ لهم : كيف كانت قصَّةُ هذا الرجلِ ؟ قالوا : أَقْبَلَ علينا على بِرْذَوْنٍ فوالله لكأنَّهُ دُهْنٌ يَسيلُ [على] صفاةٍ من فَراهتِهِ ، فعجبنا لذلك ؛ إذ انقَضَّ رجلٌ من السَّماء ، عليه ثيابٌ بيضٌ ، فأَخَذَ بضَبْعَيْهِ فاحتمله ثم نكّسه وضربَ برأسِهِ الأرض ، فدقَّ عنقَهُ ، ثم غابَ عن عيوننا ، فاحتَمَلْناه فَجِئْنا به .

٤٥٧ — لما استُخْلِفَ عمرُ بن عبد العزيزِ جاءَه الشعراءُ ، فجعلوا لا يَصِلون إليه ، فجاء عونُ بن عبدالله بن عُتبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أَرْخى طرفَها ، فدخل ، فصاح به جريرٌ : [من البسيط]

يا أَيُّها القارىءُ المرخي عمامته ... هذا زمانُك إني قد مضى زمني

أَبلغْ خليفتنا إن كنتَ لاقِيَـهُ ... أَنّي لدى البابِ كالمصفودِ في قَرَنِ

قال : فدخل على عمرَ ، فاستأذَنَه فأَدخلَه عليه ، وقد كان هيَّأَ له شِعْراً ، فلما دخل عليه غَيَّره وقال : [من البسيط]

إنَّا لنرجو إذا ما الغيثُ أَخْلَفَنا ... من الخليفةِ ما نَرْجو من المطرِ

زانَ الخلافةَ إذْ كانَتْ له قَدَراً ... كما أَتى ربَّه موسى على قَدَرِ

أَأَذكرُ الجَهْدَ والبلوى التي نَزَلَتْ ... أَم تكْتفي بالذي بُلِّغْتَ من خبري

ما زِلْتُ بعدك [في دارٍ] تَعَرَّقُني ... قد طال بعدكَ إصْعادي ومُنْحَدري

لا ينفعُ الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ... ولا يجودُ لنا بادٍ على حَضَرِ

كم بالمواسمِ من شَعْثاءَ أرملَةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والنَّظرِ

---

٤٥٧ الأغاني ٨ : ٤٥–٤٧ وانظر العقد ٢ : ٩١–٩٦ وأبيات جرير في مواضع متفرقة من ديوانه .

يدعوكَ دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به خَبْلاً من الجنِّ أو مسّاً من النَّشَرِ[1]
ممَّن يعدُّك تكفي فقَد والدِهِ كالفرخِ في العُشِّ لم ينهَضْ ولم يَطِرِ

قال : فبكى عمرُ ، ثم قال : يا ابنَ الخَطَفى ، مِن أبناء المهاجرين أنْتَ فنعرفَ لك حقَّهم ؟ أم من أبناءِ الأنصارِ فيجَبَ لك ما يجبُ لهم ؟ أم من فقراء المسلمين فنأمرَ صاحبَ صدقاتِ قَوْمِك فَيَصلَكَ بمثلِ ما يصلُ به قَوْمَك ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء ، وإني لَمِن أكثرِ قومي مالاً وأحسنِهم حالاً ، ولكني أسألُكَ ما عوَّدنيه الخلفاءُ : أربعةُ آلاف درهم ، وما يتبعُها من كُسْوَةٍ وحُمْلان ، فقال له عمرُ : كلُّ امرىءٍ مُلَقّىً فعلَهُ ، فأمَّا أنا فما أرى لك في مالِ الله من حقٍّ ، ولكن انتظر ، يخرجُ عطائي فأنظر ما يكفي عيالي سنةً منه فأدَّخِرُهُ لهم ، ثم إنْ فَضَل فَضْلٌ صرَفْناه إليك . فقال جريرٌ : لا ، بل يُوفِّرُ أميرُ المؤمنين ويُحْمَدُ وأخرجُ راضياً ، قال : فذلك أحبُّ إليَّ .

فلما خرَج قال عمرُ : إنَّ شرَّ هذا لَيُتَّقى ، ردُّوه إليَّ ، فردُّوه . فقال : إنَّ عندي أربعين ديناراً وحُلَّتَيْن ، إذا غسلْتُ إحداهُما لبِسْتُ الأُخرى ، وأنا مُقاسِمُكَ ذلك ، على أنَّ الله تعالى يعلمُ أنَّ عمرَ أحْوَجُ إلى ذلك مِنْكَ . فقال له : قد وفَّرك الله يا أميرَ المؤمنين ، وأنا والله راضٍ ، قال له : أما وقد حلَفْتَ فإنَّ ما وفَّرْتَهُ عليَّ ولم تُضَيِّقْ به معيشتَنا آثَرُ في نفسي من المدحِ ، فامضِ مُصاحَباً ؛ [فخرج] . فقال له أصحابُه وفيهم الفرزدق : ما صنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرَةَ ؟ قال : خَرَجْتُ من عندِ رجلٍ يُقَرِّبُ الفقراءَ ، ويُباعدُ الشعراءَ ، وأنا مع ذلك عنه راضٍ ، ثم وضع رِجْلَهُ في [غرز] راحلتِهِ ، وأتى قَوْمَه فقالوا له : ما صنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرَة ؟ فقال : [من الطويل]

تركْتُ لكم بالشامِ حَبْلَ جماعةٍ أمينَ القُوى مُسْتَحْصِدَ العَقْدِ باقِيا

---

١ النشر : جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض .

وَجَدْتُ رُقى الشيطانِ لا تستفزُّهُ   وقد كان شيطاني من الجنِّ راقِيا

٤٥٨ – وشكا حارثةُ بن بَدْرٍ الغُدانيُّ فأَشْرَفَ على الموتِ ، ودخل عليه قومُهُ يعودونه فقالوا : هل لك حاجةٌ أو شيءٌ تُريدُهُ ؟ قال : نعم ، اكسروا رِجْلَ مولايَ كعبٍ لئلا يَبْرَحَ من عندي ، فإنَّه يُؤنسني ، ففعلوا ، فأنشأ يقولُ : [من البسيط]

يا كعبُ صَبْراً ولا تَجْزَعْ على أَحَدٍ   يا كعبُ لم يَبْقَ منّا غيرُ أَجْسادِ
يا كعبُ ما راح من قومٍ ولا ابتكروا   إلا وللموتِ في آثارِهم حادي
يا كعبُ ما طلعت شمسٌ ولا غربَتْ   إلا تُقـرِّبُ آجـالاً لِميعـادِ
يا كعبُ كَمْ من حِمى قومٍ نزلْتُ به   على صواعقَ من زَجْرٍ وإيعادِ
فإن لقيتَ بـوادٍ حيَّـةً ذكَـراً   فاذْهَبْ ودَعْني أُمارِسْ حيَّةَ الوادي

٤٥٩ – كان أبو دُلَفَ بن عيسى العجليُّ في جُملةِ مَنْ كان مع الأَفْشين خيذر ابن كاوس لمّا خرجَ لمُحاربةِ بابكَ . ثم تنكّر له ، فوجَّه يوماً بمن جاءَ به ليقتلَهُ . وبلغ المعتصمَ الخَبَرُ ، فبعث إليه أَحمدَ بنَ أَبي دواد ، وقال له : أدرِكْهُ وما أراك تلحقُهُ ، واحْتَلْ في خلاصِهِ كيف شِئْتَ .

قال أَحمد : فمضيتُ رَكْضاً حتى وافَيْتُ الأَفْشين ، وإذا أَبو دُلَف واقفٌ بين يديه ، قد أخذ بيدِهِ غُلامان تُركيَّان ، فرمَيْتُ بنفسي على البساطِ ، وكنتُ إذا جئتُهُ دعا لي بمُصلًّى ، فقال : سبحانَ الله ! ما حملك على هذا ؟ قلتُ : أَنْتَ أَجلستني في هذا المجلسِ ، ثم كلمتُهُ في أَبي دُلَفَ وخضعْتُ له فيه ، فجعل لا يزداد إلا غلظةً . فلما رأَيْتُ ذلك قلت : هذا عبدٌ قد أَغرقتُ في الرِّفْقِ به ، وليس ينفع إلا أخذُهُ بالرهبةِ والصِّدْقِ ، فقمْتُ وقُلتُ : كم تُراكَ قَدَّرْتَ في نفسِك أَن تقتلَ من أَولياء أَميرِ المؤمنين واحداً بعد واحدٍ ، وتُخالفُ أَمْرَهُ في قائدٍ بعْدَ قائدٍ ؟ قد حملتُ إليك هذه الرسالةَ عن أَميرِ المؤمنين ، فهاتِ الجوابَ !

---

٤٥٨ الأغاني ٢٣ : ٥٠٠ .
٤٥٩ الأغاني ٨ : ٢٤٨–٢٤٩ والفرج بعد الشدة ٦٦–٧٥ ووفيات الأعيان ١ : ٨٢ .

قال : فذلَّ حتى لَصِقَ بالأرضِ ، وبان الاضطرابُ فيه ، فلما رأيْتُ ذلك نهضْتُ إلى أَبي دُلَفَ ، فأخَذْتُ بيدِهِ وقلتُ : أخذْتُه بأمرِ أميرِ المؤمنين ، فقال : لا تفعل يا أبا عبدالله ، فقلتُ : قد فعلتُ . وأخرَجْتُ القاسِمَ فحملتُه على دابَّةٍ ووافيتُ المعتصمَ . فلما بصُرَ بي قال : بك يا أبا عبدالله وَرِيَت زِنادي ، ثم ردَّ عليَّ خبري مع الأفشين حدساً بظنِّه ، فما أخطأ منه حَرْفاً .

٤٦٠ – قال دُكَيْنٌ الراجزُ : امتَدَحْتُ عمرَ بن عبد العزيزِ وهو والي المدينةِ ، فأَمَرَ لي بخمس عشرةَ ناقةً كرائمَ ، وكرهتُ أن أرميَ بهن الفِجاج ، ولم تَطِبْ نَفْسي ببَيْعِهِنّ . فقَدِمَتْ علينا رِفْقَةٌ من مُضرَ ، فسألْتُهم الصحبةَ ، فقالوا : ذاك إليك ونحن نخرجُ الليلةَ ، فأَتَيْتُهُ فودَّعتُهُ وعنده شيخان لا أعرفهُما .

فقال لي : يا دُكَيْن ، إنَّ لي نَفْساً توَّاقَةً ، فإنْ صِرْتُ إلى أكثر ممَّا أنا فيه ، فاتني ذلك الإحسانُ ، فقلتُ : أَشهِد لي بذلك . قال : أُشْهِدُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، قُلت ومِنْ خَلْقِهِ ؟ قال : هذين الشيخين . فأقبلْتُ على أَحدِهما فقلتُ : مَنْ أَنتَ ؟ أَعرِفُك ؟ قال : سالم بن عبدالله بن عُمَر ، فقلتُ له : لقد استسْمَنْتَ الشاهدَ ؛ وقُلتُ للآخَرِ : من أَنْتَ ؟ قال : أَبو يحيى مولى الأمير . فخَرَجتُ إلى بلدي بهن ، فرمى الله فيهم بالبركةِ حتى اعتقدْتُ[1] منهنَّ الإبلَ والعُبْدَ . فإني لبصحراء فَلْج إذا ناعٍ ينعى سليمانَ . قلتُ : من القائمُ بَعْدَه ؟ قال : عمر بن عبد العزيز . ولَقِيَني جريرٌ مُنصرفاً من عنده ، فقلتُ : يا أَبا حَزْرَةَ ، من أين أَقبلْتَ ؟ قال : من عندِ مَنْ يُعطي الفُقراءَ ويمنعُ الشعراءَ ، فانطلقتُ فإذا هو في عَرصةِ الدارِ وقد أَحاط به الناسُ فلم أَخلُصْ إليه [فناديتُ] : [من الرجز]

يا عمرَ الخيراتِ والمكارِمِ   وعمـرَ الدسائـعِ العظائـمِ

---

٤٦٠ الأغاني ٩ : ٢٥٢–٢٥٣ والعقد ٢ : ٨٤–٨٦ .

---

١ اعتقد : اشترى أو اقتنى .

إنّي امرؤٌ من قَطَنِ بن دارمِ   طلبْتُ دَيْني من أخي مكارمِ
إذْ نَنْتجي واللهِ غيرُ نائم   عند أبي يحيى وعند سالمِ

وقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي لهذا البدويّ شهادةٌ عليك ، فقال : أعرفها ، ادْنُ يا دُكَيْن ، أنا كما ذكَرْتُ لك ، إنَّ نَفْسي لم تَنَلْ شَيْئاً إلا تاقَتْ لما هو فوقَه ، وقد نِلْتُ غايةً من الدنيا فنَفْسي تتوقُ إلى الآخرةِ . واللهِ ما رَزَأْتُ من أموالِ الناسِ شيئاً ، ولا عندي إلا ألفا دِرهمٍ فَخُذْ نِصْفَها ، قال : فواللهِ ما رأيْتُ ألفاً كانَتْ أعْظَمَ بركةً منها .

٤٦١ – سَفِهَ مروان بنُ أبي الجنوبِ على عليٍّ بن الجَهْمِ بحضرةِ المتوكِّل وهجاهُ بأشعارٍ سَخيفةٍ باردةٍ فلم يُجِبْهُ ، ثم قال فيما بَعْدُ : [من الوافر]

بلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بلاءٌ   عداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودينِ
يُبيحُكَ منه عِرْضاً لم يَصُنْهُ   ويَرْتَعُ منكَ في عِرْضٍ مَصونِ

٤٦٢ – شاعرٌ : [من الطويل]

تَجافَ عن الأعداءِ بُقْيا فربَّما   كُفيتَ ولم تُجرحْ بنابٍ ولا ظُفْرِ
ولا تَبْرِ منهم كل عودٍ تخافُهُ   فإنَّ الأعادي ينبتون مع الدَّهرِ
إذا أنْتَ أقْنَيْتَ النبيهَ من العِدى   رَمَتْك الليالي عن يدِ الخاملِ الذكْرِ
وهَبْكَ اتَّقَيْتَ السهمَ من حيث يُتَّقى   فكيف بمن يرميك من حيث لا تَدْري

٤٦٣ – العربُ تقول : خِفَّةُ الظَّهْرِ أحدُ اليسارَيْن ، والغُربةُ أحد السباءَين واللبنُ أحدُ اللحمَيْن ، وتَعجيلُ اليأسِ أحدُ اليُسرين ، والشِّعْرُ أحدُ الوَجْهَيْن ، والراويةُ أحَدُ الهاجيَيْن ، والحِمْيَةُ أحدُ الموتَيْن .

---

٤٦١ الأغاني ١٢ : ٧٥ وانظر طبقات ابن المعتز : ٣٩٢–٣٩٣ .
٤٦٢ مجموعة المعاني : ١٥٣ .
٤٦٣ قارن بعيون الأخبار ١ : ٤٧ .

٤٦٤ – أبان اللاحقيُّ : [من الطويل]

ولن تعرفَ النفسُ النعيمَ وعِزَّهُ إذا جَهِلت حالَ المَذَلَّةِ والضُرِّ

نظر إليه أبو تمامٍ فقال : [من الكامل]

والحادثاتُ وإنْ أصابَك بؤسُها فهو الذي أدراكَ كيف نَعيمُها

٤٦٥ – لمّا قُتِل يحيى بنُ زيد بنِ عليٍّ حُمِل رأسُه إلى الوليد بن يزيد ، فأمَرَ به فوُضِع في حِجْرِ أُمِّه رَيْطَةَ بنتِ أبي هاشمٍ عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب . فلما قُتِل مروان بن محمد أُتِيَ عبدُ الله بن عليٍّ برأسِهِ ، فدعا بأبنتِهِ أُمِّ مروان فألقى الرأسَ في حِجرِها ، وقال لها : هل تعرفين هذا ؟ قالت : نعم ، هذا رأسُ أميرِ المؤمنين . فقال : هذا جَزاءُ ما فعلتُم بيحيى بن زيدٍ لمّا أُتيَ الوليدُ برأسِهُ ، أمَرَ به فأُلْقِيَ في حجرِ أُمِّه ، فهذه بتيكَ .

ولم يَزَلْ يحيى مصلوباً حتى خرج أبو مسلمٍ فأمرَ به فَصُلِّي عليه ودُفِنَ ، وأمَرَ بالنياحةِ والبكاءِ عليه سبعةَ أيامٍ بمَرْوَ . وكان أصْلُ السوادِ أنّ أبا مُسْلمٍ أمَرَ بتسويدِ الثيابِ للمُصيبةِ . وجعل أبو مسلمٍ يتتبَّعُ قَتَلةَ يحيى فيقتلهم .

٤٦٦ – قال داود بن رُشَيْد : حدَّثني أبي ، قال : دعاني المنصورُ وقد كَرَبَهُ أمْرُ ابراهيم بن عبدالله بن الحسنِ ، فقال لي : يا رُشَيْد ، أعِدَّ لي ألفَ غُلامٍ من نُجُبِ غِلْماني وألفَ فَرَسٍ من نُجُبِ خيْلي ، وألْفَ خَريطةٍ من مالي ، وأْتِني في وقتِ كذا من الليلِ ، وهو يُريدُ أن يتوجَّه إلى خُراسان .

قال : ففعلتُ ما أمرني ، وأتيْتُهُ فوجدتُهُ عليه ثيابُه وهو على كرسيٍّ ، فقال لي : ما

---

٤٦٤ بيت أبي تمام في ديوانه (عطية) : ٢٧٤ .

٤٦٥ في خبر خروج يحيى بن زيد وقتله انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٢٨ وما بعدها ومروج الذهب ٤ : ٤٩–٥٠ ومقاتل الطالبيين ١٥٢–١٥٨ .

٤٦٦ في أخبار خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن انظر تاريخ الطبري ٧ : ٥٣١ وما بعدها ونهاية الأرب ٢٥ : ٥٢ وما بعدها ومقاتل الطالبيين ٣١٥ وما بعدها .

صنَعْتَ يا رُشَيْدُ ؟ فقلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، هذه الخيلُ والغُلْمانُ والأَموالُ بالباب . قال : فقام ، وقَدَّمْتُ إليه فرسَه ليركبَ وأخذتُ له بالرِّكابِ ، فوضع رجلَهُ في الرِّكابِ وأَخذ بمعرفة الفرسِ ومؤخَّرِ السَّرْجِ ليتحاملَ للركوبِ . قال : ثم سمعته يقولُ : فأَيْنَ تلاعبُ صبيانِنا ؟ قال : ثم أَخْرَجَ رِجْلَهُ من الرِّكابِ وعادَ فجلس وقال : يا رُشَيْدُ ، حُطَّ . قال : ففعلتُ ، وأَتاه الخبرُ أَنَّ ابراهيمَ قد قُتِل .

٤٦٧ – قال ابنُ الكلبيِّ : قالت عجوزٌ من العربِ لبناتٍ لها ثلاثٍ : صِفْنَ ما تُحبِبْنَ من الأَزواجِ . قالت الكبرى : أُريدُهُ أَرْوَعَ بَسَّاماً ، أَحذَّ مِجْذاماً ، سيِّدَ ناديه ، وثِمالَ عافِيه ، ومُحْسِبَ راجيه ، فناؤه رَحْبٌ ، وقيادُهُ صعب .

الأَحذّ : الخفيفُ السريع ، والمِجْذَامُ : مِفْعالٌ من الجَذْمِ وهو القَطْعُ ، تريدُ أَنَّه قَطَّاعٌ للأُمورِ .

وقالت الأُخرى : أُريدُهُ عاليَ السَّناء[1] مُصمِّمَ المضاء ، عظيمَ نارٍ ، مُتَمِّمَ أَيْسارٍ[2] ، يُفيدُ ويُبيدُ ، ويُبْدِىء ويُعيد ، في الأَهلِ صبيٌّ ، وفي الجيشِ كَمِيٌّ ، تستعبدُه الحليلةُ ، وتُسوِّدُهُ الفضيلة .

وقالت الصغرى : أُريدُهُ بازِلَ عام[3] ، كالمُهنَّدِ الصَّمصام ، قِرانُه حُبور ، ولقاؤهُ سرور ، إنْ ضَمَّ قَضْقَض ، وإن دَسَرَ[4] أَغْمَضَ ، وإن أَخَلَّ أَحمَضَ[5] .

قالت أُمُّها : فُضَّ فوك ! لقد فَرَرْتِ [لي] شِرَّةَ الشبابِ جَذَعَةً[6] .

---

٤٦٧ أمالي القالي ١ : ١٦ .

---

١ السناء : الشرف .
٢ أيسار : جمع يسر وهو الذي يشارك في الميسر .
٣ بازل عام : تام الشباب كالبعير اذا اشتد عوده .
٤ دسر : طعن .
٥ الإحماض : المفاكهة .
٦ فررت شرة الشباب جذعة : أعدت حدة الشباب عوداً على بدء .

٤٦٨ – قيل لكُثَيِّر : ما لك لا تقولُ الشعرَ ، أأجْبَلْتَ ؟ [قال] : والله ما كان ذاك ؛ ولكن فَقَدْتُ الشبابَ فما أطربُ ، ورُزِئْتُ عَزَّةَ فما أنْسِبُ ، ومات ابن ليلى فما أرْغَبُ – يعني عبدَ العزيز بنَ مروان .

٤٦٩ – قال عبدالله بن عليٍّ بعد قتلِهِ مَنْ قَتَل من بني أُميَّةَ لاسماعيل بن عمرو ابن سعيد بن العاص : أساءك ما فعلتُ بأصحابك ؟ فقال : كانوا يداً فقطعْتَها ، وعَضداً ففتَتَّها ، ومِرَّةً فَنَقَضْتَها ، ورُكناً فهدمْتَهُ ، وجناحاً فهِضْتَه ؛ فقال : إني لخليقٌ أن أُلحقَك بهم ، قال : إنِّي إذاً لسعيدٌ .

٤٧٠ – كتب الحسنُ بنُ سهلٍ إلى محمد بن سَماعةَ القاضي : أما بَعْدُ ، فإني احتَجْتُ لبعضِ أموري إلى رجلٍ جامعٍ لِخِصالِ [الخير] ، ذي عِفَّةٍ ونزاهةٍ ، قد هذَّبَتْهُ الآداب ، وأحكمَتْهُ التجارب ، ليس بظنينٍ في رأْيِهِ ، ولابمَطعونٍ في حَسَبه ؛ إن اؤتُمِنَ على الأسرار قامَ بها ، وإن قُلِّد مُهمّاً من الأمرِ أجْزأَ فيه ؛ له سِنٌّ مع أدَبٍ ولسانٌ تُقعدُهُ الرَّزانَةُ ويُسْكِتُه الحِلْمُ ؛ قد فُرَّ عن ذكاءٍ وفِطْنَةٍ ، وعضَّ على قارحةٍ من الكمالِ ؛ تكفيه اللحظةُ ، وتُرشدُهُ السَّكْتَةُ ؛ قد أبْصَرَ خَدمةَ الملوك وأحكَمها ، وقام بأُمورِهم فَحُمِد فيها ؛ له أناةُ الوزراءِ ، وصوْلَةُ الأُمراء ، وتواضعُ العلماء ، وفَهْمُ الفقهاء ، وجوابُ الحكماء ؛ لا يَبيعُ نَصيبَ يومِهِ بحِرمانِ غَدِه ، يكادُ يَسْتَرِقُ قُلوبَ الرِّجالِ بحلاوةِ لسانِهِ ، وحُسْنِ بيانِهِ ؛ دلائلُ الفَضْلِ عليه لائحة ، وأماراتُ العِلْمِ له شاهدِة ؛ مضطلعاً بما استُنْهِض ، مُسْتَقِلاً بما حُمِّلَ ؛ وقد آثَرْتُك بطلبه ، وحَبَوْتُك بارتياده ، ثِقَةً بفَضْلِ اختيارِك ، ومعرفةً بحُسْنِ تأَتِّيكَ .

فكتب إليه :

إني عازمٌ أنْ أرْغَبَ إلى الله حَوْلاً كامِلاً في ارتيادِ مثلِ هذه الصفةِ ، وأُفرِّقَ

---

٤٦٨ العقد ٥ : ٣٢٦ وفيه : فقدت الشباب فما أعجب ، وماتت عزة فما أطرب .

٤٦٩ أمالي القالي ١ : ٢٦٩ .

٤٧٠ أمالي القالي ١ : ٢٤٩ .

الرُّسُلَ الثِّقاتِ في الآفاقِ لالتماسِهِ ، وأَرجو أَن يَمُنَّ الله بالإجابةِ فأَفوزَ لديكَ بقضاءِ حاجتِك ، والسلام .

٤٧١ – قال معاويةُ لصعصعةَ بنِ صَوْحان : صِف لي الناسَ ، فقال : خُلِقَ الناسُ أَخْيافاً : فطائفةٌ للعبادةِ ، وطائفةٌ للتجارةِ ، وطائفةٌ خطباء ، وطائفةٌ للبأسِ والنَّجْدَةِ ، ورجْرِجَةٌ فيما بين ذلك يُكَدِّرون الماءَ ويُغْلون السِّعْرَ [ويضيّقون الطريق] .

الرِّجْرِجَةُ : شِرارُ الناسِ ورُذالُهم . وأَصْلُ الرِّجْرِجةِ : الماءُ الذي قد خالطه كَدَرٌ ، وجَمْعُهُ رَجارِج .

٤٧٢ – دخل الأَحنفُ على معاويةَ ويَزيدُ بين يَدَيْهِ ، وهو ينظُرُ إليه إعجاباً به ، فقال : يا أَبا بَحْرٍ ، ما تقولُ في الولدِ ؟ فعلِمَ ما أَرادَ ، فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، هم عِمادُ ظُهورنا ، وثَمَرُ قلوبِنا وقُرَّةُ أَعيُنِنا ، بهم نَصولُ على أَعدائِنا ، وهم الخلَفُ منَّا لمن بَعْدَنا ، فكُنْ لهم أَرضاً ذليلة ، وسماءً ظليلة ؛ إنْ سأَلوك فأَعْطِهِم ، وإن استعتبوك فأَعتِبْهم ، لا تَمنعْهُم رِفْدَكَ فيملُّوا قُرْبَك ، ويكرهوا حياتَك ، ويستطيلوا أَوقاتَك . فقال : لله دَرُّك يا أَبا بَحْرٍ ! هُم كما وَصَفْتَ .

٤٧٣ – قال [إبراهيم] بن التوأَم : الروح عِمادُ البَدَنِ ، والعِلْمُ عمادُ الروحِ ، والبيانُ عمادُ العِلْمِ .

٤٧٤ – قال بعضُ علماءِ المنطِقِ : الكلام عِيارٌ على كلِّ صناعة ، وزِمامٌ على كلِّ عبارة ، وقسطاسٌ يُعرفُ به الفضلُ والرُّجحانُ ، وميزانٌ تُحَرَّجُ به الزيادة والنقصان ، وكِيرٌ يُمَيَّزُ به الخالصُ والشَّوْبُ ، ويُعرفُ به العَيْنُ والإبريز ، وراووقٌ يُعرفُ به الصَّفْوُ والكَدَرُ ، وسُلَّمٌ يرتقى به إلى معرفةِ الكبير والصغير ، ويُوصَلُ معه إلى الخطير والحقير ، وأَداةٌ للتفصيل والتحصيلِ ، وإدراكِ الدقيقِ

---

٤٧١ أمالي القالي ١ : ٢٥٧ .

٤٧٢ أمالي القالي ٢ : ٤١ وعيون الأخبار ٣ : ٩٢ والمستطرف ٢ : ١٠-١١ .

والجليل ، وآلةٌ لإظهارِ الغامضِ والمُشتَبه ، وكَشْفِ الخَفيِّ والملتَبس ، وأدلّةٌ للتفضيل بين الحُجَّةِ والشُّبهةِ ، والجماعةِ والفُرْقةِ ، والشذوذِ والاستفاضة ، والحَظْرِ والإباحة ، والردِّ والمعارضة ، وبه يُعرفُ الشكلُ والضِّدُّ ، والعَدْلُ والقَصْدُ ، ويتغلغل في الأُمورِ الخَفيَّةِ ، ويُتوصَّلُ إلى المعاني العقلية ، ويُتوغَّلُ إلى حقائقِ الأَشياء ومعاني الأَسماء .

٤٧٥ – قال الخليلُ بن أَحمد : يُكثَّرُ الكلامُ لِيُفْهَمَ ، ويُقَلَّلُ ليُحْفَظَ . وقد قال الشاعرُ في هذا المعنى : [من الكامل]

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطِّوالِ وتارةً وَحْيَ الملاحظِ خِيفةَ الرُّقباء

وقال آخرُ : [من الكامل]

يكْفي قليلُ كلامِهِ وكثيرُهُ ثَبْتٌ إذا طال النِّضالُ مصيبُ

٤٧٦ – قال عبد الرحمن بن السائب الأَنصاريُّ : جمع زيادٌ أَهْلَ الكوفةِ ليعرضَهم على البَراءةِ من عليٍّ عليه السلامُ والشَّتْمِ له ، فملأَ الرحبَةَ والمسجدَ والقَصْرَ . قال : فأَغْفَيْتُ إغْفاءةً فرأَيْتُ شَبَحاً له عُنُقٌ مِثل عُنُقِ البعير أَهْدَلَ أَهْدَبَ ، فقلتُ : ما أَنْتَ ؟ قال : النَّقَّادُ ذو الرَّقَبة ، بُعِثْتُ إلى صاحبِ القَصْرِ . فانتبهتُ فَزِعاً فقلتُ لأَصحابي : هل رأَيتُم ما رأَيْتُ ؟ قالوا : ما رأَيْنا شيئاً ، فلم يكن بأَسْرَعَ من أَنْ خَرَجَ علينا خارجٌ من القَصْرِ فقال : أَيُّها الناسُ ، انصرفوا فإنَّ الأَميرَ في شُغْلٍ اليومَ . وإذا هو قد فُلِجَ . فقال عبد الرحمن بن السائب : [من البسيط]

ما كان مُنْتَهِياً عمّا أراد بنا حتى تناولَه النَّقَّادُ ذو الرَّقَبَه

فأَسْقَطَ الشِّقَّ منه ضَرْبَةٌ ثَبَتَتْ كما تناول ظُلْماً صاحبَ الرَّحَبَه

وبَلَغَ الحسنَ بنَ عليٍّ عليهما السلام ما كان يصنعُ بشيعةِ عليٍّ ، فقال : اللهم تَفَرَّد

---

٤٧٥ البيتان في البيان والتبيين الأول لأبي دوّاد بن حَريز الإيادي ١ : ٤٤ ، ١٥٥ وهو أيضاً في العقد ٤ : ٥٥ والثاني لأبي وجزة السعدي ١ : ١٤٩ .

٤٧٦ مروج الذهب ٥ : ٦٧ وانظر أنساب الأشراف ٤ (١) : ٢٧٥ وفيه تخريج كثير .

بمَوْتِهِ ، فإنَّ في القَتْلِ كفَّارةً .

٤٧٧ – وُلِدَ حكيمُ بنُ حِزام بن خُوَيْلد بن أَسَد في الكعبةِ ؛ دَخَلَتْها أُمُّه فاختِةُ بنتُ زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العُزَّى وهي حاملٌ ، فضربها المخاضُ وهي في الكعبةِ فولدَتْهُ فيها ، فحُمِلت في نِطْعٍ ، وغُسِلِ ما كان تَحْتَها من الثيابِ عند حَوْضِ زمزم ، ولم يُولَد قَبْلَه ولا بَعْدَهُ في الكعبةِ أَحَدٌ .

٤٧٨ – رُوِي أَنَّ عبدالله بن عباسٍ قال : رأَيْتُ رسولَ الله ﷺ فيما يَرى النائمُ نِصْفَ النهارِ أَشْعَثَ أَغْبَرَ في يدِهِ قارورةٌ فيها دَمٌ ، فقلتُ : بأبي أَنْتَ يا رسولَ الله ، ما هذا ؟ قال : هذا دمُ الحسين وأَصحابِهِ لم أَزَلْ أَتلقَّطُهُ منذُ اليوم ، قال : فأحصَوْا ذلك اليومَ فوجدوه قد قُتِلَ فيه .

٤٧٩ – وقال سُليمٌ القاصُّ : لما قُتِل الحسينُ بنُ عليٍّ مَطَرت السماءُ دَماً عبيطاً .

٤٨٠ – وقال ابن شهابٍ : لمّا قُتِل لم يُرْفَع بالشام حَجَرٌ إلا وُجد تَحْتَه دمٌ عبيطٌ .

٤٨١ – وقال الأعمشُ : خَرِيَ رجلٌ على قَبْرِ الحسينِ ، فجُنَّ فمات ، فَسُمِع صوتُه يصيحُ في القَبْرِ كنُباحِ الكَلْبِ .

٤٨٢ – وقال أَبو رجاء العطاردي : كان لنا جارٌ ، فلما قُتِل الحسينُ قال : قُتِل الفاسقُ ، فرماه الله تبارك وتعالى بكوكبين في عَيْنَيْه فطُمِستا .

٤٨٣ – لمّا بعث يزيدُ بنُ معاوية مسلمَ بنَ عُقبة المُرِّي إلى المدينة أَباحَها وفيها أَصحابُ رسولِ الله ﷺ وبَقِيَّتُه ، وبها أُمُّ سَلَمَةَ وميمونةُ زوجتا النبيِّ ﷺ .

٤٨٤ – قال أَبو ميمون العَبْدي : رأَيْتُ أَبا سعيد الخُدريَّ مُمَعَّطَ اللحيةِ ،

---

٤٧٧ أسد الغابة ٢ : ٤٠ وسير الذهبي ٣ : ٤٤–٥١ .

٤٨٣ انظر تاريخ الطبري ٣ : ٣٥٢–٣٥٩ ومروج الذهب ٣ : ٢٦٧–٢٦٩ .

٤٨٤ في تاريخ الطبري ٣ : ٣٥٧ أن أبا سعيد الخدري دخل غاراً وشهر سيفه فتراجع عنه الشامي لما عرف أنه صحابي .

فقلتُ له : أَتَعْبَثُ بلحيتك ؟ قال : لا ، ولكن هذا ما لقيتُ من ظَلَمةِ أَهْلِ الشام ؛ دخلوا عليَّ زَمانَ الحَرَّةِ فأَخذوا ما كان في البيت ثم خَرَجوا ، ثم دخلت طائفةٌ أُخرى فأَخذوا ما كان في [البيت من حليةٍ] أو مَتاعٍ ثم خَرَجوا ، ثم دَخَلَتْ طائفةٌ أُخرى فلم يُصيبوا في البيت شيئاً ، فأَسِفوا أَن يخرجوا فأَضْجعوا الشَّيْخَ وأَخَذَ كلُّ واحدٍ خَصْلَةً من لحيتي ، فأَنا أَتركُها حتى أُوافيَ بها ربَّ العالمين .

٤٨٥ – وجاء عمرو بن عثمان بن عفّان بيزيد بن عبدالله بن زَمْعَةَ ، وجَدَّتُه أُمُّ سَلَمَةَ زوجُ النبيِّ ﷺ وعلى آلِهِ وأَصحابهِ ، وكان عمرو بن عثمان قال لأُمِّ سَلَمَةَ : أَرْسلي معي ابن ابنتِك ولكِ عهدُ الله وميثاقُه أَن أَرُدَّهُ عليكِ كما أَخذتُهُ منْكِ . فجاء به إلى مسلم بن عُقْبَةَ ، فجلس على طرفِ سريرِهِ ، فلما تقدَّم يزيدُ بن عبدِ الله ، قال : بايع لعبدِالله يزيدَ أَمير المؤمنين على أَنكم خَوَلُهُ ممَّا أَفاء الله عليه بأَسيافِ المسلمين ، إن شاءَ وهبَ ، وإن شاءَ أَعْتَقَ ، وإنْ شاءَ استَرَقَّ . قال له يزيدُ : والله لأَنا أَقْرَبُ إلى أَميرِ المؤمنين منك ، قال : والله لا تستقيلُها أَبداً . فقال له عمرو بن عثمان : أَنشدُكَ الله ، فإِني أَخذتُهُ من أُمِّ سلمةَ بعَهْدِ الله وميثاقه أَن أَرُدَّه إليها . قال : فركَضَه برجلِهِ فرمى به من فوق السريرِ وقال : والله لو قُلْتَها ما أَقَلْتُكَ حتى أَضرِبَ الذي فيه عيناك . فقتل يزيدَ بن عبدالله .

٤٨٦ – قال سعيد بن المسيَّب : مكثْتُ ثلاثةَ أَيامٍ في زمنِ يزيد بن معاويةَ أُصلِّي في المسجدِ لا يُصَلِّي معي داعٍ ولا مُجيبٌ ؛ إنَّ أَهْلَ الشامِ لا يتركون أَحداً بلغ الحلمَ إلا ضربوا عُنُقَه ، وإنَّهم يلقونني مُقْبِلاً ومدبِراً لا يسأَلونني عن شيءٍ ، إذا كان وَقْتُ الصلاةِ سمعتُ داعياً يخرجُ اليَّ من بيتِ النبيِّ ﷺ ، فأَعرفُ أَنَّه وقتُ الصلاةِ ، فأَقومُ فأُؤَذِّنُ وأُصلِّي .

---

٤٨٥ انظر تاريخ الطبري ٣ : ٣٥٧ .
٤٨٦ ربيع الأبرار ١ : ٩٩ .

٤٨٧ – روى أبو سعيدٍ عن النبيِّ عليه الصلاة والسلامُ أنَّه قال: إذا بلغ بنو الحكمِ ثلاثين اتخذوا دينَ الله دَخَلاً، وعبادَ الله خَوَلاً، ومالَ الله دُوَلاً.

٤٨٨ – وروى أبو هريرة قال: أصبح النبيُّ ﷺ وهو كالمُغْضَبِ فقال: رأيْتُ بني أبي العاصِ يَنْزُون على منبري هذا نَزْوَ القِرَدةِ، قال: فما رُئي رسولُ الله ﷺ مجْتَمِعاً ضاحكاً حتى مات صلَّى الله عليه.

٤٨٩ – وروى الحسنُ أنّ عليّاً عليه السلامُ كان على المنبرِ فقال: اللهم إنِّي ائتمنْتُهم فخانوني، ونصحتُهم فغَشُّوني، اللهمَّ فسلِّط عليهم غُلامَ ثقيف يحكمُ في دمائِهم وأموالِهم حُكمَ الجاهليةِ، قال: فوصف الحجاجَ والله وهو يقول: الذيال الميَّالُ، يحفرُ الأنهارَ، يأكلُ خُضْرَتَها، ويلبسُ فَرْوَتَها.

٤٩٠ – قال عبد الملك بن مروان: كنتُ أنا وعبدُ الله بن عمَر، وعروةُ بن الزبير [ومصعب بن الزبير][1] يوماً جُلوساً بفِناءِ الكعبةِ، فقُلْنا: هلمُّوا يتمنَّى كلُ واحدٍ منَّا ما يُحبُّ، فقال عروةُ بن الزبير: أتمنَّى على الله الفِقْهَ، وأن يُحملَ عني الحديثُ.

وقال مصعبٌ: أتمنَّى ولايةَ العِراقَيْن وأن أتزوَّجَ عائشةَ بنت طلحة وسكينةَ بنت الحسينِ. وقلتُ أنا: أتمنَّى على الله الخِلافَةَ. وسكَتَ ابن عُمَرَ. فقُلنا له: تَمَنَّ، قال: أتمنَّى على الله الجَنَّةَ.

فَمَا مِنَّا إلا مَنْ بلغ أُمنِيَتَه في دنياهُ، ولا أشكُّ في أنَّ ابنَ عمَر قد نالَ ما تمنَّى.

٤٩١ – لمَّا خَرَج محمد بنُ عبدالله بنِ الحسنِ جاءَ الخبرُ إلى المنصورِ وهو

---

٤٨٧ مسند أحمد ٣: ٨٠ وشمائل الرسول لابن كثير: ٤٦٨.
٤٨٨ شمائل الرسول: ٤٧٠–٤٧١.
٤٨٩ نهاية الأرب ٢١: ٣٣٤.
٤٩٠ انظر عيون الأخبار ١: ٢٥٨ والخبر فيه بضمير المتكلم على لسان عبد الملك.
٤٩١ تاريخ الطبري ٣: ٤٢٩–٤٣٠.

---

[1] زيادة يقتضيها سياق الخبر وما جاء في عيون الأخبار.

ببغدادَ في المضاربِ وقد بدأ بُنيانَها في جُمادى الآخرةِ سنةَ خَمْسٍ وأربعين ومائة ، وعمُّه عبد الله بنُ عليٍّ محبوسٌ عنده ، فَعَظُمَ عليه خُروجُه . فأرسَلَ إلى عمِّه بقَوْمٍ من أَهْلِهِ يستشيرُهُ ، وكان عبدالله بنُ عليٍّ ذا رَأْيٍ في الحَرْبِ ، فقال : إنَّ المحبوسَ محبوسُ الرأيِ ، فأَخْرِجوني يخرُجْ رأْيِي . فأَرسَلَ إليه أبو جعفرٍ : لو جاءَني محمد بنُ عبدالله يضربُ عليَّ بابي ما أَخرجتُكَ وأَنا خَيْرٌ لك منه .

فأَرسل إليه عبدُ الله : ارتَحِل الساعةَ حتى تأتي الكوفةَ ، واجْثُم على أَكبادِ أهلِها ، فإنَّهم شيعةُ أَهلِ هذا البيتِ وأَنصارُهم ، ثم احفُفْها بالمسالحِ ، فمن خرَجَ منها إلى وجْهٍ من الوجوه فاضرِبْ عنقَه ، وابعث إلى سَلْم بن قُتَيْبَةَ ، وكان بالرَّيِّ ، فينحدرَ إليك واكتُب إلى أَهلِ الشامِ ومُرْهُم أَن يحملوا إليك أَهْلَ البأسِ والنجدةِ على البريدِ ، وابعَثْهُم مع سَلْمٍ ، وأَحسِن جوائِزَهم . ففعل ما أَشارَ به .

٤٩٢ – ولمّا سار إلى الكوفةِ وجَّه عيسى بنَ موسى لمحاربةِ محمدٍ ، وعَهِدَ إليه فقال : إذا صِرْتَ إنْ شاءَ الله إلى المدينةِ ، فادعُ محمدَ بنَ عبدالله إلى الطاعةِ والدخولِ في الجماعةِ ، فإنْ أَجابَك فاقبَلْ منه ، وإنْ هربَ منك ، فلا تتبعْهُ ، وإنْ أَبى إلا الحربَ والمناجزَةَ ، فناجزْهُ واستَعِنْ بالله عليه ، وإذا ظفرْتَ به ، فلا تُخيفَنَّ أَهْلَ المدينةِ ، وعُمَّهُم بالعَفْوِ ، فإنَّهم الأَصلُ والعشيرةُ وذرِّيَّةُ المهاجرين والأَنصار ، وجيرانُ قبرِ رسولِ الله ﷺ . هذه وصيَّتي إيّاك ، لا كما أُوصى يزيدُ اللعينُ مسلمَ بنَ عقبةَ حين وجَّهه إلى المدينةِ ؛ فإنَّه أَمرهُ أَن يقتلَ مَنْ ظفرَ به ما بين ثَنِيَّةِ الوَداعِ إلى بني عمرو بن مَبْذولٍ كلَّ من أنبت ويُبيحَها ثلاثةَ أَيّامٍ ؛ ففعل مسلمٌ ذلك ، وبلغ يزيدَ فعلُه ، فتمثَّل بشِعرِ ابن الزِّبَعْرى في يوم أُحُدٍ ، فَخَرَ المشركون على المسلمين يقول : [من الرمل]

ليت أَشياخي ببدرٍ شَهدوا　　　جَزَعَ الخزرجِ من وقع الأَسَلْ[١]

١　البيتان لابن الزبعرى انظر سيرة ابن هشام ٣ : ١٣٧ .

حين حكَّت بقُباءٍ بَرْكَها   واستحرَّ القَتْلُ في عَبْدِ الأَشَلْ

وأَميرُ المؤمنين يعوذُ باللهِ أَن يبتليَـهُ بغَشْمِ رعيَّتِه وسَفْكِ دمائِهم ، ويسأَلُه أَن يُلهمه الرأفةَ بهم ، والرحمةَ لهم ، والعطفَ عليهم ، إِنَّه سميعٌ قريبٌ . ثم سِرْ إِلى مكَّةَ ، فاعفُ عنهم واصفَح ، فإِنَّهم أَهلُ [بيت] الله وجيرانُه ، وسكَّانُ حرمِهِ وأَمْنِهِ ، وأَهلُ الأَصلِ ومنبتُ الفرعِ والعشيرة ، وعظِّم البيتَ والحَرَمَ ، ولا تُلحدْ فيه بظُلْمٍ ، فإِنَّه حَرَمُ اللهِ الذي بعث منه نبيَّه ﷺ ، وشَرُفَ به آباؤُنا ، فبتشريفِ اللهِ آباءَنا شَرَّفَنْا العربُ .

هذه وصيَتي إِليك لا كما وصَّى أَبو ذُبابٍ خنُّورَ بنَ خنورٍ حين وجَّهه إِلى مكَّة ، فإِنَّه أَمرهُ أَن يقتلَ كلَّ مُحتلمٍ ما بين المعلاةِ والمسفلةِ ، ويضعَ المجانيقَ على الكعبةِ ، ويُلحِدَ ويظلم في الحرمِ ، ففعلَ الحجَّاجُ ذلك ، وبلغ الخبرُ عبدَ الملكِ ، فتمثَّل قولَ عمرو بن كلثوم : [من الوافر]

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحدٌ علينا   فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا
لنا الدنيا ومَنْ أَضحى عليها   ونبطشُ حين نبطُشُ قادِرينا

وقُتِل محمد بن عبدالله للنصفِ من شهرِ رمضان ، وخَرَج إِبراهيم [بن عبدالله] ابن الحسنِ أَخوه غُرَّةَ شهرِ رمضان قبلَ قتلِ محمدٍ بخمسةَ عشرَ يوماً بالبصرةِ ، وعظُمَ أَمرُهُ ، فكان في سبعين أَلفاً ، وغلب على الأَهوازِ وفارسَ وواسط .

٤٩٣ – ويُقال : إِنَّ المنصورَ لم يكن [ينام] أَيامَ حربِهِ ابني عبدالله بن الحسن ، وأَنه جلس على مُصلًّى خمسين ليلةً ينامُ عليه ويجلسُ عليه ، وعليه جُبَّةٌ قد اتَّسخَ جيبُها ، وليس تحتها شيءٌ ، فما نزعَها حتى فُتِح عليه . وأَتتْهُ قَيِّمةُ نسائه في تلك الأَيام بامرأَتين أُهْدِيَتا إِليه من المدينةِ : فاطمة ابنة محمد بن محمد بن عيسى بن طلحة بن عُبيدالله ، وأَمَةُ الكريمِ ابنةُ عبدالله من ولد خالد

---

٤٩٣ تاريخ الطبري ٤ : ٤٧١–٤٧٢ .

بن أُسيد[1] ، وكان القادمُ بهما إسحاق بنَ الأزرقِ ، فلم ينظُر إليهما . فقالت له : يا أميرَ المؤمنين ، قد خبت نفوسُهما وساءتْ ظنونُهما لما ظهرَ مِن جَفائكَ . فانتهرها وقال : ليست هذه الأيامُ من أيَّامِ النساء ، لا سبيل إليهما حتى أَعْلَمَ : رأسي لإبراهيم ، أمْ رأسُ إبراهيم لي !

٤٩٤ – ولمّا أُتيَ المنصورُ برأسِ إبراهيم ، وضعه بين يدَيْهِ وجلس مَجْلِساً عامّاً ، فكان الرجلُ يدخُل ، يسلّمُ ويُسيءُ القولَ لإبراهيم ويتناولُه بالكلامِ القَبيحِ طلباً لرِضا المنصورِ ، وهو مُطرِقٌ مُمسِكٌ مُتغيِّر الوجهِ ، حتى دخل عليه جعفرُ بنُ حنظلةَ البَهْرانيُّ ، فوقَفَ وسلَّم ثم قال : أعظمَ اللهُ أجرَكَ يا أميرَ المؤمنين في ابنِ عمِّكَ ، وغَفَر له ما فرَّط فيه من حقِّكَ ، فأسْفَرَ لونُ أبي جعفرٍ وأقبلَ عليه فقال : أبا خالدٍ ، ههُنا ، مَرحباً وأهلاً ، فعَلِمَ أنَّ ذلك قد أرضاه فقالوا مثلَ ما قال جعفرُ بن حنظلة .

٤٩٥ – الأفوه الأودي : [من البسيط]

فينا معاشِرُ لم يَبْنُوا لقومهمُ	وإن بنى قومُهم ما أفْسدوا عادوا
لا يَرْشُدون ولم يرعَوْا لمُرشدِهم	والجهلُ منهم معاً والغَيُّ ميعادُ
أضحَوْا كقيلِ ابن عمروٍ في عشيرتِهِ	إذْ أُهلِكَتْ بالذي أَسْدى لها عادُ

ويُروى : كانوا كمِثْلِ لُقَيْم في عشيرته .

أو بَعْدَه كقُدارٍ حين تابَعَهُ	على الغوايةِ أقوامٌ فقد بادوا
والبيتُ لا يُبْتنى إلا له عَمَدٌ	ولا عِمادَ إذا لمْ تُرْسَ أوتادُ

---

٤٩٤ تاريخ الطبري ٤ : ٤٧٧–٤٧٨ .
٤٩٥ الطرائف الأدبية ٩–١٠ .

---

[1] الطبري : أسد .

فإن تجمَّع أوتادٌ وأَعمِدَةٌ ... وساكنٌ بلغوا الأَمْرَ الذي كادوا
لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سَراةَ لهم ... ولا سَراةَ إذا جُهَّالُهم سادوا
تُهدى الأمورُ بأهلِ الرأي ما صلَحَتْ ... فإنْ تولَّت فبالأَشرارِ تَنْقادُ
إذا تولَّى سراةُ القَوْمِ أَمْرَهُمُ ... نما على ذاكَ أَمْرُ القوم فازدادوا
أمارةُ الغيِّ أن تَلقى الجميعَ لدى الـ ... إبرامِ للأمرِ والأذنابُ أَكْتادُ
حان الرحيلُ إلى قَوْمٍ وإن بَعُدوا ... فيهم صلاحٌ لمُرتادٍ وإرشادُ
فَسَوْفَ أَجْعَلُ بُعْدَ الأَرضِ دونكُمُ ... وإنْ دَنَتْ رَحِمٌ منكم وميلادُ
إنَّ النّجاءَ إذا ما كنتَ في نَفَرٍ ... مِنْ أَجَّةِ الغَيِّ إبْعادٌ فإبْعادُ
والخيرُ تزدادُ منه ما لقيتَ به ... والشرُّ يكفيك منه قلَّ ما زادُ

٤٩٦ – قال صالحُ بن عليٍّ الهاشميُّ : حضَرْتُ مجلسَ المُهْتدي وهو ينظرُ في المظالمِ ، فجعلتُ أَنْظُرُ إلى المُتَظَلِّمين ، القويِّ والضعيفِ ، والشريفِ والوضيعِ ، منهم ما تُقرأُ قصَّتُه عليه حتى تُسْتوفى ثم يأمرُ بالتوقيعِ فيها بما يرى ، لا يَعْدِلُ عن الحقِّ والإنصافِ ، وما فيه للمُتظَلِّمِ المَقْنَعُ وزيادةٌ ؛ فيُنشأُ الكتابُ على التوقيعِ من ساعتِهِ ، ويُحرَّرُ ويُعلَّمُ عليه ، ويُرَدُّ إليه فيَخْتِمه ، ويُدفَعُ إلى صاحبِهِ . فأعجبني ذلك جدّاً ، ورأيتُ شيئاً حَسَناً لم أَرَهُ قَبْلَهُ . وجعلتُ أَنْظُرُ إليه ، ففَطِنَ لذلك ونَظَرَ إليَّ ، ثم صرفَ بَصَرَهُ عنِّي ، فنَظَرْتُ ، فَنَظَرَ ، حتى كان ذلك ثلاثَ مرّاتٍ . ثم قال لي : يا صالحُ ، فقُمْتُ وقلتُ : لبَّيْك يا أَميرَ المؤمنين ، قال : ادْنُ ، فدنَوْتُ ، فقال : في نَفْسِكَ منَّا شيءٌ تُحِبُّ أَن تقولَه ؟ قلتُ : نعم يا أَميرَ المؤمنين ، قال : اجلِسْ ، فَجَلَسْتُ في موضعي إلى أَن قامَ عن مجلسِهِ وقال لي : لا تَبْرَحِ صالحُ بن عليٍّ . ودخل فأبطأَ عليَّ الإذْنُ ، ثم أَذِنَ لي ، فدخلتُ فوجدتُهُ على حصيرِ مصلاه ، فدعَوْتُ له . فقال : اجلِسْ ، فجلستُ . فقال : يا صالحُ ، تقولُ ما دارَ في نَفْسِكَ أو

---

٤٩٦ مروج الذهب ٥ : ٩٩–١٠١ .

أقولُه أنا لك ؟ قلتُ : ما رآه أميرُ المؤمنين . قال : كأني بك وقد استَحْسَنْتَ ما رأيْتَ من أمرنا في العامةِ فقُلْتَ في نَفْسِك : أيُّ خليفةٍ خليفتنا إن لم يكن يقولُ بمقالةِ أبيه في القرآن ! فورَدَ عليَّ أمرٌ جليلٌ بَقِيتُ له مَتحيِّراً ؛ ثم قلتَ يا صالحُ : [وهل] نموتُ إلاّ مَرَّةً واحدةً ! وهل يحسُنُ الكَذِبُ في جدٍّ أو هَزْلٍ ؟ فقلتُ : والله يا أميرَ المؤمنين ما خرَمْتَ حرفاً ممَّا دار في نفسي . فأطرقَ ساعةً ثم قال لي : يا صالحُ ، اسمَعْ مِنِّي ما أقولُ لك ، فوالله الذي لا إله غيرُه لتسمعَنَّ منِّي حقّاً ما شانَه غيرُهُ . فقلتُ : يا سيِّدي ، ومَنْ أَوْلى بالحقِّ منك ، وأنت خليفةُ الله ، وابنُ عمِّ رسولِ الله ؟ فقال : ما زِلتُ بُرهَةً من خلافةِ الواثقِ رضي الله عنه أقولُ بهذه المقالةِ حتى أقْدَمَ ابنُ أبي دواد علينا في المحنةِ شيخاً من أهلِ الشامِ ، ثم من أهل أَذَنَة ؛ فأحضره الواثقُ ، فأُدخِلَ شيخٌ جميلٌ تامٌّ بَهِيٌّ ، وفي رِجْلَيْه قَيْدان ثقيلان ؛ فرأينا الواثقَ كالمستحي منه ، الراحمِ له ، فأَسْنَدْناه حتى قَرُبَ منه ؛ فسلَّم الشيخُ فردَّ عليه ، ودعا فأَوْجَزَ في الدعاء ؛ فقال له الواثقُ : يا شيخُ ، ناظِرْ أحمدَ بنَ أبي دواد على ما يُناظرُكَ عليه ؛ فقال الشيخ : يا أميرَ المؤمنين ، أحمدُ يصبو[1] ويضعفُ عن المناظرة ويَقلُّ عنها أيضاً ؛ فغضب الواثقُ وقال : ويلك ! أبو عبدالله يَصْبو ويضعُفُ ويَقِلُّ عن مناظرةِ مِثْلِكَ ! واحمرَّ وَجْهُهُ ودارَتْ عيناهُ ؛ فقال الشيخ : يا أميرَ المؤمنين ، هَوِّنْ عليك ، وليَسْكُنْ ما بك ، وائذَنْ في مناظرتِهِ تَعلمْ صِدْقَ قولي .

قال الشيخ : يا أحمدُ ، تسألني أم أسأَلُك ؟ قال : سَلْ ؛ قال : إلامَ تَدْعو الناسَ وتَدْعوني ؟ قال : إلى أن يقولوا : إنَّ القُرآنَ مخلوقٌ .

قال الشيخُ : ولم يا أحمَدُ ؟

قال : لأنَّ كلَّ شيءٍ دونَ الله مخلوقٌ .

فقال الشيخُ : يا أحمدُ ، أخبِرْني عن هذه المقالةِ ، هي داخلةٌ في عَقْدِ الدينِ ، فلا يكمُلُ الدين حتى يُقالَ بها ؟

---

١ مروج : يقلّ .

قال : نعم .

قال الشيخ : يا أميرَ المؤمنين ، إن رأيْتَ أن تحفظَ علينا ما يجري ، فافعل .

قال الواثقُ : نعم .

قال الشيخُ : يا أحمَدُ ، فأَخْبِرني عن رسولِ الله ﷺ لمّا بعثه الله إلى خَلْقِهِ ، ستَرَ عليهم شيئاً ممَّا أمَرَهُ الله به في دينهم ؟

قال : لا .

قال : أفأخذَ رسولُ الله ﷺ بهذه المقالةِ ؟ فسكت أحمد .

فقال الشيخُ : يا أميرَ المؤمنين ، هذه واحدةٌ .

ثم قال الشيخُ : يا أحمدُ ، فَدَعْ ذا ؛ زَعَمْتَ أنَّ الدينَ لا يكونُ كاملاً حتى يُقالَ فيه بهذه المقالةِ . فأَخْبِرْني عن الله عزّ وجلّ حين أنزلَ على رسولِهِ ﷺ : ﴿اليومَ أكْمَلْتُ لكم دينكم﴾ (المائدة : ٣) أكان الله تبارك وتعالى الصادقَ في كمالِهِ ، أو أنْتَ الصادقُ في نُقْصانه ؟ فسكَتَ .

فقال الشيخُ : يا أحمدُ ، أجِبْ ، فَسَكَتَ . فقال الشيخُ : اثنتان يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : نعم .

وقال الشيخُ : وَدَعْ ذا ؛ أتقولُ إنَّ رسولَ الله ﷺ عَلِمَ مقالتك هذه فلم يُطالبِ الأُمَّةَ بها لأنَّه اتَّسع له الإمساكُ عنها ؟

قال أحمد : نعم .

قال : وكذلك أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمان ، وعليٌّ بَعْدَه ؟

قال : نعم .

قال : فترك الشيخُ ابنَ أبي دواد وأَقْبَلَ بوجهِهِ إلى الواثقِ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنْ لم يَتَّسع لك من الإمساكِ عن هذه المقالةِ ممَّا زعم ابنُ أبي دواد أنَّه اتَّسع لرسولِ الله ﷺ ، ولأبي بكرٍ وعُمَرَ وعثمانَ وعليٍّ ، فلا وَسَّعَ الله عليك . فضحك الواثقُ ثم قال : نَعَمْ لا وَسَّعَ الله عليَّ إذَنْ .

قال : وكان بيدِ الواثقِ قلمٌ أو قضيبٌ فلم يَزَلْ يفركُهُ حتى كسره ، فَظَنَنَّا أَنَّ ذلك لغيظِهِ على أحمد . ثم قال : اقطعوا قيدَ الشيخِ ، فقُطِع . فضرب الشيخُ بيدِهِ إلى القيدِ فجذبه إليه ومنعه الحدَّادُ مِن أَخْذِهِ ، فقال الواثقُ : دعوا الشيخَ يأخذُهُ ، فجعله في كُمِّه ، فقال له الواثِقُ : لِمَ أخذتَهُ ، أَحاجةً منك إليه ؟ قال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، لكني عقدْتُ في نِيَّتي إذا حضرني الموتُ أن آمُرَ من يتولّى أمري أن يَجْعَلَهُ بيني وبين كَفَني حتى أُخاصمَ به يومَ القيامةِ بين يدَيْ ربي هذا الظالم ، وأَوْمأَ إلى ابن أبي دواد ، وأقولُ يا ربِّ ، سَلْ عبدَك هذا لِمَ قيَّدَني وروَّع وَلَدي وأهلي ؟ فبكى الواثقُ بكاءً شديداً وبكَيْنا حولَهُ . ثم قال له الواثقُ : يا شَيْخُ ، اجعَلْني في حِلٍّ وسَعَةٍ ممَّا نالَكَ ، فقال : واللهِ يا أميرَ المؤمنين لقد جعلتُك منذُ أَوَّل يومٍ في حِلٍّ وسعةٍ إكراماً لرسولِ اللهِ عليه السلامُ إذ كنتَ رجلاً من أهلِهِ . فسُرَّ الواثِقُ بقوْلِـهِ وقال : يا شَيْخُ ، فإنَّ لي إليك حاجةً ؛ قال : قُلْ يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : تُقيمُ عندنا فينتفع بك أولادُنا ومَنْ مَعَنا . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّه أنْفَعُ لك من مقامي قِبَلَكَ رجوعي إلى الثَّغْرِ الذي أخرجني منه هذا الظالم . وأُخبرُكَ بأوَّلِ منفعة ذلك ، وهو أني أكفُّ عنك دُعاءَ ولدي وأهلي وإخواني ، فإني تركتُهم يَدْعونَ اللهَ عليك .

فقال الواثقُ : ههُنا حاجةٌ أُخْرى ، قال : قُل يا أميرَ المؤمنين ، قال : تذكر كلَّ ما تحتاجُ إليه لمؤنتِك ونفقتِك ونفقةِ عيالِكَ ، فتأخذَهُ ونجعلُه لك جارياً يُقيمُهُ العاملُ بتلك الناحية . قال : يا أميرَ المؤمنين ، أنا غنيٌّ عن ذلك ، وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ : «لا تَحِلُّ الصدقَةُ لِغَنيّ»[1] ، ولكن لي أنا حاجةٌ يا أميرَ المؤمنين ، قال : قُلْ ما أَحبَبْتَ ؟ قال : تَـأْذَن لي الساعةَ بالمسيرِ ؛ قال : قد فعلتُ ، فتزوَّدْ مِنَّا نَفَقَةً ، قال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، ما لي إليها حاجةٌ كَبرتْ أم صغرَتْ ، ولا يراني اللهُ مُتَغَنِّماً مالَك ، ثمَّرَهُ اللهُ وأَلهمَك إنفاقَه فيما يُقرِّبُك منه .

---

١ الحديث «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سوي» ورد في معظم الصحاح .

وخرج الشيخُ ، ورجَعْتُ أنا والله من ذلك اليومِ عن هذه المقالةِ ، ولم أَشُكَّ في أنَّ أميرَ المؤمنين الواثقَ رجع عنها .

٤٩٧ – أُصيبَ على عهد عمَرِ بنِ الخطاب رضي الله عنه رجلٌ مقتولٌ لا يُعْلَمُ مَنْ قَتَله ، فصَعد المِنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبيِّ ﷺ ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، ناشَدْتُ الله رجلاً قَتَلَه إلا أَنْبأنا بذلك ، فقام رجلٌ فقال : أنا قَتَلْتُهُ يا أميرَ المؤمنين . قال : وَلِمَ ذلك ؟ قال : لأني سمعتُه على فِراشِ جارٍ لي وهو مع امرأتِهِ ، وجاري غائبٌ في بعضِ البُعوثِ ، وهو يتغنَّى رافعاً صوتَه لا يَكْني : [من الوافر]

وأَشْعَثَ غَرَّه الإسلامُ مِنِّي ... خَلَوْتُ بعِرْسِهِ لَيْلَ التَّمامِ
أَبيتُ على ترائبها ويُمسي ... على قَبَّاءَ لاحقةِ الحِزامِ
كأَنَّ مواضِعَ الرَّبَلاتِ منها ... فئامٌ قد جُمِعْنَ إلى فِئامِ

فقال عمر : اقْتُل وأنا معك ، وقَبِلَ قَوْلَه وأَجاز شَهادَتَهُ .

٤٩٨ – ابن الرومي : [من الكامل]

إنَّ الطبيبَ بطِبِّـه ودوائـهِ ... لا يستطيعُ دفاعَ مكروهٍ أتى
ما للطبيبِ يموتُ بالداءِ الذي ... قد كان يُبْرىء مثلَه فيما مضى
هلك المُداوى والمُداوي والذي ... جلب الدواءَ وباعه ومن اشترى

٤٩٩ – قال الرشيدُ لأعرابيٍّ رآه يَرْعى : لِمَ سُمِّيَتْ الحِقَّةُ حِقَّةً ؟ قال : لأنـها استحقَّت أنْ يُحملَ عليها من ظهرِها وبطنِها ، قال : أَشْهَدُ أنَّك راعٍ حقّاً !

٥٠٠ – قيل : أَوَّلُ من عقد الوِلايةَ والأَلوية إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام .

---

٤٩٧ عيون الأخبار ٤ : ١١٦–١١٧ ومصارع العشاق ١ : ٧٥ ، ٢٧٨ .

٤٩٨ محاضرات الراغب ٢ : ٤٣٢ ولم نعثر على هذه الأبيات في ديوان ابن الرومي .

٤٩٩ انظر حكاية قريبة من هذه في اللسان (حقق) . والحقة هي الناقة التي استوفت ثلاث سنوات .

بَلغَه أنَّ قَوْماً أغاروا على لوطٍ وأَهْلِهِ فَسَبَوْهُ ، فعقد لواءً جمع به مواليَه وعبيدَه ورعاتَه وسارَ حتى استنقذ لوطاً وما كان أُخذَ له .

٥٠١ – قال أحمد بن عبدالله بن يونس : سمعتُ الشافعيَّ يقول : الأَعرابُ أَدْهى قَومٍ وأَحلاهُم كلاماً ، لقد سمعتُ منهم رجلاً يقولُ لرجلٍ اصطنع إليه معروفاً : آجَرَكَ اللهُ من غير أَن يبتليك . فحدَّثْتُ بذلك الزبيريَّ فقال لي : سمعتُ أنا أَعرابيّاً يقولُ لرجلٍ من مياسيرِ البلدِ : أُحبُّ أَنْ تُنْسِئَني شيئاً أَستَعينُ به وأُعجِّلُ ردَّهُ ؛ فقال له الآخَرُ قولاً اعتذر فيه ، وذكر انقباضَ يَدِهِ عن مرادِهِ . فقال له الأَعرابيُّ : لا جعلها اللهُ عِذْرَةً صادقةً .

٥٠٢ – قال سلمانُ الفارسيُّ : الناسُ أَرْبَعَةٌ : أَسَدٌ ، وذئبٌ ، وثعلبٌ ، وضَأْنٌ : فأَمَّا الأَسدُ فالملوك يفترسون .

وأَما الذئبُ فالتُّجارُ .

وأَمَّا الثعلبُ فالقُرَّاءُ المُخادِعون .

وأَمَّا الضأْنُ فالمؤمنُ يَنْهَشُهُ كلُّ مَنْ يراه .

٥٠٣ – قيل لابنِ عائشة : ما بالُ قُريشٍ ليس شِعْرُها بجَيِّدٍ ؟ قال : لأَنَّ قريشاً لم تُخْلَق للشِّعْرِ ، إنَّما خُلِقَت للقُرآنِ .

٥٠٤ – شاعر : [من البسيط]

استودَعَ العِلْمَ قِرْطاساً وضَيَّعه . وبئسَ مُسْتَودَعُ العِلْمِ القَراطيسُ

٥٠٥ – قال يحيى بن سليم : حجَّ المنصورُ ، وعاملُه على مكَّةَ والمدينةِ حينئذٍ عمُّه عبد الصمد بن عليٍّ ، فأَمرهُ أَن يُدخلَ عليه رجلاً حصيفاً من أَهلِ

---

٥٠٣ قارن بالبصائر ١ : ٢٠٧ .

٥٠٤ أمالي القالي ١ : ٢٢٣ وجامع بيان العلم لابن عبد البر : ١١٦ .

٥٠٥ أمالي القالي ١ : ٢٢٣ .

مكةَ ، فأدخلَ عليه رجلاً ، فلم يُسَلِّمْ عليه بالخلافةِ ، فقال له المنصورُ : أَيُّ رجلٍ أنا عندك ؟ قال : أَنْتَ ما علمتُ الظالمُ الخائنُ المستبدُّ بالفَيء تأخُذُه من غيرِ حقِّه وتضعُه في غيرِ أَهْلِهِ . فاستوى له جالساً وقال : وما عِلْمُك أنني ظالمٌ خائنٌ ؟ أَسْتَقْضَيْتَ لي فَجُرْتُ عليك أو على غيرِك ؟ أو ههُنا شيءٌ تدَّعي أَنَّني أخذتُهُ منك ؟ هذه كتبي في ديواني ومع عُمَّالي آمرُهم بالعدلِ وإيتاءِ النَّصَفَةِ والحقِّ ، فمن ينكثْ فإنَّما ينكثُ على نفسِهِ . وهذا عمرو بنُ عُبَيْد والأعمشُ وسفيانُ الثوريُّ ، أدعوهم إلى عملي فيمتنعون ، فأَطلبُ أهلَ العدالةِ والأَمانةِ في الظاهرِ فإذا اختبرْتُهم وَجَدْتُهم خَوَنَةً فَجَرَةً ، أَفَأَقْدِرُ أن أُوَلِّيَ الملائكة ؟ أَوَ ما علمْتَ – لا علَّمك الله خيراً – أَنَّ النبيَّ ﷺ شكا بَعْضَ عمّالِهِ والوحيُ ينزلُ عليه ؟ أَوَ ما علمتَ أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه شاطر جماعةً من عمّالِهِ أَموالَهم ، منهم سعد بن أَبي وقاص ، وعبدالله بن مسعود ، وعمرو بن العاص ، وأبو هريرة ؟

وأَمَّا الفَيءُ الذي زعمتَ أَنَّني أَستَبِدُّ به وآخذُهُ من غيرِ حِلِّه ، وأَضُعه في غيرِ أَهْلِهِ ، فأَخْبِرْني : أَمُحْتاجٌ أَنْتَ إليه ؟ فإن قلتَ : نعم ، سأَلْنا عمّا ادّعيتَ ، فإنْ كنتَ صادقاً أَعطيناك بقَدْرِ ما يكفيك ، وكنتَ الظالمَ لنفسِكَ إذْ لم ترفعْ إلينا حاجتَك ، وكان المُغيَّبُ عنَّا مستوراً . وإن كُنْتَ كاذباً ، فما لَكَ في هذا الفَيءِ نَصيبٌ ، لأَنَّ الله تعالى قسمَهُ أَقْساماً لم يجعَلْ فيه لغَنيٍّ حقّاً ، ولا مثلُك يُعطى من هذا الفَيءِ وأَنْتَ بفِناءِ قُبَّةِ امرأَتِك وحَجَلَتِها تَمَرَّغُ على مِهادِكَ ، وتتثنَّى على وِسادِك ، ولا تَغْزو سبيلاً ، ولا تُجيبُ أَميراً . وبَعْدُ ، فما يؤمنك أَن أَبطُشَ بك ، فيقول الناسُ : وَعَظَ أَميرَ المؤمنين فعاقَبَهُ ؟ فقال له : وَدِدْتُ أَنَّك عاقبتني . قال : هيهاتَ ! إذَنْ كنتَ تَتَّخذُ عقوبتي سوقاً وتُقيمُها تجارةً ، وينظرُ الناسُ إليك بعينِ تعظيمٍ وتَبْجيلٍ ؛ لا والله ، ولكن أَدَعُكَ استهانةً بأَمْرِكَ ، واستخفافاً بموضعِكَ ، فتخرج إلى أَصحابك فتقصّ عليهم خبري وخبَرَك ، فإن صدَّقوك قالوا : استضعفه وهانَ عليه ، وكان عنده ممَّن لا حجَّةَ له ، وإنْ كذَّبوك ضَحِكوا منكَ

واختبؤوها فيك ، وإن كنتَ عندهم عَدْلاً سقطَتْ شهادَتُك ، وإن كُنْتَ مستوراً انكشفَتْ لهم عورتُكَ ، اخرُج أَخْرَجَ اللهُ نَفْسَكَ .

ثم قال لعبد الصمدِ : أمرتُكَ أن تُدخِلَ عليَّ رجلاً حصيفاً ، أتُدخلُ عليَّ مثلَ هذا ؟ اخرجْ فجِئْني بغيرِهِ . فخرج ، فأدْخَلَ عليه عبَّادَ بن كثيرٍ ، فسلَّم عليه بالخلافةِ ، فقال له المنصورُ : أيُّ رجلٍ أنا عندك ؟ قال : أَنْتَ ما علمْتُ ممَّن قضى في إمارتِهِ بالعَدْلِ ، وأَمِنَتْ به السُّبُلُ وأَمِنَ به الخائفُ . فَسُرَّ بذلك ، فقال : اختَر إمَّا جائزتُنا فنُعطيك ، وإمَّا ولايتُنا فنولِّيك . قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ القُرْبَ منك العِزُّ العزيزُ والبَهاءُ المنيعُ ، وإنَّ العَمَلَ لك لَيزيدُ في عقلِ الأريبِ ، ويُلقِّحُ اللبيبَ ، ويُكْسبُ الثروةَ ، غير أنِّي شَيْخٌ كبيرٌ لم أَلِ عملاً قطُّ ، وإنْ يصلني أميرُ المؤمنين بشيءٍ أَقْبَلْهُ وأجعلْهُ من طيِّبِ ما آكلُه . فأمَرَ له بثلاثمائة دينارٍ وكُسْوَةٍ . فأَخذَها وقال : لي حاجَةٌ خَفيفةٌ ، فإن أَذِنْتَ لي ذكرْتُها ، قال : قَد أذِنْتُ . قال : إنْ خطرْتُ ببالِ أميرِ المؤمنين وذِكرِهِ ، فرأى أن يَمدَّ يَدَهُ المباركةَ إليَّ فَعَلَ . فتبسَّم المنصورُ وقال : نفعلُ . ثم التفت إلى عبد الصمدِ فقال له : مثلُ هذا الشيطانِ يصلحُ لمخاطبةِ الملوك ، لا مثل ذلك الأحمقِ ، وكان لا يذكرهُ إلا وجَّه إليه بمالٍ وكُسْوَةٍ إلى أَنْ ماتَ عبَّادٌ .

٥٠٦ – قال سَلَمَةُ بن مُحاربٍ : لربما كان الخَرَسُ خيراً من الكلام . قيل : كيف ذاك ؟ قال : أخبرني أبي قال : كُنتُ مع مَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك لما قُتِل يزيدُ بن المُهَلَّب وأُتيَ بالأسرى منهم ، فرأيتُ فيهم مولى لنا ، فسألتُ الشُّرَطَ تأخيرَه . فأُتي مَسلمةُ بالأسرى ، فجعل يعفو عنهم . فناداه مولانا من آخِرِ الناس : أَصْلَحَ اللهُ الأميرَ ، أنا مولاك ، قال : مولايَ لا يخرج عليَّ مع ابنِ المُهَلَّب ، اضربُوا عُنُقَه ؛ فقتل .

٥٠٧ – يقال : العِلْمُ أحدُ اللِّسانَيْن ، والعَمُّ أحدُ الأَبَوَيْن ، والتثبُّتُ أحدُ العَفْوَيْن ، والمَطْلُ أحدُ المَنْعَيْن ، وقلَّةُ العِيالِ أحد اليسارَيْن ، والقناعةُ أحدُ الرزقَيْن والوعيد أحدُ الضَّرْبَيْن ، والإصلاح أحدُ الكسبين ، والراوية أحدُ

الهاجِيَيْن ، والهجرُ أحدُ الفِراقين ، واليأسُ أحد النُجْحَيْن ، والمزاح أحد السِّبابَيْن .

٥٠٨ – قال ابن عبد الأعلى الكاتب : كنت بحضرة أبي الحسن ابن الفرات في وزارته الأولى وهو جالسٌ يعمل ، إذ رفع رأسه وترك العملَ من يده وقال : أريدُ رجلاً لا يؤمنُ بالله ولا باليوم الآخر ، يطيعني حقَّ الطاعة ، فأنفذُه في مُهِمٍّ لي ، فإذا بلغَ ما أرسُمُه له أحسنتُ إليه إحساناً يظهر عليه وأغنيته . فأمسك من حضر ، ووثب رجل يكنى بأبي منصور أخٌ لابن شبيب حاجب ابن الفرات ، فقال : أنا أيها الوزير . فقال : أوتفعل ، قال : أفعل وأزيد . قال : كم ترتزق ؟ قال : أرتزق مائةً وعشرين ديناراً ؛ قال : وقّعوا له بالضعف . وقال له : سل حوائجَكَ . فسأله أشياءَ أجابه إليها . فلما فرغ من ذلك قال له : خُذ توقيعي وامضِ إلى ديوان الخراج وأوصله إلى كاتبَيْ الجماعة ، وطالبهما بإخراج ما على محمد بن جعفر بن الحجاج ، وطالبه بأداء المال ، وأتلفْهُ إلى أن تستخرجَ جميعَه منه ؛ ولا تسمع منه حجة ، ولا تُمهلْهُ البتّة . فأخذ من رجّالة الباب بعد أن خرج ثلاثين رجلاً ، فخرجتُ لأنظرَ ما يصنع . فدخل إلى الصقر بن محمد وكان هو وعبدالله بن محمد الكلوذاني شِركةً في الديوان . فأوْقع إليه التوقيع وقال له : أخرِجْ ما على ابن الحجاج ، فقال : عليه من باب واحد ألفُ ألفِ درهم ، فطالبْهُ بذلك إلى أن نفرغَ من العمل لسائر ما يلزمه . وكان محمد بن جعفر من عمّال علي ابن عيسى . قال : فأحضر ابنَ الحجاج وشتمه وافترى عليه ، وابن الحجاج يستعطفه ويخضع له . ثم أمر بتجريده وإيقاع المكروه به ، وهو في ذلك كله يقول : يكفي ، الله ! ثم أمر أبو منصور بنصب دَقل وجعل في بكرة في رأسه حبلاً وشُدَّتْ فيه يدا ابن الحجاج ورفع إلى أعلى الدقلِ ، وهو يستغيث ويقول : يكفي ، الله ! وما زال معلقاً وهو يسأله حَطَّه وإنظارَه إلى أن يوافقَ الكتّابُ على ما أُخرجَ عليه ، وهو لا يسمع ، وقد قعد تحت الدقل واختُلِط وغضبَ من غيرِ غضبٍ ،

---

٥٠٨ الوزراء للصابي : ١٣٧–١٣٩ .

اعتماداً لأنْ يبلغَ ابنَ الفرات فعلُه . فلما ضجر قال : أرسلوا ابن الفاعلة — وعنده أنهم يتوقّفون ولا يفعلون — فأرسلوه ووافى ابنُ الحجاج إلى الأرض ، وكان بديناً ثقيلاً سميناً ، ووقع على عنقِ أبي منصورٍ فدقَّها ، فخرَّ على وجهه ؛ ووقع ابنُ الحجاج مغشيّاً عليه ، فحُملَ أبو منصور إلى منزله في مَحْملٍ فمات في الطريق . وردَّ ابنُ الحجاج إلى محبسه ، وقد تخلّصَ من التلف . وكان الناسُ يتعجبون من قولِ ابنِ الفرات : أُريد رجلاً لا يؤمنُ بالله ولا باليوم الآخر يُطيعُني : أما الطائع له فقد تعجَّلَ الجزاءَ لوقته ، وأما ابنُ الفرات فأُمهل ، وكان عاقبةَ أمرِه قتلُهُ وقتلُ ولدِه ، واستئصال بيته ؛ وما أعدَّ الله للظالمين أشدُّ وأبقى .

٥٠٩ — لما ضُربَ عليٌّ — عليه السلام — وأوصى ، لحقَتْه غَشْيةٌ ، فلما أفاق من غشيته دعا أُمامةَ بنت أبي العاص زوجتَه — وأمُّها زينبُ بنت رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلّم — فقال لها : يا أُمامة قد أصابني من أمرِ الله تعالى ما تريْنَ ، وكأني بك لو قد حَلَلْتِ قد تزوجْتِ معاوية . فقالت : معاذَ الله ! إن شئتَ واللهِ يا أميرَ المؤمنين حرَّمْتُ الرجالَ على نفسي أبداً . فقال : لا أحبُّ ذاك ، ولكن أحبُّ أن لا تتزوّجي معاوية ، وأن تستشيري في أمرك المغيرةَ بنَ نوفل بنِ الحارثِ بن عبدِ المطلب ، وإن خطبك أرى أن تتزوجيه . فقالت : ذاك لك . فلما قُبِض عليه السلام ، وسارَتْ إلى المدينة وقام معاوية ، كتب إلى مروان بن الحكم ، وكان على المدينة ، يأمرُه أن يخطِبَ أمامة عليه ويُعطيَها ما أحبَّتْ . فبعث إليها مروان بذلك ، فقالت : ما حللْتُ بعد . فأمسك مروان ينتظر حلَّها . فلما حلَّتْ بعثَتْ إلى المغيرة بن نوفل تستشيره في ذلك ، فقال المغيرة : وما يُدخلني في هذا الأمر ؟ أمير المؤمنين رجل من بني عبد شمس وأنا رجل من بني هاشم ، فما يدخلني

---

٥٠٩ انظر أعلام النساء ١ : ٧٧ وأسد الغابة ٥ : ٤٠٠ والإصابة ٧ : ١٤—١٥ وقارن بطبقات ابن سعد ٨ : ٢٣٢—٢٣٣ وكلها بايجاز شديد ، وكتاب معاوية إلى مروان بن الحكم في الجليس الصالح ١ : ٢٨٨ ضمن حكاية تحايل معاوية للزواج من هند بنت ابن عمرو التي ستجيء فيما بعد .

بينكم وقد ضربتُ وجه معاوية أمس بسيفي ؟ ثم ما عرض لي بشيء يخالفني . فأرسلت إليه : إني والله ما ضاق عليّ من أستشيره ، ولكن أميرَ المؤمنين رضي الله عنه أمرني أن أستشيرَك ، وأمرني إن خطبْتنى أن أتزوجَكَ . فأرسل إليها : إني أُعيذكُ بالله أن تستخلفي معاوية بعدَ عليّ ، وأنا أخطبك أشدَّ الخِطبة . فأرسلت إليه : إن أمري إليك ، وأشهدَتْ له على ذلك ، فتزوجها .

وبلغ الأمرُ مروانَ فغضب ، وأرسل إلى المغيرة فحبسه في بيت وطيّن عليه ، وأمر أن يُدخَلَ إليه طعامُهُ وشرابُه من كُوَّةٍ ؛ وفعل مثلَ ذلك بأمامة ؛ وكتب إلى معاوية يخبره الخبر وأنّ المغيرةَ لم يرضَ أن ضربك بسيفه فكففت عنه حتى خطب بعد خِطبتِكَ بغير إذنٍ ولا سلطان ، وإنما حمله على ذلك معرفتُهُ بوهْنِكَ وضعفِكَ عن عدوِّك ، فإما صُلْتَ به صَولةً تجعلُهُ نكالاً لعدوك أو جعلت ذلك إليّ .

فكتب إليه معاوية كتاباً وبعث به رسولاً وأمره أن لا يفضَّه حتى يُخرِجَ المغيرةَ بنَ نوفل وأُمامةَ من محبسهما ، وأمر مروانَ أن يُحضرَهما عنده ويُحضرَ عشرين رجلاً من قريش وعشرةً من الأنصار مِن خيارِ مَن قِبَله ، ثم يأمر الرسول أن يقرأ عليهم الكتابَ ، ثم يُنفِّذ ما فيه ولا يتعدّاه إلى غيره . ففعل مروان ، فلما اجتمعوا قام رسولُ معاوية ، ففضّ الكتابَ وإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدِ الله معاويةَ أميرِ المؤمنين إلى مروانَ بنِ الحكم : سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد ، فقد بلغني ما كتبتَ به عن[1] المغيرةِ بنِ نوفل وما عملتَه ؛ فقد نظرتُ فيما كتبتَ فلم يبلغ معاويةُ أن يُحرِّم ما أحلَّ الله ، ولا يُحلَّ ما حرَّم الله ؛ ورجلٌ من بني هاشم أفضلُ من امرأة من بني عبدِ شمس ؛ وأما ما ذكرتَه من نكاحه بغيرِ وليٍّ ولا سلطانٍ ، فأي وليٍّ يُقدِم على تزوَيجه إياها بعد خِطبة أميرِ المؤمنين ؟ ولم

---

[1] في الأصل : إلى .

تُصبْ ولم تُوفّقْ في حبسِك إياهما ، وترويعك لهما ؛ فإذا جاءك كتابي فخلٍّ بينه وبين امرأته ، ولا تُعارِضْهما ؛ فباركَ الله لكلٍّ منهما في صاحبه ، وادفَع إلى المغيرةِ عشرةَ آلافِ دينارٍ من مالِ أميرِ المؤمنين يَستعينُ بها على نكاحه ، وإلى أُمامةَ خمسةَ آلاف دينار ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

٥١٠ – قال عبدالله بن شُبْرُمَةَ القاضي : دخلتُ على أبي مسلم وفي حِجْرِهِ مُصحفٌ ، وبين يديه سَيْفٌ ، فقال لي : أنت ابنُ شُبرمةَ ؟ قُلتُ : نعم أصلحك الله ؛ فقال : ما هو إلا المُلكُ أو الترهُّب ، قُلتُ : ماهو إلا الهلاكُ أو الرحمة .

ودخل عليه وهو يريد المسير إلى قتالِ عبدالله بن علي عند خروجهِ على المنصورِ ، فقال له : يا ابنَ شُبْرُمةَ ، ما يقولُ الناسُ في مسيرِنا هذا ؟ قال : يقولون : الأَمْرُ عظيمٌ يُشيرُ إلى عمِّ الخليفةِ مع نَجْدَتِهِ وشهامتِهِ ، ومعه جلَّةُ أهلِ الشامِ ، وكثيرٌ من أَهْلِ خُراسان .

قال : أَفْرِخْ رَوْعَكَ يا ابن شُبْرمة ! والله لو سِرْتُ إليهم وفي أيدي أصحابي القَصَبُ لهزمتُهم ، وما أَقولُ هذا بعلمِ غَيْبٍ عندي أَدَّعيه لنفسي ، ولكن رأَيْتُ الله عذَّبَ أَهلَ العراقِ بسيفِ أَهلِ الشامِ نَيِّفاً وثمانين سَنَةً ، ثم أراد أَن ينتقمَ بهم منهم ، أفما تكون نقمتُه إلاّ مقدارَ هذه المدَّةِ ؟

٥١١ – دخل صالح بن عبد الجليلِ – وكان ناسكاً مُفَوَّهاً – على المهديِّ ، وسأله أن يَأْذَنَ له في الكلامِ . فقال : تكَلَّمْ ، فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّه لمّا سَهُلَ لنا ما توعَّر على غيرِنا من الوصولِ إليكَ ، قُمْنا مَقامَ المؤدِّي عنهم وعن رسولِ الله ﷺ ما في أَعناقِنا من فَرِيضةِ الأَمْرِ والنَّهْي لانقطاعِ عُذرِ الكتمانِ في التقيَّة ، لا سيَّما حين اتَّسَمْتَ بميسم التواضعُ ، وَوَعَدْتَ اللهَ وحَمَلَةَ كتابهِ إيثارَ الحقِّ على ما سواه . فجمعنا وإِيَّاكَ مشهَدٌ من مشاهدِ التمحيص لِيُتمَّ مؤدِّينا على موعودِ الأَداءِ

---

٥١١ البيان والتبيين ٢ : ٣٣٩–٣٤٠ وعيون الأخبار ٢ : ٣٣٣ والعقد ٣ : ١٥٨ : ١٥٩ وقد أوردت جميعها كلام صالح وحده مع زيادة بعض العبارات ولم تورد جواب المهدي .

عنهم ؛ وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ يقولون : مَنْ حجَب الله عنه العلمَ ، عذَّبهُ على الجهلِ ، وأشدُّ منه عذاباً مَنْ أقبلَ إليه العِلْمُ فأدبرَ عنه ، ومن أهدى [الله] إليه العلمَ فلم يعملْ به ، فقد رَغِبَ عن هُدى الله ؛ فاقْبلْ ما أهْدى الله إليك من ألسنَتِنا قَبولَ تحقيقٍ وعملٍ ، لا قَبولَ سُمعةٍ ورياءٍ ، فإنه لا يخلُفك منَّا إعلامٌ بما تجهلُ ، أو مواطأةٌ على فَضْلٍ ، فقد وطَّنَ الله جلَّ اسمُه نبيَّه على نزولِها ، تعزيةً عمَّا فاتَ ، وتَحْصيناً من التمادي ، ودلالةً على المَخْرَجِ فقال ﴿وإمَّا يَنْزَغَنَّك من الشيطان نَزْغٌ فاستَعِذْ بالله﴾ (الأعراف : ٢٠٠) فأطلع [الله] على قلبك بما يلوحُ به الحقُّ الذي يُنافي الهوى ، فإنَّك إنْ لم تفعلْ ، لم تَرَ لله أثَرَةً عليك .

فبكى المهديُّ حتى همَّ مَنْ كانَ على رأسهِ بضَرْبِ صالحٍ ، وحتى ظنُّوا أنه يموتُ . فقال : يا صالحُ ، لو وَجَدْتُ رجالاً يعملون بما آمرُهم في رعيَّتي ، لظننْتُ بأنني ألقى الله تعالى وأَمرُ أُمَّةِ محمدٍ ﷺ أقلُّ ذُنوبي وأَهْوَنُ حسابي ، ولكن دلَّني على وجهِ النجاةِ ، فإن لم أَعْمَلْ به ، كنتُ أنا الجاني على نفسي .

قال له صالحٌ : أنتَ يا أميرَ المؤمنين أعلمُ بموضعِ النجاةِ .

قال : ما كنتَ أنتَ بعِظَتي أوْلى مني بعِظَتِك لي ، وما هو إلا أن أركبَ سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولا يصلحُ عليها أحدٌ من أهلِ هذا العصرِ ؛ وذاك أنَّ الناسَ في الزمن الماضي كان يرضى أحدُهم بالطِّمْرِ البالي ، وتُقْنِعُهُ الكسرَةُ اليابسةُ والماءُ القَراحُ ، وهم اليومَ في تضاعيف الخَزِّ والوَشْي ، ومائدةُ أَحدِهم مِثْلُ الغَنيِّ ذي العيال في زمن عمر ، فإلى مَنْ أَكِلُهم ؟ إلى ولدِ أبي طالبٍ ، فوالله ما أرى للمسلمين راحةً فيهم ولا فَرَجاً عندهم ، ولو أنَّني حملتُ الناسَ على سيرةِ العُمَرَيْن في هذا العَصْرِ لكنتُ أولَ مقتولٍ ، وذلك أنَّ الفِطامَ عن هذا الحُطامِ شَديدٌ لا يصبرُ عليه إلا المبرِّزُ السابقُ .

يا صالحُ ، لقد بلغني أنَّ لسعيد بن سَلْمٍ ألفَ سراويل ، ولحازمٍ ألفَ جُبَّةٍ ، ولعُمارة بن حمزة ألف دُوَّاجٍ ، وهذا أَقلُّ مِلْكِهم ؛ فما ظَنُّك بي وهم عُددي وسِهامُ كِنانتي ، ومن أَشْبَهَهم كمَعْنِ بن زائدةَ وعبدِ الله بن مالك ، فلو حملتُهم

على التقشُّفِ وأَخَذْتُ أَموالَهم هل كانَتْ نَفْسٌ أَبغضَ إِليهم من نفسي ، أَوْ حياةٌ أَثقلَ عليهم من حياتي ؟

فأَطْرَقَ صالحٌ مُفْكِراً ، ثم رفع رأْسَه وقال : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنَّه لَيَقَعُ في خَلَدي أَنَّك قبلْتَ قَوْلي قَبولَ تحقيقٍ لا قبولَ سُمعةٍ ورياءٍ . فقال المهديُّ : الله شهيدٌ على ذلك . فقام صالحٌ فدنا من المهديِّ ، فقبَّل رأْسَهُ وقال : أَعانَك الله يا أَميرَ المؤمنين على صالحِ نِيَّتِك ، وأَعطاك أَفضلَ ما تأْمُلُهُ في رَعِيَّتِك ، ووهبَ لك أَعواناً بَرَرَةً صالحين يعملون بما يجبُ عليهم فيك ، ثم خَرَج .

٥١٢ – لمَّا أَبْعَدَ أَبو الفَتْحِ بن العميدِ أَبا القاسمِ بنَ عبادٍ الصاحبَ عن خدمةِ مُؤيَّدِ الدولةِ بنِ رُكْنِ الدولةِ بن بُوَيْه ، وتولَّى الأُمورَ ، تداخَلَهُ في بعضِ الليالي عُجْبٌ وسُرورٌ بما هو فيه ، فاستدعى نُدماءَه وهُيِّءَ له مجلسٌ عظيمٌ بآلاتِ الذهبِ والفضّةِ وفاخرِ البلَّوْر والمخروطِ الصيني والطِّيب والفواكه ، وحضر المُغَنُّون والمُلْهون فشَرِبَ آخِرَ يومِهِ وأَكْثَرَ ليلتِهِ ، وعمِل شعراً أَنْشَدَه ندماءَهُ وأَلْقاهُ على المُغَنِّين حتى غَنَّوْا فيه ، وهو : [من المتقارب]

دعوتُ المنى ودعوتُ الغِنى[1] ... فلما أجابا دَعَوْتُ القَدَحْ
وقلتُ لأَيَّامِ شَرْخِ الشباب ... إليَّ فهـذا أَوانُ المَرَحْ
إذا المَرْءُ أَدرك آمالَـه ... فليس له بَعْدَها مُقْتَرَحْ

فغُنِّيَ بالشعرِ واستطابه ، وشرِبَ عليه إلى أَن سَكِرَ ، ثم قال لغلمانه : غَطُّوا المجلسَ ولا تنقضوا شيئاً منه لأَصْطَبِحَ عليه في غَدٍ . وقال لندمائه : باكروني ولا تتأَخَّروا ، وقامَ إلى بيتِ منامِهِ . ووافق ذلك استدعاءَ مؤيِّدِ الدولةِ إيَّاه في السَّحرِ ، فلم يشكَّ أَنَّه لِمُهمٍّ من خدمتِهِ ، فبادر ، فلما دخل دار الأَميرِ قُبِض عليه ، وأُنفذَ

٥١٢ معجم الأدباء (عباس) ٢ : ٦٩٤ .

١ معجم الأدباء : العلا .

إلى دارِهِ مَنْ أخذَ جميعَ ما وُجِدَ له ، ولم يَزَلْ في الاعتقالِ إلى أنَ مات تحت العذابِ .

٥١٣ - قال أَبو الحسنِ محمد بن عمر بن يحيى العلويُّ : كان المتنبي وهو صبيٌّ يَنْزِلُ في جوارِنا بالكوفةِ ، وكان أَبوه يُعرفُ بعيدان السَّقَّاء ، يستقي على جَمَلٍ له ولأَهْلِ المحلَّةِ . ونشأَ له المتنبي ، فكان يتبعُ أهلَ العلمِ والأَدبِ ويُلازمُ الورَّاقين ، وكان ذكيّاً حَسَنَ الذكاء . فقال لي ورَّاقٌ كان يجلسُ إليه : ما رأَيْتُ قَطُّ أَحفظَ من هذا الغُلامِ ابنِ عِيدان ؛ فقلتُ له : كيف ذاك ؟ قال : كان جالساً عندي اليومَ ، وقد أحضرَ رجلٌ كتاباً من كتبِ الأَصمعيِّ ليبيعَهُ يكونُ نحو ثلاثين ورقةً ، فأَخذه فنظر فيه طويلاً ، فقال له الرجلُ : أُريدُ بيعَ هذا الدفترِ ، وقد قطعْتني عن ذلك ، فإن كنتَ تُريدُ حفظَه فهذا إنْ شاءَ الله يكونُ بعد شهرٍ ؛ فقال له ابن عيدان : فإنْ كان قد حفظتُه في هذه المدَّةِ فما لي عليك ؟ قال : إنْ كنتَ حفظْتَهُ فهو لك ؛ فأَخَذْتُ الدفترَ من يده ، وأَخذ يتلوه إلى آخرِهِ ، ثم استلبه من يدي فجعله في كُمِّه ، وقامَ . فعلق به صاحبُه وطالبَه بالثمنِ ، فقال : ما إلى ذلك سبيلٌ ، قد وَهَبْتَه لي ، فمنعناه منه وقُلْنا له : أَنْتَ شرَطْتَ على نفسِكَ هذا .

٥١٤ - استدعى المتوكِّلُ من البصرةِ محمد بن عبد الملك بنِ أَبي الشوارب الأَمويَّ ، وأَحمدَ بنَ المعذَّل بن غيلان العبديَّ ، وإبراهيمَ التيميَّ ، فعرض على كلِّ واحدٍ منهم ولايةَ القضاءِ بالبصرةِ ، فاحتجَّ ابنُ أَبي الشواربِ بعُلوِّ السنِّ وأُمورٍ تَقْطعُه عن ذلك ؛ واحتج أَحمد بن المعذَّل بضعفِ البصرِ ؛ وامتنع إبراهيمُ التيميُّ ، فقيل له : لم يَبْقَ غيرُك ، وجزم عليه ، فَوَلِيَ . فنزلت حالُه عند أَهلِ العلمِ ، وعلَتْ حالُ الآخرَيْن . ويرى الناسُ أَنَّ بركةَ امتناع محمد بن عبد الملك دخلت على ولـدِهِ ، فوليَ منهم أَربعةٌ وعشرون قاضياً منهم ثمانيةٌ قُلِّدوا قضاءَ القُضاةِ ، وكان آخِرَهم أَبو الحسن أَحمد بن محمد بن عبد العزيز بن العباس بن محمد بن عبد الملك

---

٥١٣ مختصر تاريخ دمشق ٣ : ٤٩ .

ابن أبي الشوارِبِ ، تقلَّد قضاءَ القُضاةِ للقادر في رجب سنة خمسٍ وأربعمائة ، وتوفي في شوال سنةَ سَبْعَ عشرة وأربعمائة ، ومولده في ذي القعدةِ سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة .

٥١٥ – حدَّث ابن أَبي الخيرِ العَبْسيُّ قال : كُنَّا مع أَبي جعفرٍ المنصورِ أَيَّام خَرَج عليه عمُّه عبدالله بن عليٍّ وهو يحاربُهُ ، فخرج علينا أَبو الخَصيب – وهو إذ ذاك حاجبُ المنصور – فأدخلَ جماعةً من أَصحابِهِ وأَنا فيهم ، وفينا ابن عطية الثعلبيُّ ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فتقدَّم إلى المنصورِ ، فقال له : يا ابن عطية ، قد عرفْتَ بلاءَ أَميرِ المؤمنين عندَك وإحسانَه إليك . ثم جفاك أَميرُ المؤمنين جَفْوَةً ، وأَرادَ أَن يُعْرِضَ عن تلك الجَفْوةِ ويستقبلَ بكَ الكرامةَ ، فَسِرْ في هذا الوَجْهِ ، فَرَأْيُ أَميرِ المؤمنين فيك جميلٌ ، وادْعُ مَنْ أَطاعَك من قومِكَ ، وخَذِّل عن الفاسقِ مَنْ قَبِلَ منكَ ، وَلْيَأْتِ أَميرَ المؤمنين عنك غَناءٌ يَأْتِك منه جَزاءٌ . فقال ابن عطية في نَفْسِهِ : هذا يومُ شَرَفي وهذه مَرْتَبتي ، وقد عرفْتُ أَنَّه لا يستغني عن مِثْلي ، فقال : حوائجي يا أَميرَ المؤمنين ، قال : هاتِ حوائجَك ؛ قال : تبلغ بعطائي الشرَفَ ، قال : اكتُب يا سليمان ، يعني أَبا أَيوب الموريانيَّ ، فكتب ؛ قال : ويُفرضُ لولدي في شرفِ العطاء ، قال : وماذا ؟ قال : ويُقضى دَيْني ، قال : وماذا ؟ قال : وقَطيعةُ عيالي ، قال : نعم ، فلما ولَّى قال : يا سليمان أَنْفِذ لهذا الأعرابيّ جميعَ ما سأَل ، ولا يكونُ ممَّن يستعانُ به في هذا الوَجْهِ ، فوالذي فَلَقَ الحبَّةَ وبرأَ النَّسْمَةَ ، لو أَنَّ عبدالله بن عليٍّ قائمٌ على رأسي بالسيفِ لا يُنجّيني منه إلا هذا الأعرابي ، ما استعَنْتُ به بعد هذا التسحُّب في حوائجِهِ .

٥١٦ – حجَّ الرشيد في بعضِ السنين فَمَرَّ بالرَّبَذَةِ وعديلُه الفضلُ بن الربيع في ليلةٍ طَخْياءَ مُقْمِرَةٍ ، فتقدَّما الناسَ يتحدَّثان ، وعلى الخيلِ هَرْثَمَةُ بن أَعْيَنَ ،

---

٥١٦ البيت الأول من الرجز في تاريخ الطبري ٢ : ٤٢٩ والبيت عن جليس القعقاع في الكامل للمبرد : ٢٣٠ لأبي علاقة التغلبي وفي البيان والتبيين ١ : ٣٣٩ دون نسبة .

وقد أمره الرشيدُ أن يتأخَّرَ عنهما قليلاً . فبينما هما يتحدَّثان إذْ مرَّا بأعرابيين يتحدَّثان فيما يقضيه الله ويُقَدِّرُهُ وما سَبَقَ من حكمِهِ في خلقِهِ ، ثم ضرب أحدُهما بيدِهِ على مَنْكِبِ الآخَرِ وقال له : اسمع : [من الرجز]

يا أيُّها المُشْعِرُ همّاً لا تُهَمّ   إنَّك إنْ يُقْدَرْ لك الحمّى تُحَمْ
ولو عَلَوْتَ سامقاً من العَلَمْ   ممتنعاً لم يَعْلُهُ الطيرُ أشَمّ
كيف توقِّيك وقد جَفَّ القَلَمْ   وخَطَّ أيَّامَ الصحاحِ والسَّقَمْ

فقال الرشيدُ : ويحك يا عباسيُّ ! لقد أحْسَنَ الأعرابيُّ . فقال له الفَضْلُ : أعِدْ ما قلتَ . فتأمَّلهما ساعةً ثم قال : أمَّا بقولِك فلا ، ولكن إن قال ذاكَ أعِدْ ، أعدْتُ ، وأشار إلى الرشيدِ . فقال الرشيدُ : كيف تُعيدُ بقولي ولا تُعيدُ بقَوْلِهِ ؟ فقال الأعرابي : أما سَمِعْتَ قَوْلَ الشاعر : [من الطويل]

متى ما رأى الناسُ العتيقَ ومقرفا   وقد جَرَيا قالوا عتيقٌ ومُقْرِفُ

فضحك الرشيدُ واستَوْقفهُما ، وقُرِّبَ الجندُ وهرثمةُ ، فقال الرشيدُ لهرثمةَ : أمعك شيء ؟ قال : نعم ، قال : كم هو ؟ قال : أربعُمائة دينارٍ ، قال : أعْطِها الأعرابيَّ ، فقال رفيقُهُ : يا سيِّدي ، أما سمعْتَ قول الشاعرِ : [من الوافر]

وكُنْتُ جليسَ قَعْقاعِ بن شَوْرٍ   ولا يَشْقى بقَعْقاعٍ جَليسُ

فقال : وأعَطِ هذا مائتي دينارٍ .

٥١٧ — قال إبراهيم بن غسانَ : خرَجْنا يوماً مع عبدالله بن طاهرٍ إلى الميدانِ ، فاعترَضَتْه امرأةٌ بَرْزَةٌ ، فقالت له : أيُّها الأميرُ ، كادّي وكاسبي وواحدي من الدنيا ابنٌ لي في حَبْسِ الأمير منذ أربعِ سنين ، فإنْ رأى الأميرُ أن يَمُنَّ به على ضَعْفي ، فعلَ . قال لها : ومن ابنُكِ ؟ قالت : إبراهيم بن الحكمِ

---

٥١٧ في المستطرف ١ : ١٩٣ حكاية مماثلة عن أم تشفعت عبدالملك بن مروان في ابنها السارق .

البخاريُّ ؛ قال لها : هيهات ! ما تَرَيْنَهُ إلا على سَريرِهِ ، وضَربَ دابَّتَهُ . فقالت بالفارسيةِ : فأَيْنَ اللهُ ؟ فسَمِعَها فقال : يا إبراهيمُ ، ما قالت العجوزُ ؟ قلتُ : ما أدري أيُّها الأميرُ . قال : ولكني أدري ، أحضروها ؛ فأُحضِرَت بين يَدَيْهِ وإنَّ فرائصَها لَتُرْعِدُ حتى أُوقِفَتْ بين يَدَيْهِ . فقال : كيف قلتِ ؟ قالت : ما قلتُ شيئاً ، قال : بلى ، قُولي وليس عليكِ بأسٌ . قالت : قلتُ فأَيْنَ اللهُ ؟ قال : صدقْتِ واللهِ ، عليَّ بابنِها . قال : فكأني أنظُرُ إليه وقد جيء به على أعناق الرجالِ مُكبَّلاً في الحديدِ . فقال : أطْلِقوا عنه . فأُطْلِقَ ! وقال لها : خُذيه . ثم التفت إلى الشَّعرانيِّ فقال : انْظُر كم لَزِمَها من النفقةِ منذ حُبِسَ ابنُها فأَضْعِفْه لها ، وأَعطِها ما تتحمَّلُ به إلى بخاري .

٥١٨ - قال مجاهدٌ ، قال عمرُ بن عبد العزيزِ : ماذا يقولُ الناسُ يا مجاهدُ ؟ قلتُ : يقولون هو مسحورٌ ، قال : ما أنا بمَسْحورٍ ، ولكني سُقيتُ السُّمَّ ؛ ثم دعا غلامَه ، فقال : أُعطيتُ أَلفَ دينارٍ على أن أَسقيكَ السُّمَّ وأُعْتَقَ . قال : اذهَبْ لا يراك أَحدٌ ، والألف اجْعلها في بيتِ المالِ . وكان لعمرَ مُنادٍ يُنادي كلَّ يومٍ : أَينَ الغارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أَيْنَ اليتامى ؟ وكان يَبْكي حتى يبلَّ لحيَتَهُ ويقولُ : يا ربِّ ، ما جعلني أَحقَّ هذه الأمةِ بهذا الأَمرِ ؟

٥١٩ - قال محمود بنُ الحسنِ الورَّاق : دخلتُ على أَصْرَمَ بنِ حُمَيْدٍ ، وكان لي صديقاً . فلما أردْتُ الانصرافَ مِن عنده قامَ لي وودَّعني ، فقلتُ : وأين تقصُد ؟ قال : أُريدُ الحجَّ ، فودَّعْتُهُ وانصرَّفْتُ . ثم اجتَزتُ ببابه بعد أيّامٍ ، فرأَيْتُ عليه دوابَّ ، وخُبِّرْتُ أنَّه حاضرٌ ، فاستأذَنْتُ عليه ، فأَذِن لي ، فقلتُ : أَلَمْ تُخبِرْني أَنَّك حاجٌّ ؟ قال : بلى ، ولكني فكَّرْتُ وقلتُ : أَموتُ في الطريقِ ضَيْعَةً ، ويتولّاني غلماني ، ويُصَلِّي عليَّ الأَعرابُ ؛ فقلتُ له : أَلا أُنشدكَ أبياتاً حضرتني وقتي هذا ؟ فأَنْشَدْتُه : [من الوافر]

---

٥١٨ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ٣١٦ ، ٢١٣-٢١٥ .

أقامَ عن المسيرِ وقد أُثيرَتْ ركائبُهُ وغَرَّد حادياها

وقال : أخافُ عاقبةَ الليالي على نَفْسي ، وأن تَلْقى رداها

فقلتُ له : عزمتُ عليك إلا بلغْتَ من العزيمةِ مُنْتهاها

فَمَنْ كُتِبَتْ منيَّتُهُ بأرضٍ فليس يموتُ في أرضٍ سِواها

فقال : يا غِلْماني ، جَهِّزوني ، ثم حجّ ورجع معافىً .

٥٢٠ – قال معاويةُ لابنِه يزيدَ : هل بَقيَ في نفسِك من النساء شيء ؟ قال نعم ، هند بنت سهيل بن عمرو ، وكانت يومئذٍ عند عبدالله بن عامر . فكتب معاويةُ إلى عبدالله : إنَّك إنْ طلَّقتَها زوَّجْتُك بنتي هِنْداً . قال : فطلَّقها ابن عامرٍ ، فقَدِمت المدينةَ ، فأرسل معاويةُ بأبي هريرة يَخطِبها على يزيدَ ابنِهِ ويتلطَّفُ لها في ذلك . قال : فلقيه الحسنُ فقال : لأمْرٍ ما قدمت له يا أبا هريرة ، لا وقت حجٍّ ولا غيره ! قال : بعثني معاويةُ أخطِبُ هنداً بنت سهيل بن عمرو على ابنِهِ يزيدَ . قال : فإذا ذكَرْتَ يزيدَ فاذكُرْني لها بعدَه . قال : فدخل عليها أبو هريرة فأبلغها عن الحسنِ بن عليّ . فقالت : ما ترى لي يا أبا هريرة ؟ قال : أرى أن تتزوَّجي الحَسَنَ ، وإن استطعْتِ أن تَضعي فاكِ حيث رأيْتُ رسولَ الله ﷺ وضع فاه ، فافعلي ، فتزوَّجت الحَسَنَ .

فمكثَتْ عنده ، ثم قَدِم ابنُ عامرٍ المدينةَ ، فاستأذَنَ الحسنَ بنَ عليٍّ في الدخولِ عليها وقال : إنَّ لي عندها ودائعَ ؛ فأذِنَ له ، فدخل عليها فكلَّمها ، فدمِعَتْ عينُه وعيناها ! فقال له الحسنُ : إن شئْتما كنتُ لكما خيرَ مُحَلِّلٍ ؛ قال ابنُ عامرٍ : لا والله ، ما لذاك بكائي . وطلبت إلى ابنِ عامرٍ أن يَدَعَ ابنتَه منها عندها . وكلَّمه الحسنُ فأجابه ، وقال : والله لو غيرُك يا أبا محمدٍ من الناس كلَّمنيَ ما فعلتُ .

---

٥٢٠ في الجليس الصالح ٣ : ٢٨٤–٢٩١ حكاية خيالية طويلة عن محاولة معاوية نفسه الزواج من هند بنت سهيل بن عمرو بنفس الطريقة وتخلطها بحكاية خطبته أمامة بنت أبي العاص التي مرت من قبل .

٥٢١ – حَدَّث الأَصمعيُّ عن وصيفٍ حاجبِ المهدي قال : كنا مع المهدي بزُبالةَ وقَد خَرج حاجّاً ، فإذا أعرابيٌّ يقول : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ، إني عاشقٌ ، (قال الأصمعي : وكان يحبّ ذكرَ العُشّاق) . فدعا بالأعرابي فلما دخلَ عليه قال : أَنتَ المنادي بالعِشْق ؟ قَال : نعم يا أَميرَ المؤمنين . فقال له : ما اسمُك ؟ قال : أَبو ميَّاسٍ ، قال : يا أَبا مياس ، من عشيقتك ؟ قال : ابنةُ عَمّي ، وقد أبى أبوها أن يُزَوِّجَها مني . قال : لعله أَكثرُ منك مالاً ، قال : لا بل أنا أَكثر منه مالاً . قال : فما قصتُكَ ؟ قال : فقال له الأعرابي : أدنِ رأسَك مني . قال : فجعل المهدي يضحك وأصغى إليه برأسه ، فقال : إني هَجينٌ ، قال : فليس يَضرُّك ذلك ، إخوة أمير المؤمنين وولدُه أكثرُهم هجينٌ ؛ قال ما أَقلَّ منفعةَ هذا لي إذاً ، فإنّ عمّي لا يُزوّجني . قال : وأين عمُك ؟ قال : منا على ثلاثةِ أميال . قال : فأرسَلَ الخيلَ في طلبه ، فجاءوا به . قال : ما لَكَ لا تزوج أبا مياس فإني أرى عليه نعمة ؟ قال : متاع سُوء ، وليس منا زَوَّج مثلَه . قال : فإن الذي كرهتَ ليس بعَيْبٍ عندنا ، وأَنا مُعطٍ صَداقَ ابنتِكَ عشرةَ آلافٍ ، ومُعَوِّضُك ممّا كرهتَ عشرةَ آلاف . قال : فذلك لك . فخرج أبو ميّاسٌ ، وهو يقول : [من الكامل]

ابتَعْتُ ظَبْيَةَ بالغلاء وإنّما يُعطي الغلاءَ بمثلها أَمثالي
وتركتُ أَسواق القِباح لأَهْلِها إن القِباحَ وإن رَخُصْنَ غوالي

٥٢٢ – قال أَبو عثمان سعيدُ بنُ محمد : وَجَّهني المنتصرُ في إمارته إلى مصرَ في بعض أُمورِ السلطان ، فعشقتُ جاريةً كانت لبعض النَّخَّاسين عُرِضت على البيعِ ، مُحْسِنَةً في الصَّنْعةِ ومقبولةً في الخِلقة ، قائمةً على الوزن من المحاسنِ والكمال . فساومتُ مولاها بها ، فأبى أن يبيعَني إلا بألفِ دينار ؛ ولم يكنْ ثمنُها مُتَهيِّئاً معي ، وأزعجني الشخوص ، وقد عَلِقَها قلبي . فأخذني المُقيمُ المُقْعِدُ ، وندمت على ما

---

٥٢١ مصارع العشاق ٢ : ٢٢٢–٢٢٣ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٤٦ –٣٤٧ .
٥٢٢ مروج الذهب ٥ : ٥٥–٥٦ .

فاتني من اشترائها . فلما قدمتُ وقد فرَغْتُ ممّا وَجَّهني له ، وأدّيتُ إليه ما عملتُ به وحَمِد أثري فيه ، سألني عن حالي وخبري ، فأخبرتُه بمكان الجارية وكَلَفي بها . فأعرضَ عني وجعل ما بي لا يزدادُ إلا حدّة ، وقلبي لا يزداد إلا كَلَفاً ، وصبري لا يزيد إلا ضَعْفاً ، [وسليت] نفسي بغيرها فلم تَسْلُ عنها . وجعل المنتصرُ كلّما دخلتُ عليه وخرجتُ من عنده يذكرها ، ويُهيِّجُ شوقي إليها ، وتحمّلتُ عليه بندمائه وأهل الأُنْسِ به ، وخاصٍّ من تحظى من جواريه وأمهاتِ أوْلادِهِ ، وأُمِّ الخليفة ، على أن يشتريَها لي ، ولا يُجيبني إلى ذلك ، ويعيرِّني بقلّة الصبر . وكان قد أمر أحمدَ بن الخصيب أن يكتُبَ إلى مصر في ابتياعها وحَمْلِها إليه من حيث لا أُعلم ، فحُمِلت وصارت إليه ، ونظر إليها وسمع منها ، فعذرني فيها ، ودفعها إلى قَيِّمةِ جواريه ، فأُصلحَتْ من شأنها . فلما كان يومٌ من الأيام استَجْلسني وأمر بها أن تخرجَ إلى سِتارته ، فلما سمعتُ غِناءها عرفتُها ، وكرهتُ أن أُعْلِمَه أني قد عرفتُها حتى ظهرَ مني ما قد كتمتُ ، وغُلِبْتُ على صبري . فقال لي : ما لك يا سعيد ؟ قلتُ : خَيْراً أيها الأميرُ ! قال : فاقتَرَح عليها صوتا كنت أعلمتُهُ أني سمعتُه منها وأني استحسَنْتُه من غنائِها ، فغنّتْهُ ، فقال لي : هل تعرفُ هذا الصوت ؟ قُلت : إي والله أيها الأميرُ ! وكما تكون المعرفةُ ، وقد كنتُ أطمع في صاحبته ، فأما الآنَ فقد يَئِسْتُ منها ، وكنت كالقاتِلِ نَفْسَه بيده ، والجالبِ الحَتْفَ إلى حياتِه . فقال : والله يا سعيد ما اشتريتُها إلا لك ، ويعلم الله أني ما رأيتُ لها وجهاً إلا ساعةَ أُدخلَتْ إليّ وقد استراحَتْ من تعب السفر واستراحَتْ من شُحوب التّبذُّل ، فهي لك . فدعوتُ له بما أمكنني من الدعاء ، وشكرَهُ عني من حضرَهُ من الجُلساء ؛ وأمر بها فهُيِّئَت ، فَرُدَّت إليّ حياتي بعد أن أشرفتُ على الهَلَكَةِ .

٥٢٣ – حدَّث محمد بن صالح العلويُّ قال : حدثني نُميرُ بن قُحيف

---

٥٢٣ مصارع العشاق ٢ : ١٤٨–١٥١ ونشوار المحاضرة ٦ : ٢٥٦–٢٦٠ والفرج بعد الشدة ٤ : ٣٥٤–٣٥٧ وانظر الجليس الصالح ٣ : ٣٧–٤٠ .

الهلاليُّ وكان حَسَنَ الوَجْهِ نَجيباً ، قلّما رأيتُ في الفتيان مِثلَه ، قال : كان منّا فتىً يُقال له بِشْرُ بنُ عبدالله يُعرف بالأشترِ ، وكان سَيِّدَ فتيان بني هلال ، أحسنُهم وجهاً ، وأسخاهم نَفْساً ، وأطولُهم لِمَّةً ، وكان مُعْجباً بجارية من قومه يُقال لها : جَيْداء ، وكانت بارعةَ الجمالِ جداً . فلما شهر أَمرُه وأَمرُها ، وظهر خَبَرُهُ وخبرُها ، وقع الشرُّ بين أهل بيتِه وأهل بيتها في سببها حتى قَتلوا بينهم القتلى ، وقُطِّعَتْ بينهم الأيدي والأرجل ، وافترقوا فريقين لا يَحُل واحد منهما مع الآخر . قال نمير : فلما طال على الأشتر البلاء والهجر جاءني يوماً ، فقال : يا نمير ، [هل] فيك خيرٌ ؟ [قلت] : عندي كلُّ ما أحببتَ . قال : أسعدني على زيارة جيداء ، قلت : نعم بالحب والكرامة ، فانهضْ إذا شئت . قال : فركبَ وركبتُ معه ، فسرنا يومَنا وليلَتَنا والغَد ، حتى كان أصيلَ العشيِّ ، ثم نظر إلى أدنى سرب أهلها ، فأنخنا رواحلنا في شِعبٍ خفيٍّ ، وقعد عندها وقال : يا نمير اذهبْ – رضي الله عنك – فتأنَّسْ للناسِ واذكُرْ لمن لقيَكَ أنك طَالبُ ضالة ، ولا تُعرِّض بذكري بين شفةٍ ولا لسانٍ إلا أن تلقى جاريَتَها فلانةَ راعيةَ ضأنهم فتُقرِؤها السلام وتَسألُها الخبرَ وتُعلمُها بمكاني . قال : فخرجت لا أعدو ما أمرني حتى لقيتُ الجارية ، فأبلغتُها الرسالةَ وأعلمْتُها مكانَه ، وسألتُها عن الخبر ، فقالت : هي والله مُشدَّدٌ عليها محتفَظٌ بها ، وعلى ذاك فموعدكما أولئك الشجرات اللواتي عند أعقابِ البيوت مع صلاةِ العشاء . قال : فانصرفت إلى صاحبي فأخبرتُه الخبرَ ، ثم نهضت أنا وهو نقودُ راحلتَيْنا حتى أَتَيْنا الموعدَ في الوقت الذي وعدتنا فيه . فلم نلبث إلا قليلاً إذا جيداء تمشي حتى دنت منا فوثب الأشترُ فصافحها وسلّم عليها . فوثبتُ مولِّياً عنهما ، فقالا : نقسم عليك إلا رجعتَ ! فوالله ما بيننا رِيبةٌ ولا قبيحٌ نخلو به دونَك ، فانصرفت راجعاً إليهما حتى جلست معهما . فقال لها الأشتر : أما فيك حِيلةٌ يا جيداءُ فنتعلَّلَ الليلةَ ؟ قالت : لا والله ما لي إلى ذلك سبيلٌ إلا أن أرجعَ إلى الذي تعلم من البلاء والشرِّ . فقال لها : لا بد من ذاك

وإن وقعت السماءُ على الأرض . قالت : فهل في صاحبك هذا خيرٌ ؟ قالت : يا فتى هل فيك خير ؟ قلت : سلي ما بدا لك فإني منتهٍ إلى رأيك ولو كان في ذلك ذهاب نفسي .

قال : فجعلَتْ عليّ ثيابها فلبستُها وجعلَتْ عليها ثيابي فلبستْها ، ثم قالت لي : اذهب إلى بيتي وادخل في سِتري ، فإن زوجي سيأتيك مع العتمة فيطلبُ منك القدحَ ليحلبَ فيه الإبلَ فلا تُعطه إياهُ من يدِك ، فكذاك كنتُ أفعلُ به ، فسيذهبُ فيحلبُ ثم يأتيك عند [فراغه من] الحلب [والقدح] ملآنٌ لبناً ، فيقول : هاكِ غَبُوقَكِ ؛ فلا تأخذه منه حتى تطيل نكدَكَ عليه ثم خذْه أو دَعْه حتى يضعَهُ ؛ ثم لست تراه حتى تصبحَ إن شاءَ الله .

قال : فذهبتُ ففعلتُ كما أُمرتني ، حتى إذا جاء بالقدح فيه اللبن أمرني أن آخُذَه فلم آخُذْهُ حتى أطلتُ نكدي عليه ، ثم أهويتُ آخُذُه وأهوى يَضعُه ، فاختلفَتْ يدي ويدُه فانكفأَ القدحُ واندفقَ ما فيه من اللّبن ، فقال : إن هذا لطماحٌ مفرطٌ وضرب بيده إلى مقدَّمِ البيتِ فاستخرج سَوْطاً مَلويّاً كمثلِ الثعبان المطوَّق ؛ ثم دخل عليّ فهتك السِّترَ عني وقبضَ بشعري ، وضربني بذلك السَّوطِ ثلاثين إن زادَتْ فقليلاً وإن نقصَتْ فقليلاً ، ثم جاءتْ أُمُّه وإخوتُه وأختٌ له فانتزعوني من يده ؛ ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلَتْني روحي ، وهمَمْتُ أن أجأَهُ بالسكين ، وإن كان فيها الموت ؛ فلما خرجوا عني وهو معهم شدَدْتُ سِتري وقعدْتُ كما كنتُ ، فلم ألبَثْ إلا قليلاً وإذا أُمُّ جيداءَ قد دخلَتْ عليّ ، فكلمتني وهي تحسبني بنتَها ، فاتَّقيْتُها بالسُّكاتِ والبكاءِ ، وتغطيتُ بثوبي دونَها فقالت : يا بنية ! اتقي الله ربَّك ولا تَعَرَّضي للمكروه من زوجك فذاك أولى بكِ ، فأما الأشتر فلكِ[1] آخرَ الدهر .

ثم خرجَتْ من عندي وقالت : سأُرسلُ إليكِ أختَكِ تؤنسُكِ وتَبيتُ الليلةَ

---

١ مصارع العشاق : فلا أشتر لك .

عندَكِ . فلبثت غير ما كثير ثم إذا جاريةٌ قد جاءتني وجعلَتْ تبكي وتدعو على من ضربني ، وجعلتُ لا أكلّمُها . ثم اضطجعَتْ إلى جنبي فلما استمكنْتُ منها شدَدْتُ يدي على فَمِها وقلتُ : يا هذه تلك أختُكِ مع الأشتر ، وقد قُطِعَ ظهري الليلةَ بسببها ، وأنت أوْلى بالسَّترِ عليها ، فاختاري لنفسك ولها ، فوالله لئن تكلّمْتِ بكلمةٍ لأصيحَنَّ بجَهدي حتى تكونَ الفضيحةُ شاملةً ؛ ثم رفعتُ يدي عن فمها فاهتزَّتْ مثل القصبةِ من الزرعِ ، وباتَ معي منها أصلحُ رفيقٍ رافقْتُه قطّ . فلم تَزلْ تتحدثُ وتضحكُ منّي ومما بُليتُ به حتى بَرَقَ لي النورُ ، ثم إذا جيداءُ تدخلُ عليّ من آخر البيت فلما رأَتْنا ارتاعَتْ منا ، وقالت : ويلكِ من هذا عندَكَ ؟ قلت : أختُكِ . قالت : وما السبب ؟ قلت : هي تُخبرُكِ ، فلعمر الله إنها لعالمة .

وأخذتُ ثيابي ومضَيْتُ إلى صاحبي ، فركبتُ أنا وهو خائفين ، وخبّرتُه ما أصابني وكشفْتُ له عن ظهري ، فإذا فيه كلُّ ضربة تُخرجُ الدّمَ وحدَها . فلما رأى ذلك قال : لقد عظُمَتْ صنيعتك وأوجبَتْ علينا شكرَك ، وخاطَرْتَ بنفسِكَ فلا حَرَمنا الله مكافأتَكَ .

٥٢٤ – حدث محمد بن الفضل الجرجرائي في وزارته للمعتصم قال : كنتُ أتولّى ضياعَ عُجَيْفٍ بكسكر فرُفِعَ عليّ أنني خُنْتُه وأخربتُ الناحية . فأنفذَ إليّ مَن قيدني ، فأُدخلتُ عليه في داره بسرّ من رأى على تلك الحال ، فإذا هو يطوفُ على ضياعٍ فيها ، فلما نظر إلي شتمني وقال : أخربْتَ الضياعَ ونهبتَ الارتفاع ؛ والله لأقتلَنَّكَ ! هاتُم السِّياطَ ، فأُحضرَتْ ونُحِّيتُ للضرب ؛ فلما رأيتُ ذلك ذهب عليّ أمري وبلت في ثيابي . ونظر كاتبه إليّ فقال لعجيف : أعزَّ اللهُ الأميرَ ! أنت مشغولُ القلبِ بهذا البناء ، وضربُ هذا الليلةَ في أيدينا ليس يفوتُ ، فتأمرُ بحبسِه وتنظرُ في أمره ، فإن كانت الرفيعةُ صحيحةً فليس يفوتُكَ عقابُه ، وإن

---

٥٢٤ الفرج بعد الشدة : ٢ : ٢٦–٢٨ .

كانت باطلةً لم نتعجَّل الإثمَ والاشتغالَ عما أنت بسبيله . فأمر بي إلى الحبسِ فمكثتُ فيه أياماً . وغزا أمير المؤمنين عموريةَ وقتلَ عُجيفاً في نوبة العباس بن المأمون ، واتّصلَ الخبرُ بكاتبه فأطلقني ، وخرجتُ فلم أهتدِ إلى حبّة فضة فما فوقها . فقصدتُ صاحبَ الديوان بسرٍّ من رأى لصداقة كانت بيني وبينه ، فلما رآني سُرَّ بإطلاقي ، وتوجَّعَ من سوء حالي ، وعرض عليّ مالَه ، فقلتُ : تتفضل بتصريفي في شيء أُستَرُ بجاريه . فقلَّدني عملاً بنواحي ديار ربيعة ، واقترضتُ من التجار لما سمعوا بخبر ولايتي ما تحمّلْتُ به إلى العمل ، وخرجتُ . وكان في ضياع العمل ضيعة تعرف بَعْرَاثا ، فنزلتُها في بعض طرفي العمل ونزلتُ داراً منها . فلما كان السحر وجدتُ المستَحَمَّ ضيّقاً غير نظيف ، فخرجت إلى ظاهر الدار ، وإذا بتلٍّ ، فجلستُ أبولُ عليه . وخرج صاحبُ الدار فقال : أتدري على أي شيء بُلتَ ؟ قلت : على تلٍّ ترابٍ . فضحك وقال : هذا رجلٌ يُعرفُ بعجيف من قوّادِ السلطانِ ، كان سَخِط عليه وحمله مقيّداً ، فلما صار إلى ههنا قُتلَ وطُرحَ في هذا المكان تحت حائط ، فلما انصرفَ العسكرُ طرَحْنا الحائط عليه لِنُواريَهُ من الكلاب ، فهو تحت على هذا التلِّ الترابِ . قال : فعجبتُ من بولي خوفاً منه ومن بولي على قبره عليه .

٥٢٥ – وأورد التنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدة» ما هو بالأحداث الغريبة والاتفاقات العجيبة أَلْيَقُ ، وبهذا المكان أشبه . قال : غزا مسلمةُ بنُ عبد الملك بلادَ الروم ، فسبى سبياً كثيراً ، وأقام في بعض المنازل ، فعرَضَ السبيَ على السيف ، فقتلَ خلقاً ، حتى عُرِضَ عليه شيخٌ ضعيفٌ ، فأمر بقتله ؛ فقال له : ما حاجتُكَ إلى قتلِ شيخٍ ضعيفٍ مثلي ؟ إن تركْتَني جئتُكَ بأسيرين من المسلمين شابَّين . قال : ومن لي بذلك ؟ قال : إني إذا وعدتُ وفيْتُ . قال : لستُ أثق بك . قال : فتدَعُني أطوفُ في عسكرك لعلي أعرف مَن يكفلُ بي إلى أن أمضي

---

٥٢٥ الفرج بعد الشدة ٢ : ٢٩–٣١ .

فأجيء بالأسيرين . فوَكَلَ به من أمَرَهُ بالطوافِ معه في عسكره والاحتفاظ به .
فما زال الشيخُ يطوفُ ويتصفحُ الوجوهَ حتى مرَّ برجلٍ من بني كلاب قائماً يَحسُّ فرساً لـه ، فقال لـه : يا فتى اضْمَنّي للأميرِ ، وقصَّ عليه القصةَ ؛ قال : أفعل . وجاء به معه إلى مسلمةَ وضَمِنه فأطلقه . فلما مضى قال : أتعرفه ؟ قال : لا والله ! قال : فلم ضمِنْتَه ، قال : رأيتُه يتصفَّحُ الوجوهَ فاختارني من بينهم ، فكرهتُ أن أُخلِفَ ظنَّه . فلما كان من الغدِ عاد الشيخُ ومعه أسيران من المسلمين شابان ، فدفعهما إلى مسلمةَ ، وقال : يأذنُ الأميرُ أن يصيرَ معي إلى حصني لأكافئَهُ على فعله بي ، فقال مسلمة للفتى الكلابي : إن شئتَ فامضِ معه .

فلما صار إلى حصنه قال له : يا فتى تعلم والله أنّك ابني . قال : وكيف أكونُ ابنَكَ وأنا رجلٌ من العرب مسلمٌ وأنت رجلٌ من الروم نصراني ؟ قال : أخبرني عن أمِّك ما هي ؟ قال : رومية ؛ قال : فإني أصفُها لك ، فبالله إن صدقتُ إلا صدَّقْتني ؛ قال : أفعل . فأقبل الرومي يصفُ أمَّ الفتى ، فما خرم شيئاً منها ؛ قال : هي كذلك فكيف عرفت أني ابنُها ؟ قال : بالشَّبهِ وتعارفِ الأرواح ، وصدقِ الفراسةِ ، ووجودِ شَبَهي فيك ؛ ثم أخرج إليه امرأةً فلما رآها الفتى لم يشكَّ أنّها أمُّـهُ لشدّةِ شبهها به ، وخرجت معها عجوزٌ كأنها هي ؛ فأقبلتا تقبّلانِ رأسَ الفتى ؛ وقال الشيخ : هذه جدّتُك وهذه خالتُك . ثم اطّلع من حصنه ، ودعا بشبابٍ في الصحراء ، وكلَّمهم بالرومية ، فجعلوا يُقبّلون رأسَه ويدَه ؛ قال الشيخ : هؤلاء أخوالُك وبنو خالاتِكَ وبنو عمٍّ والدتك ؛ ثم أخرج حُلِيّاً كثيراً وثياباً فاخرة ، فقال : هذا لوالدتك عندنا منذ سُبِيَتْ ، فخذْهُ فادفعْهُ إليها ، فإنها ستعرفُه ؛ ثم أعطاه لنفسه مالاً كثيراً وثياباً جليلة ، وحمله على عدّةِ دوابٍ وبغالٍ ، وألحقه بعسكر مَسلمة وانصرف .

وأقبَلَ الفتى قافلاً حتى دخل منزلَهُ وأقبلَ يُخرج الشيءَ بعد الشيء ممّا عرَّفَه الروميُّ أنه لأمِّه ، فتراه فتبكي فيقول لها : قد وهبته لك ؛ فلما أكثَرَ عليها قالت : يا بنيّ ، أسألُك بالله من أيّ بلدٍ صار إليك هذا الحُليُّ وهذه

الثياب ؟ وهل قتلتُم أهل الحصنِ الذي كان فيه هذا ؟ قال الفتى : صِفَتُه كذا وكذا ، وصفةُ البلد كذا ، ورأيت فيه قوماً حالُهم كذا ، ووصف الأمَّ والأختَ وجميعَ الأهل ، وهي تبكي وتقلقُ ، فقال لها : ما يُبكيكِ ؟ قالت : الشيخ واللهِ أبي ، والعجوز أمِّي ، والشابَّةُ أختي . فقص عليها الفتى الخبرَ وأخرجَ بقيَّةَ ما كان معه فدفعه إليها .

٥٢٦ – ذكر أنّ عاملاً للمنصور على فلسطين كتب إليه أنّ بعضَ أهلها وثب عليه ، واستغوى جماعةً منهم وعاثَ في العملِ . فكتب إليه أبو جعفر : دمُك مُرتَهَنٌ به إن لم توجِّهْهُ إليّ . فصمد له العامل فأخذه ووجَّهَ به إليه . فلما مَثَلَ بين يَديْ أبي جعفرٍ قال له : أنت المتوثِّبُ على عاملِ أميرِ المؤمنين ؟ لأنثُرَنَّ من لحمِكَ أكثر ممّا يبقى على عظمك . قال : وكان شيخاً كبيراً ضئيل الصوت فقال : [من الكامل المرفل]

أتروضُ عِرسَكَ بعدما هَرِمَتْ ومن العَناء رياضةُ الهرِمِ

فلم يفهم أبو جعفر ما قال فقال : يا ربيعُ ما يقول ؟ قال : يقول : [من البسيط]

العبدُ عبدُكُمُ والمجدُ مجدُكُمُ فهل عذابُك عنّي اليومَ مصروفُ

قال : يا ربيع ، خلِّ عنه فقد عفوتُ عنه ، وأحسِنْ إليه واحتَفِظْ به .

٥٢٧ – أحضر هشام بن عبد الملك إبراهيم بن أبي عبلة[1] الذي كان يتولّى ديوانَ الخاتَمِ لمروانَ بنِ محمد فقال له : إنّا قد عرفناك صغيراً وخبَرْناك كبيراً ، وإني أريدُ أن أخلِطَكَ بحاشيتي ، وقد وليتك الخراج بمصر ، فاخرج . فأبى

---

٥٢٦ الفرج بعد الشدة ١ : ٣٧٦ وصدر البيت الأول فيه : العبد عبدكم والمال مالكم .
٥٢٧ الفرج بعد الشدة ١ : ٣٨٨ .

---

١ م : عقلة .

إبراهيم عليه وقال : ليس الخراجُ من عملي ولا لي به بَصَرٌ . فغضب هشامٌ عليه غضباً شديداً حتى خاف إبراهيم بادرتَهُ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : قل ؛ فقال : يقول الله عز وجل : ﴿إنّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ على السَّموات والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ منها وحَمَلَها الإنْسَانُ﴾ (الأحزاب : ٧٢) لكن والله ما أكرَهَ السمواتِ والأرضَ والجبالَ حين أَبَيْنَ من حملِها ولا سَخِطَ عليها ، ولقد ذمَّ الانسانَ حين قَبِلَها ، فقال هشام : أَبَيْتَ إلا رفقاً وأعفاه .

٥٢٨ – قال أبو عبيدة : كان فتىً من الخوارجِ من بني يَشْكُرَ مجتهداً ، فتزوج بابنة عمٍّ له ، فلما كان ليلةَ أرادَ البناءَ بها أتاهُ قومٌ من أصحابه على خيولهم ، فوقفوا ببابه فلما علمَ بهم خرجَ إليهم ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : قومٌ من إخوانك ، وخرجنا من الدنيا وتركناها لأهلها لنفنى على ما فَنيَ عليه السلفُ الماضون ، قال : فانزلوا وأقيموا ليلَتَكُم هذه حتى أخرجَ معكم غداً ؛ قالوا : ما كنا لنعودَ إلى الدنيا بعدما خرجنا منها وتركناها لأهلها ، قال : فانتظروني . فألقى ثيابَ عُرسِهِ ولبِسَ ثيابَ سفَرِه ، وركب فرسه وهو يقول : [من الرجز]

يا ربِّ إنِّيَ مُؤْثِرٌ ذويكا إذ فارقوا الدنيا ويَمَّمُوكا

ثم خرج إلى أصحابه فقال : [من الرجز]

سيروا على اسم الله في سبيلِهِ على يقينِ الوعدِ من رسولِهِ
إني بــه مصدِّقٌ وقيلِــهِ لعلّنـا نفـوزُ من تمثيلــهِ
أو نُدركُ التفضيلَ من تفضيلهِ

قالوا : بل أقِمْ في منزلك وتمتَّعْ من أهلك بقيةَ ليلتك ، ولا تُشمتْ بهم عدوهم ، ونحن مقيمون عليك حتى تُصبحَ ، فقال : ما كنتُ لأرجعَ إلى الدنيا بعد إذ خرجتُ منها ، ثم أنشأ يقول : [من الرجز]

ما وعد الله من الحورِ العِينْ ومن ثوابِ المسلمين الشارينْ

خيرٌ من الأهل الأولى يموتونْ ويسخطونَ مـرة ويرضَـوْنْ

ثم مضى معهم فلحقتهم خيل لمحمد بن مروان ، فقتلوا الطائفةَ وأسروا الفتى في عدة من أصحابه ؛ فبعث بهم محمدٌ إلى الحجاج . فلما رأى الفتى استصغره فدعا به فقال : ويحك ما أخرجك ؟ فوالله ما أظُنُك تعرفُ مواقيتَ الصلاة . قال : ذاك لو كنتُ اتّكلْتُ على تعليمك يا حجـاج ، كنت بالحري أن أنزل هذه المنزلـة . قال : فما أخرجك ؟ قال : مخافةُ يومٍ أنا وأنت فيه نصيرُ ؛ قال : وما ذاك اليومُ ؟ قال : أولُ آخرٍ وآخر أوّلٍ ، مستقبِلُ أولٍ لا آخر له ، ومستدبِرُ آخرٍ لا يعود بعد نفاذه ، لا بعده أجلٌ ، ولا فيه عملٌ ، ولا عنده مستعتِبٌ ، ولا إلى غيره مَذهَبٌ ، يأمن فيه الخائفُ ، ويخافُ فيه الآمنُ ، ويَعِزُّ فيه الذليلُ ، ويذِلُّ فيه العزيز ، وفي مثل هذا ما أقلق ذكري على فراشه هذا ، والأئمةُ تعدِلُ ، فكيف إذا كانت تَضِلُّ وتُضلِّلُ ، فاقضِ ما أنت قاضٍ ؛ قال : أجزعتَ من الموت ؟ قال : لا والله ما جزعتُ من قضاءٍ ، ولا أسِفتُ على بلاءٍ ، ولا كرهتُ لربّي لقاءً ، ولِلْموتِ ما خلقتُ ، وما لي حاجةٌ إلا فيه ، فهل يجزعُ الرجلُ من قضاءِ حاجته ؟ قال : أما والله لأُعجلَنّ لك من العذابَ الأدنى دونَ العذابِ الأكبر ؛ قال : أما والله لوعلمتُ أنّ بيدك تعجيلَهُ لعلمتُ أن بيدك تأخيرَهُ ، لأن من يقدرُ على تعجيلـه يقدرُ على تأخيره ؛ قال : والله لأقتُلنَّك ؛ قال : إذن لا يُعزُّ الله بقتلي باطلاً ، ولا يُبطلُ به حقّاً ، فلئن قتَـلْتَني لأُخاصمنَّكَ بحيث يزولُ عنك وعن ابن الزرقاء عِزُّكما ، ولا يدفع عنكما سلطانُكما ، وحيث لا تقبلُ لكما عِذرةٌ ، ولا تنفعُكُما حُجَّةٌ ؛ فأمر بقتله .

٥٢٩ – قال علي بن حرملة : رأيتُ أبا حنيفة حين وردَ عليه خبرُ إبراهيمَ الصائغ وتعرُّضِه لأبي مسلم حتى قتله ، فقال : والله لقد كنتُ أتخوف عليه هذا الأمرَ حتى وقع فيه . قالوا : كيف يا أبا حنيفة ؟ قال : صار إليَّ وسألني خلوةً فوعدتُـهُ ، ولم أقدِرْ لاجتماع الحاجِّ عليّ ؛ فكان يتقاضاني ويذكرُ الموعدَ ؛ فقلتُ له : ترى شغلي بالحاجِّ ، فقال : إن الله يسألُك عن أمري . قال : فخلا معي ساعة

فقال : ما تقول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أفرضٌ هو أم نَفْلٌ ؟ قلت : فرضٌ . فعدَّ عليَّ من هذه الفرائض ما عدَّ ثم قال : مثل هذا ؟ قلت : نعم ، قال : ابسُطْ يدَك أبايعْكَ عليه . قال : فأظلمَتْ عليّ الأرضُ ، وخفتُ إن أعطيتُه شيئاً لا أقدر أن أقومَ به . قال : ثم ذكرتُ فقلت : يا أبا إسحاق إنّ هذا فرضٌ ليس كسائر الفرائض التي يؤدِّيها الرجلُ وحدَه ، فتحرَّ عنه ، وهذا متى عَرَضَ له رجلٌ أشاط بيده بدمه وعرَّض نفسه للقتل فلو كان قُتِل وخلص الحقّ إلى من يقوم به أُجرَ في تلف نفسه ، ولكن يقتل ولا يُسْتوفَى للناس أمرُهم وتذهبُ نفسه ؛ ولكن انتظر فإن مَنَّ الله علينا بمن يقومُ لله بذلنا له أنفسَنا ومُهَجَنا وما نالتُه أيدينا من القوة . فانصرفَ من عندي ، وكان يتقاضاني تقاضيَ الغريمِ المُلِحِّ حتى خرج إلى مرو ، فتعرَّضَ لأبي مسلمٍ فأمرَه ونهاه ، فأخذَه وحبسه ، فاجتمع عليه أهلُ مرو وقالوا : مثله تحبسُ ونحن نعرضُ ونؤمِّلُ من الله به كلَّ خير ؟ فأخرجه . ثم تعرَّضَ له ثانيةً وثالثةً فقتله . فبلغني عنه أنه قال : أخافُ أن أكونَ قد أعنتُ على نفسي فينقُص ثوابي من الله إذ لم أَقبَلْ ممّن هو أعلمُ بالله مني .

٥٣٠ – قال أبو حنيفة : وحدثني من أثق به من آل بيتِ محمدٍ ﷺ عن أبيه عن عليٍّ عليه السلام أنه قال : سيِّدُ الشهداء يوم القيامةِ حمزةُ بنُ عبد المطلب رضي الله عنه ورجلٌ يقومُ في آخر الزمانِ عند انقضاء ملكِ بني أُميةَ إلى رجلٍ جائرٍ يقول له : أنا داعيةُ الحق ، فيأمرُهُ فيقتلُه ، فكان هو الذي قام على أبي مسلم فأمره ونهاه ، فأخافُ أن أكونَ قد ضيعتُ حقّ الله فيه .

٥٣١ – وقيل : إن ابن هبيرة حين اضطرب الحبلُ وظهرَتْ الفتنةُ بالعراق جمع فقهاءَ أهلِ العراق وقُضاتَه ، منهم ابنُ أبي ليلى وابنُ شُبْرُمة وداود بن أبي هند ، وعدداً منهم ، فولّى كلّ واحدٍ منهم صدراً من عمله . وأرسل إلى أبي حنيفة فأراد أن يكونَ الخاتَمُ في يده ، فامتنع أبو حنيفةَ عليه ؛ وحلف ابنُ هبيرةَ

---

٥٣١ مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ٢٧٣–٢٧٦ وانظر تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢٦–٣٢٧ .

إن لم يفعلْ ما أرادَ ضربه كلَّ جمعةٍ سياطاً حتى يقتلَه . قال : فأُخرجَ والفقهاءُ جلوسٌ ، فمالوا به إلى إخوانه فوقفَ عليهم فقالوا له : نَنشُدُك الله أن تُتلفَ نفسَك ، وتَغُمَّ إخوانَك ، وتعرضَ لهذا الجبّار ، وإنا قد كرهنا هذا الأمرَ كما كرِهْتَ ، ولكن نشتري الدينَ بعضَه ببعض . فقال أبو حنيفة : لا والله لا آثرْتُ على الله شيئاً ، ولا أدخلُ في عملٍ ، لو سألني أن أعُدَّ له أساطينَ المسجد والله ما فعلتُ ، فكيف ولو ترى أن نكتبَ في دمِ رجلٍ لعله غيرُ مستحِقٍّ فأختمُ أنا على كتابه ونأخذُ المالَ من غير حقِّه فينفقُهُ على معاصي الله وأُعِينُه على حفظه . فقال ابن أبي ليلى : دعوا صاحبَكُم وما يحملُ على نفسِه ، فهو والله المصيبُ ونحن المخطئون ؛ يا أخي لو وطَّنّا لأنفسنا على ما وطَّنْتَ نفسك عليه كان خيراً لنا .

فحبسه صاحبُ الشرطة عنده جمعتين ولم يَضرِبْه ، ثم أخرجه واعتذر إليه وقال : إن هذا الأميرَ لا يُختارُ عليه ، فإمّا أن تدخلَ فيما أمرك به أو أُمضيَ فيك أمرَه ؛ قال : من تقلّد شيئاً كان عليه ؛ فضربه . فقال ابنُ هبيرة : ألا ناصِحَ لهذا المحبوسِ يستأجلُه فنؤجِّلَه لينظرَ في أمره ؟ فجيء إلى أبي حنيفة فأُخبرَ ، فلما كانت الجمعةُ الثانيةُ أُخرج ، فقال : إنّ أثرَ السِّياطِ طريٌّ في جنبي ، ولي إخوانٌ فدعوني أستشرْهُم وأنظرُ فيما يدعونني إليه . فاغتنم ابنُ هبيرة قولَه وأمر بتخليةِ سبيله . فركب دوابَّه وهرب إلى مكة ، فلم يزلْ مقيماً بها حتى ظهرَتْ الهاشميةُ وملكوا .

٥٣٢ – فقدم أبو حنيفة الكوفةَ فأرسل إليه أبو جعفرٍ فضمّه إليه ببغداد ، وأمر له بجاريةٍ وبعشرةِ آلافِ درهم . وكان عبد الملك بن حُميدٍ على وزارةِ أبي جعفر ، وكان حسنَ الرأي فيه ، فقال : لا حاجةَ لي في الجائزةِ ولا في الجارية . فقال : أَنشدُك الله ، فإنه أميرُ المؤمنين ، وهو سريعُ الغضبِ ، ولا آمنُ عليك غضبَهُ ، وأخاف أن يَصدُقَ عليك ما يُظنُّ بك . فأبى أن يقبض من ذلك شيئاً . قال : فأنا أَردُّ الدراهمَ إلى بيتِ المال وأعتذرُ لك ؛ فالجارية أيُّ عذرٍ لك فيها ؟

---

٥٣٢ مناقب أبي حنيفة (للكردي) : ٢٤٤–٢٤٥ .

قال : تقول إني شيخٌ كبرتُ وضعفتُ عن الجماع ، فأكرهُ أن أقبلَ جاريةً تحتاجُ إلى من يَمسُّها فلا أصلُ إليها وأبيعُ ملكَ الخليفة .

٥٣٣ – ودعاه أبو جعفر فقال : إنّ شيعةَ أميرِ المؤمنين يحضرون فتسمعُ كلامَهم . فحضروا فتكلموا وأكثروا ، فقال لواحدٍ : صُنْ لسانَك عن الكذب ، وقال لآخر : هذا كلام من قد كفر النعمةَ ؛ فقام أبو العباس الطوسي فحمِدَ الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وقال قولاً مختصراً جميلاً ، فقال أبو حنيفة : أصبتَ . فقال أبو جعفر : انصرفوا على قولِ أبي العباس سيِّدِكُم .

٥٣٤ – وظهر إبراهيم بالبصرة وأخوه بالمدينة . ودخل الحسنُ بنُ قحطبة على أبي حنيفة فقال : أنا ممّن عمل عملاً لا يَحِلُّ ، فهل من توبة ؟ قال : نعم . قال : ما هي ؟ قال : أن يَعلمَ الله منك نيَّةً صادقةً أنك نادمٌ على ما فعلتَ ، وأخرى إن خُيِّرْتَ بين أن تُقتَلَ مسلماً أو تعملَ اخترتَ قتلَكَ على عمله[1] ، وتجعلَ لله على نفسك عهداً ألا تعودَ في شيء ممّا كنتَ فيه ؛ فإن وفَيْتَ قُبِلَتْ توبتُك إن شاء الله . قال : قد فعلتُ وعاهدتُ الله أني لا أعودُ . قال : فدعاه أبو جعفر وأمره بالسير إليهما ، فجاء إلى أبي حنيفة فقال : إني أُمِرتُ بكذا وكذا ، قال : أما إنك إن وفيتَ غُفِر لك ما مضى وإن عُدتَ أُخِذْتَ بما مضى وبما يستأنف . فدخل إلى أبي جعفر وتهيَّأ للقتل ، واستعفاه ، واعتلَّ عليه ، فلم يَقبلْ منه . فقال : لستُ أقتلُ هذين الرجلين ، وحسبي ما مضى . قال : فغضب أبو جعفر ، فوثب أخوه حميدُ بن قحطبة عليه وقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنا قد أنكرناه منذ سنة ، وقلنا قد اختُلِطَ ، وأنا أسيرُ . فسار حميد وقال أبو جعفر : تعاهدوا الحسن وانظروا إلى مَن

---

٥٣٤ مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ٤٤٠–٤٤١ وانظر فيه أيضاً الصفحات السابقة لذلك في كيفية وفاة أبي حنيفة .

---

[1] مناقب : إن خيرت بين أن تقتُلَ مسلماً أو تُقتل اخترتَ قتلك على قتله .

يدخلُ ، ومن يُجالسُ ، ومن الذي يُفسِد هذا الرجلَ علينا . فأخبروه أنه يدخلُ على أبي حنيفة ويُجالسُه ، فدعا بسُمٍّ وسقى أبا حنيفة وسقى الحسن ، فمات أبو حنيفة رحمه الله ، وعُولجَ الحسنُ فبَرَأ .

٥٣٥ - وقد روي أن أبا حنيفة لما خاف التّلفَ وألحَّ عليه ابنُ هبيرةَ بالضرب ، وآلى أن لا يرفعَهُ عنه حتى يليَ له عملاً ، تولّى له عدَّ أحمال التبنِ التي تخرج من ناحية السَّوادِ وتدخلُ الكوفة .

٥٣٦ - وروي أنّ ابنَ هبيرةَ أراده على القضاء وحلفَ إن هو لم يقبلْ ليضربنَّه بالسِّياط على رأسه ، فقيل لأبي حنيفة فقال : ضربُهُ لي بالسياط في الدنيا أسهلُ علي من مقامعِ الحديد في الآخرة ؛ والله لا فعلْتُ ولو قتلني . فحُكي قولُه لابنِ هبيرةَ فقال : بلَغَ من قدره ما يعارضُ يميني بيمينه ؟ فدعا به فقال له سفاهاً ، وحلف له إن لم يلِ ليضربنَّه على رأسه حتى يموتَ . فقال له أبو حنيفة : هي ميتةٌ واحدةٌ . قال : فأَمرَ به فضُرِبَ عشرين سوطاً على رأسه . فقال أبو حنيفة : اذكرْ مقامَكَ بين يدَي الله فإنه أذلُّ من مقامي بين يديك ، ولا تهدِّدْني فإني أقول : لا إله إلا الله ، والله سائلُكَ عني حيث لا يُقبَلُ منك جواب . فأومأ إلى الجلاد أن أمسِكْ . وبات أبو حنيفة في السجن ، فأصبح وقد انتفخ وجهُهُ ورأسُهُ من الضرب . قال : فقال ابن هبيرة : إني رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم وهو يقول : أما تخاف الله تضرب رجلاً من أمتي بلا جُرْمٍ وتهدّدُه ؟ فأرسلَ إليه فاستخرجه واستحلَّه .

٥٣٧ - وقال الربيع بن يونس : جمع المنصورُ مالكَ بنَ أنسٍ وابنَ أبي ذئب وأبا حنيفة فقال : كيف ترَوْنَ هذا الأمرَ الذي أعطاني الله من أمرِ هذه الأمة ؟ هل أنا لذلك أهلٌ ؟ قال : فسكت القوم ؛ فقال لابن أبي ذئب : ما تقول في هذا الأمر

---

٥٣٦ مناقب أبي حنيفة للموفق المكي : ٢٧٤ .

٥٣٧ مناقب أبي حنيفة (للكردي) : ٢٩٦ .

الذي قلَّدني الله عزّ وجلّ من أمر أمة محمد ﷺ ؟ فقال : إنّ مُلكَ الدنيا يؤتيه الله من يشاء ومُلكُ الآخرة يؤتيه الله من طلبه في الله ووفَّقه ، وإن التوفيق منك إذا أطعتَه قريبٌ وإذا عصيته بعيدٌ ، وإن الخلافةَ تكونُ بإجماعِ أهلِ التقوى عليها والعونِ لمن وَلِيَها ، وأنت وأعوانُكَ خارجون من التوفيق ، عالونَ على الخلق ، فإن سألتَ الله السلامةَ ، وتقرَّبتَ إليه بالأعمالِ الزاكيةِ ، كان في ذلك نجاتُك وإلا فأنت المطلوب . قال : فكنت أنا ومالكُ بنُ أنسٍ نجمعُ ثيابَنا أن يترشَّشَ علينا من دمه . قال : فقال لأبي حنيفة : ما تقول ؟ قال : المسترشِدُ لدينه يكونُ بعيدَ الغضبِ ، إن أنت نصحتَ نفسَكَ علمتَ أنك لم تُرِدِ الله باجتماعنا ، وإنما أردتَ أن تَعلمَ العامةُ أنَّا نقولُ فيك ما تهواه مخافةَ سيفِكَ وحبسِكَ ، ولقد وليتَ الخلافةَ وما اجتمع عليك نفسان من أهل التقوى ، والخلافة تكونُ عن إجماعِ المؤمنين ومشورة ، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمسك عن الحكم ستةَ أشهرٍ حتى أَتَتْه بيعةُ أهلِ اليمن . قال : وقال لمالك : ما تقول ؟ قال : لو لم يَرَكَ الله أهلاً لذلك ما قدَّرَ لك مُلكَ هذه الأمّة وأزال عنهم من بَعُدَ من بينهم ، وقرَّبَ هذا الأمرَ إلى أهل بيت نبيِّه ، والله لقد دحرَ الله الباطلَ ، وأنجى أهلَ بيتِ نبيِّه ، أعانك الله على ما ولّاكَ ، وألهمَكَ الشكرَ على ما خوَّلَك ، وأعانك على ما استرعاك . قال : فأمرهم فانصرفوا . وقال لي المنصور : خذْ معك ثلاثَ بِدَرٍ واتْبَعِ القومَ ، فإن أخذها مالكٌ كلَّها فادفعها إليه ، وإن أخذ ابنُ أبي ذئب وأبو حنيفة منها شيئاً فجئني برؤوسهما . قال : فأتيت ابنَ أبي ذئب فقال : ما أرضى هذا المالَ له ، فكيف آخذُهُ لنفسي ؟ وقال أبو حنيفة : (ما أنفعَ له إن كان يعطي من يرحمُ أن يرحمَ نفسه ممن يعلم)[1] ، والله لو ضربتَ عنقي على أن أمسَّ منها شيئاً ما مسستُهُ ؛ فأتيت مالكاً فأخذها كلَّها . فأتيت المنصور فأعلمتُهُ وبهذه الصيانة حقنوا دماءهم .

١ ما بين قوسين لم يرد عند الكردي .

٥٣٨ – وقال ابن المبارك : مات ابن أبي ليلى فقال الناس : لقد وهت الكوفةُ من حاكمٍ عادلٍ ، من تُرى يتولى عليها بعدَه ؟ فحُمِلَ إلى أميرِ المؤمنين أبو حنيفة وسفيانُ ومِسعَرٌ وشريكٌ ، وكانوا جلوساً في صلاة الصبح ، حتى بعَث إلى كلّ رجلٍ منهم برجل ، فحملهم الأميرُ إلى أمير المؤمنين ووصلوا في سفينة ؛ فلما كان في بعض النهار قَرُبَ التهيؤُ للصلاة . قال : فخرجوا ، فقال سفيان لصاحبه : أريد أبول [في] الخلاء ، وإذا قَرُبَ مني إنسانٌ احتبسَ مني الغائطُ والبولُ . فتُنحِّي عنه فهرب ، وهرب الذي كان معه . وجاء سفيانُ إلى سفينة فيها قتٌّ ، فوهب للملاح دراهمَ حتى غيَّبه . فلما دخلوا بغداد دفع مسعرٌ إلى الملاح ثيابَهُ وأخذ مِدرعَتَه . فلما دخلوا على المنصور ورأى عليه مِدرعةَ صوفٍ مقلوبةَ قال : يا شيخ ، أتريدُ أن نولِّيَك القضاء ؟ قال : مُسنَّاةُ الكوفة قد خربَتْ ؛ قال : يا شيخ ، ما أنت وذكرُ المسنَّاةِ ؟ قال : إن بني أمية خرّبوا السورَ فتحتاج ان تُعَمِّرَهُ . قال : أخرجوه فإن هذا مُختلِطٌ . ثم قال لأبي حنيفة : تريدُ أن نولِّيَك القضاء ؟ قال : أنا رجل من الموالي وأهلُ الكوفة من أشراف بني هاشم وقريش والأنصار والعرب ، وإن ولِّيتُ مثلي فتنتَ البلدَ ولم آمَنْهم أن يرموني بالآجرِّ . فقال لشريك : فقال : أنا شيخٌ لا أُبصرُ نقشَ خاتَمي ، فقال : استعِنْ على أمورك بالشباب ؛ قال : ودماغي قد تغيَّرَ . قال : خُذ الدهنَ وكُلِ الطعامَ الذي يَرُدُّ قُوَّتك ، وتصنع في كلِّ يومٍ رطلاً من فالوذَجٍ فهو يزيدُ في قوَّتك وقوّةِ دماغِك إذا كان بالعسل ؛ قال : يا أمير المؤمنين إني كنتُ في حداثتي أميلُ إلى النساء ، فأخافُ إن اختصَمْنَ إليّ أن أميلَ إليهن وتتجدَّد شهوةُ الحداثة ؛ قال : يُتَّسعُ عليك حتى ترغبَ فيك الحرائرُ وتشتريَ الإماءَ . ودعا بطعامٍ فأطعمه وألبسه السوادَ ، وسلم مَنْ سلم .

---

٥٣٨ مناقب أبي حنيفة (للكردي) مع بعض اختلاف : ٢١٨–٢١٩ .

٥٣٩ - بيان قولهم إن أبا حنيفة استُتِيبَ من الكفر مرتين

قال : إليك عني : إنه لما قدم الضحاكُ الشاري الكوفة قال لهم : جيئوني بالفقهاء . فتفرق الناس ووجدوا أبا حنيفة فأتَوْه . فقال : يا شيخ تُبْ إلى الله من الكفر ، فقال : أنا تائبٌ إلى الله من الكفر . فلما خرج قال له رجل من أصحابه كان قد جالس أبا حنيفة : إن مذهبَك عندَه الكفرُ ومنه تاب ، قال : رُدُّوه فقال : يا شيخ ، تبتَ من مذهبي ومذهبي عندك الكفر . قال : فقال أبو حنيفة : أوظننتَ بي ذلك ؟ قال : نعم ؛ قال : أظَنُّك ظنٌّ سوءٍ فهو ذنب ؟ قال : نعم ، قال : والذنب عندك كفر ؟ قال : نعم ، قال : فتبْ منه ، قال : أنا تائب إلى الله ، وأنت يا شيخُ فتبْ إلى الله فقال : أنا تائبٌ إلى الله . فلما خرج القوم قال قوم من أهل الكوفة : استُتِيبَ أبو حنيفة مرتين .

٥٤٠ - قال أبو العيناء : ما رأيت أفصحَ لساناً ولا أجمعَ رأياً ولا أحضرَ حُجّةً من ابن أبي دواد . قال له الواثق : رُفعِتْ فيك رقعةٌ فيها كذب كثيرٌ ، فقال : ليس بعجيبٍ أن أُحسَدَ بمنزلتي من أمير المؤمنين ويُكَذَبَ عليّ . قال : زعموا أنك ولّيتَ القضاءَ رجلاً أعمى ، قال : بلغني أنه إنما عَمِيَ من بكائه على أميرِ المؤمنين المعتصم ، فحفظتُ له ذلك وأمرْتُه أن يَستخلِفَ ؛ قال : وفيها أنك أعطيْتَ شاعراً ألفَ دينارٍ ، قال : كان ذاك ، وقد أثابَ رسولُ الله ﷺ كعباً ، وقال في آخَرَ : اقطعوا عني لسانه ؛ وهذا شاعرٌ طائيٌّ مصيبٌ محسنٌ ، لو لم أرعَ له إلا قوله فيك للمعتصم : [من الكامل]

فاشْدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنّه   سَكَنٌ لوَحْشَتِها ودارُ قرارِ

---

٥٣٩ مناقب أبي حنيفة (للموفق المكي) : ١٥٢ . وفي استتابة أبي حنيفة من الكفر والزندقة انظر تاريخ بغداد ١٣ : ٣٨٣ .

٥٤٠ انظر الأغاني ١٦ : ٣١٠ . والشاعر المقصود هو أبو تمام وبيتاه في الأغاني وفي ديوانه من قصيدته التي مطلعها :

الحق أبلج والسيوف عواري   فحذار من أسد العرين حذار

ولقد علمتُ بأنَّ ذلك مِعْصَمٌ   ما كنتَ تتركُهُ بغير سِوَار

فقال الواثق : قد وصلتُهُ بخمسمائة دينار .

٥٤١ – صلى الحجاجُ إلى جنبِ ابنِ المسيَّبِ ، فرآه يرفعُ قبلَ الإمامِ ويضعُ ، فلما سلَّم أخذَ بثوبه حتى فرغَ من صلاته ودعائه ، ثم رفع نعلَيْه على الحجاج ، وقال : يا سارقُ ! يا خائن ! تصلي هذه الصلاة ؟ لقد هممتُ أن أضربَ بهما وجهك ! وكان الحجاجُ حاجًّا ، فرجع إلى الشام ، وجاء والياً على المدينة ، ودخل من فوره المسجد قاصداً مجلس سعيد ، فقال له : أنت صاحب الكلماتِ ؟ قال : نعم أنا صاحبها ، قال : جزاك الله من مُعلِّمٍ ومؤدِّبٍ خيراً ، ما صليت بعدك صلاةً إلا وأنا ذاكرٌ قولَكَ .

٥٤٢ – قال سعيد بن وهب على البطالة فدخلَتْ قلبَه رِقَّةٌ ، فحجَّ ماشياً ، فَجَهِدَ ، فقال : [من الرمل]

قدميَّ اعتورا رملَ الكثيبِ   واطرُقا الآجنَ من ماء القَليبِ
رُبَّ يوم رُحتُما فيه على   نَضرةِ الدنيا وفي واد خصيبِ
فاحسِبَا ذاك بهذا واصبرا   وخُذا من كلِّ فنٍ بنصيبِ

٥٤٣ – مطرُ مصرَ مثلٌ في نافعٍ يُستَضَرُّ به ، لأنَّها لا تُمطَرُ فإن مُطِرَتْ كان المطرُ ضرراً عليها ، وفي ذلك يقول شاعر : [من الطويل]

وما خيرُ قومٍ تُجدِبُ الأرضُ عندَهم   بما فيه خِصبُ العالمين من القَطْرِ
إذا بُشِّروا بالغَيْثِ رِيعَتْ قُلوبُهم   كما رِيعَ في الظَّلْماءِ سربُ القطا الكُدْرِ

---

٥٤١ ربيع الأبرار ١ : ٩٩ .
٥٤٢ البصائر والذخائر ٧ : ٥٣ وفيه : قال الفضل بن الربيع : صحبني سعيد على البطالة فأودعته مالاً عند النكبة ظننته أنه لا يرجع إلي ابداً ، ثم طلبته منه فأتى به والله بخواتيمه . . . ثم دخل قلبه رقة فحج ماشياً ، وقال : . . . . ، وانظر تاريخ بغداد ٩ : ٧٤ .
٥٤٣ ثمار القلوب : ٦٥٥–٦٥٦ .

٥٤٤ – جنان الدنيا أربع : غوطة دمشق ونهر الأُبُلَّةِ وشِعْبُ بَوَّانٍ وصُغْدُ سَمَرْقَنْد . قال أبو بكر الخوارزمي : قد رأَيْتُها كلَّها وكان فضلُ الغوطة على الثلاثِ كفضلِ الأربعِ على غيرِهِنَّ ، كأنها الجنَّةُ صُوِّرَتْ على وجه الأرض .

٥٤٥ – البحتري : [من البسيط]

يمشي السَّحابُ على أَرجائِها فِرَقاً ويُصبحُ النَّبْتُ في صحرائها بِدَدَا[١]
فلستَ تُبصرُ إلا واكفاً خَضِلاً أو يانِعاً خَضِراً أو طائراً غَرِدَا

٥٤٦ – آخر في وصف النخل : [من الرجز]

إما تراها وإلى استوائها وحسنِها في العين وامتلائِها
لا ترهَبُ الذئبَ على أَطلائها وإن أحاط الليلُ من ورائها

٥٤٧ – غرس معاويةُ نخلاً بمكةَ في آخرِ خلافته ، فقال : ما غرستُها طمعاً في إدراكها ولكنّي ذكرتُ قولَ الأسدي : [من البسيط]

ليس الفتى بفتىً لا يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثارُ

٥٤٨ – ذكر أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في كتابه [. . . .] كانت بقرية [كشمير] من رستاق بُستْ سروة من سرو الأزاذ من غرس يُستاسف لم يُرَ مِثلُها في حُسنِها وطُولِها وعِظَمِها ، [وكانت] ظلالها فرسخاً ، وكانت من مفاخرِ خراسان . فجرى ذكرُها عند المتوكِّلِ ، فأَحبَّ أن يراها فلما لم يُقدَّرْ له المسيرُ كتب إلى طاهر بن عبدالله بن طاهر وأمره بقطعها وحمل قطع

٥٤٤ ثمار القلوب : ٥٢٦ ولطائف المعاني : ١٥٧ .
٥٤٥ ديوان البحتري : ٧١٠ .
٥٤٨ ثمار القلوب مع اختلاف في العبارة ٥٩٠–٥٩١ وبيتا ابن الجهم في ديوانه : ١٦٧ .

١ الديوان : يمسي بدلاً من «يمشي» .

جذعها وأغصانها في اللبود على الجمال لتُنصَبَ بين يديه حتى يُبصرَها . فأُنكِرَ عليه ذلك ، وخُوِّفَ بالطيرة فلم تنفعِ السروةَ شفاعةُ الشافعين . وحُكيَ أن أهلَ الناحية ضمنوا مالاً جزيلاً على إعفائها ، فلم ينفع . فقُطِعَتْ وعظُمَتْ المصيبة وارتفع الصياحُ والبكاءُ ، ورثاها الشعراءُ ، وقال علي بن الجهم : [من الكامل]

قالوا[1] سرى لسبيله المتوكلُ   فالسروُ يسري والمنيةُ تنزلُ

ما سُربِلَتْ إلا لأنَّ إمامَنا   بالسيفِ من أولادِهِ مُتَسرْبِلُ

فجرى الأمرُ على ذلك ، وقُتِلَ المتوكلُ قبلَ وصولِ السروة إليه .

٥٤٩ — اجتمع ببغدادَ عشرةُ فتيةٍ على لَهْوٍ ، فرفعوا أحدَهم في حاجةٍ فرجع وفي يده بطيخة يشُمُّها ويُقبِّلُها . فقال لهم : جئتُكم بفائدةٍ : وضع بشرٌ الحافي يدَهُ على هذه البِطِّيخَةِ فاشتريْتُها بعشرينَ درهماً تبرُّكاً بموضع يده . فأخذَ كلُّ واحدٍ يُقبِّلُها ويَضعُها على عينه . فقال أحدُهم : ما الذي بلَّغَ بشراً ما أرى ؟ قالوا : تقوى الله والعملُ الصالحُ . قال : فإني أُشهدُكُم أنّي تائبٌ إلى الله وأني داخلٌ في طريقةِ بِشرٍ . فوافقوه على ذلك وخرجوا إلى طرسوس فاستشهدوا .

٥٥٠ — روي أن الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر : يا أبا الحسن خُذْ فَدَكَ حتى أرُدَّها إليك فيأبى ، حتى ألحّ عليه ، فقال : لا آخُذُها إلا بحدودِها ، قال : وما حدودها ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنْ حدَّدْتُها لم تَرُدَّها ؛ قال : بحقِّ جدِّك إلا فعلتَ ؛ قال : أما الحدُّ الأول فعَدَن ، فتغيَّرَ وجهُ الرشيد وقال : هيه ! قال : والحدُّ الثاني سمرقند ، فاربَدَّ وجهُهُ ، قال : والحدُّ الثالثُ أفريقيّة ، فاسودَّ وجهُهُ وقال : هيه ! قال : والرابعُ سيفُ البحر ممّا يلي الخزَرَ وأرمينية . قال الرشيد : فلم تُبقِ لنا شيئاً ! فتحوَّلْ من مجلسي . قال موسى : قد أعلَمْتُكَ أني إن حدَدْتُها لم تَرُدَّها . فعند ذلك عزم على قتله ، واستكفى أمرَهُ يحيى بنَ خالد . فأراه بثرةً خرجت في كفه ، قال : هذه علامةُ أهلِ بيتِنا قد ظهرَتْ فيّ ، وأنا أقضي عن قُرْبٍ ، فقد كُفِيتَ أمري .

---

١ ثمار القلوب : فأَلٌ .

فتركه يحيى ومات بعد أيام .

٥٥١ – قال عمرُ بنُ عبد العزيز لأبيه : يا أبتِ ما لك إذا خطبتَ مررتَ فيها مستحفزاً لا تكفْكفُ ولا تَوَقَّفُ ، حتى إذا صرتَ إلى ذكرِ عليٍّ تَلَجْلَجَ لسانُك وامْتقعَ لونُك ، واخْتَلَجَ بَدنُك ؟ قال : أوقد رأيتَ ذلك يا بُنيّ ؟ أما إن هؤلاء الحميرَ حولَنا لو يعلمون مِنْ عليٍّ ما نعلمُ ما تَبِعَنا منهم رجلان .

٥٥٢ – العباس بن ريطة الرِّعلي : [من الطويل]

وأهلكني أنْ لا يزالُ يكيدُني ... أخو حَنَقٍ في القومِ حَرَّانُ ثائرُ
وذلك ما جَرَّتْ علينا رماحُنا ... وكلُّ امرىءٍ يوماً به الجَدُّ عاثِرُ

٥٥٣ – عَقَّ أبا المنازلِ فرْعَانَ بنَ الأعرفِ السعديَّ ابنُه مُنازلٌ فقال : [من الطويل]

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْني وبينَ مُنازِلٍ ... جزاءً كما يَستنزلُ الدَّينَ طالِبُهْ
وما كُنْتُ أَخْشَى أنْ يكونَ مُنازِلٌ ... عَدُوِّي وأدنى شانىءٍ أنا راهبُه
حمَلْتُ على ظهري وقَرَّبتُ صاحبي ... صغيراً إلى أن أمكنَ الطَّرَّ شاربُه
وأطعَمْتُه حتى إذا آض شَيْظَماً ... يكادُ يُساوِي غاربَ الفَحْلِ غَاربُه
تَخَوَّنَ مالي ظالماً ولَوَى يَدي ... لَوَى يَدَهُ الله الذي هوَ غَالِبُه

عقَّ منازلاً ابنُه خليج فقال : [من الطويل]

تَظَلَّمَني مالي خَليجٌ وعقَّني ... على حِينَ صارَتْ كالحَنيِّ عظامي
وكيف أُرجِّي العطفَ منه وأُمُّهُ ... حَرَاميَّةٌ ما غَرَّني بحرامِ
تَخَيَّرْتُهـا وازْدَدْتُهـا لِتَزيدَني ... وما بَعضُ ما يَزْدادُ غيرَ غرام

---

٥٥٢ معجم المرزباني : ١٠٣ وربيع الأبرار ١ : ٥٥٠ .

٥٥٣ العقفة والبررة (نوادر المخطوطات) ٢ : ٣٦٠–٣٦٢ وانظر شرح الحماسة للمرزوقي ٤٤٥ ومعجم المرزباني : ١٨٨ وعيون الأخبار ٣ : ٨٦–٨٧ .

لَعمري لقد رَبَّيْتُهُ فَرِحاً به فلا يَفرَحَنْ بَعدي امرؤٌ بِغُلام

٥٥٤ – قال عمر رضي الله عنه : تكثَّروا من العيالِ فإنّكم لا تدرون ممّن تُرزَقون .

٥٥٥ – وقال المأمون : أقرباءُ الرجل بمَنْزلةِ الشَّعْرةِ من جسَدِه ، فمنه ما يَخفَى ويُتَّقى ومنه ما يلزمُ ويُخدَم .

٥٥٦ – وقيل لحكيم : لم لا تطلبُ الولدَ ؟ قال : لحبِّي له .

٥٥٧ – وقال الحجاج لابن القِرِّيَّة : أي الثِّمارِ أَشهى ؟ قال : الولدُ ، وهو من نخل الجنة .

٥٥٨ – عن الكسائي أنه دخل على الرشيدِ فأمرَ بإحضارِ الأمينِ والمأمون . قال : فلم أَلبَثْ أنْ أقبلا ككوكبَيْ أُفُقٍ يَزينُهما هَدْيُهما ووَقارُهما ، وقد غضّا أبصارَهُما ، وقارَبا خطْوَهُما حتى وقفا على مجلسِه . فسلَّما عليه بالخلافة ، ودعَوَا له بأحسنِ الدُّعاءِ ؛ فاستدناهما ، فأجلَسَ محمداً عن يمينه وعبدَالله عن شماله ؛ ثم أمرني أن أُلقِيَ عليهما أبواباً من النحو ، فما سأَلْتُهما عن شيءٍ إلا أَحْسَنا الجوابَ عنه ؛ فسرّه سروراً استَبَنْتُه فيه ، وقال : كيف تراهما ؟ فقلت : [من الطويل]

أرى قمرَيْ أُفْقٍ وَفَرْعَيْ بَشامةٍ يَزينُهما عِرْقٌ كريمٌ ومَحْتِدُ
سَليلَيْ أميرِ المؤمنين وحائزَيْ مَواريثَ ما أبقى النبيُّ محمّدُ
يَسُدَّانِ أنفاقَ النِّفاقِ بشيمةٍ يُؤَيِّدُها حَزْمٌ وعَضْبٌ مُهَنَّدُ

قلت : ما رأيتُ – أعزَّ الله أميرَ المؤمنين – أحداً من أبناء الخلافة ومَعْدِنِ الرّسالةِ وأغصانِ هذه الشجرة الزاكية أذربَ منهما ألسُناً ، ولا أحسنَ ألفاظاً ، ولا أشدَّ

---

٥٥٤ ربيع الأبرار ٣ : ٥٤٣ .

٥٥٨ ربيع الأبرار ٣ : ٥٥٣–٥٥٥ والمستطرف ٢ : ١١ ومعجم الأدباء ٤ : ١٧٤٠ وفيه رواية أخرى .

اقتداراً على تأدية ما حفظا ورويا منهما ؛ أسألُ اللهَ أن يَزيدَ بهما الإسلام عزّاً وتأييداً ، ويُدخلَ بهما على أهلِ الشِّركِ ذُلاً وقمعاً . وأمَّنَ الرشيد على دعائي ، ثم ضمَّهما إليه ، وجمع عليهما يدَيْه ، فلم يبسُطْهُما حتى رأيتُ الدموعَ تنحدِرُ على صدره ، ثم أمرهما بالخروج .ثم قال : كأني بهما وقد حُمَّ القضاءُ ونزلَتْ مقاديرُ السماء ، وقد تَشتَّتَ أمرُهما ، وافترَقَتْ كلمَتُهما حتى تُسفكَ الدماءُ وتُهتكَ السُّتور .

٥٥٩ – كانت بيحيى البرمكي علّةٌ في جوفه عجزَ عنها أطباء العراق ، فأشخَصَ منويل أُسقفَ فارس ، وقد تقدَّمَ قبلَ أن يدخلَ عليه إلى خواصِّه بأخذِ مائهم في قوارير ؛ فأتَوْا بها ، فأمرَ بتبديلها ، وفيهم مدنيٌّ مضحكٌ ، وقد وهب له جارية فكان يدّعي في كثرة الباه الدعاوى العريضة . فأعطاه الوزير مجسته فقال : تناولت المحرّم . فجحد فحلف منويل حتى أقر ، ونظر في القوارير فردّ كلّ واحدة إلى صاحبها . فتعجب من لطف علمه .

وقال للمدني : أنت عنّين ! فلجّ ، فقال هو كافر بالمسيح إن كان خرج من صلبك شيء قط إلا البول . فاعترف وطلب العلاج ؛ فقال هذا ما لا حيلة فيه . ثم قال : إن كان – وما أظنه يكون – فعليك بالكباب على الآجرّ مع نبيذ الصرفان .

٥٦٠ – قال الرَشيدُ حينَ كان بِطُوسٍ لِرَجُلٍ : خُذْ هذه البَدْرَةَ واعرِضْ هذه القارورةَ على أُسقف فارِس وبَخْتَيْشوع من غير أنْ يتشاعَرَا وازعُمْ أنَّها قارورةُ أخٍ لَكَ . فَقَال الأُسقفُ : ما أشبَهَ هذا الماءَ بماءِ الرَّشيدِ ، فانتظِرْ ولا تَرحلْ فإنَّ أخاكَ مَيِّتٌ غداةَ غَدٍ ، وقال بَخْتَيْشُوعُ مِثْلَه .

٥٦١ – وعرضَ رجلٌ على أيوبَ الطَّبيبِ قارورتَهُ فقال : ما هي بقارورتِكَ لأنَّه ماءُ ميِّتٍ وأَنْتَ حيٌّ تُكلّمني فما فرغَ منْ كلامِهِ أنْ خرَّ الرَّجلُ ميّتاً .

---

٥٦٠ قارن بمحاضرات الراغب ٤ : ٤٤٣ .

٥٦١ المستطرف ٢ : ٢٩٥ .

٥٦٢ – صُدِعَ ملكٌ فأمرَهُ الطَّبيبُ أنْ يَضَعَ قدميْهِ في الماءِ الحارِّ . فقالَ خَصِيٌّ عِنْدَهُ : وَأيْنَ القدمُ منَ الرَّأسِ ! فقالَ : أينَ رأسُكَ مِنْ بيضتَيْكَ ؟ نُزِعَتَا فذهبَتْ لحيتُكَ .

٥٦٣ – قالَ عبدُ الملكِ عندَ مَوتِهِ : يا وَليدُ ! لا أَعرِفَنَّكَ إذا أنا مُتُّ تَجلِسُ وتَعْصِرُ عينيْكَ وَتَحِنُّ كَمَا تَحِنُّ الأَمَةُ الوَكْعَاءُ ، لكن ائتزِرْ وشَمِّرْ والبَسْ جلدَ النَّمرِ وضَعْني في حُفْرتي وَخَلِّني وَشَأْني وعليكَ وشأْنَكَ ، وادعُ الناسَ إلى بَيْعَتِكَ ، فَمَنْ قالَ بوجهِهِ هكذا ، فَقُلْ بسيفِكَ هكذا . ثمَّ بعثَ إلى محمّدٍ وخالِدٍ ابنَيْ يزيدَ بنِ معاويَةَ فقالَ : هَلْ بكما مِنْ نَدَامَةٍ على بَيْعَةِ الوَليدِ ؟ قالا : ما نعرفُ أَحَقَّ بالخلافةِ منهُ . قال : أوْلى لكما ! واللهِ لو قُلْتُما غيرَ ذلكَ لضرَبْتُ الذي فيهِ أعْيُنكما . ثُمَّ رَفَعَ ثنيَ فراشِهِ ، فإذا سيفٌ مُجرَّدٌ ونَفْسُهُ تَترَدَّدُ في حنجرتِه وهو يقولُ : الحمدُ للهِ الذي لا يُبالي أَصغيراً أَخذَ مِنْ خلقِهِ أَمْ كبيراً حتّى فاضَتْ نَفْسُهُ . ودخلَ عليه الوَليدُ ومعه بناتُه يَبْكينَ فتمثَّل : [من الطويل]

ومُسْتَخبِرٍ عنا يريدُ بنا الرَّدَى ومُسْتَخبِراتٍ والدُّموعُ سَوَاجِمُ

وكانَ الطَّبيبُ قد حماهُ الماءَ فقالَ : اسقُوني وَإِنْ كانت فيها نَفسي ، فَسَقَوْه فمات .

٥٦٤ – جُعِلَ لجَعْدَةَ بِنْتِ الأشعَثِ امرأةِ الحسنِ بن عليّ عليهما السّلامُ مائةَ ألفِ درهمٍ على أن تَسُمَّهُ ، وَمَكَثَ شهرين ، وإنّه لَيُرفَعُ مِنْ تَحْتِهِ كذا كذا طَسْتاً مِن دَمٍ . وكان يقولُ : سُقِيتُ السُّمَّ مِراراً مَا أَصابَني فيها ما أَصابَني

---

٥٦٢ المستطرف ٢ : ٢٩٥

٥٦٣ نصيحة عبد الملك للوليد في مروج الذهب ٣ : ٣٦٩ والعقد ٤ : ٤٢١ وتمثله بالشعر في مروج الذهب ٣ : ٣٦٩ والبيان والتبيين ٢ : ١٦٧ ونهاية الأرب ٢١ : ٢٧٧ وخبر شربه الماء بعد منع الطبيب إياه في البيان والتبيين ونهاية الأرب .

٥٦٤ مروج الذهب ٣ : ١٨٢ ونسب أبيات جعدة إلى النجاشي الشاعر وانظر وفيات الأعيان ٢ : ٦٥–٦٧ ومقاتل الطالبيين : ٧٣–٧٥ .

في هذه المرّةِ ، لقد لفَظْتُ كبدي فجعلْتُ أُقلّبُها بعودٍ كان في يدي . وَرَثَتْه جَعْدَةُ بأبياتٍ : [من السريع]

يا جَعْدُ بَكّيه وَلا تَسأَمي بكاءَ حَقٍّ ليسَ بالبَاطِلِ
إِنّكَ لن تُرْخِي على مثلِهِ سِتْرَكِ من حافٍ ولاَ ناعِلِ

وَخلَفَ عليها رجل من قريشٍ فأوْلَدَها غُلاماً ؛ وكان الصِّبيان يقولون له : يا ابنَ مُسَمِّمةِ الأزواجِ . ولمّا كتبَ مروانُ إلى معاويةَ بِشَكاتِهِ كتبَ إليه : أَرْقِلِ المَطِيَّ إليَّ بخبرِ الحسنِ . ولـمّا بَلَغَهُ مَوْتُه سُمِعَ تكبيرٌ من الخضراء ، فكبَّرَ أهلُ الشَّامِ لذلكَ التَّكْبير . وقالَتْ فاختِةُ بنتُ قَرَظَةَ لمعاوية : أَقَرَّ اللهُ عينَكَ يا أميرَ المؤمنينَ ! ما الذي كبّرتَ له ؟ قال : مات الحسنُ . قالتْ : أَعلى موتِ ابن فاطمةَ تُكبِّر ؟ ! قالَ : واللهِ ما كبّرتُ شماتةً بموتِهِ ، ولكِنْ استراحَ قلبي وَصَفَتْ لي الخلافةُ . وكانَ ابنُ عبَّاسٍ في الشام فدخلَ عليهِ فقالَ له : يا ابنَ عبّاس ، هل تَدْري ما حدثَ في أهلِ بيتِكَ ؟ قال : لا أدري مَا حَدثَ إلا أني أراكَ مُستَبشِراً ومَن يُطيفُ بك وقد بلغني تكبيرُكَ وسُجودُك . قال : إنّا لله ! يَرْحمُ اللهُ أبا محمدٍ ثلاثاً . ثم قالَ : واللهِ يا معاويةُ لا تَسُدُّ حُفْرَتُهُ حُفرتَكَ ، ولا يَزيدُ عُمرُهُ في يومِكَ ، ولكن [إنْ] كُنّا أُصِبْنا بالحسنِ لقد أُصِبْنَا بإمامِ المتّقين وَخاتَمِ النبيين ، فَسكَّن اللهُ تلك العَبرةَ وَجَبَر تلكَ المصيبةَ ، وكان اللهُ الخلفَ علينا من بَعْدِه .

وقال لأخيهِ الحُسين : إذا أنا مِتُّ فادْفِني مع رسولِ الله ﷺ إنْ وَجَدْتَ إلى ذلك سَبيلاً ، وإنْ منعوكَ فادْفِنّي ببَقِيعِ الغَرْقَدِ . فلبسَ الحسينُ ومواليهِ السِّلاحَ وخرَجُوا لِيَدفِنُوه مع رسول الله ﷺ ، فخرجَ مروان في موالي بني أُميّةَ فمنعوهُم .

٥٦٥ – قال أبو العَرْجاء جَمّالُ موسى بن عيسى : لمّا نزلنا بستانَ بني عَامِرٍ بعثَني محمدُ بنُ سليمانَ إلى الحسينِ بنِ علي صَاحبِ فَخٍّ لأتجسَّسَ عليه ، فمضَيْتُ

---

٥٦٥ انظر مقاتل الطالبيين ٤٤٢–٤٥٨ وتاريخ الطبري ٨ : ١٩٢ وما بعدها ومروج الذهب ٤ : ١٨٥– ١٨٦ .

فما رأيْتُ إلا مُصلِّياً أَوْ مُبتهلاً أَوْ ناظِراً في مصحفٍ أَوْ مُعدّاً للسلاح ، فرجَعْتُ وقُلْتُ : ما أظُنُّ القومَ إلا منصورينَ ، وأخبَرْتُه بخبرهم فصفّق بيدَيْهِ وبكى حَتّى ظَنَنْتُ أنَّه سينْصَرِفُ . ثُمَّ قال : هُمْ واللهِ أكرمُ خَلْقِ اللهِ وَأَحقُّ بما في أَيْدِينا منّا ، ولكنّ المُلكَ عَقِيمٌ ، ولو أنَّ صاحبَ القبرِ – يَعْني رسولَ اللهِ ﷺ – نازعَنا الملكَ ضرَبْنا خَيْشومهُ بالسّيفِ ؛ ثُمَّ سَارَ إليهم وفعلَ ما فعلَ . ولمّا احْتُضِرَ مُحَمَّدُ بنُ سليمان كانوا يُلَقِّنونَه وهو يقول : [من الطويل]

أَلا ليتَ أُمِّي لم تَلِدْنِي ولم أَكُنْ شَهِدْتُ حسيناً يومَ فَخٍّ ولا الحَسَنْ

٥٦٦ – أتى امروء القيس قتادةَ بن التَّوْأمِ اليَشْكُرِيَّ وإخوتَه ، فقال للحارث : أَجِزْ : [من الوافر]

أَحارِ ترى بُرَيْقاً هبَّ وَهْناً

فقال الحارث :

كنارِ مجوسَ تستعرُ استعارا

فقال قتادةُ : [من الوافر]

أَرِقْتُ له ونامَ أَبو شُرَيْحٍ إذا ما قُلْتُ قد هدأَ استطارا

أَبو شُرَيْح : كُنيةُ الحارثِ .

فقال الحارث : [من الوافر]

كأَنَّ هزيزَهُ بورَاءِ غَيْبٍ عِشارٌ وُلَّـهٌ لاقَتْ عِشارا

فقال أَخوهما الثالث : [من الوافر]

فلمّا أن علا شَرَفَيْ أُضاخٍ وَهَتْ أَعْجازُ رَيِّقِهِ فحارا

---

٥٦٦ ديوان امرىء القيس ١٤٧–١٤٩ وفيه أن الذي لقيه امروٌ القيس هو التوأم وكل صدر بيت لامرىء القيس وكل عجز للتوأم . أما ترتيب الأدوار على النحو الوارد في التذكرة فهو ترتيبها في معجم البلدان ١ : ٣٠٢ .

فلم يترك بِبَطْنِ السِّرِّ ظَبْياً ولم يتركْ بقاعتِهِ حمارا

فقال امروء القيس : إني لأَعجبُ من بيتكم هذا لا يحترقُ عليكم من جَوْدَةِ شِعركم ؛ فقيل لهم : بنو النار .

٥٦٧ – قال عبدالله بن المُعتزّ : شعر آلِ أَبي حَفْصَةَ كماءٍ أُسْخِنَ وصُبَّ في قَدَحٍ . فكان أَيَّامَ مروانَ الأَكبرِ على حرارته ، ثم انتهى إلى عبدالله بن أبي السِّمط ، ففتر ، ثم إلى إدريس وأبي الجنوبِ ، فَبَرَدَ ، ثم إلى مروان الأصغر ، فاشتدَّ بَرْدُهُ ، فَنَحْنُ لِبَرْدِهِ ، ثم إلى متوِّج فجمَدَ .

٥٦٨ – حدّث عبيدالله بن سليمان قال : كُنتُ بحضرةِ والدي في ديوان الخَراجِ بِسُرَّ مَنْ رأى وهو يتولاهُ ، إذ دخل عليه أَحمدُ بنُ أَبي خالد الصَّريفينيُّ الكاتبُ ، فقام والدي إليه قائماً من مجلسِهِ وأَقعدَهُ في صدرِهِ ، وتشاغَلَ به . ولم ينظُرْ في شيءٍ من أَمرِهِ حتى نهضَ ، ثم قام معه وأَمَرَ غِلْمانَه بالخُروجِ بين يَدَيْهِ ، فاستعظَمْتُ أَنا وكلُّ مَنْ حضرَ هذا ، لأَنَّ رَسْمَ أَصحابِ الديوان صغارِهم وكبارِهم أَن لا يقوموا لأَحدٍ من خَلْقِ الله عزّ وجلّ ممَّن يدخلُ إليهم ، فتبيَّنَ أَبي في وجهي إنكارَ ذلك ، فقال : يا بُنيّ ، إنْ خَلَوْنا فَسَلْني عن السببِ فيما عملتُه مع هذا الرجلِ .

قال : وكان أَبي يأكلُ في الديوانِ وينامُ ويعملُ عَشِيّاً . فلما جلسنا نأْكلُ لم أذكُرْهُ إلى أَن رأيتُ الطعام قد كاد ينقضي ، فقال هو : يا بُنيّ ، شغلَكَ الطعامُ عمَّا قُلْتُ لك أَن تُذَكِّرَني به ؟ ! فقلتُ : لا ، ولكني أَرَدْتُ أَن يكونَ ذلك على خَلْوَةٍ . ثم قال : أَليس قد أَنكَرْتَ أَنْتَ والحاضرون قيامي لأَحمد بن أَبي خالد في دخولِهِ وخروجِهِ وما عاملتُه به ؟ فقلتُ : بلى . فقال : قد كان هذا يتقلَّدُ مصرَ ، فصرفته

---

٥٦٧ الموشح ٤٦٣–٤٦٤ وانظر الأغاني ١٢ : ٧٢ عن أبي هفان ولم يذكر من هذه الأسماء سوى متوج .

٥٦٨ الفرج بعد الشدة ٢ : ٧٦–٨٤ والمستجاد من فعلات الأجواد : ٣٥–٤٢ .

عنها وقد كانت مُدَّتُه فيها طالت ، فوطِئْتُ آثارَ رجلٍ لم أَرَ أَجْمَلَ آثاراً منه ، ولا أَعفَّ عن الأَموالِ السلطانيةِ والرعيةِ ، ولا رأيتُ رَعِيَّةً لعاملٍ أَشْكرَ من رعيته له . وكان عِرْقُ الموت الخادم ، صاحبُ البريدِ بمِصْرَ ، أَصْدَقَ الناسِ له مع هذا ، وكان من أَبغضِ الناس [إلي] وأَشدِّهم اضطرابَ أَخلاقٍ ، فلم أَتَعَلَّقْ عليه بحُجَّةٍ ، ووجَدْتُه قد أَخَّر رَفْعَ الحسابِ لِسَنَةٍ مُتَقَدِّمةٍ وسنته التي هو فيها ، ولم يَسْتَتِمَّها بصَرْفي له عنها ، ولم يُنْفِذْهُ إلى الديوانِ ، فَسُمْتُهُ أَن يحطَّ من الدَّخْلِ ويزيدَ في النفقاتِ [والأرزاق] ، ويكسر من البَقايا [في كل سنة مائة ألف دينار]، فامتنع من ذلك ؛ وأَغْلَظْتُ له وتوعَّدْتُه ، ونزلْتُ معه إلى مائة ألف واحدةٍ للسنين كُلِّها ، وحَلَفْتُ له بأَيْمانٍ مُغَلَّظَةٍ أنني لا أَقنَعُ منه بأَقلَّ منها ؛ فأَقام على امتناعِهِ وقال : أنا لا أَخون لنفسي ، فكيف أَخونُ لغيري ، وأُزيلُ ما قامَ به جاهي من العَفافِ ؟ فَحَبَسْتُه وقَيَّدْتُه فلم يُجِبْ ، ولم يَزَلْ مُقَيَّداً في الحبسِ شُهوراً ؛ وكتب عِرْقُ الموتِ صاحبُ البريدِ بمصر يعرّف المتوكِّل ويحلفُ أَنَّ أَموالَ مِصر ليس تفي بنفقتي ومؤونتي ، ويصفُ أَحمد بن أَبي خالد ، ويذكرُ مَيْلَ الرعيةِ إليه ، ويصفُ عِفَّتَهُ ؛ فبينا أنا ذاتَ يومٍ على المائدةِ آكلُ إذ وَرَدَتْ رُقْعَةُ أَحمدَ بنِ أَبي خالد يسألني استدعاءَهُ لِمُهمٍّ يُلقيه إليَّ ، فلم أَشُكَّ أَنَّه غَرِضَ من الحَبْسِ والقَيْدِ ، وقد عَزَمَ على الاستجابةِ لدُعائي ومُرادي . فلما غَسَلْتُ يدي دعَوْتُه ، واستَخْلاني فأَخْلَيْتُه . فقال : أَما آنَ لك أَنْ تَرِقَّ عليَّ ممَّا أَنا فيه من غيرِ ذَنْبٍ إليك ولا جُرْمٍ ، ولا قديمِ ذَحْلٍ ولا عَداوةٍ ؟ فقلتُ : أَنْتَ اختَرْتَ لنفسك هذا ، وقد سمعتَ يميني ، وليس منها مَخْرَجٌ ، فاستَجِبْ لما أُريد منك واخْرُجْ . فأَخذ يستعطفني فجاءَني ضدُّ ما كنتُ قَدَّرْتُه ، وغاظني فشتمتُه ، وقلتُ له : الأَمْرُ المُهِمُّ الذي ذَكَرْتَ في رُقْعَتِك أَنَّك أُردتَ إلقاءَهُ إليَّ هو أَنْ تَسْتعطِفَني وتَسْخَرَ مني وتَخْدَعَني ؟ فقال لي : الآن ليس عندك غير هذا ؟ [فقلت : لا ، فقال : إذا كان ليس عندك غير هذا فاقرأ يا سيدي هذا][1] ،

---

١ زيادة من الفرج بعد الشدة .

وأخْرَجَ رُقْعَةً وكتاباً لطيفاً مختوماً في ربع قِرْطاسٍ ؛ فَفَضَضْتُه فإذا هو بخَطِّ المتوكِّل الذي أعرفُه إليَّ [يأمرني فيه] بالانصراف وتسليم ما أتولاهُ إلى أحمد بن أبي خالد ، والخُروج ممَّا يلزمني ورَفْعِ الحسابِ إليه . فورد عليَّ [ذلك] أقبحَ موردٍ لِقُرْبِ عَهْدِ الرجلِ بشَتْمي له ، وأنَّه في الحالِ تحت حديدي ومكارِهي . فأمسَكْتُ مَبْهوتاً ، ولم أَلْبَثْ أن دخل أميرُ البلدِ وأصحابُه وغِلْمانُه ، فوكَّل بداري وبجميع ما أملكُه وبأصحابي وغلماني وجهابذتي وكُتَّابي ، وجعلتُ أزحفُ من الصدر إلى أن صِرْتُ بين يَديْ أحمد بن أبي خالد . ودعا أميرُ البلدِ بحدَّادٍ فحلَّ قُيودَه ؛ فوثب قائماً وقال : يا أبا أيوبَ ، أنْتَ قريبُ عهدٍ بعَمالةِ هذا البلدِ ولا مَنْزِلَ لك فيه ولا صديقَ ، ومعك حُرَمٌ وحاشيةٌ كثيرةٌ ، وليس يَسَعُك إلا هذه الدارُ وإنْ كانت دارَ العَمالةِ ، فأنا أجدُ عِدَّةَ مواضع وليس لي كبيرُ حاشيةٍ ، ومن نَكْبَةٍ خَرَجْتُ ، فأقِمْ مكانَك . وخَرَج وصرف التوكيلَ عني وعن الدارِ ، وأخذ كاتبي وأشيائي . فلما انصرفَ قلتُ لأصحابي : هذا الذي نراه في النوم ؟ انظروا من وُكِّل بنا ، فقالوا : ما وُكِّلَ بنا أحدٌ ، فعجبتُ من ذلك عجباً عظيماً .

قال : وما صلَّيْتُ العصرَ حتى عاد إليَّ مَنْ كان حمَلَهُ معه من المتصرِّفين والكُتَّاب والجهابذةِ مُطْلَقين ، فقالوا : أخَذَ منَّا خُطوطنا برفعِ الحسابِ ، وأمَرَنا بالملازمةِ وأطْلَقَنا . قال : فازدَدْتُ تعجُّباً ؛ فلما كان من غَدٍ باكرني مُسلِّماً ، ورُحْتُ إليه في عَشِيَّةِ ذلك اليوم ، فأقَمْتُ ثلاثين يوماً ، إنْ سبقني عن المجيء رُحْتُ إليه ، وإنْ راحَ إليَّ باكرتُهُ ، وكلَّ يومٍ تجيئني هداياه وألطافُهُ من البلحِ والفاكهةِ والحيوانِ والحلواءِ ؛ فلما كان بعد ثلاثين يوماً جاءني فقال : قد عَشقتَ مِصْرَ يا أبا أيوبَ ! والله ما هي طيِّبَةَ الهواءِ ، ولا عَذْبَةَ الماءِ ، ولكن تطيبُ بالولايةِ والكسب ، ولو قد دَخلْتَ إلى سُرَّ مَنْ رأى لما أقَمْتَ بها شَهْراً إلا وقد تقلَّدْتَ أجَلَّ الأعمالِ . فقلتُ : والله ما أقَمْتُ إلا متوقِّعاً أمْرَك في الخروجِ . فقال : أعطِني خَطَّ كاتبك بأنَّ عليه القِيامَ بالحسابِ ، واخرُجْ في حِفظِ الله .

قال : فأحضَرْتُ كلَّ شيءٍ وأخَذْتُ خطَّه كما أراد ، وسلَّمْتُهُ إليه . فقال لي :

اخرُجْ أيَّ يومٍ شئتَ ، فخرجْتُ مِنْ غَدٍ ، فخرج هو وأميرُ البلدِ وقاضيه ووجوه أهْلِهِ ، فشيَّعوني إلى ظاهرِ البلدِ ، وقال لي : أَقِمْ في ظاهرِ البلدِ على خَمْسةِ فراسخ إلى أن أُزيحَ عِلَّةَ قائدٍ يصحبك برِجالهِ إلى الرَّمْلةِ ، فإنَّ الطريق فاسدٌ . فلما قال ذلك استوحَشْتُ من قولِهِ وقلتُ : هذا إنَّما غرَّني حتى أُخرجَ كلَّ ما أملكُه فيتمكَّن منه في ظاهرِ البلدِ ، فيقبضه ثم يردّني إلى الحبسِ والتوكيل والمطالبةِ ، ويحتجُّ عليَّ بكتابٍ ثانٍ يذكُرُ أنَّه وَرَدَ إليه . فخرجتُ وأَقَمْتُ بالمرحلةِ التي آثَرَها مُسْتسلماً مُتوقِّعاً للشرِّ ، إلى أن رأيْتُ أوَّلَ عسكرٍ مُقْبلٍ فقلتُ : لعلَّه القائدُ الذي يُريدُ أن يُصحِبَني إيَّاه ، أو لعلَّه الذي يُريدُ أن يقبضَ عليَّ . فأمَرْتُ غلماني بمعرفةِ الخَبَرِ ، فقالوا : العاملُ أحمدُ بن أبي خالد قد جاءَ ، فلم أشُكَّ إلا أنَّه قد جاءَ الشَّرُّ والبلاءُ بورودِه ، فخَرَجْتُ من مضربي ، فتلقَّيْته وسلَّمْتُ عليه . فلما جلس قال : أخلونا ، فلم أشُكَّ إلا أنه للقَبْضِ عليَّ ، وطار عَقْلي ، فقام مَنْ كان عندي فلم يَبْقَ عندي أحدٌ ، فقال لي : أنا أعلمُ أنَّ أيَّامَكَ لم تَطُلْ بمصْرَ ، ولا حَظِيتَ بكبيرِ فائدةٍ ، وذلك الباب الذي سألتنيه في ولايتك فلم أستَجِب له ، إنَّما أجَزْتُ الإذْنَ لك في الانصرافِ منذ أوَّلِ الأمرِ لأني تشاغَلْتُ لك بالفراغِ منه . وقد حَطَطْتُ من الارتفاعِ ، وزِدْتُ في النَّفقاتِ في كلِّ سنةٍ خَمْسَةَ عشر ألف دينارٍ ليكونَ للسنتين ثلاثون ألفَ دينارٍ ، وهو مُقَرَّبٌ ولا يظهر ، ويكون أيسرَ ممَّا أردْتَهُ مني في ذلك الوَقْتِ ، وقد تشاغَلْتُ به حتى جمعتُه لك ، وهذا المالُ على البغالِ قد جئتُك به ، فتقدَّم إلى مَنْ يتسلَّمه ، فتقدَّمْتُ بقَبْضِهِ ، وقَبَّلْتُ يَدَهُ وقُلْتُ : والله يا سيِّدي فعلْتَ ما لم تفعَلْهُ البرامكةُ ، فأنكر ذلك وتقبَّض منه ، وقَبَّل يدي ورِجْلي وقال : ههُنا شيءٌ آخرُ أُريد أن تَقبلَهُ ؛ فقلتُ : ما هو ؟ قال : خمسةُ آلافِ دينارٍ قد استَحْقَقْتَها من رزقي ، فامتنَعْتُ من ذلك وقلت : في ما تفضَّلْتَ به زيادةٌ على كفايتي ؛ فحلف بالطلاقِ أنِّي أقبلُها منه ، فقبلْتُها ؛ فقال : ههُنا ألطافٌ من هدايا مصر أحبَبْتُ أن أُصحبَك إيَّاها ، فإنك تمضي إلى كُتَّابِ الدواوين ورؤساءِ الحَضْرَةِ ، فيقولون لك : وَليتَ مصرَ ، فأين نَصيبُنا من هداياها ؟ ولم تَطُل

أيَّامُكَ ، فيُعدُّوا لك الهمَّ ، وقد جمعتُ لك منه ما يشتملُ عليه هذا الثَّبَتُ ، وأخرج دُرْجاً فيه ثَبَتٌ جامعٌ لكلِّ شيء حسنٍ طريفٍ جليلِ القَدْرِ من دَبيقيٍّ ، وقَصَبٍ ، وخدمٍ ، وبغالٍ ، ودوابَّ ، وحميرٍ ، وفُرُشٍ ، وطيبٍ ، وجوهرٍ ، ما يكون قيمةَ الجميع مالٌ عظيمٌ ، فأمرتُ بتسلُّمِهِ وزِدْتُ في شُكْرِهِ فقال : يا سيدي ، أنا أُحبُّ الفِراشَ وأنا مُغْرىً به ، وقد استُعملَ لي بيتٌ أرمنيٌّ بأرمينيةَ وهو عَشر مُصَلَّيات بمخادِّها ، ومستندها ، ومساورها ، ومطارِحِها ، وبُسطها ، وهو مُذَهَّبٌ بطُرزٍ مُذهَّبَةٍ قد قامَ عليَّ بخمسةِ آلافِ دينارٍ على شدَّةِ احتياطي ، وقد أَهديتُه إليك ، فإن أهدَيْتَه إلى الوزيرِ عَبَدَك ، وإنْ أَهدَيْتَه إلى الخليفةِ مَلَكْتَهُ ، وإنْ أَبقَيْتَه لنَفْسِك وتجمَّلْتَ به كان أَحبَّ إليَّ .

قال : وحَملَهُ فما رأيتُ مِثْلَهُ قطُّ ، فشُغِفْتُ به واستحسَنْتُه فلم تَسْمَح نَفْسي بإهدائه إلى أَحدٍ ، ولا استعمالِه فيما استُبذِلَ إلا في يوم إعذارك ، فإني نَجَّدْتُ منه الصَّدْرَ ومسْنَدَهُ ومساورَهُ ومَخادَّهُ . أَفتلومني يا بُنيَّ على أَن أَقومَ لهذا الرجلِ ؟ فقلتُ : لا والله يا أبي ، ولا على أَكبر من القيامِ لو كان مُستطاعاً .

قال : وكان أبي بعد ذلك إذا صَرَف رجلاً عامَلَهُ بكلِّ جميلٍ يقدرُ عليه وقال : علَّمَنا أَحمدُ بنُ أَبي خالد حُسْنَ التصرُّفِ .

٥٦٩ — قال : وجلس عبيدالله بن سليمان يوماً للمظالمِ في دارِ المعتَضدِ ، وهو وزيره ، فتقدَّم إليه عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات يتظلَّمُ من أَحمد بن إسرائيل بسبب الضَّيْعةِ المعروفةِ بتُناضِبَ . فنظر في أمرِهِ وقال له : أَنت عمر بن محمد ؟ قال : نعم ، قال : فأين كنتَ ؟ فقصَّ عليه أَمْرَهُ وخَبَرَه وقال له : أَنت ابن سكران[1] ؟ قال : نعم .

---

٥٦٩ الفرج بعد الشدة ٢ : ٩٢-١٠٠ .

---

١ سكران اسم والدته .

قال أبو عبدالله محمد بن داود بن الجرَّاح : فلما كان عَشِيُّ يومِنا ذلك ، وخلا وكنتُ أنا وابناه بين يديه ، تحدَّثَ واستروَح ، ثم قال لنا : سبحان الله ! ما أعجبَ ما كنتُ فيه اليومَ ! فلم نسألْه عن ذلك إجْلالاً له . [قال لي أبو أيوب رحمه الله] إنه كان في أيامِ الواثقِ في ذلك البلاء والضربِ والقَيْدِ ، وإنه حُمِل إلى محمد بن عبد الملك الزيات ليناظِرَهُ ويردَّه إلى مَحْبسِهِ . وكان بين يدَيْهِ على تلك الحالِ ، فجعل يناظره ، والحسنُ بن وَهْبٍ كاتبُهُ جالسٌ ، وربما تكلَّم بالكلمةِ تُرَقِّقُهُ عليه وربما أمسك ، ومحمدٌ دائبٌ في الغِلْظَةِ على أبي أيوبَ والدي والتشفِّي منه ، إذ مَرَّ بعضُ خدم محمد بن عبد الملكِ في الدارِ وعلى كَتِفِهِ صبيٌّ قد خُضِبَ ، وعليه لَبوسُ مِثْلِهِ من أولادِ الملوكِ ، فلما رآه صاح بالخادم : هاتِهِ ، فقرَّبَهُ إليه فَقَبَّله وترشَّفه وضمَّه إليه ، وجعل يُلاعبه . وحانت منه التفاتةٌ إلى والدي ، فإذا دمعتُه قد سبقَتْهُ وهو يمسحُ جَبينَهُ بالجُبَّةِ الصوفِ التي كانت عليه ، فقال له : ما الذي أبكاك ؟ فقال : خيرٌ أصلحك الله ، إلى أن قال : لا تَبْرَحُ أو تُخبرَني بالأمرِ على حَقِّه . فلما رأى ذلك الحسنُ بن وهب قال له : أنا أصدُقُك ؛ لمّا رأى أبو محمدٍ عُمَرَ ، أسعدَ الله ببقائِهِ وجعلنا جميعاً فداءه ، ذَكَرَ بُنَيّاً له في مِثْلِ سِنِّه يقال له عُبَيْد الله ، – قال : وكانا وُلِدا في شهرٍ واحدٍ – فالتفتَ إليه محمدُ كالهازىء به ثم قال : أتُراه يُقدِّرُ أن يكونَ ابنه هذا وزيراً ؟

قال الحسنُ : فلما أَمَرَ بحمله إلى محبسِهِ ، التفت إليَّ وقال : لولا أنَّ هذا من أمورِ السلطانِ التي لا سبيل إلى التقصير فيها ما سُوْتُك فيه ، ولو أعانني على نفسِهِ لخلّصته . فقال الحسن : فوالله ما رأيته منذ حُبِسَ ، فإن رأيْتَ أن تأمُرَ بالعدولِ به إلى بعضِ المجالسِ والإذْنِ لي في القيامِ إليه والخلوةِ معه لأُشير عليه بامتثالِ أمرِكَ . قال : فأمر بذلك . فقمتُ إلى أبي أيوب وتعانَقْنا وبكَيْنا ، فقال لي قبل كلِّ شيء : رأيْتَ أعجبَ من بَغْيِهِ ، ومن قولِهِ بالتباطُرِ والهُزْء : أتُراه يُقدِّرُ أن يكونَ ابنُه هذا وزيراً ؟ ووالله إني لأرجو – بعونِ الله – أن يبلغَ إلى الوزارةِ ، فيتقدَّمَ إليه عمرُ هذا متظلِّماً ؛ فلما كان في يومِنا هذا ، تقدَّم إليَّ عمرُ فتظلَّم ، وما كُنْتُ عَرَفْتُ له خبَراً قبل ذلك .

وقد رُوِيَ أَنَّ هذا الولدَ اسمُه عبدُ الملك ، وكُنيتُه أبو مروان ، وأَنَّ عبيدَالله بن سليمان ولاه ديوانَ البَرِيدِ والخرائطِ ، فتقلَّده ثلاثين سنةً أو أَكثرَ حتى عُرِفَ بأبي مروانَ الخرائطي ونُسِيَ نَسَبُهُ .

٥٧٠ – وروي في هذا الخبرِ أَنَّ محمد بن عبد الملكِ قال لسليمان : كأَني بك قد ذكَرْتَ عُبيدَالله وأَمَّلْتَ فيه الآمالَ ، ووالله لا رأَيْتَ فيه شيئاً ممَّا تأمُلُهُ ، وأنا أَستحلفُك بالله إن بلغَ ابنُك هذا إلا أَوْصَيْتَهُ إنْ جاءه ابني بشيءٍ من هذا إلاّ وأَسرفَ بعد ذلك في الاستماع . فما مضت إلا مُدَّةٌ يسيرةٌ حتى سَخِطَ المتوكِّلُ على ابنِ الزيَّاتِ ، وتولَّى سليمانُ مناظرَتَه . ووصَّى سليمانُ ابنَه وقال : يا بُنيّ ، إن [رفعك] الله ووضعه حتى يحتاجَ إليك ، فأحسِنْ إليه .

٥٧١ – قال يَحْيى بنُ خاقان : كان المأمونُ أَلْزَمني خَمْسَةَ آلاف أَلفِ درهمٍ ، فأَعلمتُه أَني لا أَملِكُ إلا سبعمائة أَلف ، وحلَفْتُ على ذلك أَيْماناً مُغلَّظَةً اجتَهَدْتُ فيها ، فلم يقبل مِنِّي وحبسني عند أَحمد بن هشام ؛ وكان بيني وبينه شَرٌّ ، وكان يتقلَّدُ الحَرَسَ . فقال لأَحدِ الموكَّلين بي : احفظوه ، واحذروا أن يَسُمَّ نَفْسَه . ففَطِنَ المأمونُ لمُرادِهِ فقال له : يا أَحمدُ ، لا يأكلُ يحيى بنُ خاقان إلا ما يُؤتى به من مَنْزِلِهِ . قال : فأَقَمْتُ على ذلك ، فوجَّه إليَّ فرج الرُخَّجي بأَلف أَلف درهم ، ووجَّه الحسنُ بن سهلٍ بأَلف أَلف درهمٍ ، فأَضَفْتُ ذلك إلى ما كان عندي ، واضطربتُ حتى جمعتُ خمسة آلاف أَلف درهمٍ . فلما اجتمعَتْ كتبتُ إلى المأمونِ بحصولِ المالِ الذي أَلزمنيه ، فأَمر بإحضاري فدخلتُ إليه وبين يديـهِ أَحمد بن أَبي خالدٍ ، وعمرو بن مَسْعدةَ ، وعليُّ بنُ هشام ، فلما رآني قال لي : أَفلم تُخْبِرْني وتحلفْ لي أَنَّك لا تَمْلكُ إلا سبعمائة أَلفٍ ، فمن أينَ لك هذا المالُ ؟ فصدقتُه عن الأَمرِ وقصَصْتُ عليه القصَّةَ ، فأَطرقَ طويلاً ثم قال لي : قد

---

٥٧٠ الفرج بعد الشدة ٢ : ٩٢–١٠٠ .

٥٧١ الفرج بعد الشدة ٢ : ١٢٥–١٢٦ .

وهبتُهُ لك ، فقال له الحضورُ : أتهَبُ خمسةَ آلافِ ألفِ درهمٍ وليس في بيتِ المالِ درهَمٌ واحدٌ ، وأنت محتاجٌ إلى ما دون ذلك بكثيرٍ ، فلو أخذتَهُ قرضاً ، فإذا جاءك مالٌ ردَدْتَهُ عليه ؟ فقال لهم : أنا على المالِ أَقْدَرُ من يحيى وقد وهبتُ له ، فردَدْتُ إلى القومِ ما كانوا حملوه إليَّ ، وتَخَلَّصْتُ .

٥٧٢ – وذكر محمد بن عَبْدوس أنَّ الفضل بن مروان حدَّثَ قال : سعى محمد بن يزدادَ إلى المأمون بعمرو بن بَهْنوي ، فقال له المأمون : يا فَضْلُ ، خُذ عَمْراً إليك فقيِّدْهُ وضيِّقْ عليه ليصدقَ عمَّا صار إليه من مالِ الفَيء ، فإنَّه قد احتازَ منه مالاً جليلاً ، وطالِبْهُ بذلك . فقلتُ : نعم ، وأَمَرْتُ بإحضارِ عمرو فأُحضِرَ ، وأخليتُ له حجرةً في داري ، فأقمتُ له ما يَصلحُ له ، وتشاغَلْتُ عنه بأُمورِ السلطانِ في يومي وغدِهِ ؛ فلما كان اليوم الثالثُ أرسل إليَّ عمروٌ يسألني الدخولَ إليه ، فدخلتُ ، فأخرج إليَّ رُقْعةً قد أَثْبَتَ فيها كلَّ ما يملكُه من الدُّورِ والعَقارِ والأَموالِ والفَرْشِ والكسوةِ والجوهرِ والكُراعِ وما يحوزُ معه من الرقيقِ ، فكان قيمة ذلك عشرين ألفَ ألف درهم ، وسألني أن أُوصلَ رُقعتَه إلى المأمونِ وأُعلمَهُ أنَّ عَمْراً قد جعله من جميعِ ذلك في حِلٍّ وسَعَةٍ . فقلتُ له : مَهْلاً ، فإنَّ أميرَ المؤمنين أكبرُ قَدْراً [من] أن يَسْلبَكَ نِعْمتَكَ كلَّها ؛ فقال عمرو : إنَّه كما وصفتَ في كرمِهِ ، ولكنَّ الساعي لا ينامُ عنِّي ولا عنكَ ، وقد بلغني ما تقدَّم به في شأني من الغِلْظَةِ ، وقد عاملتَني بضدِّ ذلك ، وقد طِبْتُ نَفْساً بأن أشتريَ عَدْلَ أميرِ المؤمنين لك في أمري ورضاه عني بجميع مالي . فلم أَزَلْ أُنزِلُهُ حتى وافقتُه على عشرةِ آلاف ألف درهم وقلتُ له : هذا شطرُ مالك وهو صالحٌ للفريقين ، وأخذْتُ خطَّه بالتزامِ ذلك صُلْحاً عن جميعِ ما جَرى على يدَيْهِ ؛ وصرتُ إلى المأمونِ فوجَدْتُ محمد بن يزدادَ قد سبقني إليه ، وإذا هو يُكلِّمه ، فلما رآني قطع كلامَه وخرَج . فقال المأمونُ : يا فَضْلُ ، قلتُ : لبَّيْكَ يا أميرَ المؤمنين ، أنا عبد

---

٥٧٢ الفرج بعد الشدة ٢ : ١٢٧ .

طاعتِك ، وغَرْسُ أيّامِك . فقال : أمرتُك بالتضييقِ على النبطيِّ عمرو بن بَهْنوي ، فقابَلْتَ أمري بالضدِّ ، ووسَّعْتَ عليه ، وأقَمْتَ له الأنْزالَ ! فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ عَمْراً يُطالَبُ بأموالٍ عظيمةٍ ، فلم آمَن أن أجعلَ محبسَهُ في بعضِ الدواوين ، فيبذل مالاً يُرغبُ في مِثْلِهِ فيتخلَّص ، فجعلتُ محبسَهُ في داري ، وأشرَفْتُ على طعامه وشَرابه لأحرسَ لك نفسَه ، فإنَّ كثيراً من الناسِ اختانوا السلطانَ ، وتمتَّعوا بالأموالِ ، ثم طولبوا بها ، فاحتيل عليهم ليتلفوا ويفوزَ بالأموالِ غيرُهم .

قال الفَضْلُ : وإنَّما أرَدْتُ بذلك تسكينَ غضبِ المأمونِ عليَّ ، ولم أعرضْ الرقعةَ عليه ، ولا أعلمتُه ما جَرى بيني وبين عمرو لأني لم آمَنْ سَوْرَةَ غضبِهِ في ذلك الوَقْتِ لاشتدادِهِ . فقال لي : سلِّم عَمْراً إلى محمد بن يزدادَ ، فتسلَّمه ولم يزَلْ يعذِّبُهُ بأنواعِ العذابِ ليبذلَ له شيئاً ، فلما رأى أصحابُه وعُمَّالُه ذلك وما قَدْ نالَهُ جمعوا له بينهم ثلاثةَ آلافِ ألفِ درهم ، وسألهم عمروٌ أن يبذلوها لمحمدٍ ؛ وصار محمدٌ إلى المأمونِ مُتَبَجِّحاً بها ، فأوصلَ الخَطَّ بها إلى المأمونِ ، وكُنْتُ واقفاً ، فقال المأمونُ : يا فضلُ ، ألم نعلمْكَ أنَّ غيرك أقومُ بأمورنا ، وأطوعُ لما نأمرُ به ؟ فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، أرجو أن أكونَ في حال استبطائك أبلغَ في طاعتك من غيري ؛ فقال المأمونُ : هذه رُقعةُ عمرو بن بَهْنوي بثلاثةِ آلافِ ألف درهمٍ . فقلتُ له – وما اجترأتُ عليه قطُّ جُرْأتي في ذلك اليومِ ، فإني أخرجتُ عليه إضْبارةً كانت مع غُلامي ، فأخذْتُ الرقعةَ منها مسرِعاً – وقلتُ : واللهِ لأُعلمنَّ أميرَ المؤمنين أني مع رِفْقي أبْلغُ في حياطةِ أموالِهِ من غيري مع غِلْظَتِه ، وأرَيْتُه رقعةَ عمروٍ التي كان كتبها لي وحدَّثْته حديثَه عن آخرِهِ ، فلما تبيَّن الخطَّين وعلمَ أنَّهما جميعاً خطُّ عمروٍ قال : ما أدري أيُّكما أعجب ؟ أعمروٌ حين شكر برَّكَ وطابَتْ نَفْسُه بالخُروجِ عن مُلْكِهِ بهذا السببِ ، أم أنت ومحافظتك على أهلِ النِّعَمِ وسترك عليه في ذلك الوقتِ ، واللهِ لا كُنْتما يا نبطيّان أكرمَ مني ، ودفع إليَّ الرقعةَ التي أخذها محمدُ بنُ يزداد من عمرو ، وأمرني بتخريقِها وبتخريقِ الأولى ، وأنْفَذَ

مَنْ يتسلَّمُ عَمْراً من مَحْبَسِهِ ، وأمره بتسليمه لي ، وأمرني بإطلاقِهِ ، ففعلتُ ذلك .

٥٧٣ – قيل : كانت محابسُ أحمدِ بنِ طولون مملوءةً ، وكان الوالي عليها موسى بن مُفْلِحٍ[١] ، فأمره أحمد بن طولون بتعرُّفِ أخبار المحبوسين ، قال موسى : فرأيتُ رجلاً منهم له هَيْئَةٌ وله في الحبس سنون ، وعرفته بكثرةِ صلاتِهِ وصيامِهِ ، فعرَضْتُ عليه الشفاعةَ وكَتْبَ الرِّقاعِ إلى مَنْ يَرى ، فكتب رُقْعَةً ، ثم استأذنني في الذَّهابِ إلى منزلِهِ ليُدَبِّرَ أَمْرَهُ ويعودَ ، وواثقني بعهودٍ وقال : ما أعرفُ أحداً غير أبي طالبٍ فليح[٢] والد محمد بن فُليح ، ولو قَدَرْتُ عليه لاستعنتُ به ، وكان فُليح واليَ شرطة أحمد بن طولون . قال موسى بن مفلح : فرحمتُه ورثيتُ له . وفكَّرْتُ في أحمد بن طولون وشدَّةِ بأسِهِ ، وأني أُخرجُ من مَحْبَسِهِ رجلاً بغير أمرِهِ ثم آثرْتُ الله ورضاه وحَمَّلْتُ نفسي خُطَّةً عظيمةً ، فأذِنْتُ له في الذهابِ إلى منزله ، وأن يُقيم ثلاثاً يُدبِّر أَمْرَهُ ويحتالُ ثمَّ يعود .

وأطلقتُه ليلةَ الجمعةِ لما شاهَدْتُ من حُسْنِ طريقتِهِ واجتهادِهِ في العبادةِ ، فعاد إليَّ غداةَ يوم السبتِ فسألتُه عن خبرِهِ ، فقال : سألتُ فلَيْحاً وسألتُه فوعدني ومضى في حاجتي ، وعاد إليَّ قُرب العَتَمَةِ مغموماً وقال لي : كلّمتُ فيك الأمير فقال : أذكَرْتني رجلاً يحتاجُ إلى عقوبةٍ ، ثم تقدَّم إلى بعضِ أسبابه أن يعرضَك يومَ السبتِ ، ثم قال لي فليح : وَدِدْتُ أني ما تكلَّمْتُ في أمرِك ؛ فلما سمعتُ هذا من أمري جئتُ إليك خوفاً عليك أن يأتيكَ الرسولُ فيطلبني فلا أكونُ في الحبس ، فبادَرْتُ لئلا تلقى مكروهاً .

قال موسى بن مُفلح : فلما أَضحى النهارُ وافى رسولُ أحمد بن طولون في

---

٥٧٣ انظر سيرة أحمد بن طولون للبلوي ٢٣٤–٢٣٧ والمكافأة وحسن العقبى : ٩–١١ .

١ السيرة : موسى بن صالح والمكافأة : موسى بن مصلح .
٢ السيرة والمكافأة : الخليج .

طلب الرجل ، فركبتُ وسِرْتُ إليه ، فحدَّثْتُه بالحديثِ ووصَفْتُ له اجتهادَ الرجلِ ، وأنّي أطلقتُه بغيرِ أمرِهِ ، وأنَّه عاد إليَّ خوفاً عليَّ ، فاستحسن أحمد بن طولون ذلك ، وزال غضبُه عليه ، وكان السببَ في العَفْوِ عَنْهُ والإحسان إليه .

٥٧٤ – سعى ولدٌ لسليمان بن ثابت بأبيه إلى أحمد بن طولون ، وكان سليمانُ يكتبُ لشُقَيْرٍ الخادمِ غلامِ الخليفةِ وخليفتهُ على الطراز . وكان ولد سليمان بن ثابت يقولُ لأحمد بن طولون : إنَّ شُقَيْراً أودع أبي أربعَمائة ألفِ دينارٍ . فأحضر أحمد بن طولون سليمان بن ثابتٍ وقال : اصدُقني عن هذا المالِ ، فحلف له سليمان أنَّ شُقيراً ما أَوْدَعني شيئاً من هذا ؛ فقال أحمد بن طولون : ابنك عرَّفني هذا ، فأمسِكْ عنه ولا تجبه ، واطْوِهِ عن ابنِك . ثم أمسك أحمد بن طولون عن ابنِهِ ومَقَتَه . فلم يَمْضِ حولٌ حتى توفي سليمان بن ثابت ، فأظهر ابن طولون غمّاً ، وولّى ابنَه الساعيَ به عَمَلاً ، وضمَّ إليه رجالاً . فأقام شهوراً ثم دعا به ، فقال : قد أحسَنْتُ إليك ، فاحمِلِ إليَّ الأربعمائة الألفِ الدينار التي أودعها شقيرٌ لأبيك . فَلَجْلَجَ واضطرب وهلع ، فسلَّمه أحمد بن طولون إلى إسماعيلَ بنِ عمَّارٍ فضربه خمسين سوطاً ، واصطفى أموالَه ، ثم عاوَدَه الضَّرْبَ حتى مات .

٥٧٥ – وروي أن أحمد بن طولون في أولِ أمرِهِ رأى في منامِهِ أنَّه أنْزَلَ رجليه في بئرٍ مملوءةٍ دماً ، وأنَّ السماءَ تُمطِرُ على رأسِهِ ، فنظر فإذا هي عَذِرَةٌ . فهالته الرؤيا ودعا بمُعَبِّرٍ فذكرها له ، فقال له : تحصُلُ في بلدٍ بعيدٍ من السلطانِ بمنزلةِ البئرِ ، وتتناوَلُ من الدماءِ ما يعظمُ أمرُهُ ، وتُقْبِلُ عليك الدنيا لأنَّها مذمومةٌ مرذولةٌ وهو تعبيرُ ما سقط على رأسِكَ ، فكانت البئرُ مصرَ ، وكانت الدماءُ ما عَمِلَ ، وكانت العَذِرةُ الأموالَ التي أقبلَتْ عليه .

٥٧٦ – ورأى أحمدُ بنُ طولون ، وهو والي مصر ، في منامِهِ محمدَ بنَ

---

٥٧٤ سيرة أحمد بن طولون : ٢٤٢–٢٤٣ والمكافأة وحسن العقبى : ٧٤–٧٥ .
٥٧٦ سيرة أحمد بن طولون : ٢٨٧ .

سليمانَ الكاتبَ – وهو يومئذٍ يكتُب لغلامِهِ لؤلؤ – كأنه يهدمُ ميدانَه وقصرَهُ .
فلما أُصبح قال لِلؤلؤ : ما فعل كاتبُك محمد بن سليمان ؟ فقال خيراً ، فقال :
جئني به ، فإني رأيتُ البارحةَ وهو يهدمُ قصري وميداني . فقال : هو بالريفِ ،
فقال : اكتُب إليه ليجيءَ . فلما انصرف لؤلؤٌ أُحضر كاتبَه وقال له : طِرْ في
الدنيا ، فَمِن خبَرِك كذا وكذا ، وقد طلبك الأَميرُ وهو واللهِ قاتلُك . فهرب محمد
بن سليمان إلى العراقِ ، وقضي إلى أن خرج في أَيامِ المكتفي إلى مصر ، وقلعَ آل
طولون ، وهدم الميدانَ . وقد قيل إنَّه كان وقع في يدِ محمد بن سليمان وضربه
بالسوطِ وأفلَتَ من يدِهِ .

٥٧٧ – وجاءه ابن دشومة فقال له : أَيُّها الأَميرُ ، فِعْلُك فِعْلُ الجبَّارين ،
ونفسُك نفسُ الزُّهادِ . فقال له أَحمد بن طولون : وما الخبرُ ؟ فقال له ابن
دشومة : في البلد أَموالٌ تالفةٌ مبلغُها كذا وكذا ؛ فقال له : تجيئني في غدٍ . فغدا
عليه فقال له : ويحك ، إني رأيتُ البارحةَ في منامي فلاناً – شيخاً له من أَهلِ
طَرَسوس – وهو يقول لي : لا تَقبَلْ من ابن دَشومة ما قال لك ، فهو غاشٌّ لك ،
واللهِ يُعوِّضُك ، فاتركْه للهِ . فقال له ابن دشومة : قولُ ذلك منامٌ ، وقولي يقظةٌ .
فلما كان بعدَ أَيامٍ وجد أَحمد بن طولون كنزاً مبلغهُ أَلفُ أَلف دينار سوى
الجوهرِ ، فأَحضر ابن دشومة فقال : أَنْتَ غاشٌّ لي ، وسَخِط عليه .

٥٧٨ – حدّث محرزُ بنُ القاسم وكان هو وآخر من الخراسانية [من رجال
عبدالله بن علي قال : كانت عبدة] بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية امرأَةَ هشامِ بنِ
عبد الملك ، وكان هشام وهبَ لها بَدَنَةً[١] من جوهرٍ . فأَخذها عبدُ الله بنُ علي –

---

٥٧٧ قارن بسيرة أحمد بن طولون : ٧٤–٧٦ .

٥٧٨ انظر الذخائر والتحف المنسوب للقاضي الرشيد : ٩٣–٩٥ والجليس الصالح ٣ : ٣٤٦–٣٤٧ .

---

١ بدنة : دراعة .

وكانت من أجمل النساء – فوضع الوهق[1] على رجليها ، وكانت تقولُ : إنّا لله ! عروسٌ بالليل ومعذّبةٌ بالنهار ! فبلغ ذلك أبا العباس ، وكان عبدُ الله قد استخرج منها البدنة . قال : فبعثني وبعث معي رجلاً وأمَرَنا أن نحملَها من دمشق ونحملَ معها البدنة ، وأوصانا بقتلها في الطريق لئلا تَرِدَ على أبي العباس فتخبرَه بما كان منه إليها . فسرنا بها مَرَاحل ، فبينا نحن في ليلةٍ ظلماء إذ عدَلْنا بها عن الطريقِ ، ثم استنزلناها فظنَّتْ أنّا نريدُها لفاحشة ، فقالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! اتقيا الله عزَّ وجلَّ ولا تفضحاني . فقلنا لها : ما يُرَادُ بك أعظمُ من ذلك . فقالت : القتلُ ؟ فقلنا : نعم . قالت : الحمد لله ربِّ العالمين ! دَعَاني أُصلِحْ من شأني ؛ فعقدَتْ كُمَّيْها ولفَّتْ رأسَها في مِقْنعَتها ، وجَثَتْ على ركبتيها ، فقتلناها ثم حفرنا لها حُفيرةً وواريناها فيها ، ثم قَدِمنا على أبي العباس فدفعنا إليه البدنةَ وقلنا له : ماتت في الطريق ، فلم يَسأَلْنا عن غيرِ ذلك .

٥٧٩ – قال أبو الطفيل : وُلدَ لرجلٍ غلامٌ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فأُتيَ به فدعا له وأخذ ببشَرَةِ جبهتِه فقال بها هكذا ، غمرَ جبهتَهُ ودعا له بالبركةِ فنبتت شعرةٌ في جبهتِهِ كأنها هُلبة فرس . فشب الغلام ، فلما كان زمنُ الخوارجِ أحبَّهم فسقطَتْ الشعرةُ عن جبهته . فأخذه أبوه فقيَّدَه ، ودخلنا عليه فوعظناه ؛ وقلنا له : ألم تَرَ أنّ بركةَ دعوةِ رسولِ الله ﷺ قد وقعَتْ من جبهتِكَ ؟ فما زلنا به حتى رجع وتاب فردَّ الله الشعرةَ في جبهته .

٥٨٠ – قيل للاسكندر : لو استكثَرْتَ من النّساء ليكثُرَ ولدُك ويدومَ بهم ذكرُك . فقال : دوامُ الذّكرِ بتحسينِ السِّيرِ والسُّنَنِ ، ولا يحسُنُ بمن غلبَ الرجالَ أن تغلبَهُ النّساء .

---

٥٨٠ بهجة المجالس ٢ : ٢٠١ .

---

[1] الوهق : حبل في طرفيه أنشوطة .

٥٨١ – خطب عمر رضي الله عنه أمَّ كلثوم بنتِ عليّ من فاطمة[1] عليهما السلام ، وقال : زوِّجنيها فإني أرصُدُ من كرامَتِها ما لا يرصُدُهُ أحدٌ . فقال : هي صغيرةٌ وأنا أبعثُها إليك فإن رَضيتَها فقد زوّجتُكَها . فبعثها إليه ببرد وقال لها : قولي له هذا البردُ الذي قلتُ لك . فقال : قولي له قد رصدتُ رضي الله عنك . فتناول قناعَها ، فقالت : لولا أنّك أميرُ المؤمنين لكسرتُ أنفَكَ . وقالت لأبيها : بعثتني إلى شيخِ سوءٍ فقال : مهلاً يا بُنيَّةُ ، فإنه زوجك . فجاء عمرُ إلى مجلسِ المهاجرين الأوَّلين في الروضةِ وقال : رفِّئوني فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : كلُّ سببٍ ونسبٍ وصهرٍ مُنقطعٌ يومَ القيامة إلا نسبي وسببي وصهري ، فصار لي به السببُ والنسبُ ، فأردتُ أن أجمع إليه الصهر . وولد منها لعمرَ زيدٌ ورقيةٌ . وأما زيدٌ الأصغرُ وعبدُ الله بنُ عمرَ فقد وُلدا من أمِّ كلثومٍ بنتِ جَرْوَل من قضاعة .

٥٨٢ – وخرج زيدٌ من عند معاويةَ فأبصرَ بُسرَ بنَ أرطأة على دكّانٍ ينالُ من عليّ ، فصعد الدكانَ فاحتمله وضرب به الأرضَ وصفَرَ عليه فدق ضِلعيْنِ من أضلاعه ، فقال معاوية : أبعَدَ الله بُسراً يشتمُ جد الرجل وهو يسمع ! أما علم أنّ زيداً ابنَ عليّ وعمر .

وماتت أمُّ كلثوم وزيدٌ في وقت واحد وصلّى على جنازتيهما سعيدُ بنُ العاص ، وكان والي المدينة . وقال له الحسينُ بنُ علي عليهما السلام : تقدَّمْ ، ولولا أنّك أميرٌ ما قدّمْتُك .

٥٨٣ – قال إسحاق بن اليمان : رأيتُ رجلاً نام وهو أسودُ الرأسِ واللحيةِ

٥٨١ العقد ٦ : ٩٠ مع بعض اختلاف .
٥٨٢ انظر العقد ٤ : ٣٦٥ وطبقات ابن سعد ٨ : ٤٦٣–٤٦٥ .
٥٨٣ نثر الدر ٧ : ٤١٣ وربيع الأبرار ٤ : ٣٣٤ .

[1] العقد : من علي وهو ما يقتضيه السياق .

شابٌّ يملأُ العينَ ، فرأى في منامه كأنَّ الناسَ قد حُشِروا ، وإذا بنهرٍ من نارٍ وجسرٍ يمرُّ عليه الناسُ . فدُعيَ فدخلَ الجسرَ ، فإذا هو كحدِّ السيف يَمُورُ به يميناً وشمالاً ، فأصبح أبيضَ الرأسِ واللحية .

٥٨٤ – رأى رجلٌ في منامه كأنه يصبُّ الزيتَ في الزيتون ، فقال له ابنُ سيرين : إن صدقَتْ رؤياك فأنت تفعلُ بأمِّكَ ، وكان كما قال .

٥٨٥ – أتى دومةَ بنتَ مغيثٍ آتٍ في المنام فقال لها [من الرجز] :

ألا ابشرَنْ بولدْ أشبهَ شيءٍ بالأسدْ
إذا الرجالُ في كَبَدٍ تغالبوا على [بلدْ]
كان له حظُّ الأسدْ

فولدَتِ المختارَ بنَ أبي عُبيد ، وذلك في سنة الهجرة .

٥٨٦ – رأى عليّ بنُ الحسينِ مكتوباً على صدره «قُلْ هو الله أحَد» ، فاستعبَرَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، فقال : بضعةٌ من رسولِ الله ﷺ نُعيَتْ إليه نفسُهُ .

٥٨٧ – وقال رجلٌ لسعيدِ بنِ المسيَّبِ : رأيتُ كأنّي بُلتُ خلفَ المقامِ أربعَ مراتٍ . قال : كذبتَ لستَ صاحبَها ، قال : فهو عبد الملك ؛ قال : يلي أربعةٌ من صُلبِهِ الخلافةَ .

٥٨٨ – وقال الشافعي : رأيتُ عليّاً عليه السلام في المنام فقال لي : ناولْني كتبَكَ ، فناولتُهُ فأخذها فبدَّدَها ؛ فأصبحت أخا كآبةٍ ، فأتيتُ الجَعْدَ فأخبرتُهُ فقال : سيرفعُ الله شأنَكَ ويَنشرُ علمَكَ .

---

٥٨٤ محاضرات الراغب ١ : ١٥٠ وربيع الأبرار ٤ : ٣٣٥ والمستطرف ٢ : ٩٩ .
٥٨٥ ربيع الأبرار ٤ : ٣٣٥ ومحاضرات الراغب ١ : ١٥٠ والمستطرف ١ : ١٠٠ .
٥٨٦ ربيع الأبرار ٤ : ٣٣٦ .
٥٨٧ ربيع الأبرار ٤ : ٣٣٦ والمستطرف ٢ : ١٠٠ وانظر محاضرات الراغب ١ : ١٥١ .
٥٨٨ المستطرف ٢ : ١٠٠ .

٥٨٩ – وقال أبو حنيفة : رأيتُ كأنّي نبشْتُ قبرَ رسول الله ﷺ فضممتُ عظامَهُ إلى صدري ، فهالني ، فسألتُ ابنَ سيرين فقال : ما ينبغي لأحدٍ من أهلِ هذا الزمانِ أن يرى هذه الرؤيا . قلت أنا رأيتُها ؛ قال : لئن صدَقَتْ رؤياك لتُحيِيَنَّ سُنَّةَ نبيِّك .

٥٩٠ – قال رجلٌ لعلي بن الحسين : رأيتُ كأنّي أبولُ في يدي ، فقال : تحتك مَحْرَمٌ . فنظر فإذا بينه وبين امرأتِهِ رَضاعٌ .

٥٩١ – كان مع صلةَ بنِ الأشيم أعرابيٌّ فقال : يا أبا الصهباء ، رأيتُ كأنّك أتيتَ بثلاثِ شهاداتٍ فأخذتَ اثنتَيْنِ وأعطيتَني واحدةً ؛ فقال : الشهادةُ إن شاءَ الله . فغزَوْا فاستُشهِد هو وابنُهُ والأعرابي .

٥٩٢ – ورأى نَوْفٌ البكاليّ صاحبُ عليّ عليه السلام كأنّه يسوقُ جيشاً ومعه رمحٌ طويلٌ في رأسهِ شمعةٌ تُضيءُ للناسِ فتأوَّلَها بالشهادة . فخرج إلى الغزوِ ، فلما وضعَ رجلَه في الرِّكابِ قال : اللّهمَّ أرمِلِ المرأةَ وأَيتِمِ الولدَ وأكرمِ نَوْفاً بالشهادة . فوجدوه وفرسَهُ مقتولَيْنِ ، مختلطاً دمُهُ بدمِ الفرسِ وقد قَتَلَ رجلَيْنِ .

٥٩٣ – رأى عبدُ الملك في منامه أنّ أمَّ هشامٍ شقَّتْ رأسَهُ فطلعت من دماغه عشرون قطعة ، فطلّقَها . ثم بعث إلى سعيد بن المسيب فسأله ، فقال : تَلِدُ غلاماً يملكُ عشرين سنةً ، فندم .

٥٩٤ – قدِمَ عليُّ بنُ عيسى بنِ ماهان على الرشيدِ من خراسان فسأله أن يركبَ مع خواصِّه إلى الميدان لينظرَ إلى هداياه ، وقد أمرَ عليٌّ بكنس الميدانِ وفرشِهِ

---

٥٨٩ – ٥٩٠ ربيع الأبرار ٤ : ٣٣٧ والمستطرف ٢ : ١٠٠ .
٥٩١ ربيع الأبرار ٤ : ٣٣٧ .
٥٩٢ ربيع الأبرار ٤ : ٣٣٩ .
٥٩٣ ربيع الأبرار ٤ : ٣٣٩ .
٥٩٤ انظر تاريخ الطبري ٨ : ٣١٤–٣١٦ .

بالرياحين والآسِ ، وأقامَ في أحدِ جانبيه أربعةَ آلافِ غلامٍ تركيٍّ عليهم اللّباسُ المرتفعُ والمناطقُ المعرَّقةُ بالفضة ، وبيد كل واحد شهريٌّ من أفرهِ الدّوابِّ ، كلُّها مجلّلةٌ مبرقعَةٌ بالديباج ، وعلى رأسِ كلِّ غلامٍ عمامةٌ من جنس لباسه ، وفي الجانب الآخرِ أربعةُ آلافِ وصيفةٍ تركيّةٍ عليهن ثيابٌ من المُلْحَمِ الفاخرِ وغيره ، وقد بُسِطَ في صدرِ الميدانِ بُسُطٌ عليها الأنطاعُ صُبَّتْ عليها الأموالُ حتى صارت جبلاً عظيماً ، وبحذائها نوافِجُ المسكِ مثلُها .

فلما رجع ونزل بهم قال : يا أبا جعفر أين كنّا عن هذه الاموالِ ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، أَسرَّكَ أنْ أخذَ عليُّ بنُ عيسى أموالَ الفقراء والأراملِ وجاءك بها ناراً يتقرب بها إليك ؟ والله لَتعلمُ إذا وَضحَتْ لك عواقبُ الأمورِ أنّك تستَوْخِمُ فائدتَها ، ولَتنفِقَنَّ بدلَ كلِّ درهمٍ ديناراً ثم لا تنجو . فقال : عادلت الرشيد حين خرج إلى خراسان فتنفَّسَ تنفُّسَةً كادت نفسُهُ تخرجُ ، ثم قال : لله جعفرُ بنُ يحيى ، وذكر كلمته ، وقال : كانت أقوى الأسباب في تغيُّري للبرامكة ، وقد والله أنفقتُ بدلَ كلِّ درهمٍ ديناراً وأراني لا أنجو .

٥٩٥ – لما أصاب زياداً الطاعونُ في يده أُحضرَ له الأطباءُ ، فدعا شُرَيحاً فقال له : لا صبرَ لي من شدَّته فلقد رأيتُ أن أقطعَها ، فقال شريح : أتستشيرُني في ذلك ؟ فقال : نعم ؛ قال : لا تقطعْها ، فالرزقُ مقسومٌ والأجلُ معلومٌ ، وأنا أكرهُ أنْ تَقدمَ على ربِّك مقطوعَ اليدِ ، فإذا قال : لِمَ قطعْتَها قلتَ : بُغضاً للقائِكَ وفراراً من قضائك . فمات زيادٌ من يومه ، فقال الناسُ لشُريح : لم نَهيْتَه عن قطعها ؟ فقال : استشارني والمستشارُ مؤتمن ، ولولا الأمانةُ لوددْتُ أن أقطعَ يدَهُ يوماً ورجلَهُ يوماً .

٥٩٦ – لما نزلَ قولُه تعالى ﴿وتَعِيَها أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقّة : ١٢) قال النبيُّ ﷺ لعليّ : سألت الله أن يجعلَها أُذُنَكَ ، فلم يسمعْ بعد ذلك شيئاً إلا حفظه .

---

٥٩٥ وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٢–٤٦٣ .

٥٩٦ انظر محاضرات الراغب ١ : ٣٩ وفي الأغاني ١ : ٨١–٨٢ حكاية مشابهة عن عمر بن أبي ربيعة وابن عباس وانظر أيضاً جامع بيان العلم لابن عبد البر : ١١٧ .

وأنشده عمر بن أبي ربيعة قصيدته التي أولها : [من الطويل]

* أمن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكرُ *

وهي ثمانون بيتاً فحفظها وسُئل عنها فأعادها ؛ وقال له رجلٌ : ما رأيتُ أروى منك ، فقال : ما رأيتُ أروى من عمر .

٥٩٧ – وقيل : كان عُمرُ بنُ هُبَيرةَ يَضبطُ حسابَ العراقِ وهو أُمِّيٌّ .

٥٩٨ – قال الشعبي : ما كتبتُ سَوداء في بيضاءَ إلا حفظتُهُ . وقال : أحفظُ كلَّ حديثٍ سمعتُهُ وموضعَهُ الذي سمعتُهُ فيه .

وقال الأصمعي : أحفظُ اثنَيْ عشرَ ألفَ أرجوزة ، فقال رجلٌ : منها البيتُ والبيتانِ ، فقال : ومنها المائةُ والمائتان .

٥٩٩ – ورَدَ أبو مسعود الرازي أصفهانَ ، ويقال إنّه أملى عن ظهرِ قلبه مائةَ ألفِ حديثٍ . فلما وصلَتْ كتبُهُ قُوبلَتْ بها ، فلم يُعثَرْ منها على سَقْطَةٍ إلا في مَتنِ حديثين .

٦٠٠ – وادّعى الخوارزميّ أنه يحفظُ كتابَ الأمثالِ لأبي عبيدٍ في ليلةٍ .

وقد ذُكر في موضعٍ آخرَ من هذا الباب حفظُ المتنبّي لكتابِ خلقِ الانسانِ في اطِّلاعةٍ واحدة .

٦٠١ – وقيل : جرى ذكرُ الحفظِ لما كان أبو مسعودٍ بأصفهانَ ، فقُرِىء عليه أوراقٌ من حسابِ البقّالينَ وأعادها على الترتيب .

---

٥٩٧ محاضرات الراغب ١ : ٣٩ .
٥٩٨ محاضرات الراغب ١ : ٤٠ وجامع بيان العلم : ١١٤ .
٥٩٩ محاضرات الراغب ١ : ٤٠ وانظر ترجمة أبي مسعود في تذكرة الحفاظ : ٥٤٤–٥٤٥ وتهذيب التهذيب ١ : ٦٦–٦٧ .
٦٠٠ محاضرات الراغب ١ : ٤٠ .
٦٠١ محاضرات الراغب ١ : ٤٠ عن الخوارزمي .

٦٠٢ – وقد حُكيَ مثلُ ذلك عن أبي العلاء المعرّي .

٦٠٣ – بدر من أبي عُمَر الصبّاغ إلى الصاحبِ جفاء ، وكان مؤدِّبَه ، فقام من عنده وكتب إليه : [من السريع]

أوْدعتَنــي العلمَ فـلا تَجهــلِ ... كَم مقول يجني على مقتل
أنت وإن علَّمتني سُوقةٌ ... والسيفُ لا يبقى على الصَّيْقل

فاتصل ذلك بأبي الحسين بن سعد فتعجَّبَ منه وكَتَبه ، وقال : ابنُ ثمانين يكتبُ شعرَ ابن عشرين ، ثم تلا ﴿وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبيًّا﴾ (مريم : ١٢) .

٦٠٤ – قال محمّدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيمة : ما رأيتُ تحت أديمِ السماءِ أعلمَ بالحديثِ ولا أحفظَ له من محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاري . وكان يقال : حديثٌ لا يعرفُهُ محمدُ بنُ إسماعيلَ ليس بحديث . وقال البخاري : أحفظُ مائةَ ألفِ حديثٍ صحيح ، ومائتي ألفِ حديثٍ غير صحيح . وقال : ما وضعتُ في كتابي الصحيحِ حديثاً إلا اغتسلتُ قبلَ ذلك وصلَّيْتُ ركعتَيْنِ ووضعتُ تراجمَهُ بين قبرِ رسول الله ﷺ ومنبرِهِ . وكان يُصَلِّي لكلِّ ترجمةٍ ركعتين . وقال : أخرجتُهُ من ستمائةِ ألفِ حديثٍ ، وصنَّفتُه في ستَ عشرةَ حَجّةً وجعلتُهُ حُجّةً فيما بيني وبين الله .

٦٠٥ – معن بن أوس المزني : [من الطويل]

رأيتُ رجالاً يَكرهون بَناتِهم ... وفيهنَّ – لا يكذَب – نساءٌ صوالحُ
وفيهن – الأيام تعثُر بالفتى – ... نَوادبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونوائحُ

---

٦٠٢ انظر مثلاً تعريف القدماء بأبي العلاء : ٢٢٤ .
٦٠٣ محاضرات الراغب ١ : ٥٦ وقارن بالوافي ٩ : ١٣٣ .
٦٠٤ انظر ترجمة البخاري في تاريخ بغداد ٢ : ٤ وما بعدها .
٦٠٥ الأغاني ١٢ : ٥١ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٢٥ .

٦٠٦ – دخل عمرو بن العاص على معاويةَ وعنده ابنتُه عائشةُ ، فقال : من هذه يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : هذه تفاحةُ القلبِ ، قال : انبذْها عنك ، فإنهنّ يَلِدْنَ الاعداءَ ، ويُقرِّبنَ البُعَداءَ ، ويورثْنَ الضَغائنَ . قال : لا تقلْ يا عمرو ، فوالله ما مرَّضَ المرضى ، ولا نَدَبَ الموتى ، ولا أعانَ على الأحزانِ إلا هن ، وإنّك لواجد خالاً قد نفعه بنو أختِهِ . فقال عمرو : ما أراك يا أمير المؤمنين إلا وقد حبَّبْتَهنَّ إليّ .

٦٠٧ – قال عمرو بن العاص لمعاوية : ما بقي من لذّتك ؟ قال : عينٌ خرّارة في أرضٍ خَرّارةٍ ، وعينٌ ساهرةٌ لعينٍ نائمة .

وقال عمرو : أن أَبيتَ مُعَرِّساً بعقيلةٍ من عقائلِ العرب .

وقال وردان : الإفضالُ على الإخوان .

٦٠٨ – وقال عبد الملك : محادثةُ الإخوان في الليالي القُمْرِ على الكُثْبانِ العُفر .

٦٠٩ – وقال سليمان ابنه : صديقٌ أطرحُ بيني وبينه مُؤْونَةَ التحفُّظِ .

٦١٠ – وقيل لأعرابي : فيمَ اللّذة ؟ قال : في قبلةٍ على غفلة .

٦١١ – وقال آخر : سيف كبرق ثاقب ، ولسان كمخراقِ لاعب .

٦١٢ – وقال طفيلي : في مائدةٍ منصوبةٍ ، ونفقةٍ غيرِ محسوبة ، عند رجل لا يضيقُ صدرُهُ من البلع ولا يحبس نَفَسَه من الجزَع .

٦١٣ – وقال آخرُ : في ندامى تُغلقُ دُورُهم وتغلي قدورُهُم .

٦١٤ – وقال عالم : في حُجَّةٍ تتبخترُ إيضاحاً وحجة (شبهة) تتضاءل افتضاحاً .

٦١٥ – وقال الراعي : في وادٍ عشيبٍ ولبنٍ حليبٍ .

---

٦٠٦ عيون الأخبار ٣ : ٩٩ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٢٥ والمستطرف ٢ : ١٠٠ .
٦٠٧ الكامل للمبرد : ٣٠٧-٣٠٨ .
٦٠٨ الكامل للمبرد ٣٠٨ .
٦٠٩ الكامل للمبرد : ٣٠٨ وعيون الأخبار ٣ : ٣٠٨ .

٦١٦ – وقال عابد : في عمل يَخلُصُ ، ورياءٍ ينقُصُ ، وقلبٍ عن الدنيا يسلُو ، وهِمَّةٍ إلى الله تعلو .

٦١٧ – وقال أعرابي : أشتهي محضاً رَوِيًّا ، وضبًّا مَشويًّا .

٦١٨ – وقال مضياف : في كُومٍ تُنحَرُ ، ونارٍ تُسعَرُ ، وضيفٍ ينزلُ ، وآخرَ يرحل .

٦١٩ – وقال معن : في مجلس يقل هذَرُهُ ، وعودٍ ينطقُ وترُهُ ، ورجلٍ عقولٍ يفهمُ ما أقول .

٦٢٠ – وقال شجاع : طِرفٌ سريعٌ وقِرنٌ صَريعٌ .

٦٢١ – وقال بحّار : شربةٌ من ماء الفِنطاسِ بقشرِ النّارَجيل ، ونومةٌ في ظلٍّ الشراع .

٦٢٢ – لم يكنْ في العجمِ أرمى من بهرام جُور الملك . فتصيَّدَ وهو مُردِفٌ حظيَّةً له يتعشَّقُها ، فعرضَتْ له ظباءٌ ، فقال : في أيِّ موضعٍ تُريدينَ أن أضعَ السهمَ ؟ فقالت : أريدُ أن تُشبِّهَ ذُكرانَها بالإناث وإناثَها بالذُّكرانِ . فرمى ذكراً بنُشَّابةٍ ذاتِ شُعبتين ، فاقتلعَ قرنَيْهِ ، ورمى ظبيةً بنشابتَيْنِ أثبتَهما في موضعِ القرنين . ثم سألَتْهُ أن يجمعَ بين ظِلفِ الظبي وأُذُنه بنشابةٍ ، فوصل أذنَه بظلفِهِ . ثم رمى بالجارية إلى الأرض ووطئها ، وقال : شدَّ ما اشتطَطْتِ وأردْتِ إظهارَ عجزي .

٦٢٣ – رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كنّا عند أميرِ المؤمنين عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه فمرَّتْ به امرأةٌ تحملُ شيخاً على عنقها . فقال لها : مَن الشيخُ مِنكِ ؟ فقالت : أبي . قال : كم يعُدُّ ؟ قالت : سمعتُهُ قبلَ أن يكونَ على هذه

---

٦٢٢ عيون الأخبار ١ : ١٧٨ .

٦٢٣ البيتان لأبي حكيم المري . محاضرات الراغب دون نسبة ١ : ٣٢١ وشرح الحماسة للتبريزي : ٤٨ وعجز البيت الثاني فيه : «ويغشى بيوت الحي وهو يتيم» .

الحالِ وقد سُئِلَ عن سنّه ، فقال : نيفٌ وثلاثون ومائةُ سنةٍ ؛ فقيل له : من أدركت ؟ قال : أدركتُ أحسنَ الناسِ وجهاً ، وأسخاهم كفّاً ، وأتمَّهم طولاً ، وأكرمَهم كرماً ، وأشرفَهم شرَفاً ، أبا نَضْلَةٍ هاشمَ بنَ عبدِ منافٍ . فقال لها عُمرُ : لو رعَيْتِه في منزلك كان أودع له . فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إنه قد حدَثَ به حدَثٌ من خلُقِ الصّبيانِ ، إذا جاع بكى ؛ وقد أدرَّ الله له ثديي فأنا أُرضِعُهُ . فقال لأصحابه : أجازَتْه ؟ قالوا : نعم ، فقالت : لا والله ما جازَيْتُهُ يا أميرَ المؤمنين . فقال لها : ولِمَ ؟ فقالت : لأنّي قد كنتُ في مثلِ حاله يَتمنّى بقائي ، وأنا اليومَ أتمنّى موتَهُ . قال : فبكى عمر وبكيْنا معه ، وأمرَ فزادَ في عطائِها وعطائِه . ثم قال لأصحابه : أيُّما أبرُّ : الوالدُ بالمولودِ أم المولودُ بالوالدِ ؟ فقالوا : إن البِرَّ يَزيدُ ويَنقصُ . قال : فإذا استويا في البِرِّ ؟ قالوا : الوالد أبرّ . فقال : بل الولدُ أبرُّ لأنّ برَّ الوالدِ طبيعةٌ لا يملكُ غيرَها ، وبرُّ الولدِ تكلُّفٌ .

وهذا معلومٌ محقَّقٌ . وممّا يُقاربُ معناه قولُ الشاعر : [من الطويل]

يَقَرُّ بعيني – وهو يُنقِصُ مدَّتي – مرورُ الليالي كي يَشِبَّ حكيمُ
مخافةَ أن يغتالني الموتُ قبلَهُ فينشو مع الصبيانِ وهو يتيمُ

٦٢٤ – وكتب إبراهيم بن داحة إلى أبيه : جعلني الله فداك . فكتب إليه : لا تكتُبْ مثلَ هذا ، فأنت على يومي أصبرُ مني على يومك .

٦٢٥ – ضُرِبَ رجلٌ وطُولبَ بمالٍ فلم يسمحْ به ، فأُخِذَ ابنُهُ وضُربَ . فجزعَ ، فقيل له في ذلك ، فقال : ضُربَ جلدي فصبرتُ وضُربَ كبدي فلم أَصبرْ .

٦٢٦ – كان يزيدُ بنُ [أبي] مسلم – واسمُ أبي مسلم دينار – من موالي

---

٦٢٤ محاضرات الراغب ١ : ٣٢٢ .

٦٢٥ محاضرات الراغب ١ : ٣٢١ .

٦٢٦ جواب يزيد لسليمان عن الحجاج في مروج الذهب ٤ : ٩–١٠ والكامل للمبرد : ٧٣٠ والعقد ٢ : ١٧٤–١٧٥ ووفيات الأعيان ٦ : ٣١٠ والبيان والتبيين ١ : ٣٩٥ .

ثقيف ، ويقال ليس مولى عِتاقَةٍ ، وكنيتُهُ أبو العلاء ، وكان أخا الحجاج ، يُجري له في كل شهر ثلاثمائة درهم : يعطي امرأتَهُ خمسين درهماً وينفقُ في ثمنِ اللّحمِ خمسةً وأربعينَ درهماً ، وينفقُ باقيها في ثمنِ الدقيق وباقي نفقاتِهِ ، فإن فَضَلَ شيءٌ ابتاعَ به شيئاً وسقاه المساكين ، وربما ابتاع به وطفاً فرَّقَها فيهم ، وهو مع ذلك يقتل الخلقَ للحجاج .

وكان مستولياً على أمرِهِ وهو الذي قال لسليمان بن عبد الملك ، وقد حمله مُوثَقاً بعد موتِ الحجاج ، فقال له سليمان : لعنَ الله امرءاً أجرَّك رسَنَهُ ! أترى الحجاجُ استقرَّ في جهنم . فقال : لا تقُلْ هذا ، فإنه يجيءُ يومَ القيامةِ عن يمينِ أبيك ويسارِ أخيك فضَعْهُ حيثُ شئتَ .

وحُكيَ أنّ الحجاجَ عادَهُ من عِلّةٍ اعتلَّها ، فوجد بين يديه كانوناً من طين ومصباحاً من خشبٍ ، فقال : يا أبا العلاء ، ما أرى أرزاقَك تكفيك . قال : إن كانت ثلاثُمائةٍ لا تكفيني فثلاثون ألفاً لا تكفيني .

ويزيدُ هذا أنذرَ الحسنَ البصريَّ ونبَّهه حتى استترَ من الحجاج . وذاك أنّه لقِيَه خارجاً من عنده فقال له : توارَ يا أبا سعيدٍ ، فإني لستُ آمَنُهُ عليك أن تَتْبَعَك نفسُهُ . فتوارى عنه تسعَ سنين .

٦٢٧ – كان عِراكُ بنُ عِياضٍ يكتبُ لهشام على ديوان الجندِ بخراسان ، فلما تحرّكَت الدعاةُ بخراسانَ واتّصلَ الخبرُ بهشام دعا بعراكٍ وقال : إني مُفْشٍ إليك سرّاً فهل أنت كاتمُهُ ومُعِينٌ عليه ؟ قال عراك : يا أميرَ المؤمنين ! قال : قد دخلتَ بلادَ خراسانَ وضربتَ قطريها ، ورأيتَ كبراءها ، فسَمِّ لي الأشرافَ من غير أهلِ الديوانِ . فسمَّيْتُ له ما عرفْتُ ممّن دونَ النهر ووراءَهُ عرباً ودهاقِينَ وولاةً . قال : ويحك أتعرف بها زُريقاً أمَّ بني أسعد ؟ فقلت : ما أعرفُ هؤلاء ، ولا كلُّ أهلِ خراسانَ أعرفُ . قال : فإن عرَفْتَهم أو جهِلْتَهم فإنّ لهم شأناً وسيكونُ لهم شأنٌ ، وقد أظل أوان ذلك ، وسيزولُ أمرُنا هذا على أيديهم . فقلت : وكيف قلتَ هذا ، أصلحك الله يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال :

أنشدني أخي مسلمةُ أبياتَ شعرٍ سمعها من أميرِ المؤمنين عبدِالملك ، وذُكر عنه أنّه وجدها في كتبِ الملاحم : [من الطويل]

إذا ما بَغَتْ شرقُ البلادِ على الغربِ نظرتُ إلى الأطوادِ تَسحلُ كالربِّ
وكان الأقاصي والأداني كلاهما على دُولٍ للشرقِ جاءتْ من الغرْبِ
يديرُ رحاها من خراسانَ عُصبةٌ وآلُ زُرَيْقٍ في رحى القومِ كالقُطْبِ
بني أسعدٍ قد هبَّتِ الريحُ بالتي تُريدونها ممّا يُسطَّرُ في الكُتْبِ

ومضى الدهرُ وظهرَ أمرُ ولدِ العباسِ ، فحدّث الحارثُ بنُ عبدان البصري في أيام المنصور بهذا الحديث ، فقال : لقد سمعتُ أبا مسلم يَحكي هذا الخبرَ ، وزادني في الشعر بيتين وهما :

على وَلَدِ العبّاسِ بعد أُميَّةٍ فصونوا جمالاً لا تُزحزَحُ بالجذب
إلى أن ينادي صارخُ الله فيهمُ بعيسى إماماً فالقيامةُ بالقرب

قال الحارث : فقلت له : مَنْ آلُ زريق ؟ فقال : مُصعبُ بنُ زريق أحدُ السبعِين ، وقد روَيْنا لهم دولةً تكونُ بيننا وبينها ستون سنة .

٦٢٨ – طلب أبو جعفر الربيع يوماً فلم يجدْهُ ، فلما دخلَ عليه سأله عن خبرِه فقال : كنتُ عند سليمانَ الكاتبِ – يعني أبا أيوب المورياني – فقال : من رأيتَ عنده ؟ قال : عبد الملك بن مروان بن محمد ، وقد كلّمه في حاجة فقضاها ، فقام عبدُ الملك فقبَّلَ رأسَ سليمان . وكان أبو جعفرٍ متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا ربيع قبَّل عبدُ الملكِ رأسَ سليمان ؟ فقال : نعم ؛ فقال : الحمد لله ، وخرَّ ساجداً ، فأطال ثم رفع رأسَهُ ، فقال لي : يا ربيعُ ، أيُّ نعمةٍ جدَّدَ الله عند أميرِ المؤمنين في هذا الوقت ؟ قلتُ : لا أعلم ، وأسألُ الله أن يُجدِّدَ عنده النعمَ ويواليها ويزيدَ فيها . فكشف عن ساقيه فإذا فيهما أثرُ وحشٍ . قال : إنّي لبدمشق في أيام مروانَ إذ رأيتُ للناس حركة فقلت : من هذا ؟ فقيل : عبد الملك ابنُ أميرِ المؤمنين يركبُ ، وما ركب قبل ذلك ، فقد أُمِرَ الجندُ والخيولُ بالزينة . وانجفلَ الناسُ

للنظر إليه . فخرجتُ في مَنْ خرج ، فازدحمَ الناسُ على بعضِ الطريقِ زحمةً شديدةً ، وكانت دابّتي صعبةً ، فسقطتُ عنها ، وغَشِيَني الناسُ ، فمكثتُ دهراً عليلاً ، وها هو ذا اليوم يُقبِّل رأسَ كاتبي ؛ فأحمدُ الله على نعمته وحسنِ إدالته .

٦٢٩ – قيل : إن المنصورَ لما كان مستتراً بالأهواز نزل على بعضِ الدهاقين فاستتر عنده ، فأكرمه الدِّهقانُ بجميع ما يقدرُ عليه حتى أخدَمه ابنتَهُ ، وكانت في غايةِ الجمال . فقال أبو جعفر : لستُ أستحِلُّ استخدامَها والخلوةَ بها وهي جاريةٌ حرّةٌ ، فزوّجَه إياها ، فعلِقَتْ منه . وأراد أبو جعفر الخروجَ إلى البصرة فودَّعُهم ، ودفعَ إلى الجاريةِ قميصَهُ وخاتَمَه ، وقال : إنْ ولدْتِ فاحتفظي بولدِكِ ، فمتى سمعْتِ أنه قام في الناسِ رجلٌ يقال له عبدُ الله بنُ محمد يُكنى أبا جعفر فصيري إليه بولدِكِ وبهذا الخاتَمِ والقميص ، فإنه يعرفُ حقَّكِ ويُحسنُ الصنيعَ إليك . وفارقهم فولدَتْ ابناً ونشأ الغلامُ وترعرع ، وكان يلعبُ مع أقرانه . وملكَ أبو جعفر ، فعيَّره أقرانُهُ بأنّه لا يُعرَفُ له أبٌ . فدخل إلى أمِّه حزيناً كئيباً ، فسألَتْه عن حاله ، فذكر لها ما قال أقرانُهُ ، فقالت : بلى والله ، إنّ لك أباً فوقَ الناسِ كلِّهم ؛ قال لها : ومن هو ؟ قالت : القائمُ بالملك . قال : هذا أبي وأنا على هذه الحال ؟ هل من شيءٍ يَعرفُني به ؟ فأخرجَت القميصَ والخاتَمَ . وشَخَصَ الفتى فصار إلى الرّبيع فقال له : نصيحة ! قال : هاتها ! قال : لا أقولُها إلا لأميرِ المؤمنين . فأُعلمَ المنصورُ الخبرَ ، فأدخلَهُ إليه ، فقال : هاتِ نصيحتَكَ . قال : أَخْلِني ، فنحّى من كان عنده وبقي الربيع . فقال : هاتِ ، قال : أويتنحّى ، فنحّاهُ ، وقال : هاتِ . قال : أنا ابنُك . قال : وما علامة ذلك ؟ فأخرج القميصَ والخاتَمَ ، فعرفهما المنصورُ . قال : وما منعك أن تقول هذا ظاهراً ؟ قال : خفتُ أن تجحدَ فيكون سُبَّةً آخرَ الدهر . فضمّه إليه وقبَّله ، وقال : أنت الآن ابني حقاً . ودعا المورياني فقال : يكون هذا عندك ، [ما] تفعلُهُ بولدِ لو كان لي عندَكَ

---

٦٢٩ انظر وفيات الأعيان ٢ : ٤١١–٤١٤ .

فافعله به ؛ وتقدّم إلى الربيع أن يُسقطَ الإذنَ عنه ، وأمرَ بالبُكور إليه في كل يوم والرواح إلى أن تظهرَ أمُّه فإن له فيه تدبيراً . فضمَّه إليه المورياني ، وأخلى له منزلاً وأوْسعه من كلِّ شيءٍ ، وكان يغدو ويروحُ إلى المنصور يخلو به ، فيسألُهُ الموريانيُّ عما يجري بينهما فلا يُخبرُه ، فيقول له : إن أميرَ المؤمنين لا يكتمُني شيئاً ، فيقول : ما حاجتك إلى ما عندي إذن ؟ فحسده الموريانيُّ واستوحش منه ؛ وثقل عليه مكانه ، وأطعمه شيئاً فمات ؛ وصار إلى المنصور فأعلمه أنه مات فجاءة ثم ولى . فقال المنصورُ : قتلتَهُ قتلني اللهُ إن لم أقتلْكَ به ، فكان ذلك من أقوى أسبابِ سُخْطِ المنصورِ على أبي أيوب الموريانيّ وقَتلِهِ إياه .

٦٣٠ – بنى جعفر بن يحيى قصراً وأَعظمَ النفقة عليه وبالغَ ، ولما عزم على الانتقال إليه جَمَعَ المنجمين لاختيارِ وقتٍ ينتقلُ فيه إليه ، فاختاروا له وقتاً من الليل . فلما حضر الوقت خرج على حمارٍ من الموضعِ الذي كان ينزِلُهُ إلى قصره والطرقُ خالية والناسُ هادون ، فلما صار إلى سوقِ يحيى رأى رجلاً قائماً وهو يقول : [من الوافر]

يُدبِّرُ بالنجوم وليس يَدري ورَبُّ النَّجمِ يَفعلُ ما يشاءُ

فاستوحشَ وتوقَّفَ ودعا بالرجل فقال له : أعِدْ عليَّ ما قلتَ فأعاده ، فقال : ما أردْتَ بهذا ؟ فقال : والله ما أردتُ به معنى من المعاني ، ولكنْ شيءٌ عرض لي وجاء على لساني في هذا الوقت . فأمر له بدنانير ومضى لوجهه وقد تنغَّصَ عليه سرورُهُ .

٦٣١ – وحكي أن السببَ كان في بناءِ جعفرٍ هذا القصرَ أن متظلِّماً من أهلِ أصفهان تظلَّمَ إلى يحيى بنِ خالدٍ من عاملِهِ بها وقال : إنه ظلمني وأساءَ معاملتي ، وأخذ ما لا يجب له مني ، وهدم شرفي ، فقال يحيى : قد عرفتُ جميعَ ما تظلمتَ منه خلا قولَكِ هدم شرفي ، ففسِّرْ لي ذلك . فقال له المتظلِّمُ : أنا من بني

٦٣٠–٦٣٣ انظر ترجمة جعفر البرمكي في وفيات الأعيان ١ : ٣٢٨–٣٤٦ .

رجلٍ كان بَنى القصرَ المهدومَ ، وكان يُنسبُ إليه ، وكان الرائي إذا رأى القصر وجلالته وعلم أني من وَلدِ الباني له عرف بذلك قديمَ نعمتي وجلالة أوَّلي .
فاستحسن ذلك يحيى منه وقال للفضل وجعفر : لا شيء أبقى من البناء ، فاتخذوا منه ما يبقى لكم ذكراً . فاتّخذَ جعفرٌ قصرَهَ ، وكذلك الفضلُ . وأمرَ يحيى بإنفاذِ كتابٍ مع المتظلِّم يُطالبُ العاملَ بإعادة قصره وإنصافِهِ في ظُلامَتِهِ .

٦٣٢ – وقيل : لما قارب جعفر بن يحيى الفراغ من بناء قصره هذا صار إليه ومعه أصحابه ، وفيهم مُوَيْسُ بنُ عمران ، وكان عاقلاً كاملاً ، فطاف به واستحسنه ، وقال فيه مَن حضَرَه من أصحابه في ذلك وأكثرَ القولَ ومُوَيْسٌ ساكتٌ . فقال جعفر : ما لك لا تتكلم ؟ قال له : في ما قال أصحابُنا كفايةٌ ، وتكرارُ القولِ ممّا لا يُحتاجُ إليه . وكان جعفرٌ زكناً ، فعلم أن تحت قوله شيئاً . قال : وأنت فقل ؛ فقال : هو ما قالوا . قال : أُقسمُ لتقولَن . قال : إن أَبَيْتَ إلا أن أقولَ فتعتزل ، ففعل . فقال : تصبرُ على الصدق ؟ قال : نعم قال : فأُطيلُ أم أختصرُ ؟ قال : بل اختصر . قال : اسألُكَ بالله إن خرجْتَ من دارك هذه فمررتَ بدارٍ لبعضِ أصحابك تُشبهُها أو تُقاربُها فما أنت قائلٌ ؟ قال : قد فهمتُ فما الرأي ؟ قال : هو رأي واحد ، إن أخرَّتَه عن ساعتك هذه فاتَ فلم تلحَقْهُ . قال : وما هو ؟ قال : لا أشك أن أميرَ المؤمنين قد طلبك ، وسألَ عن خبرِكَ ، وضجرَ بتخلُّفِكَ ، فأطل اللبث وامضِ إليه من فورك ، وادخُلْ عليه وعليك أثرُ الغُبارِ ، فإذا سألك عن خبرك فقُلْ : صرتَ إلى الدارِ التي بَنيتَها للمأمون ، ثم أتْبعْ ذلك من القولِ ما أنت أعلمُ به .

قال : وقد كان جعفر اتّخذَ في هذا القصرِ ثلاثمائة وستين مقصورةً ، وكتب إلى كل ناحيةٍ يُعملُ فيها الفَرشُ بأمرٍ أن يُتَّخذَ لبنائه ما يحتاجُ إليه من الفرش على ذرعه ومقاديره . وكان قد كثر القولُ في البناء والفرش . فأقامَ في الدار ساعةً ثم مضى من فوره ، ودخل على الرشيد فسأله عن خبره ، فقال : كنتُ في الدار التي اتّخذتُها للمأمون على دجلة ، وتفقدتُ بعضَ ما احتجتُ إلى تفقُّدِه منها . قال :

وللمأمون بَنيتَها ؟ قال : نعم ، لما شرَّفتَني أنْ جعلتَه في حجري واستخدمتَني له ، وعرفتُ محلَّهُ من قلبك ، أردتُ أن أبنيَ له بناءً يشبه هذا المحلّ ، ومع هذا فإنني كتبتُ إلى النواحي بأن يُتَّخذَ لجميع البناء فرشٌ في النواحي التي يُستعملُ فيها الفرشُ على مقاديرها ، وبقيَ شيءٌ لم يتهيَّأْ اتِّخاذُه ، فقدَّرْنا أن نُعَوِّلَ فيه على خزائنِ أميرِ المؤمنين إما عاريةً وإما هبةً ، قال : بل هبة . وزال بذلك الشنعُ الواقعُ كلُّه ، وأمره بنزولها ، وأبى أن يُطلقَ للمأمونِ الانتقالَ إليها .

٦٣٣ – قال ميمون بن هارون : قلت لعتَّابةَ أمِّ جعفرِ بنِ يحيى بعد نكبتهم ، وهي بالكوفة في يوم أضحى : ما أعجبَ ما رأيتِ ؟ قالت : أمرنا ! لقد رأيْتُني في مثلِ هذا اليوم وعلى رأسي مائةُ وصيفةٍ ، لَبوسُ كلِّ واحدةٍ منهنَّ وحُلِيُّها خلافُ لبوسِ الأخرى وحُلِيِّها ، وأنا في يومي هذا أشتهي لحماً لا أقدر عليه .

٦٣٤ – قال حمزة بن عفيف : كنا مع علي بنِ عيسى بنِ ماهانَ في الوقت الذي نزل فيه بالبرامكِ ما نزل ، وكان من مُعاداتِهم والانحرافِ عنهم إلى ما لا غايةَ وراءه ، وكان مسروراً بنكبتهم . فغدونا يوماً إليه من الأيامِ فوجدنا على قصره بيتين من الشعر وهما : [من السريع]

إن المساكين بني برمك   صُبَّتْ عليهم عِبَرُ الدّهرِ
وللورى في أمرهم عِبْرَةٌ   فَلْيَعْتَبِرْ ساكنُ ذا القصر

فلم يَبعُدْ ما بين نكبتِهِ ونكبتِهم .

٦٣٥ – قال نُصير الوصيف : غَدوْتُ إلى يحيى بنِ خالد في آخرِ أمرهما أريدُ عيادَتَه من علَّةٍ كان يشكوها ، فوجدتُ في دهليزِ بغلاً مُسْرَجاً ، فدخلتُ إليه ، وكان يأنسُ بي ويُفضي إليّ بسرِّه ، فوجدتُه مفكِّراً مَهموماً ، ورأيتُهُ مُتشاغلاً بحسابِ النجوم ، وهو ينظرُ فيه . قال ، فقلت له : إني لما رأيتُ البغلَ مُسرجاً فسرَّني لأني قدَّرتُ انصرافَ العلّةِ وأنّ عزمَكَ الركوبَ ، ثم غمَّني ما أراه من

---

٦٣٥ انظر الأغاني ١٥ : ٢٢ .

همِّكَ . قال ، فقال لي : لهذا البغل قصةٌ : إني رأيتُ البارحةَ في النوم كأنّي راكبُهُ حتى وافيتُ رأسَ الجسرِ ، الجانبَ الشرقي ، فوقفتُ فإذا أنا بصائحٍ يصيحُ من الجانبِ الآخرَ : [من الطويل]

كأنْ لم يكُنْ بين الحَجُونِ إلى الصّفا   أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ

قال : فضربت بيدي على قَربوسِ السَّرجِ وقلتُ :

بلى نحنُ كنّا أهلَها فأصابَنا   صروفُ الليالي والجدودُ العَوَاثرُ

قال : فانتبهت فلم أشكَّ [أني] أنا المرادُ بالمعنى ، فلجأت إلى أخذِ الطالع ، وضربتُ الأمرَ ظهراً لبطنٍ ، ووقفتُ على أنه لا بدَّ من انقضاء مُدَّتِنا وزوالِ أمرِنا .

قال : فما كاد يَفرَغُ من كلامه حتى دخلَ عليه مسرورٌ ومعه جَوْنَةٌ مُغطّاةٌ وفيها رأسُ جعفرِ بنِ يحيى ، وقال له : يقولُ لك أميرُ المؤمنين وكيف رأيتَ نقمةَ الله عزّ وجلَّ في الفاجرِ ؟ فقال له يحيى : قُلْ له : يا أميرَ المؤمنين ، أرى أنّك أفسَدْتَ عليه دنياه وأفسَدَ عليك آخِرَتَكَ .

٦٣٦ – أنفَذَ ملكُ الرومِ إلى المنصورِ رسولاً ، فوردَ عند فراغِهِ من الجانبينِ من مدينةِ السّلامِ . فأمرَ المنصورُ عُمارةَ بنَ حمزة أن يركبَ معه إلى المهدي وهو نازلٌ في الرُّصافة . فلما صار إلى الجسرِ رأى الرسولُ عليه من الزّمْنَى والسُّؤّال عالماً ، فقال لترجمانه : قل لهذا – يعني عُمارةَ بنَ حمزة – إني أرى عندَكُم قوماً يسألون ، وقد كان يجبُ على صاحبك أن يرحمَ هؤلاء ويكفيَهُم مُؤنَهم ومؤنَ عيالاتهم . فقال له عُمارة : قُلْ له إنّ الأموالَ لا تَسَعُهم .

ومضى إلى المهديِّ وعاد إلى المنصورِ فخبره عُمارةُ بذلك فقال أبو جعفر : كذبتَ ، ليس الأمرُ على ما ذكرتَ ، والأموالُ واسعةٌ ، لكن العذرُ ما أنا ذاكِرُهُ له ، فأحْضِرْنيهِ . فأحضره إياه ، فقال له : قد بلغني ما قلتَهُ لصاحبِنَا وما قاله لك ، وكذبَ لأنّ الأموالَ واسعةٌ ، ولكنّ أميرَ المؤمنين يَكرهُ أن يستأثِرَ على أحدٍ من رعيَّتِهِ وأهلِ سلطانِهِ بشيءٍ من حظٍّ أو فضلٍ في دنيا أو آخرةٍ ،

وأحبَّ أميرُ المؤمنين أن يَشرَكوه في ثوابِ السُّؤَّال والزَّمنى ، وأن ينشلوهم من آفات الدنيا وممّا أعطاهم الله عزَّ وجلَّ من الرزق ، وليكونَ ذلك تجارةً لهم وممحِّصاً لذنوبهم . فقال الرومي : الحقُّ ما قالَه أميرُ المؤمنين .

٦٣٧ – قال أبو إسحاق الصابىء : كنتُ يوماً جالساً في دار المهلبي والقاضي أبو بكر بن قُرَيعَةَ على قربٍ مني يُصلّي . فلما فرغَ من صلاتِهِ نهضَ وبسطَ يديه يدعو ، ورفعهما حتى كشفَ إبطَيْه ، ثم سجدَ سجدةً طويلةً وهو يشدُّ بجبهته الأرضَ ويمحي وأنا أتأمله ، فلما فرغَ من صلاتِهِ ودعائه قال لي : لم كنتَ تُحِدُّ النظرَ إليَّ وتوفِّرُ فكرَكَ عليَّ وأنا أصلي ؟ أَصَبَوْتَ يا شيخَ الصابئة إلى شريعةِ المِلَّةِ الصافية ؟ فقلت : لا ، بعدُ ، ولكن كنتُ أعجبُ من القاضي وهو يرفعُ يديه حتى يعلوَ رأسه ثم يحُطُّ جبهتَهُ الأرض حتى كأنّه يحفرُ بها ، فاستشعرتُ أنه بمثابةِ مَن يبتغي طلبَتَه من موضعينِ مُتنافِيَيْنِ ، وكان عندي أني قد قطعته . فقال : وما ذاك يا شيخَ الصابئة بعجيبٍ ، وإنّ له من الصواب لأوفرَ نصيب . فقلت : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنا نشير بأيدينا إلى مطالعِ رغبتنا رافعينَ ، قال الله تعالى : ﴿وفي السَّماء رِزْقُكُمْ وما تُوعدون﴾ (الذاريات : ٢٢) ، ونخفض جباهَنا إلى مَصارعِ أجسامِنا خاضعين ، قال الله وهو أصدقُ القائلين : ﴿منها خَلَقْناكُمْ وفيها نُعيدُكُمْ ومنها نُخرِجُكُمْ تارةً أُخرى﴾ (طه : ٥٥) فنحن نستنزلُ بالأُولى لطيفَ الأرزاقِ ، ونَستدفِعُ بالأخرى عنيفَ الإرهاقِ ، والله كريمٌ . ودمِعَتْ عيناه فأبكاني ، وعظُمَ في عيني . فدخلتُ على الوزيرِ وأعدْتُ عليه ذلك ، فعجب منه وقال : هو واحدُ زمانه .

٦٣٨ – قال الوليدُ بنُ سريعٍ مولى ابنِ حُرَيْثٍ : وجَّهني الجرَّاحُ بنُ عبدِ الله من العراقِ إلى سليمان بن عبد الملك ، فخفتُ أن يسألني عن المطرِ . فإني لأَسيرُ بالسماوة إذا بأعرابي من كلبٍ اسمه شملة ، فقلت : يا أعرابيُّ ، هل لك في درهمين ؟ قال : إني والله حريصٌ عليهما فما سببهما ؟ قلت : صف لي المطرَ . قال : أتعجزُ أن تقولَ أصابَتْنا سماءٌ بمطرٍ يُعقد منه الثرى ، واستؤصل منه العرق ،

وامتلأت منه الحفر ، وفارت منه الغدران ، وكنتُ في مثلِ وِجارِ الضبُعِ حتى وصلتُ إليك . فلما قدمت على سليمان قال : هل كان وراءك من غيثٍ ؟ فقلت ذلك . فضحك وقال : هذا كلام لستَ بأبي عُذْرِه . فقلت : صدقَ فُوكَ ، يا أميرَ المؤمنين ، اشتريتُه والله بدرهمين .

٦٣٩ – قال بشير أخو بشّار ، وكانوا ثلاثةَ إخوةٍ لأم : حنفي وسدوسي وعُقَيْليّ : لو خيَّرَكَ الله أن تكونَ شيئاً من الحيوانِ ، إلى أيِّ شيءٍ كنت تحب أن تكون ؟ قال : عقابٌ ، لأنها تَبيتُ بحيث لا ينالُها سَبُعٌ ولا ذو جناحين ، وهي معمِّرةٌ ، وإن شاءتْ كانَتْ فوقَ كلِّ شيءٍ ، وإن شاءتْ كانت بقربِ كلِّ شيءٍ ، تَغدّى بالعراق وتَعشَّى باليمن ، ريشُها فَرْوُها في الشتاء وخَيْشُها في الصيف ، وهي أبصرُ خلقِ الله .

٦٤٠ – ابن نباتة : [من الكامل]

وإذا عجزْتَ عن العدوِّ فداره   وامْزِجْ له إنّ المزاجَ وفاقُ
فالنارُ بالماء الذي هو ضدُّها   تعطي النِّضاجَ وطبعُها الإحراقُ

٦٤١ – الببغاء ويروى للرضي ما يماثلها في موضع آخر : [من الكامل]

الظلمُ بين الأقربينَ مَضاضَةٌ   والذُّلُّ ما بين الأقاربِ أرْوَحُ
فإذا أتَتْكَ من الرجالِ قَوارِصٌ   فسهامُ ذي القُربى القَريبةِ أجْرَحُ

٦٤٢ – وقال محمد بن هانىء : [من الطويل]

جهلتُ الهوى حتى اختبرْتُ عذابَهُ   كما اختبَرَ الرِّعْدِيدُ بأسَ المُصَمِّمِ
وقُدْتُ إلى نفسي مَنِيَّةَ نَفسِها   كما احترقَتْ في نارِها كَفُّ مُضرِمِ

---

٦٤٠ ديوان ابن نباتة ٢٨ : ٢٧٢–٢٧٣ .

٦٤١ ديوان الرضي (صادر) ١ : ٢٥٨ ورواية البيت الأول فيه :
للذل بين الأقربين مضاضة   والذل ما بين الأباعد أروح

٦٤٢ ديوان ابن هانىء : ٣١٤ .

٦٤٣ – وقال أيضاً : [من الكامل]

هل آجلٌ ممّا أُؤَمِّلُ عاجلُ أرجو زماناً والزمانُ حُلاحِلُ
وأعزُّ مفقودٍ شبابٌ عائدٌ من بعدِ ما ولّى وإِلْفٌ واصلُ
ما أحسنَ الدنيا بشَمْلٍ جامعٍ لكنَّها أمُّ البنينَ الثّاكلُ
جرَتِ الليالي والتّنائي بيننا أُمُّ الليالي والتنائي هابِلُ
وكأنما يومٌ ليومٍ طاردٌ وكأنّما دهرٌ لدهرٍ آكِلُ
في كلِّ يومٍ أَستزيدُ تجارباً كم عالمٍ بالشيءِ وهو يُسائِلُ

٦٤٤ – محمد بن بشير : [من البسيط]

خَلَوْتُ بالبيتِ أرضى بالذي رَضِيَتْ به المقاديرُ لا شكوى ولا شَغَبُ
فرداً تحدثني الموتى وتنطق لي عن علمِ ما غابَ عنّي منهم الكتبُ
هم مُؤْنسونَ وأُلّافٌ غَنِيتُ بهم فليس لي في أنيسٍ غيرهم أربُ
لله من جُلساءٍ لا جَليسُهم ولا عَشِيرُهم للشرِّ مرتقبُ
لا بادِراتُ الأسى يَخشى رفيقُهُم ولا يُلاقِيه منهم مَنطِقٌ ذَرِبُ
حتى كأنّيَ قد شاهدْتُ عَصرَهُمُ وقد مَضَتْ دونَهم من دهرهم حُقُبُ

٦٤٥ – ومن المقاصدِ الغريبة للشعراء قولُ الرضيِّ يومَ خُلِعَ الطائعُ ، وكان حاضراً القبضَ عليه : [من البسيط]

أمسَيْتُ أرحَمُ من أصبحتُ أغبِطُهُ لقد تقاربَ بين العزِّ والهُونِ
ومنزلٍ كان بالسَّراءِ يُضحكُني يا قُرْبَ ما عادَ بالضَّراءِ يُبكيني
هيهاتَ أغترُّ بالسلطانِ ثانيةً قد ضلَّ وَلّاجُ أبوابِ السلاطين

---

٦٤٣ ديوان ابن هانىء : ٢٩٢ .
٦٤٤ جامع بيان العلم لابن عبد البر : ٥٨١–٥٨٢ باستثناء البيت الثالث .
٦٤٥ ديوان الرضي ٢ : ٤٤٧ .

٦٤٦ – وقال : [من البسيط]

كم من غُلامٍ تَرى أَطماره مِزَقاً والعِرضُ أملسُ والأحسابُ غُرَّانُ
إذا الفتى كان في أخلاقه شَوَهٌ لم يُغْنِ إن قِيلَ أَنَّ الوجهَ حُسَّانُ

٦٤٧ – ومن غريب شعره قوله : [من السريع]

متى أرى الزَّوْراءَ مُرتجَّةً تُمطرُ بالبيضِ الظُّبا أو تُراحْ
يَصيحُ فيها الموتُ عن ألسُنٍ من العوالي والمواضي الفِصَاحْ
بكُلِّ رَوْعاءَ عُصَيبِيَّةٍ يحثُّها أرْوعُ شاكي السِّلاحْ[1]
كأنَّما ينظرُ من ظِلِّها نعامةً رائعةً بالجناحْ
متى أُرى الأرْضَ وقد زُلزِلَتْ بعارضٍ أغبَرَ دامي النّواح
يلتفتُ الهاربُ في عِطْفِهِ مُرَوَّعاً يرقبُ وَقْعَ الجراحْ
متى أُرى البيضَ وقد أُمطِرَتْ سيلَ دمٍ يَغلبُ سَيْلَ البِطاح
متى أُرى البَيْضَةَ مَصدُوعةً عن كلِّ نشوانَ طويلِ المِراح
مُضَمَّخِ الجِيدِ نَؤومِ الضُّحى كأنَّه العذراءُ ذاتُ الوِشاح
إذا رَداحُ الرَّوْعِ عَنَّتْ له فَرَّ إلى ضَمِّ الكَعابِ الرَّداحْ
قومٌ رَضُوا بالعجزِ واستَبْدَلوا بالسَّيفِ يَدمَى غَرْبُه كأسَ راحْ
توارثوا المُلْكَ ولو أنْجبُوا تَوارثُوه عن طِعانِ الرِّماحْ
غَطَّى رِداءُ العِزِّ عَوْراتِهم فافتُضِحوا بالذُّلِّ أَيَّ افتضاحْ

٦٤٨ – وقال : [من الطويل]

تغاوَتْ على عِرضي عصائبُ جَمَّةٌ ولو شئتُ ما التفَّتْ عليَّ غُواتُها

---

٦٤٦ ديوان الرضي ٢ : ٤٥٠ .
٦٤٧ ديوانه ١ : ٢٥٥ .
٦٤٨ ديوانه ١ : ٢١٢–٢١٤ .

---

[1] الديوان : عظينية بدلاً من عصيبية .

أوليهِمُ صمَّاءَ أُذْنٍ سَميعةٍ   إذا ما وَعَتْ أَلْوَتَ بها غَفَلاتُها
يطولُ إِذَنْ همِّي إذا كُنْتُ كلَّما   سمعتُ نباحاً من كلابٍ خَسَاتُها
همُ استَلْدَغوا رُقْشَ الأَفاعي ونبهوا   عقــاربَ ليــلٍ نائماتٍ حُماتـُها
وهمْ نَقَلوا عنِّي الذي لم أَفُهْ به   وما آفَةُ الأَخبارِ إلا رُواتُها
أُريد لأنْ أَحنو على الضِّغْنِ بيننا   وتأبى قلوبٌ أَنْغَلَتْها هَناتُها
وما النفسُ في الأَهلين إلا غريبةٌ   إذا فُقِدَتْ أَشكالُها ولداتُها
بني مطرٍ خلُّوا نفوساً عزيزةً   تنامُ فأَوْلى أَن يطولَ سُباتُها
غرستُ غُروساً كنتُ أَرجو لَحاقَها   وآملُ يوماً أَن تَطيبَ جَناتُها
فإن أَثمرَتْ لي غَيْرَ ما كُنْتُ آمِلاً   فلا ذَنْبَ لي إن حَنْظَلَتْ نَخَلاتُها

٦٤٩ – وقال أَيضاً : [من الطويل]

وما قَوليَ الأَشعارَ إلا ذريعةً   إلى أَملٍ قد آنَ قَوْدُ جَنيبِهِ
وإني إذا ما بلَّغ الله مُنْيَتي   ضَمِنْتُ له هَجْرَ القريضِ وحُوبِهِ
فهل عابني قولٌ عَقَدْتُ بفَضْلِهِ   فَخاري وحصَّنْتُ العُلا بضُروبِهِ

٦٥٠ – وقال محمد بن هانىء : [من الطويل]

أَمّا وقد لاح الصباحُ بِلمَّتي   وأنجاب عمَّا يَثْنَي وتكشَّفا
فلئنْ صَبَرْتُ لأَصبرنَّ تصنُّعاً   ولئنْ لَهوْتُ لأَلهوَنَّ تكلُّفا
ولئن ذكَرْتُ الغانياتِ فخَطْرةٌ   تعتادُ قلباً بالحسانِ مُكلَّفا
ولقد هَزَزْتُ غُصونَها بثمارِها   وهَصَرْتُهنَّ مُهَفْهفاً فَمُهَفْهَفا
والبان في الكثبانِ طَوْعُ يدي إذا   أُومـأْتُ إيمـاءً إليـه تَعطَّفا
ولقد هَزَزْتُ الكأسَ من يَدِ مِثْلِها   وصحَوْتُ عمّا رقَّ منها أَو صَفا

---

٦٤٩ ديوان الرضي ١ : ١٣٥ .
٦٥٠ ديوان ابن هانىء : ٢٠٢–٢٠٣ .

نوادر من هذا الباب

٦٥١ – كَبِرَ رجلٌ من الخوارج وهَرِم حتى لم يكن فيه نُهوضٌ ، فأخذ منزلاً على ظهر الطريق ، فلما جاء مطرٌ وابتلّت الأرضُ أخذ زجاجاً وكَسَرهُ ورماه في الطريق فإذا مرَّ به رجلٌ وعقر رجلَه الزجاجُ ، قال الخارجي من وراء الباب : لا حُكْمَ إلا لله ، اللّهمَّ هذا مجهودي .

٦٥٢ – وكان بالمدينة آخرُ منهم فروْي وهو يحذفُ قناديلَ المسجدِ بالحصباء فيكسرُها ، فقيل له : ما تفعل ؟ قال : أنا كما ترى شيخٌ كبيرٌ لا أقدرُ على أكثرَ من هذا ، أُغرِّمُهم قنديلاً أو قنديلين في كل يوم .

٦٥٣ – قال المدائني : تضيَّفَ أعرابيٌ قوماً فأبطأوا بالطعام ، فقام يدورُ في الحيّ فأصابَ دَبَّةً فيها سمنٌ ، فأدخل يده فيها بلزوجةِ السَّمنِ ، ثم ذهب ليخرجَها فلم يَقدرْ ؛ فاشتملَ عليها ، فلما خافَ أن يُفتَضَحَ جلسَ في المجلسِ وجعل يعتمدُ عليها لِيخرجَها ، فتدورُ عيناه في رأسه ويَنعصرُ . فقال شيخ : كأن الحواءَ علينا دائر ورب الكعبة لا والله لا أبيتُ في الحواء . فخرج إلى غَيْضَةٍ ثم دخل في غصن منها ملتفٍّ ، وجاءَ إلى فجوةٍ منه فاستلقى على صخرة ؛ وجاء الضيفُ يطلبُ شيئاً يكسرُ به الدّبة . فجعل يدورُ في الغيضةِ فبصُرَ بصلعة الشيخ تَبرقُ في القمر ، فظنَّها صخرةً فاعتمدها ، فضرب بالدبّة رأسه ليكسرَها ، فصاح الشيخُ صيحةً اجتمع لها الحيُّ ، وهربَ الرجلُ ، وأدركوا الشيخَ مرتاعاً لا يدري ما أصابه .

٦٥٤ – كان مخارقٌ المغني صديقاً لأبي العتاهية الشاعر . قال مخارق : فجاءني يوماً فقال لي : قد عزمتُ على أن أتزوَّدَ منك يوماً فهَبْهُ لي ، فمتى تنشَطُ ؟ قال ، قلتُ : متى شئتَ ، قال : أخافُ أن تقطعَ بي ، فقال : لا والله لا فعلتُ ولو طلبني الخليفةُ ، فقال : يكون في غدٍ ؟ فقلت : أفعل . فلما كان

---

٦٥٤ الأغاني ٤ : ١٠٩–١١١ وديوان أبي العتاهية (صادر) : ٢٩٩ ، ١٧١ ، ٤٠٩ .

من غدٍ باكرني رسولُهُ ، فجئتُهُ ، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فرشٌ نظيفٌ ، ثم دعا بمائدة عليها خُبزٌ سميذ وخلٌّ وبقلٌ وملحٌ ، وعليها جديٌ حَنيذٌ . فأكلنا منه حتى اكتفينا ، ثم أُتينا بحلواءَ فأصبنا منها ، ثم دعا بفراخٍ ودجاجٍ وفراريجَ مشوية[1] ، فأكلنا منها حتى اكتفينا ، وغسلنا أيديَنا ، وجاءونا بفاكهة وريحانٍ وألوانٍ من الأنبذة ، فقال : اخترْ ما يصلحُ لك ، فاخترتُ وشربتُ ؛ وصبَّ قدحاً ثم قال : غَنِّني في قولي : [من الخفيف]

* قال لي أحمد ولم يدرِ ما بي[2] *

فغنَّيتُه ، فشربَ قدحاً وهو يبكي أَحرَّ بكاء . ثم قال : غَنِّني في قولي : [من السريع]

* ليس لما ليسَتْ له حيلةٌ *

فغنيته وهو يبكي وينشِجُ ، وشرب قدحاً آخرَ وقال : غَنِّني ، فديتك ، في قولي : [من الطويل]

* خَلِيلَيَّ ما لي لا تزالُ مَضَرَّتِي[3] *

فغنَّيتُه إيّاه . وما زالَ يقترحُ عليّ كلَّ صوتٍ غُنِّيَ به في شعره فأغنِّيه ويشربُ ويبكي حتى صارت العتَمَة . فقال لي : أُحبُّ أن تصبرَ حتى ترى ما أصنعُ فجلست ، فأمر ابنَه وغلامَه فكسرا كلَّ ما بأيدينا من النبيذِ وآلاتِهِ والملاهي ، ثم أمر بإخراج كلِّ ما في بيته من النبيذ وآلاته ، فأُخرجَ جميعُهُ ، فما زال يكسرُه ويصبُّ النبيذَ ويبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيءٌ ، ثم نزع ثيابه واغتسلَ ولبسَ ثياباً بيضاً من الصوف ، ثم عانقني وبكى ، وقال : عليك السّلامُ يا حبيبي وفرحي من الناس كلِّهم سلامَ الفراق الذي لا لقاءَ بعده ؛

---

١ الأغاني : بسمك مشوي ، والحلواء بعد السمك .
٢ عجزه : أتحب الغداة عتبة حقاً .
٣ عجزه : موجودة خير من الصبر .

وجعل يبكي ، وقال : هذا آخرُ عهدِكَ بي في حال تعاشُرِ أهلِ الدنيا ، فظننتُ أنّها بعضُ حماقاته ، فانصرفت فما لقيتُه زماناً . ثم تشوَّقْتُه فأتيتُهُ فاستأذنتُ عليه ، فدخلت فإذا هو قد أخذ قَوْصرَّتَيْنِ فثقبَ إحداهما وأدخلَ رأسه ويدَيه فيها وأقامها مقامَ القميص ، وثقب أخرى وأخرجَ رجليه منها وأقامها مقام السراويل . فلما رأيتُهُ نسيتُ كلَّ ما كان عندي من الغمِّ عليه والوحشةِ لعِشرَته ، وضحكتُ ضحكاً ما ضحكتُ مثلَه قطّ . فقال : من أيّ شيء تضحكُ لا ضحكتَ ! فقلتُ : سخُنَتْ عينُك ! هذا أيُّ شيء هو ؟ ومن بلغَكَ عنه أنه فعلَ مثلَ هذا من الأنبياء أو الزّهادِ أو الصحابة أو المجانين ؟ انزعْ هذا عنك يا سَخِينَ العينِ ! فكأنّه استحيا منِّي . ثم بلغني أنه جلس حجّاماً ، فجهدْتُ أن أراه بتلك الحالِ فلم أَرَه . ثم مرضَ فبلغني أنه اشتهى أن أُغنِّيه ، فأتيتُ عائداً ، فخرج إليّ رسولُه يقولُ : إن دخلْتَ إليّ جدَّدْتَ لي حزناً وتاقَتْ نفسي إلى سماعك وإلى ما قد غلبتُها عليه ، وأنا أستودعُكَ الله وأعتذرُ إليك من تركِ الالتقاء ، ثم كان آخرَ عهدي به .

٦٥٥ – قيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن يجيء مُخارقٌ فيضع فمه على أُذُني ثم يُغَنِّيني : [من الطويل]

سَيُعْرَضُ عن ذكري وتُنْسَى مَوَدتي ... ويَحْدُثُ بعدي للخليلِ خليلُ
إذا ما انقضت عني من الدهر مُدَّتي ... فإنَّ غَنَاءَ الباكياتِ قليلُ

٦٥٦ – طلَّقَ أعرابيٌّ امرأتَهُ فتزوَّجَها الأخطلُ ، وكان الأخطلُ قبلَ ذلك قد طلّقَ امرأتَهُ الأولى ، فتنفَّسَتْ ، فقال الأخطلُ : [من الطويل]

كلانا على همٍّ يَبيتُ كأنّما ... بِجَنْبَيْهِ من مَسِّ الفراشِ قُروحُ
على زوجِها الماضي تَنوحُ وإنّني ... على زوجتي الأخرى لذاكَ أَنوحُ

---

٦٥٥ الأغاني ٤ : ١١١ وديوان أبي العتاهية (صادر) : ٣٥٦ .
٦٥٦ الأغاني ٨ : ٢٩٨ .

٦٥٧ – حدّث أبو ظَبيان الحمامي قال : اجتمعَتْ جماعةٌ من الحيِّ على شرابٍ لهم فتغنّى رجلٌ منهم بقول حسّان : [من الكامل]

أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهمُ   قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ

فقال رجل من القوم : ما معنى قوله[1] : [من الكامل]

إنّ التي عاطَيْتني فردَدْتُها

فجعلها واحدة ثم قال :

كلتاهما حَلَبُ العصيرِ

فجعلهما اثنتين ؟ فلم يقلْ أحدٌ الجواب ، فقال رجلٌ من القوم : امرأتُهُ طالقٌ ثلاثاً إن باتَ أو يسألَ القاضي عبيدَ الله بنَ الحسن عن تفسير هذا الشعر . فأُسقطَ في أيدينا ليمينه ، ثم اجتَمعْنا على إتيانِ عبيدالله ؛ قال : فأتَيْناهَ نتخطَّى إليه الأحياءَ حتى أتيناه وهو في مسجده يُصلِّي بين العِشائَيْنِ ، فلما سمعَ حِسَّنا أوجزَ في صلاته ، ثم أَقبلَ علينا وقال : ما حاجتُكُم ، فبدأ رجلٌ منا وكان أَحسنَنَا بقيَّةً ، قال : نحنُ أعزَّ الله القاضي قومٌ نزعنا إليكَ من طُرقِ البصرةِ في حاجة مهمة فيها بعضُ الشيء ، فإن أَذِنْتَ لنا قُلنا ، قال : قولوا ؛ فذكر يمينَ الرجلِ والشعرَ ؛ فقال : أما قوله :

إن التي ناولتني

يعني الخمرة ، وقوله : «قتلت» أي مُزِجَتْ بالماء ، وقوله :

كلتاهما حلب العصير

يعني الخمرَ ومزاجَها فالخمرُ عصيرُ العنب والماءُ عصيرُ السحاب . قال الله تعالى :

---

٦٥٧ الأغاني ٩ : ٢٨١ وفيه أبو ظبيان الحماني .

---

١ عجز البيت الأول : قُتلتْ قتلتَ فهاتها لم تقتل .
عجز البيت الثاني : بزجاجة أرخاهما للمفصل .

﴿وأنزَلْنا من المُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً﴾ (النبأ : ١٤) انصرفوا إذا شئتم .

٦٥٨ – قال دُلَيْم بن مُرَّة الجُهني لتاجر أخذ منه مالاً وكان اسم التاجر عُرابَة : [من الطويل]

اللهِ لقّى من عرابـةَ بَيْعـةً   على حين كان النقد يَعْسُرُ عاجلُهْ

ولوَّى بنانَ الكفِّ يحسُبُ ربحَه   ولم يحسُبِ المطلَ الذي أنا ماطلُهْ

سيرضى من الربحِ الذي كان يرتجي   ببعضِ الذي أعطى وما هو نائله

٦٥٩ – وقال صُهَيْبُ بن نبراس العنبري : [من الطويل]

ومُصفرَّةٍ عيناه يَرشحُ وجهُهُ   لحبِّ القضاء قد لَوَيْتُ لياليا

وكلُّ غريمٍ حَظُّه جَحْدُ مالِهِ   إذا شحّ يوماً أو أساءَ التقاضيا

٦٦٠ – كان تاجر من أهل الثعلبية يقال له يحيى بن جابر يبيع الأعاريب ويُعينهم . فتعيَّن منه رجلان من بني أسد يقال لهما طَريف بن منظور وحصن بن مطير ، وفخَّما له في الربح حتى بلغا ما أحبّ فلما انصرفا لحاجتهما قال طريف : [من الطويل]

أقولُ غداة [الثعلبية] بعد ما   حَوَيْنا على أوراقِ يحيى بن جابرِ[1]

لحصنٍ وكان المرءُ يُفضي بِسرِّهِ   إليّ ولا أُخفِي عليه سرائري

أيطمعُ يحيى في الوفاء وقد عدا   على مالِنَا في البيعِ عدوةَ فاجرِ[2]

---

٦٥٨ حماسة البحتري : ٢٦١ وعيون الأخبار ١ : ٢٥٤ والبيت الثاني مع بيت آخر في محاضرات الراغب لعباس السليطي .

٦٥٩ حماسة البحتري : ٢٦٢ .

٦٦٠ حماسة البحتري : ٢٦٢ .

---

١ في الأصل : أوراد بدلاً من أوراق .

٢ في الأصل : غدا . . . غدوة .

فلا يحسَبِ الكوفيُّ أنّ عقولَنا هَفَتْ عن حسابٍ مُثبَتٍ في الدفاتر
ولكنّني أغرقتُ في الربح وانثنى وليس له علمٌ بصفقةِ خاسر
فلا يرجونْ يحيى اختباراً وقد رمى بسلعتهِ المغبونُ في قعر زاخر

٦٦١ – وقال عُوَيف القوافي : [من البسيط]

أفٍ لكم ولعقلٍ بين أضلعكم ماذا وثقتُم به منّي ومن ديني
من أفلسِ الناسِ من دِينٍ ومن حَسَبٍ وأظلمِ الناسِ طُرّاً للمساكين

٦٦٢ – وقال وَبْرُ بنُ معاوية الأسدي : [من البسيط]

إني وجدِّك ما أقْضي الغريمَ إذا حانَ القضاءُ ولا تأوي له كبدي
إلا عصا أَرْزَنٍ طالَتْ بُرَايَتُها تنوءُ ضربَتُها بالكفِّ والعضُدِ

٦٦٣ – كان بالمدينة تاجر يقال له سيّار بن الحكم يُداين الأعرابَ ؛ فأَخذ منه أبو النباش مالاً وأرغبه في الربح وانصرف ؛ فغابَ عنه مدةً ثم دخل المدينةَ مستخفياً ، واتّصلَ خبرُه بالتاجر ، فطلبه بمالِهِ عنده ، واستغوى جماعة من التجار عليه ؛ فلما رأى ما دُفِعَ إليه ولم يَقْدرْ على الجحود للصكِّ الذي عليه وللجماعة الذين اجتمعوا ، قال لهم : صيروا معي إلى شارع بني فلان فإن لي جلباً أقدرُ على موافاته ودفعِ المالِ إلى صاحبكم منه ، ففعلوا . فلما تمكَّنَ من الهربِ سبقهم حُضْراً على رجليه ، وطلبوه فأَعجَزَهم ، وانصرفوا يَتذامَرون ويَرجعون باللوم على صاحبهم ، فقال أبو النباش عند ذلك أبياتاً شرح الحالَ فيها وقال في آخرها : [من البسيط]

لما رأوْني وقد فُتُّ النجاءَ بهم سعياً يُقصِّر عنه كلُّ طيارِ

---

٦٦١ حماسة البحتري : ٢٦٣ .
٦٦٢ حماسة البحتري : ٢٦٣ .
٦٦٣ حماسة البحتري : ٢٦٣–٢٦٤ .

قالوا لصاحبهم هيهاتَ نلحقُهُ فارجعْ بنا ودعِ الأعرابَ في النار
إن القضاءَ سيأتي دونَه أَمَدٌ فاطوِ الصحيفةَ واحفَظْها من النار

٦٦٤ – وقال أبو الرُّبَيْسِ الكلابيّ في غريمٍ له يُقال له مكحولٌ كان عند مُبايَعَته إياه لم يسألْهُ عن سعرٍ ولا نقصانِ كَيْلٍ ، بل كان يَستصلحُ جميعَ ما يدفعُه إليه خديعةً ومكراً . فلما بلغ منه ما أراد لحقَ بالبادية : [من الطويل]

أما رابَ مكحولاً سماحي وأنّني إذا بلغ البيعُ المِكاسَ أُسامحُ
وقولي ولم يبلغْ رضايَ ولا دنا رضيتُ وهذا من شرا الناسِ صالحُ
سيعلمُ مكحولٌ إذا ضَمَّ رُقعةً لها طينةٌ أيَّ الفريقين رابحُ

٦٦٥ – كان أبانُ بن عثمان بن عفان من أهزلِ الناسِ وأعبَثِهم وأَوْلَعِهم ؛ وبلغ من عَبَثه أنه كان يَجيءُ بالليلِ إلى منزلِ رجلٍ من أهلِ المدينة له لقبٌ يغضبُ منه فيقول : أنا فلان بن فلان ثم يقفُ فيلقبه فيشتمُهُ أقبح شتم ، وأبان يضحك . فبينا هو ذات يوم جالسٌ وعنده أشعبُ إذ أقبل أعرابيٌّ معه جملٌ ، والأعرابيُّ أشقرُ أزرقُ أزْعَرُ[1] يتلظّى كأنه أفعى ويَتبيَّنُ الشرُّ في وجهه ، ما يدنو منه أحدٌ إلا شتمه ونَهَره . فقال أبان : هذا واللهِ من البادية[2] ، ادْعُوه لي . فدعَوْه له وقيل له : إنّ الأميرَ أبانَ بنَ عثمان يدعوك . فأتاه فسلَّم عليه وسأله أبان عن نسبه فانتسب له وقال : حيّاك اللهُ يا خالي ، حبيبٌ ازداد حبّاً ، فجلس ، فقال له : إني في طلبِ جملٍ مثلِ جملك هذا منذ زمان فلم أجدْهُ كما أشتهي بهذه الصفة وهذه الهامةِ والصورةِ والوَرِكِ والأخْفافِ ، فالحمدُ للهِ الذي ظفَّرني به عندَ من أحبُّه ، أتبيعُه ؟

---

٦٦٤ حماسة البحتري : ٢٦٤ .
٦٦٥ الأغاني ١٩ : ١١٩–١٢١ .

---

١ أزعر : شرس الخلق .
٢ الأغاني : البابة أي الشرط والصنف المراد .

فقال : نعم أيُّها الأمير ؛ قال : فإني قد بذلتُ لك به مائةَ دينار ؛ [وكان الجمل يساوي عشرة دنانير[1]] . فطمع الأعرابي وسُرَّ وانتفخَ ، وبانَ الطمعُ في وجهه ، فقال أبانُ لأشعبَ : ويلَكَ يا أشعب ، إن خالي هذا من أهلك وأقاربك – يعني في الطمع – فأوسِعْ له فيما عندك ؛ فقال : نعم بأبي أنت وأمي وزيادة ؛ فقال له أبان : يا خالُ إنما زدتُك في الثمنِ على بصيرةٍ أنّ الجملَ يُساوي ستّين ديناراً ، ولكني بذلتُ لك مائةً لقلَّة النقدِ عندنا ، وأنا أُعطيك به عُروضاً تساوي مائة . فزاد طمعُ الأعرابيّ وقال : لقد قبلتُ ذلك يا أميرَ المؤمنين . وأسرَّ إلى أشعبَ ، فأخرجَ شيئا مُغطى فقال : أخرِجْ ما جئتَ به ، فأخرجَ جردَ عمامة خَلِقَة تساوي أربعة دراهم ، فقال : قوِّمْها يا أشعبُ . فقال : عمامةُ الأميرِ تُعرف به ويَشهدُ فيها الأعيادَ والجُمَعَ ويلقى فيها الخلفاءَ : خمسون ديناراً . قال : ضَعْها بين يديه وقال لابن رميح[2] أثبِتْ قِيمَتَها ، فكتب ذلك ووُضِعَت العمامة بين يَدَي الأعرابيّ ، فكاد يدخل بعضُه في بعضٍ غيظاً ، ولم يقدِرْ على الكلام ، ثم قال : هاتِ قَلنسُوتي ، فأخرجَ قلنسوةً طويلةً خَلِقةً قد علاها الوسخُ والوهن والدهنُ تساوي نصف درهم . فقال : قوِّم ، [فقال :] قلنسوةُ الأمير تعلو هامته ويصلّي فيها الصلوات الخمس ، ويجلس فيها للحكم : ثلاثون ديناراً . قال : أثبت ، فأُثبِتَ ذلك ، ووُضِعَتْ القلنسوة بين يدي الأعرابي ، فتربَّدَ وجهُهُ وجحظَتْ عيناه ، وهمَّ بالوثوب ثم تماسك وهو مُقَلقَلٌ . ثم قال لأشعب : هاتِ ما عندك فأخرج خفين قد نُقِبا وتَقشَّرا وتَفتَّقا ، فقال : قوِّمْ ، [فقال :] خفا الأميرِ يطأُ بهما الروضةَ ويعلو بهما مِنبَرَ النبيّ ﷺ : أربعون ديناراً ، قال : ضعها بين يديه . ثم قال للأعرابي : اضْمُمْ إليك متاعَك . وقال لبعض الأعوان : امضِ مع الأعرابي . فأخذ القماشَ فضربَ به وجهَ القومِ لا يألو في شدَّة الرمي ، ثم قال : أتدري أصلحك الله من أيِّ شيءٍ أموت ؟ قال : لا ، قال : كيف لم أدرِكْ أباك

---

١ زيادة من الأغاني .

٢ الأغاني : زبنج وذكر في الهامش أنها في المخطوط زبيج بالتصغير .

عثمانَ فأشرَكَ والله في دمه إذ ولَدَ مثلَك ؛ ثم نهض كالمجنون حتى أخذ برأس بعيره . وضحك أبان حتى سقط ، وضحك كلٌّ من كان معه . وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقيَ أشعبَ يقول : هلم إليَّ يا ابنَ الخبيثة حتى أكافيك على قيمتك المتاع يوم قُوِّم ، فيهرب أشعبُ منه .

٦٦٦ – تزوج نديم لأبي شُرَاعةَ القيسيّ يُقال له تبَّان[١] امرأةً فاتَّفقَ عُرسُه في ليلةٍ طلّقَ فيه أبو شُرَاعة امرأةً كانت له ، فعُوتبَ في ذلك وقيل له : بات تبّانُ عروساً وبتَّ عَزَباً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أتت عرس تبّانٍ فهبَّتْ تلومُني ... رُويـدَكِ لوماً فالمطلِّقُ أحْوَطُ
رويدَكِ حتى يرجعَ البرّ أهله ... وترحمَ ذات العرس من حيث تغبطُ[٢]
إذا قال للطحان عند حسابه ... أعدْ نظراً إني إخالُكَ تغلطُ
فما راعه إلا دعـاءُ وَليدةٍ ... تعلم إلى السَّوَّاق إن كنتَ تنشطُ[٣]
هنالك يدعو أمَّـه فيسبُّها ... ويلتبسُ الأجرَ العُقوقُ فيَحبَطُ
فنادى العلى إني لفضلك شاكرٌ ... أبيتُ وحيداً كلما شئتُ أضرطُ[٤]

ثم بلغه عن تبّان هذا أنه عجز عن امرأته ولم يصلْ إليها ولقيَ منها شرّاً ، فقال فيه : [من الطويل]

رمى الدهرُ في صَحْبي وفرَّقَ جُلّاسي ... وأبعدَهُم عني بظعنٍ وإعراسِ
وكلُّهـمُ يبغي غلافـاً لأيـره ... وأقعدني عن ذاك فقري وإفلاسي

---

٦٦٦ الأغاني ٢٢ : ٤٣٦–٤٣٧ .

---

١ في الأصل : بنان والتصويب عن الأغاني .
٢ الأغاني : ويرحم رب العرس من حيث يغبط .
٣ الأغاني : «هلم» بدلاً من «تعلم» .
٤ الأغاني : فيا ذا بدلاً من فنادى .

فشكراً لربّي خان تبّانَ أيرُه وأسعى بأيري في الظلام على الناس
يمسّحه بالكفِّ حتى يُقيمَه فهل ينفعُ الكفَّانِ من ثِقَلِ الراسِ[1]

٦٦٧ – قال حماد بن الزبرقان : حفظْتُ ما لم يَحفَظْ أحدٌ ونسيتُ ما لم ينسَ أحدٌ . كنت لا أحفظُ القرآنَ فأنِفْتُ أن أجيءَ بمن يُعلِّمُني ، فحفظتُه من المصحفِ في شهرٍ واحدٍ ، ثم قبضْتُ يوماً على لحيتي لأقصَّ ما فضلَ عن قبضتي فنسيتُ أني أحتاجُ أن أقصَّ ما دونَ القبضةِ فقصَصْتُ أعلاها ، فاحتجْتُ أن أجلسَ في البيت سنة حتى استوَتْ .

٦٦٨ – قال أبو العنبس الصيمري : أنا وأخي توأمان ، وخرجتُ أنا وهو في يومٍ واحدٍ ، ودخلنا سُرَّ من رأى في وقتٍ واحدٍ ، فوليَ هو القضاءَ وصرتُ أنا صفعان ، فمن أين يصحُّ علمُ النجوم ؟

٦٦٩ – ابن الرومي : [من الكامل المجزوء]

كم تائهٍ بولاية وبعزله يعدو البريدُ
سُكر الولاية طيِّبٌ وخُمارُه صعبٌ شديدُ

٦٧٠ – قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ : دخلتُ البيمارستان فرأيتُ جماعةً من المجانين على أحوالٍ مختلفة ، ومرَرْتُ على شيخ منهم تلوحُ صلعتُهُ وتبرقُ جبهتُهُ بالدهن عليها ، وهو جالسٌ على حصيرٍ نظيفٍ ، وجهُهُ إلى القِبلة

---

٦٦٧ نثر الدر ٧ : ٤٠٧ .
٦٦٨ نثر الدر ٧ : ٢٩٩ .
٦٦٩ لم نعثر على البيتين في ديوانه .
٦٧٠ تاريخ بغداد ٣ : ٣٨٣ ومعجم الأدباء (عباس) : ٢٦٨٠–٢٦٨٢ وأبيات عبد الصمد بن المعذل في هجاء المبرد في مجموع شعر عبد الصمد : ١٤٤ وفيه تخريج كثير .

---

١ هذا البيت لم يرد في الأغاني .

وكأنه يُريدُ الصلاةَ ، فجاوزته إلى غيره ، فنادى : سبحانَ الله أين السلام ؟ مَنْ المجنونُ أنا أو أنت ؟ فاستحيَيْتُ وقلتُ : السلامُ عليكم ؛ فقال : لو كنتَ ابتدأتَ لأوجَبْتَ علينا الردَّ الحسَنَ عليك ، غير أنّا نصرفُ سوءَ أدبك إلى أحسنِ جهاته من العذرِ ، لأنه يُقال : للداخل على القومِ دهشةٌ ، اجلِسْ أعزَّك الله عندنا ، وأومأ إلى حَصيرِهِ فنفَضَه كأنّه يوسِّعُ لي ، فعزمت على الدنوِّ منه ، فبادأني القيِّمُ بأمرهم : إياك إيّاك ! فأحجمتُ . ثم قال وقد كانت معي مِحبَرة : ما هذا ؟ أتجالسُ أصحابَ الحديثِ الأغثياء أم الأدباءَ أصحابَ النحوِ والشعرِ ؟ قلت : الأدباء ، قال : أفتعرف الذي يقول فيه : [من المديد المجزوء]

وفتىً من مـازنٍ ساد أهـلِ البصره
أمُّــه معرفــةٌ وأبــوه نكـــره

قلت : لا أعرفه . قال : أفتعرفُ غلاماً قد نبغَ في هذا العصرِ معه ذهن وله حفظ ، قد برّز في النحو وجلس في مجلس صاحبه وشاركه فيه يُعرف بالمبرّد ؟ قلت : والله أنا عين الخبير به . قال : فهل أُنشدك شيئاً من شعره ؟ فقلت : لا أحسبُه يقولُ الشعرَ ؟ قال : يا سبحانَ الله ! أليس هو الذي يقول : [من الرمل المجزوء]

حَبّذا ماءُ العناقيـ ـدِ بريقِ الغانياتِ
بهما ينبتُ لحمي ودمي أيَّ نباتِ
أيُّها الطالبُ أشهى من لذيذ الشهواتِ
كُلْ بماءِ المزنِ تفّا حَ الخدودِ الناعماتِ

قلت : قد سمعته يُنشِدُ في مجالسِ الأُنسِ ؟ قال : يا سبحان الله ! أويستحي أن يُنشِدَ هذا حولَ الكعبة ؟ ما تسمعُ الناسَ يقولون في نسبه ؟ قلت : يقولون هو من الأزدِ ، أزدِ شَنوءة ، ثم من ثُمالَة ، قال : قاتله الله ما أبعدَ غورَهُ ، أتعرف قوله : [من الوافر]

سألنا عن ثُمالَة كلَّ حيٍّ فقال القائلون ومَن ثُمالَهْ
فقلتُ محمَّدُ بنُ يزيدَ منهم فقالوا زدْتَنا بهمُ جَهَالَه
فقال لي المبرِّد خلٌّ قومي فقومي معشرٌ فيهم نَذالَه

قلت : أعرف هذه الأبيات لعبدِ الصمد بن المعذّل يهجوه بها ، فقال : كذبَ والله كلُّ من ادَّعى هذه غيرُه ، هذا كلامُ رجلٍ لا نسبَ له يُريدُ أن يُثبِتُ له بهذا الشعرِ نسباً . قلت : أنت أعلمُ ، قال لي : يا هذا قد غلبت لخفّة رُوحك على قلبي ، وتمكَّنْتَ بفصاحَتِك من استحساني ، وقد أخَّرتُ ما كان يجبُ أن أقدِّمَه ، ما الكنيةُ أصلحك الله ؟ قلتُ : أبو العباس ، قال : ما الاسم ؟ قلتُ : محمد ، قال : فالأب ؟ قلتُ : يزيدُ . قال : قبَّحكَ الله ! أحوَجْتَني إلى الاعتذارِ إليك مما قدَّمتُ ، ثم وثب باسطاً يدَه ليصافِحَني ، فرأيت القيدَ في رجليه قد شُدَّ إلى خشبةٍ في الأرض ، فأَمنتُ عند ذلك غائِلَتَه ؛ فقال : يا أبا العباس : صُنْ نفسَك عن الدخولِ إلى هذه المواضعِ ، فليس يَتهَّيأُ لك في كلِّ وقتٍ أن تُصادفَ مثلي على هذه الحالِ الجميلة ، أنت المبرِّد ؛ وأخذ يُصفِّقُ ، وانقلبَتْ عيناه وتغيَّرتْ خِلقتُه . فبادرتُ مسرعاً وقَبِلْتُ والله قوله ، فلم أُعاود الدخولَ عليهم بعد ذلك .

٦٧١ - قال أبو العيناء : كان بالبصرة مُقيِّنٌ له جوارٍ فغشيَ الناسُ منزلَه لأجلهنَّ ، فحضر يوماً عنده جماعةٌ فيهم قومٌ من المهالبة . فلما كان وقتُ العشاء جاء غلامٌ لبعض المهالبةِ الحاضرينَ بمئزرٍ مقلوبٍ فوضعه بين يدَيْ صاحبه ، وإذا فيه بُسرٌ مسكَّر باكورة ، ولم يكن رأوا قبله منه شيئاً ، وكان فيمن حضر العطويُّ الشاعرُ ، فقال للمهلبي : أطعمني فديْتُك من هذه الباكورة ، فتغافل عنه فقال المقيّن صاحبُ الدار : فأطعمني أنا منها . فتناول منها شيئاً فأعطاه ، فقال له العطوي : أطعمني ممّا أعطاك ، فقال : لا أفعلُ ، فقال في الحال : [من المتقارب]

---

٦٧١ البيتان في محاضرات الراغب ٣ : ٢٤٠ دون نسبة .

جواريك أطعَمْنَكَ السكّرا وأنزلْنَك المنزلَ الأكبرا
ولولا جواريك ما أطعموك على قُبحِ وجهك إلا خرا

فضحك كلُّ من حضر منه ، وأخذ المهلبي جميع ما في المئزرِ من البُسر فرمى به إلى العطوي .

٦٧٢ – قال أحمد بن أبي طاهر : خرجتُ من دار الوزيرِ أبي الصقر القاسمِ اسماعيل بنِ بُلبلٍ نصفَ نهارِ يومٍ في تموز ، فمِلْتُ إلى دار أبي العباس المبرِّد لقُربها ، فأدخلني خَيْشاً له ، وقدَّم إليّ شيئاً أكلتُه ، وسقاني ماءً بارداً ، وحدثني أحسنَ حديث إلى أن نِمْتُ ، فحضرني لشقائي وقلة شكري بيتان فاستأذنته في إنشادهما فقال : ذاك إليك وهو يظنُّني مدحتُه فأنشدته : [من الطويل]

ويومٍ كحرِّ الشوق في صدرِ عاشقٍ على أنّه منه أحرُّ وأوْقَدُ[١]
ظَلَلْتُ به عند المبرِّدِ قائِلاً فما زلتُ في ألفاظه أتبرَّدُ

فقال لي : قد كان يسعُك إذ لم تحمدْ أن لا تذُمَّ ، وما لك عندي جزاءٌ إلا إخراجك ، ووالله لا جلستَ ، فأخرجني فمشيتُ إلى منزلي بباب الشام ، فمرضت ممّا نالني من الحرّ وقعدتُ ألومُ نفسي .

٦٧٣ – حُمَّ المنصور في بعض الليالي فأَرِقَ فقال للربيع : أحتاج إلى إنسانٍ يُحدِّثُني ويؤْنسُني ، فقال : قد وجدته ، فقال : من هو ؟ قال ابن عياش[٢] المنتوف ؛ قال : يُبرِمُني بالأسئلة ويضاعفُ عليّ العلّة ، قال : قد أعطيتُه من مالي ألفَ درهمٍ وأمرتُهُ أن لا يسأَلَكَ شيئاً . قال : هاتِ حدّثْني قال : نعم يا أميرَ

---

٦٧٢ معجم الأدباء (عباس) : ٢٨٥–٢٨٦ .
٦٧٣ محاضرات الراغب باختصار شديد عن الأصمعي ٢ : ٦٢٧ .

---

١ معجم الأدباء : وأومد ، ويوم وَمِدٌ هو يوم شديد الحر مع سكون الريح .
٢ في الأصل : عباس والتصويب عن عيون الأخبار .

المؤمنين ، خرجتُ يوماً للصيد إلى وادي القُرى ، فألجأني الحرُّ إلى موضع فيه طاقٌ كبير ، وإذا بامرأةٍ عجوزٍ جالسة ، فقلتُ لها : هل عندَك شيءٌ يُؤكَلُ ؟ قالت : لا ، وإذا في البيت زنبيلٌ معلّقٌ ، فقلتُ لها : خذي هذه الدراهم فاشتري لي لحماً وفاكهة . وخرجت فحذفت الزنبيل بالسيف فسقط قطعُ العود قد عَشب ، فأكلتُه كلَّه ، وإذا هو أحلى من السكر ، فلما رجعَتْ قلتُ لها : يا كذّابة ! زعَمْتِ أنّه ليس عندَك ما يُؤكلُ ، وكان في الزنبيل ما فيه . قالت : أوأكلتَه ؟ فقلت : نعم . قالت لي : هذه جاريةٌ ختّانةٌ كانت تَجيءُ بالبُظورِ فتُلقيها في هذا الزنبيل ، فهنأك الله ما أكلتَه . فضحك المنصور ضحكاً شديداً وقال : يا ربيعُ ، ادفَعْ إليه ألفَ درهم . فلما خرج قال ابن عياش للربيع : ارجعْ إليه وحسَّ عِرقَه ، فإني أخشى أن يكونَ محموماً فيرجعَ فيها إذا أفاقَ . فعاد الربيعُ وحدّثَ المنصور بذلك فقال : أضعِفْها له وعجِّلْها .

٦٧٤ – قال محمد بن عبد الرحمن العزمي[١] : كنتُ عند أبي بكر بن عيّاش وَجَاءه أصحابُ الحديث فآذَوْهُ فبعثَ إلى صاحب الربع فجاءه ، فقال له : حاجتُكَ يا أبا بكر ؟ قال : أقِمْ هؤلاء عني . قال : وما حالُهم ؟ قال : قد آذَوْني فأضجروني . قال : ارفقْ بهم يا أبا بكر ، وقال : فقد قصدوك ولهم حقٌّ . فغضب وقال : انظروا إلى هذا الشبارك ! ثم قال : أتدرون ما الشبارك ؟ قالوا : لا . قال : كانت امرأةٌ بالكوفة ولها زوجٌ قد عَسِرَ عليه المعاشُ ، فقالت له : لو خرجْتَ فضربْتَ في البلاد وطلبتَ من فضلِ الله . فخرج إلى الشام فتكسَّبَ ثلاثمائة درهم ، فاشترى بها ناقةً سمينةً فارهةً ، فركبها وسار عليها ، فأضجرَتْهُ وحلفَ بطلاق امرأته لَيبيعُها بدرهم يوم يقدمُ الكوفة ، فقالت امرأته : ما جئتَ به ؟ قال :

---

٦٧٤ الجليس الصالح ٣ : ١٧٦ .

---

١ الجليس الصالح : العرزمي .

أصبت ثلاثمائة درهم فاشتريت هذه الناقة فأضجرَتْني ، فحلفتُ بطلاقك ثلاثاً أني أبيعُها يومَ أقدمُ الكوفةَ بدرهم ، قالت : أنا أحتالُ لك . فعلّقَتْ في عنقِ الناقة سِنَّوْراً ، وقالت : أدخِلْها السوقَ فنادِ من يشتري السنَّوْرَ بثلاثمائة درهم والناقةَ بدرهم ، ولا أُفرِّقُ بينهما . قال : ففعل ؛ فجاء أعرابيٌّ فجعل يدورُ حولَ الناقةِ ويقول : ما أسمَنَكِ ! ما أفرهَكِ ! ما أرخصَكِ لولا هذا الشبارك !

٦٧٥ – قيل لما حضرت الفرّاء النحويَّ الوفاةُ دخل إليه بعضُ أصحابه فقال له : ما قال لك الطبيب ؟ فقال : وما عسى أن يقول الطبيب إنْ صحةً وإنْ مرضاً ، إن رفعاً فرفعاً ، وإن نصباً فنصباً ، وإن خفضاً فخفضاً . قال : فكان هذا آخرَ ما تكلّمَ به ، ثم مضى ، رحمه الله .

٦٧٦ – دخل رجلٌ على مغنّيةٍ وقد حضرتها الوفاةُ ، فقال لها : قولي لا إله إلا الله ، فقالت [من الكامل] :

* أزِفَ الرحيلُ وشُدَّتِ الأحداجُ *

٦٧٧ – ودخل رجل على زُفَرَ ، رحمه الله ، وهو يجودُ بنفسه ، فشاهده فقال : الجواب عن هذا أن يُدفعَ إلى إحدى المرأتين ستةُ أسباعِ الصّداق .

٦٧٨ – واحتضر رجل كان يجيد اللعبَ بالشطرنج . فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال : شاه مات .

٦٧٩ – قيل إن الحجاجَ بعث بالغضبانِ بنِ القبعثرى ليأتيَه بخبر عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وهو بكرمان ، وبعث عليه عيناً ، وكذلك كان يفعل ، فلما انتهى الغضبان إلى عبد الرحمن قال له : ما وراءكَ ؟ قال : شرٌّ ، تغدَّ بالحجاج قبل

---

٦٧٥ انظر بغية الوعاة ٢ : ٣٣٣ .

٦٧٦ ما قالته المغنية صدر بيت لسلم الخاسر عجزه : وغدا بهن مشمّر مزعاج .

٦٧٧ المقصود هو زفر بن الهذيل الحنفي المتوفى سنة ٢٥٨ . انظر وفيات الأعيان ٢ : ٣١٧–٣١٩ .

٦٧٩ مروج الذهب مع اختلاف في العبارة ٣ : ٣٥٥–٣٥٦ والمستطرف ١ : ٤٧–٤٩ .

أن يتعشّى بك . وانصرف الغضبان فنزل رملة كرمان ، وهي أرضٌ شديدةُ الرمضاء ، فبينا هو كذلك إذ ورد عليه أعرابيٌ من بني بكر بن وائل على فرس له يقودُ ناقةً ، فقال : السلام عليك ، فقال الغضبانُ : السلام كثيرٌ وهي كلمة مقولـة . قال الأعرابيّ : ما اسمك ؟ قال : أخذ . قال : أفتعطي ؟ قال : لا أحبّ أن يكونَ لي اسمان . قال : من أين أقبلتَ ؟ قال : من الدلول . قال : وأين تريد ؟ قال : أمشي في مناكبها . قال : من عرض اليوم ؟ قـال : المتقون . قـال : فمن سبق ؟ قال : الفائزون . قال : فمن غلب ؟ قال : حزبُ الله . قال : فمن حزب الله ؟ قال : هم الغالبون . فعجب الأعرابي من منطقه ، قال له : أتقرض ؟ قال : إنما تقرضُ الفارة . قال : أفتُسمِع ؟ قـال : إنما تُسمِع القينة . قـال : أفتنشد ؟ قـال : إنما تُنشَد الضالّة . قال : أفتقول ؟ قال : إنما يقول الأمير . قال : تتكلم ؟ قال : كلٌّ متكلمٌ . قال : أفتنطق ؟ قال : إنما ينطق كتاب الله . قال : أفتسمع ؟ قال : حدّثني حتى أسمع . قال : أفتسجع ؟ قال : إنما تسجع الحمامة . قـال الأعرابي : تالله ما رأيت كاليوم قطّ ، قـال : بلى ولكنك نسيتَ . قال الأعرابي : فكيف أقول ؟ قال : لا أدري والله . قال الأعرابي : كيف ترى فرسي هذا ؟ قال الغضبان : هو خيرٌ من آخر شرٌ منه وآخرَ خير منه وأفرهُ منه . قال الأعرابي : إني قد علمت ذاك ، قال : لو علمت لم تسألني . قال الأعرابي : إنك لمنكَرٌ ، قال الغضبان : إني لمعرَّف . قال : ليس ذلك أريد ، قال : فما تريد ؟ قال : أُردت إنك لعاقل ، قال : أفتعقل بعيرك هذا ؟ قال : لا ، أفتأذنُ لي فأدخلَ عليك ؟ قال الغضبان : وراءَكَ أوسعُ لك . قال الأعرابي : قد أحرقتني الشمسُ ، قال : الساعةَ يَفيءُ عليك الفَيءُ . قال الأعرابي : إن الرمضاءَ قد آذتني ، قال : بُل على قدمك . قال : قد أوجعني الحرُّ ، قال الغضبان : ما لي عليك سلطان . قال الأعرابي : إني لا أريد طعامَكَ ولا شرابَكَ ، قال : لا تعرِّضْ بهما ، فوالله لا تذوقهما . قال الأعرابي : أما عندك غير هذا ، قال : بلى هراوتان أضرب بهما رأسك . قال الأعرابي : والله إني لأظُنُّك مجنوناً ، فقال الغضبان : اللّهمَّ اجعلني ممّن يرغبُ

إليك . قال : إني لأظنُّك حَروريًّا قال : اللهم اجعلني ممّن يتحرى الخير . ثم قال له الغضبان : أهذا البعيرُ لك يا أعرابيّ ؟ قال : نعم ، فما شأنه ؟ قال : أرى فيه داءً فهل أنت بائعُهُ ومُشترٍ ما هو شرٌّ منه ؟ فولى الأعرابي وتركه وهو يقول : والله إنك لبَذِخٌ أحمقُ .

فلما قدم الغضبانُ على الحجاج قال : كيف تركت أهل كرمان ؟ قال : أصلحَ الله الأميرَ ، أرضٌ ماؤها وَشَلٌ ، وثمرُها دَقَلٌ ، ولصُّها بطلٌ ، والجيشُ فيها ضعافٌ ، إن كثروا بها جاعوا ، وإن قلّوا بها ضاعوا . قال له الحجاج : أما إنّك صاحبُ الكلمةِ التي بلغَتْني عنك حين قلت : تغدّ بالحجاج قبل أن يتعشّى [بك] . قال الغضبان : أما إنها جعلني الله فِداكَ لم تنفعْ من قِيلَتْ له ، ولم تضرَّ من قيلَتْ فيه . قال الحجاج : اذهبوا به إلى السجنِ . فمكث فيه إلى أن بنى الحجاجُ قبة خضراءَ في واسطَ أعجبَتْهُ كما لم يُعجبْهُ بناءٌ قطّ . فقال لمن حوله : كيف ترون قُبَّتي هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأميرَ ما بنى ملكٌ مثلَها . ولا نعلمُ للعربِ مأثرةً أفضلَ منها . قال الحجاج : أما إن لها عيباً وسأبعثُ إلى من يُخبرني به . فبعث إلى الغضبان فأقبل يَرسِفُ في قيوده ، فلما دخل عليه سلّم فقال له الحجاج : كيف ترى قُبَّتي هذه ؟ قال : أصلحَ الله الأميرَ ، هذه قبّةٌ بُنِيَتْ في غير بلدك لغير ولدك ، لا يسكنُها وارثُكَ ولا يدومُ لك بقاؤها ، كما لم يدمْ هالكٌ ولم يبقَ فانٍ ، وأما هي فكأن لم تكنْ . قال : صدق رُدُّوه إلى السجن فإنه صاحب الكلمة التي بلغتني عنه ، قال : أصلح الله الأميرَ ، ما ضرَّتْ من قيلت فيه ولا نفعت من قيلَتْ له . وقال : أتُراكَ تنجو مني ! لأقطعَنَّ يديك ورجليك ولأكوِيَنَّ عينيك . قال : ما يخافُ وَعيدك البَريءُ ، ولا ينقطعُ منك رجاءُ المسيء . قال : لأقتلنَّك إن شاءَ الله ، قال : بغير نفسٍ والعفوُ أقربُ للتقوى . قال الحجاج : إنك لسمينٌ ، قال : لِمَ كان القيدُ والرَّتْعَةُ ، ومن يكُ جارَ الأميرِ يسمنْ . قال له الحجاج : ردُّوه إلى السجن ، قال : أصلح الله الأميرَ ، قد أثقلَني الحديدُ فما أطيقُ المشيَ ، قال : احملوه لعنه

الله . فلما حملته الرجال على عواتِقِها ، قال : ﴿سُبْحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كُنَّا لهُ مُقرِنِينَ﴾ (الزخرف : ١٣) قال : أنزِلُوه أخزاه الله . قال : اللّهمَّ ﴿أَنْزِلْني مُنْزَلاً مُباركاً وأنت خَيْرُ المُنْزِلِين﴾ (المؤمنون : ٢٩) قال : جُرّوه أخزاهُ الله ، قال : ﴿باسم الله مَجْراها ومُرْسَاها إن رَبِّي لغَفورٌ رحيم﴾ (هود : ٤١) قال الحجاج : ويحكم ! أتركوه فقد غلبني بخُبثِه ، ثم أمر بإطلاقِهِ .

٦٨٠ – قال زيد بن جدعان : قدمتُ على معاويةَ فأنزلني عليه ، فكنت أتغدّى عنده وأتعشّى معهُ . فبينا أنا عندَه إذ خرجَتْ من دارهِ وَصيفةٌ فدخلَتْ بيتاً من بيوته ، فقال لي معاوية : لولا مكانُكَ لقد كنت أشتهي أن أُصيبَ منها . قلت : يا أميرَ المؤمنين ، فلا يمنَعْكَ مكاني . قال : فقام فدخل عليها . فبينما هو يريدُ منها ذاك إذ علمَتْ امرأتُه وهجَمتْ عليه وأنا جالسٌ ، فخرجا وقد لبَّب كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه . قال : فجعل معاويةُ يقول : يَغلِبْنَ الكرامَ ويغلبُهُنَّ اللئامُ . قال : فلم تكلِّمْه حتى أدخلَتْه قصرَه . قال : وبقيتُ في موضعي إلى العِشاءِ ، وراح الناسُ إليه ، فذهب بي النومُ فلم أنتبِهْ إلاّ في جوفِ الليل . قال : وهو في موضعه الذي يبيتُ فيه . قال : فقمتُ فإذا الأبوابُ مُغلقَةٌ والسُّرُجُ تَزهَرُ . قال : فدخلتُ تحت السرير ، فلما ذهب هُوِيٌّ من الليل جاء معاوية ، فجلس على السرير ثم دعا امرأته فعرّاها ، فجعلَتْ تُقبلُ وتُدبرُ . قال : فبينا هي مُقبلةٌ إليه إذ قالت : يا سَوْأتـا ! تحت السرير ، رجلٌ . قال : فقام معاويـةُ فأخرجني من تحت السرير ، وقال : ويحك ! رأيتَ الذي رأيتَ ؟ قلت : نعم . قالت امرأتُه : ما زال هذا . . .[1] منذ اليوم والليلة . قال ، فقال : ويحك ! ارفعْ إلينا حوائجَكَ ولا تُخبِرْ بما رأيتَ أحداً . قال : فقضى لي حوائجي وخرجتُ من عنده .

٦٨٠ قول معاوية «يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام» في محاضرات الراغب ٣ : ٢١٧ .

١ كلمتان غير واضحتين كتبتا متراكبتين .

٦٨١ – ورُوِيَ عن الأحنف أنه دخل على معاويةَ يوماً فخرجَتْ من داره وصيفةٌ فدخلت بيتاً من بيوته ، فقال : يا أبا بحر ، أنا واللهِ أُحبُّ هذه الوصيفةَ وقد أمكنَني منها الخلوةُ لولا مكانك . قال ، فقال الأحنف : فأنا أقومُ ، فقال : لا بل تجلسُ لئلا تَستريبَ بنا ابنةُ قَرَظَة ؛ وكأنها قد أُوذنَتْ به ، فقالت للأحنف : يا قوّادُ ! أين هذا الفاسقُ ؟ فأومأ الأحنفُ إلى البيتِ الذي هو فيه : فأخرَجَتْه ولحيتُهُ في يدها ، فقال : الأحنف : ارفقي بأسيرِكِ يرحمُكِ الله . فقالت : يا قوّادُ ! وتتكلّمُ أيضاً ؟ ! وقام الأحنف فانصرف .

٦٨٢ – كان عند إبراهيم الحربي رجلٌ ضريرٌ فقرأ ولم يكن طيّب الصوت فقال إبراهيم : [من الهزج]

هما اثنان إذا عُدّا   فخيرٌ لهما الموتُ
فقيرٌ ما له زهدٌ   وأعمى ما له صوتُ

٦٨٣ – قال الجاحظ : ما خجّلني إلا امرأةٌ حملَتْني إلى صائغ فقالت : مثلُ هذا . فبقيتُ مبهوتاً ، فسألتُ الصائغَ ، فقال : هي امرأةٌ استعملَتْني صورةَ شيطانٍ ، فقلت : لا أدري كيف أُصوِّره ، فأتَتْ بك ، وقالت : مثلُه .

٦٨٤ – وقد اتّفقَ في عصرنا مثلُ هذا . كان من حواشي دارِ الخلافةِ حاجبٌ يُعرفُ بابنِ الحسامِ ، عظيمُ الخِلْقَة وَحشيُّها ، ومع هذا يميلُ إلى النساء ويظنُّ أنهنَّ يَهوَيْنَه . فتعرَّضَتْ له امرأةٌ وأطمعَتْه في نفسها ، وواعدتْه دكانَ بعضِ الصاغة وأن يكونَ اجتماعُهما هناك . فتزيَّنَ وتأهَّبَ وقصدَ ذلك الدكان ينتظرُها ، وأبطأت المرأةُ ، فلما فرغ الصائغُ من مراده قال له : يا سيدي قُمْ في دَعَةِ الله ، قال له : ويلك ! وما ذاك ؟ قال : إن امرأةً استعملتني صورةَ جنّيٍّ ، فقلت : ما رأيتُ جنّيّاً قطّ ، فقالت : أنا أُنفذُ إليك رجلاً هو الصورةُ

---

٦٨١ الجليس الصالح ٣ : ١٧–١٨ .
٦٨٢ معجم الأدباء (عباس) : ٤٧ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٨٩ .

المطلوبةُ ، وقد رسمتُ لها ما أرادَتْ . فشتمه وانصرف .

٦٨٥ – قال العتبي : سرَّحَ المهديُّ لحيتَه ثم قبضَ عليها فكأنه استصغرها ، فأحسَّ به أعرابيٌّ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لحيتَكَ لجميلةٌ أُصيلةٌ ، لم تَطُلْ فتَسْمُجَ ولم تصغُرْ فتُسْتَقْبَح ، بل خرجت بمقدارٍ من صانعٍ أحكمَ صَنعتَها وأحسنَ نباتَها ، فمن رأى صاحبَها أفلحَ ، ومن طلب إلى حاملها أنجحَ ، ثم قال : [من الكامل المجزوء]

لا تُعجَبَـنَّ بلحيـةٍ ... كثَّتْ منابتُها طويله
يَهوِي بها عصفُ الريا ... حِ كأنها ذنب السَّخيله
قد يرزقُ الشرفَ الفتى ... يومـاً ولحيتــه قليله

فأعجب بكلامه ووصله .

٦٨٦ – قال المنصور لابن عياش المنتوف : لو تركتَ لحيتَك ، أما ترى عبدَالله ابنَ الربيع ما أحسنه ؟ قال : والله يا أميرَ المؤمنين لأنا أحسنُ منه . قال : يا سبحانَ الله وتحلف أيضاً ؟ قال [ابن عياش] : لئن لم تصدِّقْني فاحلِقْ لحيتَهُ وأقِمْهُ إلى جانبي ثم انظر أيّنا أحسن .

٦٨٧ – عبدالله بن إسحاق بن سلام المكاري[1] : [من الكامل]

وتكيدُ ربَّكَ في مغارسِ لحيةٍ ... الله يزرعُها وكفُّك تحصدُ
تأبى السجودَ لمن بَراكَ تمرُّداً ... وترى العبيدَ الأرذلينَ فتسجدُ

---

٦٨٥ ربيع الأبرار ١ : ٨٥٤–٨٥٥ .
٦٨٦ البصائر والذخائر ٧ : ٥٣–٥٤ وربيع الأبرار ١ : ٨٥٥ .
٦٨٧ معجم الأدباء (عباس) : ١٥٠٧ مع اختلاف في الرواية .

---

١ في الأصل : الهكاري والتصويب عن معجم الأدباء .

٦٨٨ – آخر : [من الكامل المرفل]

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت بحريةٌ قَمِنٌ بها السفحُ
فانجابَتِ السحبُ التي نشأتْ فكأنّما خرجوا ليستَصْحُوا

٦٨٩ – وقع أعرابي إلى أرض أصبهان في أيام الربيع فاستطابَ الهواءَ وأنِسَ بالأشجار ، فلما جاء الشتاءُ [. . . .] الأشجار [. . . .] الأقطار فجعل يَرتعدُ من البردِ وتخفِقُ أحشاؤه فقال : [من الرجز]

بأصبهانَ شَعِثَتْ أموري لما تقضَّى الصيفُ ذو الحَرُورِ
ورمَّت الآفاقُ بالهريرِ والثلج مقرونٌ بزمهريرِ
جاءتْ بشرٍّ مَجْنَبٍ عاثورِ لولا شعارُ البَرَّةِ البرورِ
أمِّ الكبير وأبي الصغير

البرة : الشمس ، والمجنب : الكبير ، والعاثور : المهلك من قولهم وقع في عاثور شر .

٦٩٠ – أنشد الحافظُ لرجلٍ من بني نُميْر وكانت امرأتُه حضريةً : [من الطويل]

لعمري لأعرابيةٌ بدويّةٌ تظل برَوْقَي بيتها الريحُ تخفُقُ
أحبُّ إلينا من ضِناكٍ صفيّة إذا وَضعَتْ عنها المرَاوحَ تَعرَقُ
كبطيخةِ البُستانِ ظاهرُ جلدها صحيحٌ ويبدو داؤها حين تُفلقُ

---

٦٨٨ الذيل والتكملة (السفر الرابع) : ٨١ لأبي الحسين بن الطراوة في أهل مالقة وقد خرجوا للاستسقاء ، والأبيات فيه كما يلي :

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت بحرية يبدو لها رشح
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها نضح
كشف الغطاء إجابةً لهم فكأنما جاءوا ليستصحوا

٦٩١ – كان لبني عدي بن عبد مناة بالبصرة رجل شاب يُنزَلُ به يقال إن جمل عائشة رضي الله عنها في موضعه ، فابتنى على ذلك [الموضع مسجداً] فقال رجل منهم يهجوهم : [من السريع]

قوم كرامٌ غير ما أنّهم ... سطوَتُهم تغدو على جارهم
ليس لهم فخرٌ سوى مسجدٍ ... به تَعَدَّوا فوق أطوارهم
لو هُدم المسجدُ لم يُعرفوا ... يوماً ولم يُسمَع بأخبارهم

٦٩٢ – كانت لأعرابي امرأتان فولدت إحداهما جاريةً والأخرى غلاماً فرقَّصَتْه أمُّه وقالت مُضارَّةً لضَرَّتِها : [من الرجز]

الحمدُ لله الحميدِ العالي ... أنقذني العامَ من الخوالي
من كلِّ شوهاءَ كشَنٍّ بالي ... لا تَدفعُ الضَّيْمَ عن العيالِ

وسمعت الأخرى فأقبلت ترقِّصُ بنتَها وتقول : [من الرجز]

وما عليَّ أن تكونَ جاريه ... تغسل رأسي وتكون الغاليه
وترفع الساقط من خماريه ... حتى إذا ما بلغَتْ ثمانيه
أزّرتُها بنقبَةٍ يمانيه ... أُنكحُها مروانَ أو معاويه
أصهارَ صِدْقٍ ومهورٍ غاليه

فتزوجها مروان على مائة ألف وقال : إن أمها لحقيقة أن لا يُكذب ظنها ولا يُخاسَ بعهدها . وقال معاوية : لولا أن مروانَ سبقَنا إليها لأضعفنا لها المهرَ ، ولكن لا تَحرُم الصلة ، فبعث إليها بمائتي ألف درهم .

---

٦٩١ عيون الأخبار ١ : ٣١٣ وفيه : وقال آخر لأبي محمد اليزيدي .

٦٩٢ المستطرف ٢ : ١٢ والرجز الثاني مع اختلاف في العبارة وعدد الأبيات في محاضرات الراغب ١ : ٣٢٥ .

٦٩٣ – رفَعَتْ امرأةٌ زوجَها إلى القاضي تبغي الفُرقةَ ، وزعمَتْ أنه كلَّ ليلةٍ يَبولُ في الفراش . فقال الرجل : أصلحَكَ الله لا تعجَلْ حتى أقُصَّ عليك قصتي : إني أرى في منامي كأني بجزيرة في البحر ، وفيها قصرٌ وفوق القصرِ عِلِّيَّةٌ ، وفوق العِلِّيَّةِ قُبَّةٌ ، وفوق القُبَّةِ جملٌ ، وأنا على ظهرِ الجملِ ، وإن الجملَ يَتطأْطَأُ ليشربَ من البحر فإذا رأيتُ ذلك بُلْتُ فَرَقاً . فبال القاضي وقال : يا هذه أنا قد أخذني البولُ من هولِ حديثه ، فكيف بمن رأى الأمر عياناً ؟

٦٩٤ – شكا رجلٌ إلى الطبيبِ وجعَ البطنِ وقال : قد أكلْتُ سمكاً ولحمَ بقرٍ وبيضاً ومامشاً فقال : انظرْ فإنْ متَّ من هذا وإلا فارمِ نفسَك من حالقٍ .

٦٩٥ – ركب يزيد بن نهشل بعيراً له لا يكاد ينهض ، فلما استوى عليه قال : اللهم إنك قلتَ : ﴿سُبْحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كُنَّا له مقْرِنِينَ﴾ (الزخرف : ١٣) ، وإنّي أُشهِدُك أنّي بهذا[1] ، فنفرَ البعيرُ وتعلَّقتْ رجلُه بالغَرْزِ والبعير يَجْمِزُ به حتى مات[2] .

٦٩٦ – وكانت جماعةٌ من طلابِ الحديثِ يمشون إلى شيخٍ لهم ، فقال خليع منهم : امشوا رُوَيْداً فإن طالبَ الحديثِ يَطأ على أجنحةِ الملائكة حتى لا تكسروها ، فعثر عثرةً فعرج منها .

٦٩٧ – وكان بالمغرب ورّاقٌ فكتب مصحفاً في أسبوع فقيل له : في كم كتبتَه ؟ فقال : في ستة أيام وما مسنا من لغوب[3] ، فحَشَّتْ يده ، فسّر قوله تعالى :

---

٦٩٣ المستطرف ٢ : ٢٦٩ .
٦٩٥ البصائر والذخائر ٣ : ١٥٢ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٠ وانظر عيون الأخبار ٢ : ٦٠ .
٦٩٧ البصائر والذخائر ٣ : ١٥٣ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٠ .

---

١ البصائر : أني له لمقرن .
٢ يجمز : يعدو .
٣ إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (ق : ٣٨) . وحشّت يده : يبست .

﴿ولَئِنْ سألْتَهُم لَيَقُولُنَّ إنَّما كنَّا نخوضُ ونَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وآياتِهِ ورسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ (التوبة : ٦٥) .

٦٩٨ – أبو نواس : [من الطويل]

خَلَعْتُ مُجوني واسترحْتُ من العَذْلِ ... وكنتُ وما لي في التَّماجُنِ من مِثْلِ
أيا ابنَ أبانٍ هل سمعتَ بفاسقٍ ... يُعَدُّ مع النُّساكِ فيما مضى قبلي
ألم تَرَ أني حين أغدو مُسبِّحاً ... بِسَمْتِ أبي ذَرٍّ وقلبِ أبي جهلِ
وأخشعُ في مشيي وأحفظ ناظري ... وسجادتي في الوجهِ كالدرهمِ البغلي
وآمرُ بالمعروفِ لا عن تَقِيَّةٍ ... وكيف وقَوْلي لا يُصدِّقُه فِعلي
ومِحبَرتي رأسُ الرّياء ودفتري ... ونعلايَ في كفيَّ من آلة الختلِ
أَؤمُّ فقيهاً ليس دهريَ فقهُهُ ... ولكن لديه المُرْدُ مُجتمعُ الشَّملِ
فكم أمردٍ قد قال والدُهُ له ... عليك بهذا إنه من أُولي الفضلِ
يفرُّ به من أن يُشاطرَ صاحباً ... كمن فَرَّ من حرِّ الجراحِ إلى القتلِ

٦٩٩ – كتب الحمدوني إلى صديق له حبس عليه دفاتره : [من الكامل]

ما بالُ كُتْبي في يديكَ رهينةً ... حُبِسَتْ علي كذا الزمان الأطولِ
ايذَنْ لها في الإنصرافِ فإنها ... كنزٌ عليه والزمانُ معوّلي
فلقد تغنَّتْ حين طالَ ثَواؤُها ... طالَ الثواءُ على رسوم المنزلِ

٧٠٠ – أبو بكر الخوارزمي : [من الكامل]

لا غرو من صيد الأمير بعده ... إن الأسود تصاد بالخرفان

---

٦٩٨ ديوان أبي نواس (الغزالي) : ٣١٦ .

٦٩٩ محاضرات الراغب ١ : ١٢٠ .

٧٠٠ يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٦ وصدر البيت الأول فيها : لا تعجبوا من صيد صعْوٍ بازياً . والصعو : العصفور الصغير .

قد غرَّقتْ أُملاكَ حِميَرَ فارةٌ   وبَعوضَةٌ قتلتْ بني كنعانِ

٧٠١ – قال المتوكل يوماً : أتعلمون ما عاب الناسُ على عثمان ؟ فقال بعض جلسائه : لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ قام أبو بكر على المنبر دون مَقامِهِ بِمِرْقاةٍ ، ثم قام عمرُ دون مقامِ أبي بكر بمِرْقَاة ، فلما وليَ عثمانُ صعد ذروة المنبر فقعدَ في مقعدِ رسول الله ﷺ فأنكروا عليه ذلك . فقال عُبادة : يا أميرَ المؤمنين ، ما أجدُ أعظمَ مِنَّةً عليك ولا أسبغَ معروفاً من عثمان . قال : وكيف ويلَكَ ؟ فقال : لأنه صعدَ ذروةَ المنبر ، ولولا ذلك لكان كلما قام خليفةٌ نزل عن مَقامِ من تقدَّمه مرقاةً لكنتَ تخطُبنا أنت من بئر جلولاء .

٧٠٢ – قُدِّمَ إلى عبادةَ رغيفٌ يابسٌ فقال : هذا نُسِجَ في أيام بني أمية ولكن مُحِيَ طرازُه .

٧٠٣ – قيل جاء ابن قريعة فاتفق أن مداماً كان يلعب بالأربعة عشر من يرسل له ، فانتظره إلى أن يفرغَ من دسته ، ثم نهض مدام فاستأذن له ، وخرجَ فأوْصلَه . وقال له الوزير : أين كنتَ ؟ قال : عند مدام ، قال : وماذا كان يصنع ؟ قال القاضي : كان مُقابلاً لخادمٍ آخرَ وبين أيديهما [دست] كشرائح البدور ، موزعة جنساً من الحبوب الرياحية على لونين مختلفين ، وفي أيديهما كفتان يصُكّان بهما الأرض صكّاً ، فإذا انتصبا ماثلين ، وتخالفا في الحالين ، سُرّ أحدُهما واستبشَرَ [واغتاظ الآخر] واستشاطَ ، وإذا اضطجعا في . . . . غُمَّ صاحبُهما إياساً ، ونكَّسَ رأسَه ، وهذى وَسْواساً ، ودعا عليهما ، ولا ذنبَ لهما . فقال المهلبي : لو نظم هذا شعراً لَحسُنَ .

٧٠٤ – وقال أبو إسحاق الصابي : كنّا ليلةً بحضرة الوزيرِ أبيْ محمّدٍ المهلبي

---

٧٠١ ربيع الأبرار ١ : ٦٨٧ .

٧٠٢ البصائر والذخائر ٧ : ٥٠ ونثر الدر ٥ : ٢٩٧ .

٧٠٣ الخبر غامض ومضطرب .

نتذاكرُ والقاضي أبو بكر بن قريعةَ حاضرٌ ، فأنشدتُ قطعةً من أراجيزِ المعاني أو غيرها ، فاستحسنها المهلبي ومَنْ حضر ، وأعجبَت القاضي ، فقال : يا أبا إسحاق من قائل هذه ؟ فقلتُ له عبثاً به : أبو العباس دُرُستُويه ؛ فقال : أبو العباس صاحب أبي سهل ديرويه ؟ قلت : نعم ؛ قال : وهو بهذه المنزلة من الأدب والعلم ؟ فقلت : وأكثر . وكان هذا الرجل طَغَامةً[1] ، وقد أوردت حكايات عنه في كتابي الذي ألّفتُهُ ولقَّبتُهُ ببدائع ما نجم من مختلفي كتّابِ العجم ، وهو الذي حضر مجلس أبي الفرج ابن فسانجس وهو جالس للعزاء بأبيه أبي الفضل وقد ورد نعيهُ من الأهواز ، وعند أبي الفرج رؤساءُ الدولة يُعزُّونه ، وقد قُلِّدَ الديوانَ مكانَ أبيه ، فلما تمكّنَ درستويه في مجلسه تباكى وقال : اللّهمَّ ارحمْ أبا الفضل ، كان تِربي ، وكان وكان ، وعدَّدَ كثيراً من أحواله ، ثم التفتَ إلى أبي الفرج وقال له : أطال الله بقاءَ سيِّدِنا ، دَعْ ما يقولُ الناسُ ، ورد كتابٌ بهذا ؟ فقال أبو الفرج : قد وردَتْ كتبٌ عِدَّةٌ ؛ فقال : دعْ هذا كلَّه ، ورد كتابُهُ بخطّه ؟ ما جلسنا للعزاء بكما ، وأطرقَ وهو كالمتبسم ، وضحك الحاضرون ، وانقطع العزاءُ ، ونهض أبو الفرج ولم يعد إلى مجلسه .

قال أبو إسحاق ، فقال القاضي : ما علمنا أن أبا العباس بهذه المنزلةِ من العلمِ ، فيجبُ أن نقصدَهُ ونأخذَ عنه فوائدَه ، ونستدعيَ ديوانَه ، ونكتبَ عنه . فقلت قصَّر القاضي حيث لم يفعل هذا إلى الآن . قال وانقطع المجلسُ وبكَّرَ القاضي وقصد دار درستويه ، واستأذنَ عليه ، وبدأه بالسلام ومعرفةِ خبرِه والاعتذارِ إليه من تقصيره في حقِّه ، وذاك يجيبُهُ بما يقتضيه لفظُهُ ، ثم قال له القاضي : كنّا البارحة بحضرة الوزير ، أطالَ الله بقاءه ، نسمر ، فأنشد صديقٌ للشيخ أرجوزةً من أراجيزه استحسنها الوزير أعزَّه الله وجميع من حضر ، فقلتُ ما يجب على مثلي من أصدقاء الشيخ وأودّائه من يستتبعُها بالوصف لها والطربِ عليها ، وموفيها الحقَّ من استحسانها بذلك المجلس ، وحضرت الآن لآخذَ هذه

---

[1] طغامة : أحمق .

الأرجوزةَ من فيه ، وأُضيفَ إليها من محاسنه ما تقرُّ عين مواليه ، واسأله إحضار ديوانه لأُطالعَهُ وأستزيدَ منه . فشخص درستويه لا يعلم ما يسمع ، ولا يدري بماذا يجيب ، وكان له ابنان يزيدان عليه في التخلّفِ ، فاستدعى الأصغرَ منهما وكان يُكنى أبا نصر ، وقال له : اسمع قولَ القاضي وانظرْ ما حاجته ؛ فسأل الصبيُّ القاضيَ عن حاجته ، واستشعر السخريةَ في القصة ، وأعاد ذكرَ الأرجوزة وما جرى ، واختصر اللفظَ وقلّل العبارةَ ، فلم يعلم الآخرُ مرادَه فأحضرا أخاه الأكبرَ ، وقال : القاضي يعيدُ على أخي ويذكرُ حاجتَه ؛ فاختصر القاضي اللفظَ جميعَه ، وذكرَ الأرجوزةَ ، فقطع عليه الكلام وقال : حسبُكَ ، قد عرفتُ ما أراد القاضي ، والتفتَ إلى أبيه فقال له بالفارسية : ولو يكلاه جورد ، وتفسيره يطلب خِرقة يعملُها قلنسوةً ، فقال الشيخُ : وكرامةً وعَزازة . ثم استدعى خازنه وتقدَّم إليه بأن يحملَ ما عنده من الخِرَقِ إلى بين يدي القاضي ليختار ما يريده . وكان درستويه هذا حسنَ التجمُّلِ ظاهرَ المروءة . فحمل الخازن رزمتين كبيرتين فيهما خرق من أصنافِ الديباجِ والسقلاطون والحلل . ففتح القاضي واختار منها عشرين خرقة تساوي عشرين ديناراً ، ووضعها في كُمِّه وقال : الله يطيلُ عمرَ الشيخ ، فإنه وولدَه بقيَّةُ الفضلِ في بلدنا . ونهض ودرستويه يشكره .

قال أبو إسحاق : وراح القاضي إلى دار المهلبي على رسمه واجتمعنا ، فقال : يا عيّارُ ، عملتَ عليَّ مكيدةً لم تضرَّني ، وأعاد الحديث على سرحه ، وأخرج الخرقَ من كُمِّه . فضحك المهلبي حتى فحص برجليه الأرض وضحك الحاضرون ، وردَّ الخرقَ إلى كُمّه ،

٧٠٥ — وكان القاضي يوماً بحضرة عضد الدولة ، فسمع استغاثة فقال : انظروا ما هي ! فقالوا : أحد العمال يُعرف بابن النَّفَّاطِ قد جَرَتْ له قصة أو معه . فعجب الملكُ من اللقبِ الذي نُسِب هذا الرجلُ إليه ، وكيف هو راضٍ بأن يُكتبَ نسبُهُ في رقاعه وحسابه وكتبه . فقال القاضي : أطال الله بقاءَ مولانا ، لقبُ تعريف . فقال عضد الدولة : يا قاضي ، ما معنى لقب تعريف ؟ فقال القاضي :

الألقاب ، أدام الله نعمةَ مولانا ، ثلاثة : لقب تعريف ولقب تشريف ولقب تسخيف ؛ فأما لقب التشريف فعضد الدولة وتاجُ المِلَّة ومُعِزُّ الأمّة وما أشبه ذلك ، وأما لقبُ التعريف فابنُ النفّاط وابنُ الخياط وابن الخرّاط وما أشبه ذلك . وأما لقب التسخيف فابن قطقط وابن زرقط وما أشبه ذلك . فضحك عضدُ الدولة وقال : القاضي مفتنٌّ في كل باب أدخلناه أحسن الخروج منه .

تم الباب السابع والأربعون



البَابُ الثّامِن وَالأربَعُون
في المُلَحِ وَالنّوادِر



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة والتوفيق وأسأله حسن الختام

الحمد لله الذي شرّفَنا بآدابه ، وضرب لنا الأمثالَ في كتابه ، وجعل لكلِّ خلقٍ حدّاً ، وبمقدار كلِّ ذنبٍ عقوبةً وَحَدّاً . نهانا عن اللهو ، ولم يؤاخِذْنا باللغو ، وأبرانا من الأوزار والمآثم ، ما لم نتعمَّدْ عاقداتِ العزائم ، مسامحةً منه وعطفاً ، إذ علم منا عجزاً عن إصدار الحدِّ وضعفاً . وصلواتُه على نبيِّه المخصوصِ بأسهلِ الشِّيَم وأشرفها ، وأرقِّ الأخلاق وألطفها ، ندب إلى تركِ الكُلوحِ والعبوس ، وحذَّرَ من اليومِ القمطريرِ العبوسِ ، مزج لنا في دعوته عُنفاً ورفقاً ، ومزح ولم يقلْ إلا حقّاً ، ونهانا عن الهزلِ جداً بنا وصدقاً ، وعلى آله ومتّبعيه ، أهلِ العزمِ الصريح ومبتغيه .

الباب الثامن والأربعون
في الملح والنوادر

النوادر رَوّاحَة ، وبها للمكدودِ استراحة ، لا سيما إذا أثقله عبء الجدِّ ، وعاد باحتماله كليل الحدّ . وهي صادرة عن مزح قد رُخِّص فيه ، ودعابةٍ لم يخلُ منها كل شريف ونبيه ؛ ولا بأس بها ما لم تكنْ سفهاً ، ولا غروَ والله عزَّ وجلَّ قد وعدَ في اللَّممِ بالتجاوزِ والعفوِ .

٧٠٦ – كان النبي ﷺ يمزحُ ولا يقولُ إلا حقاً .

٧٠٧ – وقيل لسفيان : المزاح هُجنَةٌ ؟ فقال : بل سنَّةٌ ، لقوله عليه الصلاة والسلام : إني لأمزح ولا أقولُ إلا الحقَّ .

٧٠٨ – ومن مزحه عليه الصلاة والسلام قوله لخوَّاتِ بن جبير الأنصاري ما فعل جملُك الشرودُ ؟ قال : عَقَلَه الاسلامُ .

٧٠٩ – وسمع ﷺ رجلاً يقول : [من الخفيف المجزوء]

هل عليَّ ويحكما إن لهوتُ من حرجِ

فقال : لا حرجَ إن شاء الله .

---

٧٠٦ نثر الدر ٢ : ١٠٣ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٨٢ والمستطرف ٢ : ٢٦٣ .
٧٠٧ ربيع الأبرار ٤ : ١٧٢ ونهاية الأرب ٤ : ٢ .
٧٠٨ نثر الدر ٢ : ١٣٢ .
٧٠٩ انظر نثر الدر ٢ : ١٣٩ .

وروي أنه قال هذا لسيرين[1] جارية حسان بن ثابت ، وكانت سيرينُ أختَ ماريةَ أمِّ ابنه إبراهيم عليه السلام . وكان المقوقسُ أهداهما إليه ﷺ ، فوهب سيرين لحسان وسمعها تغنّي بهذا الشعر في أُطُمِ حسّان ، فقال ذلك .

٧١٠ – وقال ﷺ لرجل استحمله : نحن حاملوك على ولد النوق قال : لا تحملني ، قال : أليس الإبل من ولد النوق ؟

٧١١ – وقال ﷺ : ينالُ العبدُ بحسنِ الخُلُقِ أجرَ الصائم القائم .

٧١٢ – ووجد ﷺ صُهيباً يوما وعينُه تشتكي ، فقال : يا صهيبُ تأكل التمرَ على علة عينك ؟ فقال يا رسول الله إنما آكلُه من شِقّي الصحيح . فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه .

٧١٣ – وأصبح ﷺ يوماً متغير الوجه ، فقال بعضُ أصحابه لأُضحكنّه ، فقال : بأبي أنت وأمي ، بلغني أنّ الدجالَ يخرجُ والناسُ جياعٌ فيدعوهم إلى الطعام ، أفترى إن أدركتُه أن أضربَ في ثريدته حتى اذا تضلّعتُ آمنتُ بالله وكفرتُ به أم أتنزّهُ عن طعامه ؟ فضحك ﷺ – وكان ضحكه التبسُّمَ – وقال : بل يُغنيكَ الله تعالى يومئذٍ بما يُغني المؤمنين .

٧١٤ – وقال ﷺ لامرأة من الأنصار : إلحقي زوجك ففي عينه بياض . فسعَتْ المرأةُ نحو زوجها مرعوبةً ، فقال لها : ما دهاك ؟ قالت : إن النبيّ ﷺ قال لي إن في عينك بياضاً . قال الرجل : إن في عيني بياضاً لا لسوء .

---

٧١٠ نثر الدر ٢ : ١٣٣ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٢ ونهاية الأرب ٤ : ٣ والمستطرف ٢ : ٢٦٣ .
٧١١ نثر الدر ٢ : ١٣٤ .
٧١٢ نثر الدر ٢ : ١٤٢ .
٧١٣ نثر الدر ٢ : ١٣٣–١٣٤ .
٧١٤ محاضرات الراغب ١ : ٢٨٢ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٢ ونهاية الأرب ٤ : ٣ والمستطرف ٢ : ٢٦٣ وانظر نثر الدر ٢ : ١٣١ .

---

[1] في الأصل : شيرين والتصحيح عن سيرة ابن هشام ونثر الدر .

٧١٥ – وأتَتْه عجوزٌ أنصاريةٌ فقالت يا رسول الله : ادعُ لي بالجنة ، فقال لها : أما علمتِ أنّ الجنَّةَ لا يدخلُها العجز ، فصرخَتْ ، فتبسَّمَ ﷺ وقال لها : أما قرأت ﴿إنّا أنْشَأناهنَّ إنْشاءً فجعلناهُنَّ أبكاراً عُرُباً أتْراباً﴾ (الواقعة : ٣٥ – ٣٧) .

٧١٦ – ورُوي أن رجلاً عدا على امرأة فقبلها فأتت النبي ﷺ فشكت ذلك إليه فقال : ما تقول هذه ؟ قال : صدقت يا رسول الله فأقِصَّها . فتبسَّمَ ﷺ وقال : أو لا تعودَ . فقال : لا أعودُ .

نظر إلى هذا المعنى ابن سيابة فقال من أبيات هزل فيها : [من المجتث]

لئن لُمتُكَ يوماً فأبصرَتْني رُخاصُ
هجرتَني وأتتني مسبَّةٌ وانتقاصُ
فهاك فاقتصَّ مني إن الجروح قِصاص

٧١٧ – نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أعرابيٍّ يُصلّي صلاةً خفيفة ، فلما قضاها قال : اللّهمَّ زوِّجْني بالحورِ العِين . فقال عمر : أسأتَ النقدَ وأعظمتَ الخِطبة .

٧١٨ – وقال علي عليه السلام : لا بأس بالفكاهة يخرجُ منها الرجلُ عن جِدِّ العُبوس .

٧١٩ – وأتاه رجلٌ برجلٍ فقال : إن هذا زعم أنه احتلمَ على أمّي ، فقال : أقمه في الشمس فاضربْ ظله .

---

٧١٥ محاضرات الراغب ١ : ٢٨٢ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٣ ونهاية الأرب ٤ : ٣ والمستطرف ٢ : ٢٦٣ وانظر نثر الدر ٢ : ١٣٠ .
٧١٦ نثر الدر ٢ : ١٤٠ وأبيات ابن سيابة في الأغاني ١٢ : ٨١ ونهاية الأرب ٤ : ٥٦ .
٧١٧ نثرالدر ٢ : ٣٠ ونهاية الأرب ٤ : ٣ والبصائر والذخائر ٦ : ١٣٨ .
٧١٨ نثر الدر ٢ : ١٣٤ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٨٢ لخالد بن صفوان .
٧١٩ نثر الدر ٢ : ١٣٤ وانظر محاضرات الراغب ١ : ٢٨٢ .

٧٢٠ – رُويَ عن أبي الدرداء أنه كان لا يتحدثُ إلا وهو يبتسمُ في حديثه .

٧٢١ – وكان ابن عباس رضي الله عنه إذا أُكثِرَ عليه في مسائل القرآن والحديث يقول : أحمضوا ، يريد خذوا في الشعر وأخبار العرب .

٧٢٢ – وقيل : ضاف سلمان الفارسي رحمه الله رجلٌ فقدم إليه كِسَراً وملحاً ، فلما أكلَ وشبع قال : رضيتُ بما قسم الله تعالى لك لم ترهن للزكاة .

٧٢٣ – وقال ابن عمر رضي الله عنه لجارية وأراد مزاحَها : خلقني خالقُ الكرامِ وخلقك خالقُ اللئام .

٧٢٤ – سئل النخعي : هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون ؟ قال : نعم والإيمان في قلوبهم مثلُ الجبالِ الرواسي .

٧٢٥ – وكان نعيمانُ أحدُ الصحابة البدريين مزّاحاً . رُوي أنه خرج مع أبي بكر رضي الله عنه فضحك ، وكان في الجملة سُوَيْبِطُ – وهو بدريٌّ أيضاً وكان سُوَيْبِطُ على الزاد – فقال نعيمان : أطعمني ، فقال لا حتى يأتيَ أبو بكر ، فقال نعيمان : والله لأُغيظنَّك ، وجاء إلى ناسٍ جلبوا ظهراً ، فقال : ابتاعوا مني غلاماً عربيّاً فارهاً ، وهو دَعَّاءٌ له لسان لعلّه يقول : أنا حرٌّ ، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعُوه لا تُفسدوا عليّ غلامي . قالوا : بل نبتاعُه منك بعشرِ قلائص . فأقبل

---

٧٢٠ نثر الدر ٢ : ١٣٣ .

٧٢١ انظر اللسان (حمض) .

٧٢٢ نثر الدر ٢ : ٧٤ . ويبدو أنه وقع سهو وخطأ من ناسخ التذكرة . والخبر على صحته كما في نثر الدر كما يلي : أضاف سلمان الفارسي رجلاً فقدم إليه كسراً وملحاً ، فقال : أما من جبن ؟ فرهن سلمان ركوته واشترى له خبزاً وجبناً ، فلما أكل وشبع قال : رضيت بما قسم الله لي . فقال سلمان : لو رضيت بما قسم الله لم تُرهن الركوة .

٧٢٣ نثر الدر ٢ : ١٤٥ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٤ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٨٢ .

٧٢٤ ربيع الأبرار ٤ : ١٦٨ والمستطرف ٢ : ٢٦٣ .

٧٢٥ نثر الدر ٢ : ١٣٥–١٣٦ وعيون الأخبار ١ : ٣١٦ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٣ ونهاية الأرب ٤ : ٣ .

بها يسوقُها وأقبلَ بالقوم حتى عَقَلها ، ثم قال لهم : دونكم ! هو هذا . فجاء القوم فقالوا : قد اشتريْنَاك ، فقال سُوَيْبِط : هو كاذب أنا رجل حرٌّ . قالوا : قد أخبَرَنا خبرَك . فوضعوا الحبل في عنقه وذهبوا به . فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأُخبر بذلك ، فذهب هو وأصحابٌ له فرَدُّوا القلائصَ ، وأخبروا بذلك رسولَ الله ﷺ فضحك منه حولاً .

٧٢٦ – وأهدى نُعيمانُ إلى النبي ﷺ جرَّةَ عسلٍ اشتراها من أعرابيّ بدينار ، وأتى بالأعرابي بابَ النبي ﷺ وقال : خذِ الثمنَ من ههنا . فلما فتحها النبي ﷺ نادى الأعرابيُّ : ألا أُعطى ثمنَ عسلي ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : إحدى هناتِ نُعيمانَ ، وسأَلَه : لِمَ فعلتَ هذا ؟ قال : أردتُ بِرَّكَ ولم يكنْ معي شيءٌ . فتبسم النبي ﷺ وأعطى الأعرابيَّ حقه .

٧٢٧ – شكى عُيَيْنة بنُ حصن إليه صعوبةَ الصيام عليه ، فقال : صمْ بالليل . وروي أنه دخل عيينةُ على عثمان وهو يُعطي في شهر رمضان ، فقال : العَشاء ! فقال : أنا صائم . قال عثمان : أتصومُ بالليل ؟ قال : هو أخفُّ عليّ . فيقال إن عثمان قال : إحدى هنات نُعيمان .

٧٢٨ – ومرَّ نُعيمانُ يوماً بمخْرَمة بن نوفل الزبيري وهو ضرير فقال له : قُدني حتى أبولَ . فأخذ بيده حتى إذا كان في مؤخَّر المسجد قال : اجلسْ ، فجلس يبول . وصاح به الناسُ يا أبا المِسْوَر ، إنك في المسجد . فقال : من قادني ؟ قيل : نُعيمانُ ؛ قال : لله عليّ أن أضربَه ضربةً بعصايَ إن وجدتُه . فبلغ ذلك نعيمانَ ، فجاء يوماً فقال يا أبا المِسْوَر : هل لك في نعيمان ؟ قال : نعم ، قال : هو ذا يصلي ، وجاء بيده وأتى به إلى عثمان وهو يُصلّي ، فقال : هذا نُعيمان ، فعلاه بعصاه ، وصاح به الناسُ

---

٧٢٦ نثر الدر ٢ : ١٣٦ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٣ ونهاية الأرب ٤ : ٤ .

٧٢٧ نثرالدر ٢ : ١٤١–١٤٢ .

٧٢٨ نثر الدر ٢ : ١٤٣ وعيون الأخبار ١ : ٣٢٠ ونهاية الأرب ٤ : ٤ والمستطرف ٢ : ٢٦٣ .

ضربتَ أميرَ المؤمنين . فقال : من قادني ؟ قال : نُعيمان قال : لا جرَمَ لا عرضتُ له بشرٍّ أبداً .

٧٢٩ – وقال عطاء بن السائب : كان سعيد بن جبير يقُصُّ علينا حتى يبكيَنا وربما لم يقُمْ حتى يُضحكَنا .

٧٣٠ – قيل إن عمر بن عبد العزيز لم يمزحْ بعد الخلافة إلا مرتين : إحداهما أن عديَّ بنَ أرطأةَ كتب إليه يستأذِنُهُ في أن يتزوَّجَ ابنةَ أسماءَ بنِ خارجة ، فكتب إليه عمر : أما بعد فقد أتاني كتابُك تستأذنُ في هندٍ ، فإن يك بك قوة فأهلُك الأوّلون أحقُّ بك وبها ، وإن يكُ بك ضعفٌ فأهلُكَ الأوّلونَ أعذرُ لك ، ولكن الفزاري والسلام . يريد بذلك قول الفزاري : [من البسيط]

إنّ الفزاريَّ لا ينفكُّ مُغتلما من النواكة دُهْداراً بدُهْدار[1]

وأما الثانية[2] فإن رجلاً من أهل أمجٍّ [يقال له حُميد] هجاه ابن عم له فقال : [من المتقارب]

حميدُ الذي أمجٌّ دارُه أخو الخمر والشيبة الأصلعُ

فقدم حُميدٌ بعد ذلك على عمر [فلم يعرفه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حميد . فقال عمر :] الذي أمجٌّ دارُه . فقال : والله ما شربتُها منذ عشرين سنة . فقال : صدقتَ ، وإنما أردتُ ان أبسُطَك . وجعل يعتذر إليه .

---

٧٢٩ المستطرف ٢ : ٢٦٣ .
٧٣٠ نثر الدر ٢ : ١٥٤–١٥٥ ومجمع الأمثال ١ : ٢٦٧ والبيت لابن دارة كما في مجمع الأمثال .

---

١ في الأصل : تهداد بتهداد والتصويب عن نثر الدر ومجمع الأمثال . ودهداراً بدهدار : باطل في باطل .

٢ ما بين قوسين زيادات من نثر الدر وبدونها لا يفهم الخبر .

٧٣١ – سأل رجل الشعبيَّ عن المسْحِ على اللّحيةِ فقال : خَلِّلْها بأصابعك فقال : أخافُ أن لا تَبُـلَّها . قال الشعبيّ : إن خفْتَ فانقَعْها من أولِّ الليل .

٧٣٢ – وسأله آخرُ هل يجوز للمحرم أن يحكَّ بدنَه ؟ قال : نعم ؛ قال : مقدار كم ؟ قال : حتى يبدوَ العظم .

٧٣٣ – وروي في حديث النبي ﷺ تسحَّروا ولو بأن يضعَ أحدُكم إصبعه على التراب ثم يَضعُها في فيه . فقال رجل : أي الأصابع ؟ فتناول الشعبي [إبهام رجله] وقال : هذه . وأشار بيده إلى المرأة[١] .

٧٣٤ – قيل لسفيان الثوري : المزحُ هُجنَةٌ ؟ قال : بل سنَّةٌ .

٧٣٥ – وجاء رجل إلى أبي حنيفة رضي الله عنه فقال له : اذا نزعتُ ثيابي ودخلتُ النهرَ لأغتسلَ ، فإلى القبلة أفضلُ أتوجه أم إلى غيرِها ؟ فقال له : الأفضلُ أن يكونَ وجهُكَ إلى ثيابك التي تنزَعُها لئلا تُسرَقَ .

٧٣٦ – قال عثمان الصيدلاني : شهدت إبراهيم الحربي وقد أتاه حائكٌ يومَ عيدٍ فقال : يا أبا إسحاق ، ما تقولُ في رجلٍ صلّى صلاةَ العيدِ ولم يشترِ ناطفاً ، ما الذي يجب عليه ؟ فتبسَّمَ إبراهيم ثم قال : يتصدقُ بدرهمين . فلما مضى قال : ما علينا أن نُفرِّحَ المساكين من مال هذا الأحمق .

---

٧٣١ نثر الدر ٢ : ١٤٥ وربيع الأبرار ١ : ٦٩١ .
٧٣٢ نثر الدر ٢ : ١٤٥ .
٧٣٣ نثر الدر ٢ : ١٤٥ وربيع الأبرار ١ : ٦٩١ .
٧٣٤ مرّ قول سفيان هذا في ما تقدم فقرة رقم ٧٠٧ .
٧٣٥ نثر الدر ٢ : ١٤٥ وربيع الأبرار ١ : ٦٩١ .
٧٣٦ نثر الدر ٢ : ٢٤٧ وربيع الأبرار ٢ : ٥٤١–٥٤٢ والبصائر والذخائر ٤ : ١٣٩ .

---

١ هذه العبارة من خبر آخر عن الشعبي في نثر الدر ٢ : ١٤٥ : دخل رجل على الشعبي وهو في المسجد ومعه امرأة فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال : هذه ، وأشار إلى المرأة .

٧٣٧ – أقرَّ رجلٌ عند شُرَيْحٍ بشيء ثم ذهبَ لِيُنكرَ ، فقال شريح : فقد شهد عليك ابن [أخت] خالتك .

٧٣٨ – واشترى رجلٌ من رجلٍ شياهاً فإذا هي تأكلُ الذبابَ ، فخاصمه إلى شُرَيحٍ فقال : لبن طيِّبٌ وعلفٌ مجانٌ .

٧٣٩ – قال الأعمشُ لجليسٍ له : تشتهي بنانيّ[1] زرقَ العيونِ ، بيضَ البطونِ ، سودَ الظهور ، وأرغفةً باردةً لينةً وخلاً حاذقاً ؟ قال : نعم قال : فانهض بنا . قال الرجل : فنهضت معه . ودخل ودخلتُ معه ، فقال : جُرَّ تلك السلَّةَ ، فكشطتُها فإذا فيها رغيفان يابسان وسَكُرّجَةُ كامخٍ نبيتٍ ، فجعل يأكل وقال : تعالَ وكُلْ . قال ، فقلت : فأين السمك ؟ قال : ما قلتُ لك عندي وإنما قلتُ لك : تشتهي ذلك ؟

٧٤٠ – قال المنصورُ يوماً لعبدالله بن عياش المنتوف : قد بغَّضَتْ إليّ صورتُك عِشرتَك ، وكفرتُ بالله لئن نتفتَ شعرةً من لحيتِكَ لأقطعَنَّ يدك . فأعفاها حتى اتّصلَتْ . فكان عنده يوماً وحدّثه بأحاديثَ استحسنها ، فقال له : سلْ حاجتَك . فقال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، لحيتي تُقطِعُني إياها أعملُ بها ما أريد . فضحك المنصور وقال له : قد فعلتُ .

٧٤١ – مرّ شُرَيحٌ برجل بمجلس لهَمْدَانَ فسلّمَ فردّوا السلامَ عليه ، وقاموا فرحَّبوا به ، فقال : يا معشرَ همدان ، إني لأعرفُ أهل بيتٍ منكم لا يَحلُّ لهم

---

٧٣٧ نثر الدر ٢ : ١٥١ وعيون الأخبار ١ : ٣١٧ .
٧٣٨ نثر الدر ٢ : ١٥١ والبصائر والذخائر ٦ : ٦٥ .
٧٣٩ الحيوان ٣ : ١٨ ونثر الدر ٢ : ١٥١–١٥٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٤٣ .
٧٤٠ نثر الدر ٢ : ١٤٩ .
٧٤١ نثر الدر ٢ : ١٥١ .

---

[1] البُنّي : ضرب من السمك .

الكذب . قالوا : من هم يا أبا أمية ؟ فقال : ما أنا بالذي أُخبرُكم . فجعلوا يسألونه وتبعوه ميلاً أو قرابة ميل يقولون : يا أبا أمية من هم ؟ وهو يقول : لا أُخبرُكم . فانصرفوا عنه وهم يتلهّفون [ويقولون] : ليته أخبرنا بهم .

٧٤٢ – وحج الأعمش فلما أحرم لاحاهُ الجمّالُ في شيء فرفعَ عُكّازَه فشجَّه بها ، فقيل له : يا أبا محمد وأنت محرم ؟ قال : إن من تمام الإحرام شجَّ الجمّال .

٧٤٣ – وقال ابن عياش : رأيتُ على الأعمش فروةً مقلوبةً صوفها إلى خارج ، فأصابنا مطرٌ فمررنا على كلبٍ فتنحّى الأعمشُ وقال : لا يحسَبْنا شاة .

٧٤٤ – وقال عيسى بن موسى ، وهو يلي الكوفة ، لابن أبي ليلى : اجمَع الفقهاء واحضُروني . فجاء الأعمشُ في جبةِ فروٍ ، وقد ربط وسطه بشريط ، [فأبطأوا] فقام [الأعمش] وقال : إن أردتُم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلُّوا سبيلَنا . فقال عيسى لابن أبي ليلى : قلت لك تأتيني بالفقهاء فجئتني بهذا ؟ فقال : هذا سيّدُنا الأعمش .

٧٤٥ – وقيل للأعمش ما تصنع عند مُظهرٍ أخي يقطين ؟ فقال : آتيهِ كما آتي الحُشَّ إذا لي إليه حاجة .

٧٤٦ – وكان بين الأعمش وبين امرأته وحشة ، فسأل بعض أصحابه ان يُرضِيَها ويُصلحَ بينهما . فدخل إليها وقال : إن أبا محمد شيخُنا وفقيهُنا ، فلا يزهّدنَّك فيه عمشُ عينه وحموشةُ ساقيه ، وضعفُ ركبتيه ، وقزل رجليه ، ونتوء جبينه ، وبخر فيه . فقال الأعمش : قم عنا قبَّحك الله فقد أرَيْتَها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وتبصره .

---

٧٤٢ نثر الدر ٢ : ١٤٤ .
٧٤٣ نثر الدر ٢ : ١٤٧ والبصائر والذخائر ٨ : ٩٨ .
٧٤٤ نثر الدر ٢ : ١٤٦ والبصائر والذخائر ٨ : ٢٠٨ ووفيات الأعيان ٢ : ٤٠١ .
٧٤٥ نثر الدر ٢ : ١٥٠ ووفيات الأعيان ٢ : ٤٠١ .
٧٤٦ وفيات الأعيان ٢ : ٤٠١ والمستطرف ٢ : ٢٦٨ .

٧٤٧ – كان ابن أبي عتيق – وهو عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق – مع عفافه وشرفه وورعه ماجناً ظريفاً له نوادرُ مستظرَفةٌ تكادُ أن تبلغَ به حدَّ الخلاعة .

قالت له جاريته يوماً : إن فلاناً القارىء – وكان يظهر النُّسكَ – قد قطع عليّ الطريقَ وآذاني ويقول لي : أنا أحبُّكِ . فقال لها : قولي له : وأنا أيضاً أحبُّكَ ثم واعديه المنزل . ففعلَتْ وأدخلَتْه المنزلَ ؛ وكان قد واعدَ جماعةً من أصحابه ليضحكوا من الرجل . ودخلَتِ الجاريةُ إلى البيت الذي فيه الرجلُ ، فدعاها فاعتلَّتْ عليه فاحتملها وضربَ بها الأرضَ ، فدخل عليه ابنُ أبي عتيقٍ وأصحابُه وقد تَورَّكَها . فخجل وقام ، وقال : يا فُسَّاقُ ، ما تجمَّعتم ههنا إلا لريبة . فقال ابنُ أبي عتيق : استُرْ علينا ستر الله عليك .

٧٤٨ – ومر ابن أبي عتيق بعبدالله بن عمر فقال له : ما تقول في إنسانٍ هجاني فقال لي : [من الكامل المرفل]

أذهبتَ مالَك غيرَ مُتَّركٍ ... في كل مومسةٍ وفي الخمرِ[1]
ذهبَ الإله بما تعيشُ به ... وبقيتَ وحدَك غيرَ ذي وَفرِ

فقال : أرى أن تأخذَ بالفضل وتَصفحَ . فقال له ابن أبي عتيق : أنا والله أرى غير ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أرى أن أنيكَه . فقال : سبحانَ الله ، ما تتركُ الهزلَ ! وافترقا ثم لقيه ابنُ أبي عتيق بعدما ظنّ أن ابنَ عمر قد نسيَ ، فقال له : أتدري ما فعلتُ بذلك الانسان ؟ قال : أيُّ إنسان ؟ قال : الذي أعلمتُك أنه هجاني ؛ قال :

---

٧٤٧ الأغاني مع اختلاف في الرواية ١٢ : ١٥٢–١٥٣ ونثر الدر ٧ : ٣٣١ والعقد ٢ : ٧١ ونهاية الأرب ٤ : ٦–٧ والحكاية فيه أطول كثيراً .

٧٤٨ نثر الدر ٧ : ٣٣٣ والعقد ٢ : ٤٧١ ونهاية الأرب ٤ : ٥ وانظر ربيع الأبرار ٤ : ١٧٤ .

---

[1] نهاية الأرب : مؤنسة بدلاً من مومسة .

ما فعلتَ به ؟ قال : كل مملوكٍ لي حرٌّ إن لم أكنْ نِكتُه . فأعظمَ ذلك ابنُ عمر واضطرب ؛ فقال له ابن أبي عتيق : امرأتي والله التي قالت الشعرَ وهجتني . وامرأته أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله .

٧٤٩ – وقع بين حيين من قريش منازعة ، فخرجت عائشة – رضي الله عنها – على بغل لها فلقيها ابن أبي عتيق فقال : إلى أين جُعلتُ فِداك ؟ قالت : أُصلحُ بين هذين الحيين ؛ فقال : والله ما غسلنا رؤوسَنا من يومِ الجملِ ، فكيف إذا قيل يوم البغل ؟ فانصرفت .

٧٥٠ – كان ابن أبي عتيق يتعشى ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجرٌ في الدار وآخرُ وثالثٌ ، فقال لجاريته : اخرجي فانظري اذّنوا للمغرب ! فخرجت وجاءت بعد ساعة فقالت : أذنوا وصلّوا . فقال له الرجل الذي كان عنده : أليس قد صلَّينا قبل أن تدخلَ ؟ قال : بلى ، لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرُجمنا إلى الغداة . قال : أفهمت ؟ قال : نعم فهمت .

٧٥١ – كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : غفر الله له وأراحنا منه .

٧٥٢ – جاء رجل إلى الشعبي فقال : أصاب ثوبي التوت ، قال : اغسله ، قال : بمَ أغسله ؟ قال : بالخلّ والأَنْجُذَان .

٧٥٣ – مرّ أبو سفيان بعد إسلامه بأحُدٍ فقيل له : أي ملك[1] ههنا ؟ قال : والآن لو وجدت رجالاً .

وهذا الكلام وإن كان ظاهرُه المزحَ فغير مُستبدَعٍ من أبي سفيان أن يكون جِدّاً .

٧٤٩ نثر الدر ٧ : ٣٣٣ .
٧٥٠ نثر الدر ٧ : ٣٣٤ ونهاية الأرب ٤ : ٧ .
٧٥٢ ربيع الأبرار ١ : ٦٩١ .
٧٥٣ ربيع الأبرار ١ : ٥٥٩ .

[1] ربيع الأبرار : أي يوم لك . . .

٧٥٤ – قال رجل لأبي يعقوب فقيه سجستان : إذا شيَّعْنا جنازة فقدّامُها أفضلُ أن نمشي أم خلفها ؟ فقال : اجهَدْ أن لا تكونَ عليها وامشِ حيث شئت .

٧٥٥ – قيل للأعمش : ما أعمش عينيك ؟ فقال : النظر إلى الثقلاء .

٧٥٦ – ماشى شُرَحبيل بن السمط معاوية فراثت دابّتُه ، وكان عظيمَ الهامة بسيطَ القامة ، فقال له معاوية : يا أبا يزيد ، يقال إن الهامةَ إذا عظُمَتْ دلَّتْ على وفورِ الدماغ وصحّةِ العقل . فقال : نعم يا أمير المؤمنين إلا هامتي فإنها عظيمة وعقلي ناقص ضعيف . فتبسَّم معاويةُ وقال : كيف ذلك لله درُّك ؟ قال : لإقضامي هذا النائكَ أمَّه مكوكَيْ شعير . فضحك وحمله على دابَّةٍ من مراكبه .

٧٥٧ – أكل عُذريٌّ مع معاوية فرأى ثريدة كثيرة السمن فجرّها بين يديه فقال معاوية : ﴿أخرَقْتَها لِتُغرِقَ أهلَها﴾ (الكهف : ٧١) فقال : ﴿فسُقْناهُ إلى بلدٍ ميِّتٍ﴾ (فاطر : ٩) .

٧٥٨ – وروي عن بعض المسجونين قال : كنا مع ابن سيرين في السجن فكان يمر بنا ونحن نلعب الشطرنج فيقوم قائماً فيقول : ادفع الفرس ! افعل كذا ! .

٧٥٩ – ويروى أن ابن سيرين كان ينشد : [من البسيط]

نُبِّئْتُ أنّ فتاةً كنتُ أَخطبها ... عرقوبُها مثلُ شهرِ الصَّومِ في الطولِ

ويضحك حتى يسيلَ لعابُه .

٧٦٠ – وقد روي عن سعيد بن المسيب أنه قال : كنت ألعبُ الشطرنجَ مع

---

٧٥٤ ربيع الأبرار ١ : ٦٩١ وفيه «ليعقوب» .
٧٥٥ قارن بوفيات الأعيان ٢ : ٤٠١ .
٧٥٧ نثر الدر ٢ : ١٦٩ .
٧٥٨ المستطرف ٢ : ٢٦٤ .
٧٥٩ عيون الأخبار ١ : ٣١٧–٣١٨ وبهجة المجالس ١ : ٥٦٧ والمستطرف ٢ : ٢٦٤ .
٧٦٠ المستطرف ٢ : ٢٦٤ .

صديق لي في بيته حين خفتُ الحجاج .

٧٦١ – قال الأصمعي : شُهِرتُ بالأدبِ ، ونلتُ بالمُلَح .

٧٦٢ – وقد مَدح الشعراءُ اللعبَ في موضعه كما مُدحَ الجِدُّ في موضعه . قال الأُبَيْرِد : [من الطويل]

إذا جَدَّ عند الجِدِّ أرضاكَ جِدُّه   وذو باطلٍ إن شئتَ ألهاك باطلُهْ

وأنشد أبو تمام : [من الكامل]

الجدُّ شيمتُهُ وفيه فكاهةٌ   طوراً ولا جِدٌّ لمن لم يلعبِ

٧٦٣ – قيل للشعبي : كيف بتَّ البارحة ؟ فطوى كساءه في الأرض ثم نام عليه وتوسَّدَ يده وقال : هكذا أبيتُ .

٧٦٤ – قال المأمون ليحيى بن أكثم : يا أبا محمد من الذي يقول : [من المنسرح]

قاضٍ يرى الحدَّ في الزناء ولا   يرى على من يَلوطُ من باسِ

قال : من لعنه الله ، أوما تعرفه يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا . قال : هو أحمد بن [أبي] نُعيم الذي يقول : [من المنسرح]

لا أحسب الجور ينقضي وعلى الـ   أمّـة والٍ من آلِ عبّـاسِ

فخجل المأمون وقال : لعنه الله ! يُنفى إلى السند .

---

٧٦١ محاضرات الراغب ١ : ٣٧ وربيع الأبرار ٤ : ١٦٩ .

٧٦٢ البيتان في نهاية الأرب ٤ : ٥ والأول في الأغاني ٨ : ١٨٤ وينسب إلى الأبيرد الرياحي وأم يزيد ابن الطثرية وأخته والعجير السلولي ووحشية الجرمية ، وفي عيون الأخبار ١ : ٣١٨ دون نسبة وصدره فيه : «أخو الجد ان جاددت أرضاك جده» وبيت أبي تمام في ديوانه (بيروت) : ١٩ .

٧٦٣ البصائر والذخائر ٥ : ٦٥ وربيع الأبرار ٤ : ٣٣٤ .

٧٦٤ محاضرات الراغب ١ : ١٩٨–١٩٩ والعقد ٤ : ٣٥ ومروج الذهب ٤ : ٣١٧–٣١٨ ووفيات الأعيان ٦ : ١٥٣ .

٧٦٥ – وأَوْلَم المتوكل فلما أراد اللعب قال ليحيى بن أكثم : انصرف ، قال : لِمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنا نخلط ، فقال : أحوج ما تكونون إلى قاضٍ إذا خلّطتم . فاستظرفه المتوكلُ وأمر بغلف لحيته ، ففعل . فقال : إنّا لله ، ضاعَتْ الغاليةُ ، هذه كانت تكفيني دهراً لو دفعت إلي . فضحك المتوكلُ وأمر له بزورقٍ ذهبٍ مملوءٍ غاليةً ودُرج بُخور في كُمْه وانصرف .

٧٦٦ – واستأذن يحيى على المتوكل وهو يلعبُ مع الفتح بن خاقان بالنرد ، فغُطِّيَتْ الرقعةُ بمنديل . فقال له المتوكل : إني كنتُ ألاعبُ الفتحَ فكرِهَ دخولَك واحتشَمَك ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن خاف أن أُعلّمك عليه ، فضحك وأمر له بمال .

٧٦٧ – وقال عُبادةُ ليحيى بن أكثم ، وهما عند المأمون : علمني فرائض الصلب فإني أشتهيها . فقال المأمون وتبسَّم : ما تقول في مسألته ؟ قال : قد أخطأ إنما يسأل هذا في الصبا ، أما سمع قول القائل : [من السريع]

وإنّ مَن أدّبْتَه في الصبا كالعودِ يُسقى الماءَ في غرسِهِ

انما يُعلَّم الحدث بشرط أن يكون وضيئاً زكياً سهلَ الأخلاق ، فإن كان له ابن بهذا الشرط علمناه . وقال عبادة : لو دخلتَ في صناعتنا لم يقُمْ بك[١] أحد . فقال يحيى : فأنا خارج عنها وما بأحد عليّ قوة .

٧٦٨ – ما سُمع للمهتدي مزحةٌ سوى قولِهِ لسليمان بن وهب ، وفي رجله خفٌ واسعٌ يصوِّتُ : يا سليمانُ خفُّك هذا ضرّاطٌ ، وهو يعرض بضرطة وَهْبٍ

---

٧٦٥ نثر الدر ٢ : ١٥٠ .

٧٦٦ نثر الدر ٢ : ١٤٨ .

٧٦٧ محاضرات الراغب ١ : ١٣٦ والبيت في العقد ٢ : ١٣٦ لصالح بن عبد القدوس .

٧٦٨ انظر محاضرات الراغب ٣ : ٢٧٧ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٤ وثمار القلوب : ٢٠٩ .

---

[١] محاضرات : لم يقربك .

التي طارَ خبرُها في الآفاق وعلى ألسُنِ الشعراء . فقال : يا أمير المؤمنين ضرطة خير من ضغطة .

٧٦٩ – سئل الشعبي عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف . فقيل له : ما تقول في [أكل] الذباب ؟ قال : إن اشتهيتَه فكله .

٧٧٠ – كان القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن قريعة من أهل الأدب والفضل والعلم ، وكان حلوَ المداعبة وله نوادرُ مدونةٌ . وكان في دار المهلبي وقد نزع القاضي دنّيته[1] وتركها إلى جنبه . فجاء أبو إسحاق الصابي وجلس إلى جانبه وأخذ المروحة ليتروح وضرب الدنّيَةَ بالمروحة دفعاتٍ كأنه ينفُضُها من التراب ، والقاضي في الصلاة ، فخفَّف ثم قال له : يا أبا إسحاق أما إنها لو كانت في مقرٍّ عزِّها لعزَّ عليك ما هان من أمرها . ثم عاد إلى صلاته .

٧٧١ – صَنَّف المرتضى كتاباً وسماه الذخيرة فاستعاره البصروي ينسخُه ، فلما أراد الخروج قال له المرتضى : يا أبا الحسن ، الذخيرةُ عندك ؟ فعاد وقال : يا سيِّدَنا ، هذا الكتاب ! فقال له : لم عُدتَ وأخرجت الكتاب ؟ فقال له : يا سيِّدَنا ، تقول لي بمحضرٍ من السادة الأولاد : الذخيرة عندك ! ما الذي يؤمِّنُني من مطالبتهم بعد أيام ؟ فتبسم المرتضى .

وإذ قد ذكرتُ جملةً من مَزْحِ الأفاضِلِ والاشراف وفكاهتهم ، وذكرتُ في آخر كلِّ بابٍ نوادرَ تُناسبُه وتَليقُ به ، فأنا أُثبتُ ههنا من النوادر ما شذَّ عن تلك الأبواب وأَنسبُهُ إلى قائله ، وأُفرِدُ كلَّ جنسٍ منهم بفصل ، فيشتملُ البابُ بعد الفصل على اثني عشر فصلاً وهي : نوادر الأعراب ، نوادر الشعراء

---

٧٦٩ نثر الدر ٢ : ١٤٤–١٤٥ والبصائر والذخائر ٧ : ١٠٨ ومحاضرات الراغب ١ : ١٣٦ .

٧٧١ للمرتضى كتاب بعنوان «الذخيرة في الأصول» . انظر ثبت مؤلفاته في مقدمة «أمالي المرتضى» : ١٣ .

---

[1] الدنية : قلنسوة القاضي .

والأدباء ، نوادر الظرفاء ، نوادر المواجن النساء ، نوادر في التعصّب والتحزّب ، نوادر المخنثين ، نوادر ذوي العاهات ، نوادر البلغاء ، نوادر الأغبياء والجهلاء وتصحيفهم وغلطهم وغيّهم ، نوادر المتنبّين والقُصّاص والممخرقين ، نوادر المجانين ، نوادر السِّفلة وأصحاب المهن والسوقة .

نوادر الأعراب

٧٧٢ – عشق أعرابي يُكنى أبا الصباح أعرابية فجعل يطلبها ولا تمكّنه حتى تزوَّجَها ؛ فلما أراد عجز عنها فقال : [من الرجز]

كان أبو الصباح ينزو في وهق   من شدة النَّعْظ ومن طول القلق

حتى إذا صادف جحراً ذا طبق   مارسه حتى إذا ارفض العرق

٧٧٣ – سُئل أعرابي عن جارية يقال لها زهرة فقيل له : أيَسرُّكَ أنّك الخليفةُ وأنّ زهرةَ ماتت ؟ فقال : لا والله تذهبُ الأمةُ وتضيعُ الأُمَّةُ .

٧٧٤ – أقبل عُيَيْنَةُ بن حصن الفزاري قبل إسلامه إلى المدينة ، فلقيه ركبٌ خارجون منها ، فقال لهم : أخبروني عن هذا الرجل (يعني النبي ﷺ) فقالوا : الناسُ فيه ثلاثةٌ : رجل أسلم فهو معه يُقاتل قريشاً والعربَ ، ورجلٌ لم يسلمْ فهو يقاتلُهُ وبينهم التذابح ، ورجلٌ يظهرُ له الاسلام إذا لقيه ويظهر لقريش أنه معهم . قال : ما يسمى هؤلاء ؟ قالوا : المنافقون . قال : ليس فيمن وصفتُم أحزمُ من هؤلاء ، أشهِدُكم أني من المنافقين .

٧٧٥ – قال الأصمعي : مر أعرابي بقوم[1] يختصمون [فقال : في ماذا

---

٧٧٣ نثر الدر ٦ : ٤٨٣ ونهاية الأرب ٤ : ٧ .
٧٧٤ نثر الدر ٦ : ٤٧٩ وعيون الأخبار ٣ : ٧٣ .
٧٧٥ نثر الدر ٦ : ٤٧٩ .

---

١ في الأصل : قال الأصمعي لقوم يختصمون . . . والتصويب عن نثر الدر .

يختصمون ؟] ، قالوا : في مسيل ماء ؛ قال : والله ما بُلتُ في موضع مرتين .

٧٧٦ – خرج المهدي يتصيد فعار به فرسُه حتى دفعَ إلى خباءِ أعرابي ، فقال : يا أعرابي هل من قرى ؟ قال : نعم ، وأخرج فضلةً من لبنٍ في كرشٍ فسقاه . ثم أتاهُ بنبيذٍ في زُكْرة فسقاه قَعْباً ، فلما شرب المهديُّ قال : أتدري من أنا ؟ قال : لا والله ، قال : أنا من خدم الخاصّة ، قال : بارك الله لك في موضعك . ثم سقاه آخر فشربه ، ثم قال : يا أعرابي أتدري من أنا ؟ قال : نعم زعمتَ أنك من خدم الخاصة ، قال : بل أنا من قُوّاد أمير المؤمنين ، قال : رحُبَتْ بلادُك وطاب مزادك . ثم سقاه قدحاً ثالثاً فلما فرغ منه قال : يا أعرابي أتدري من أنا ؟ قال : زعمتَ آخراً أنك من القُوّاد ، قال : لا ولكني أميرُ المؤمنين . فأخذ الأعرابي الزُكْرَةَ فأوْكاها وقال : والله لئن شربتَ الرابع لتقولنَّ إنك لرسولُ الله . فضحك المهدي وأحاطت بهم الخيل ، ونزل إليه الملوك والأشراف ، فطار قلبُ الأعرابي فقال له : لا بأس عليك ؛ وأمر له بصلة . فقال : أشهدُ أنك لصادق ، لو ادعيت الرابعة لخرجت منها .

٧٧٧ – قال بعضهم : رأيتُ أعرابياً في بعضِ أيامِ الصيفِ قد جاء إلى نهرٍ وجعل يغوصُ في الماء ، ثم يخرج ، ثم يغوص ، ثم يخرج ، وكلما خرج مرّة حلَّ عُقدةً من عُقَدٍ في خيطٍ كان معه . فقلت : ما شأنك ؟ قال : جنابات الشتاء أحسبهن كما ترى وأقضيهنَّ في الصيف .

٧٧٨ – عضَّ ثعلبٌ أعرابياً فأتى راقياً ، فقال له الراقي : ما عضّك ؟ قال : كلبٌ واستحى أن يقولَ ثعلب . فلما ابتدأ يرقيه قال : اخلط به شيئاً من رُقْيَة الثعلب .

٧٧٩ – وقال بعضهم : صلّيْتُ في مسجد باهلةَ بالبصرة ، فقام أعرابي يسأل ، فأمر له إنسانٌ منهم برغيفين ، فرآهما صغيرين رقيقين فلم يأخذهما

---

٧٧٦ نثر الدر ٦ : ٤٧٢ ونهاية الأرب ٤ : ٨ والمستطرف ٢ : ٢٦٥ .

٧٧٧ نثر الدر ٦ : ٤٨٥ وربيع الأبرار ٤ : ١٧٥ والمستطرف ٢ : ٢٦٥ .

٧٧٨ نثرالدر ٦ : ٤٨٨ .

٧٧٩ نثر الدر ٦ : ٤٨٨ والبصائر والذخائر ٢ : ٢١٤ .

ومضى وجاء برغيفٍ كبيرٍ حسَنٍ وقال : يا باهلةُ ، استفحلوا هذا الرغيفَ بخبزكم فلعله يُنجب .

٧٨٠ – قرأ إمام في صلاة ﴿إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير : ١) فلما بلغ إلى قوله «فأين تذهبون» أُرْتج عليه ، فجعل يُردِّدُها ، وكان خلفه أعرابي معه جرابٌ ، فلما طال عليه الأمرُ ولم ينبعثْ تقدم الأعرابيّ فصفعه بالجراب ، وقال : أما أنا فإلى كلواذَى وهؤلاء الكشاخنة فلا أدري أين يذهبون .

٧٨١ – كان أعرابيٌّ يفلّي كِساءهُ ويأخذُ البراغيثَ ويدعُ القمل ، فقيل له في ذلك فقال : أبدأ بالفرسان وأكُرُّ على الرَّجالة .

٧٨٢ – ورؤي أعرابي يأكل ويخرى ويفلي كِساءه ، فقيل له : ما تصنع ؟ قال : أخرجُ عتيقاً ، وأدخل جديداً ، وأقتل عدواً .

٧٨٣ – رأى أعرابيٌّ قوماً يطلبون الهلالَ لغُرَّة شهرِ رمضان ، فقال : أما يكفيكم ظهوره إذا ظهر حتى تطلبوه مكانَه ، والله لئن أثَرتموه لتمسكُنَّ منه بذنابَى عيشٍ أغبر .

٧٨٤ – قيل لبعض الأعراب : قد جاء شهرُ رمضانَ ، فقال : والله لأبدِّدَنَّ شملَه بالأسفار .

٧٨٥ – دخل عقيلُ بن عُلّفةَ[1] المري على عمرَ بنِ عبد العزيز ، وكان جافياً ،

---

٧٨٠ نثر الدر ٦ : ٤٨٩ ومحاضرات الراغب ١ : ١٤١ .

٧٨٢ المستطرف ٢ : ٢٦٥ وقارن بقصة المتلمس وطرفة والشيخ الذي لقياه بذي الركاب يفعل ما فعله الأعرابي وأجاب بمثل ما أجاب الأعرابي ، والأغاني ٢٣ : ٥٤٣ .

٧٨٣ العقد ٣ : ٤٧٨ وقارن بنثر الدر ٦ : ٤٩١ .

٧٨٤ المستطرف ٢ : ٢٦٥ .

٧٨٥ الأغاني ١٢ : ٢٦٢ ونثر الدر بايجاز ٦ : ٤٩٠ ومحاضرات الراغب ١ : ١٤١ والمثل «كلا جانبي هرشى لهن طريق» والبيت في كتب الأمثال انظر مثلاً الميداني ٢ : ١٤٨ وفصل المقال : ٣٤٨ واللسان (هرش) .

---

[1] في الأصل عقلة والتصويب عن الأغاني .

فقال له عمر : ما أُراك تقرأُ من كتاب الله شيئاً ، قال : بلى إني لأقرأُ ، قال : فاقرأْ ، فقرأ ﴿إذا زُلْزِلَتِ الأَرضُ زِلزَالَها﴾ (الزلزلة : ١) فلما بلغ آخرَها قرأ ﴿فمَنْ يَعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شرّاً يَرَهُ ، ومَنْ يَعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ﴾ ، فقال عمر : ألم أقلْ لك إنّك لا تُحسنُ تَقرأُ . قال : أولم أقرأ ؟ قال : لأنّ الله عزَّ وجلَّ قدَّم الخير وأنت قدَّمتَ الشرَّ ، فقال عقيل : [من الطويل]

خذا بطن هَرْشى أو قفاها فإنه كلا جانبَيْ هرشى لهن طريق

٧٨٦ - وعقيل هذا من قوم فيهم جفاءٌ وغِلَظٌ . مات رجل منهم فكفنه أخواه في عباءة له ، وقال أحدُهما للآخر : كيف تحمله ؟ قال : كما تُحملُ القِربةُ . فعمد إلى حبل فشدَّ طرفَهُ في عنقِهِ وطرفه في ركبته ، وحمله على ظهره . فلما أراد دفنَه حفَر له حفرةً وألقاهُ فيها ، وهالَ عليه الترابَ حتى واراهُ . فلما انصرفا قال لأخيه : يا هناه ! أُنسيتُ الحبلَ في عنقِ أخي ورجليه ، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة . فقال له : دعه يا هناه ! قال : [إن] يرُدِ الله به خيراً يَحُلُّه .

٧٨٧ - قيل لأعرابي وقد تزوج بعدما كبر : لم تأخرت عن التزويج ؟ فقال : أبادرُ ابني باليُتْم قبل أن يسبقَني بالعقوق .

٧٨٨ - وقيل لأعرابي : ما تقرأ في صلاتك ؟ قال : أمَّ الكتابِ ونسبة الرب وهجاء أبي لهب .

٧٨٩ - وسمع آخر يقرأ : ﴿الأعرابُ أَشَدُّ كُفْراً ونِفَاقاً﴾ (التوبة : ٩٧) فقال : لقد هجانا . ثم سمعه يقرأ بعده : ﴿ومنَ الأعرابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ﴾ (التوبة : ٩٩) فقال : لا بأس هَجَا ومدَحَ ، هذا كما قال شاعرنا : [من الطويل]

---

٧٨٨ محاضرات الراغب ١ : ١٣٩-١٤٠ .

٧٨٩ محاضرات الراغب ١ : ١٤٠ والمستطرف ٢ : ٢٦٥ .

هَجوْتُ زهيراً ثم إني مدحته وما زالت الأعرابُ تُهجى وتُمدَحُ

٧٩٠ – سرق أعرابيٌّ غاشيةً[1] من سرج ودخل مسجداً فقرأ الإمامُ : ﴿هل أتاكَ حديثُ الغاشِيَةِ﴾ (الغاشية : ١) فقال : اسكُتْ فقد أخذتَ في الفضول ، فقال الإمام : ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ (الغاشية : ٢) فقال : ها هوذا غاشيتكم فلا تُخشِعُوا وجهي .

٧٩١ – شكَتْ أعرابيةٌ زوجَها إلى صواحبَ لها ، فقلن : طلِّقيه . فقالت : اشهدْنَ أنه طالق . فقلن لها : ثنّي ، فقالت : اشهدنَ أنه طالق ثلاثاً . فتخاصموا إلى والي الماء ، فتكلّمَتْ فقال : إيهاً أمَّ فلان ! لا تجوري فيحاربْكِ ، الزمي الطريقَ المِهْيَعَ ودعي بُنيّات الطريق ، كيف قُلتِ ؟ قالت : قلتُ : هو طالق ثلاثاً . قال : فتفكَّرَ القاضي ساعةً وقال : أراكِ تحِلِّينَ له ولا أراهُ يحِلُّ لك .

٧٩٢ – حضر أعرابيٌّ مجلساً يتذاكرون فيه قيامَ الليل ، فقالوا : يا أبا أمامة ، أتقومُ بالليل ؟ قال : إي والله ! قالوا : ما تصنعُ ؟ قال : أبولُ وأرجعُ .

٧٩٣ – قدم أعرابيٌّ إلى والٍ لِيشهدَ على رجلٍ بالزنا فقال : رأيت هذا دائمَ الأفكلِ[2] كأنه جُمَّةُ غسيل تَلْسِبُ خُصيَيْهِ وأمُّ الغول سطيحة تحته ، وهي تغُطُّ غطيط البَكْر ، ولُعابُها يَهمَعُ ، والله أعلمُ بما وراءَ ذلك .

٧٩٤ – وسُئلَ أبو المغوارِ وقد قدم لِيشهدَ بمثل ذلك ، فقال : رأيتُ امرأةً

---

٧٩٠ محاضرات الراغب ١ : ١٤١ والمستطرف ٢ : ٢٦٥ .
٧٩١ نثر الدر ٦ : ٤٧٩ .
٧٩٢ نثر الدر ٦ : ٤٧٩ والمستطرف ٢ : ٢٦٥ .
٧٩٣ نثر الدر ٦ : ٤٨٠ .
٧٩٤ نثر الدر ٦ : ٤٨٢–٤٨٣ .

---

١ غاشية : غطاء .
٢ الأفكل : رعدة من برد أو خوف .

صرعى ، ورجلٌ أفعى ، فُوه على فيها ، ومَسرَبَته على مَسربَتِها ، والقُنْبِ غائب ، والتعقبان يضربان بابَ المسفعة وهو يُردى باسته ، والله أعلمُ بما وراء ذلك .

٧٩٥ – دخل أعرابيٌّ إلى سوقِ النخّاسين يَشتري جاريةً ، فلما أراد الانصرافَ بها قال النخاس : فيها ثلاثُ خِلالٍ ، إن رضيتَ بهنَّ وإلا فدَعْها . قال : قل . [قال] : إنها ربما غابَتْ أياماً ثم تعودُ ، قال : نعم ، قال : لا عليك أنا والله أعلمُ الناس بأثر الذرّ على الصفا فلتأخُذْ أيَّ طريقٍ شاءَتْ فإنّا نردُّها ، ثم ماذا ؟ قال : إنها ربما نامَتْ فقطرَت منها القطرةُ بعد القطرة ؛ قال : كأنك تعني أنّها تبولُ في الفراش ؟ قال : نعم ، قال : لا عليك فإنّه لا يُتوسَّدُ عندنا إلا الترابُ ، فَلْتَبُلْ كيف شاءت ، ثم ماذا ؟ قال : إنها ربما عَبِثَتْ بالشيء تجدُه في البيت ، قال : كأنك تعني أنها تسرقُ ما تجدُ ؟ قال : نعم ، قال : لا عليك فإنها والله لا تجدُ ما تقوتُه فكيف ما تسرقه ! وأخذ بيدها وانصرف بها .

٧٩٦ – رفع أعرابيٌّ يدَه بمكة فقال : اللهمَّ ارحمني قبل أن يَدهَمَكَ الناسُ .

٧٩٧ – نظر أميرٌ إلى أعرابيّ فقال له الأعرابيّ : لقد هَمَّ الأميرُ لي بخير ، قال : ما فعلتُ ، قال : فبِشَرٍّ ، قال : ما فعلتُ ، قال : فالأمير إذن مجنون .

٧٩٨ – حضر أعرابيٌّ عند الحجاج وقُدِّمَ الطعامُ فأكل الناس ، ثم قُدِّمَتْ الحلواءُ ، فترك الحجاجُ الأعرابيَّ حتى أكلَ منه لُقمةً ، ثم قال : من أكلَ من هذا ضربتُ عنقَهُ ؛ فامتنعَ الناسُ كلُّهم وبقيَ الأعرابيُّ ينظرُ إلى الحجاجِ مرّةً وإلى الفالوذَجِ أخرى ، ثم قال : أيها الأميرُ ، استوصِ بأولادي خيراً ، ثم اندفع يأكلُ . فضحك الحجاجُ حتى استلقى وأمر له بصلة .

---

٧٩٥ نثر الدر ٦ : ٤٨٣ .
٧٩٦ البيان والتبيين ٣ : ٢٨٢ .
٧٩٧ البيان والتبيين ٤ : ٦ ونثر الدر ٦ : ٤٨١ .
٧٩٨ محاضرات الراغب ٢ : ٦٣٧ وقارن بنثر الدر ٦ : ٤٨١ في حكاية مماثلة لأعرابي مع سليمان بن عبد الملك .

٧٩٩ – كان لعُتبةَ الأعرابيةِ ابنٌ شديدُ العَرامةِ كثيرُ التقلب إلى الناس مع ضعف أسْرٍ ودِقَّة عظمٍ . فواثبَ مرّةً فتىً من الأعراب فقطع أنفه فأخذت عتبةُ دِيَّةَ أنفه فحسُنَتْ حالُها بعد فقر . ثم واثبَ آخر فقطع أُذُنَه فزادت ديَّةُ أذنه في حسن الحال والمال . ثم واثب بعد ذلك آخر فقطع شفتَهُ فأخذت ديّةَ شفته . فلما رأتْ ما قد صار عندها من الإبلِ والغنمِ والمتاعِ والكسبِ بجوارح ابنها حسُنَ رأيُها فيه ، وذكرته في أرجوزة لها تقول فيه : [من الرجز]

أحلف بالمروة يوماً والصفا أنَّك خيرٌ من تَفاريقِ العصا

قيل لابن الأعرابيّ : ما تفاريقُ العصا ؟ فقال : العصا تقطع ساجوراً[1] وتقطع عصا الساجور فتصير أوتاداً ، ويفرق الوتد فيصير كل قطعة شِظاظاً[2] ، فإن جعلوا رأس الشظاظ كالفُلْكة كان للبختي مهاراً ، وهو العود الذي يدخل في أنف البختي ، واذا فُرِّق المهارُ جاءت منه التوادي[3] .

٨٠٠ – وذكر ان أعرابيين طريفين من شياطين الأعراب حطمتهما السَّنةُ فانحدرا إلى العراقِ ، واسمُ أحدِهما حَيدانُ . فبينما هما يتماشيان في السّوقِ وإذا فارسٌ قد أوْطأ دابَّتَهُ رِجلَ حيدان ، فقطعَ إصبعاً من أصابعه ، فتعلقا به حتى أخذا منه أرشَ الإصبعِ ، وكانا جائعين مقرورَينِ ، فحين صار [المال] في أيديهما قصدَا لبعضِ الكرابج[4] فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلما أكلَ صاحبُ حيدان وشبع أنشأ يقول : [من الطويل]

---

٧٩٩ البيان والتبيين ٣ : ٤٩–٥٠ والعقد ٣ : ٤٨١ وانظر اللسان (فرق) .

٨٠٠ البيان والتبيين ٣ : ٥١ والعقد ٣ : ٤٨٠ واسم الرجل فيه خندان .

---

١ الساجور : خشبة توضع في عنق الكلب .

٢ الشظاظ : عود يدخل في العروة .

٣ التوادي : جمع تَوْدية وهي الخشبة التي تصر بها أخلاف الناقة لكيلا يرضعها الفصيل .

٤ الكرابج : واحدها كربج وهو الحانوت .

فلا [غرثةٌ] ما دام في الناسِ كَربجٌ وما بَقيَتْ في رجل حيدانَ إصبعُ

٨٠١ – وقال أعرابيٌّ : [من الطويل]

وإنّي لمحتاجٌ إلى موت زوجتي ولكنّ علقَ السوء باقٍ معمَّرُ

٨٠٢ – وأنشد الأصمعي : [من الوافر]

أما والله لو يلقاكِ أيري قُبيلَ الصبحِ في ظلماء بيتِ
إذن لعلمتِ أن السَّحقَ زُورٌ وأنّ الحقَّ في رَهْزِ الكُمَيتِ

٨٠٣ – وقال رؤبة : [من الرجز]

قد كان أيري يا أُمَيْمَ حُرّا عندَ الهياجِ مِسْعَراً مِكَرّا
وصار لا يزدادُ إلا شرّا حتى إذا ما قام واسبطَرّا
وانتفخَتْ أَوْداجُهُ فدرّا عاد إليّ خازناً مُزوَرّا
كأنما أُسقطَ شيئاً مُرّا

٨٠٤ – قال أعرابيّ : [من الطويل]

أبى القلبُ أن يهوى السَّديرَ وأهلَه وإن قِيلَ عيشٌ بالسَّديرِ غريرُ[1]
به البقّ والحمّى وأُسْدُ خفيّةٍ وعمروُ بنُ هند يَعتدي ويَجورُ

---

٨٠١ العقد ٣ : ٤٧١ و٦ : ١١٤ والمستطرف ٢ : ٢٥٧ .
٨٠٢ محاضرات الراغب ٣ : ٢٧٣ .
٨٠٣ لم يرد هذا الرجز في مجموع شعر رؤبة .
٨٠٤ الأغاني ٢٣ ؛ ٥٤٣ ونسب البيتين للذهّاب العجلي وانظر المثل ٢١١٣ (صحيفة المتلمس) في الميداني ١ : ٣٩٩ .

---

١ في الأصل : يأبى والتصويب عن الأغاني ، وفي مجمع الأمثال : يأتي .

٨٠٥ – صار رجلٌ من بني العَنبرِ إلى سوَّارٍ القاضي فقال : إن أبي ماتَ وتركني وأخاً لي ، وخط [خطين] ناحية ، [وهجيناً] فكيف يُقسَمُ المالُ ؟ فقال : ههنا وارث غيرُكم ؟ قال : لا ، قال : المالُ بينكم أثلاثاً . فقال الأعرابي : يأخذُ الهجينُ كما آخذُ وكما يأخذُ أخي ؟ فقال : أجل . فغضب الأعرابيّ ثم أقبلَ على سوّار وقال : تعلمُ واللهِ أنّك قليلُ الخالاتِ بالدهناء . قال سوّار : إذن لا يَضرُّني ذلك عند الله شيئاً .

٨٠٦ – كان في وكيع بن أبي سود أعرابية وهَوَجٌ شديدٌ . فقال يوماً وهو يخطبُ : إنّ الله تعالى خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستٍّ سنين . فقال بعض جلسائه في ستة أيام ، قال : فِداكَ لقد قلت الأولى وإني لأستقلها .

٨٠٧ – سئل رجل عن نسبه فقال : أنا ابن فلان فقال أعرابيٌّ : الناس تَنتسِبُ طولاً وأنت تنتسِبُ عرضاً .

٨٠٨ – صلّى أعرابيٌّ وأطالَ الصلاةَ وإلى جانبه ناسٌ فقالوا : ما أحسنَ صلاتَه ! [فقطع صلاته] وقال : مع هذا أنا صائم .

٨٠٩ – كان أعرابيٌّ إذا توضَّأ غسلَ وجهَه قبلَ استِهِ ، فقيل له في ذلك ، قال : لا أبدأ بالخبيثة قبل الطيِّب .

٨١٠ – وقال بعضهم : أتيتُ لَخْماً وجذاماً ، وكانوا يُقدِّمون العروسَ يُصلي بهم سبعةَ أيام ، فقلت لهم : ما هذه السُّنّة ؟ قالوا : أما سمعتَ الله تعالى يقول في

---

٨٠٥ عيون الأخبار ٤ : ٦١ والعقد ٣ : ٤١٧ وربيع الأبرار ٣ : ٢٤٨ ومحاضرات الراغب ٣ : ٣٤٦ .

٨٠٦ نثر الدر ٦ : ٤٦٦ وعيون الأخبار ٢ : ٤٧ والعقد ٦ : ١٥٩ وفيهما « ستة أشهر» .

٨٠٧ محاضرات الراغب ٣ : ٣٣٩ .

٨٠٨ نثر الدر ٧ : ٣١١ .

٨٠٩ نثر الدر ٦ : ٤٧٦ .

٨١٠ نثر الدر ٦ : ٤٧٠ والمثل «كاد العروس . . . .» في الميداني ٢ : ١٥٨ .

كتابه : كاد العروسُ يكونُ مَلِكاً .

٨١١ – شهد أعرابيٌّ عند بعض الولاة على رجلٍ بالزنا فقال له : اشهَدْ أنّك رأيتَه كالمِيلِ في المُكحُلَة ، فقال الأعرابي : لو كنتُ جلدة استها ما شهدتُ بذلك .

٨١٢ – قال أبو زيد : نظر شيخ من الأعراب إلى امرأته تتصنع وهي عجوز فقال : [من الطويل]

عَجوزٌ ترجّي أن تكونَ فَتيَّةً وقد لُحِبَ الجنبان واحدَوْدَبَ الظهرُ
تَدسُّ إلى العطّار سِلعةَ أهلِها وهل يُصلحُ العطّارُ ما أفسدَ الدهرُ

فقالت امرأتُه : [من الطويل]

ألم ترَ أن الناب تحلب علبة ويُترَكُ ثِلْبٌ لا ضرابٌ ولا ظهرُ

قال : ثم استغاثت بالنساء ، وطلب الرجال فإذا هم خلوفٌ ، فاجتمع النساء عليه فضرَبْنَه .

الثلب : الكبير الهمّ .

٨١٣ – قال أعرابيٌّ : خطب منا رجلٌ مغمورٌ امرأةً مغموزةً ، فقيل لوليِّ المرأة : تعمَّمَ لكم فزوجتموه .فقال : إنا قد تبرقعنا له قبل أن يتَعمَّمَ لنا .

٨١٤ – قال الأصمعي : حضَرت الصلاةُ فقال أعرابيٌّ : حيٌّ على العمل الصالح ، قد قام الفلاح . ثم قام يصلّي فكبَّرَ وقام وقال : اللّهمَّ احفظْ حسبي ونسبي ، واردُدْ ضالَّتي ، واحفَظْ جملي ، والسلامُ عليك ورحمةُ الله .

---

٨١١ نثر الدر ٦ : ٤٦٩ والعقد ٦ : ٤٤٥ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٠٤ .
٨١٢ الكامل للمبرد : ٤٠٥ والخبر فيه تام وعيون الأخبار ٤ : ٤٤ والعقد ٣ : ٤٥٧ وأضاف بيتين آخرين ، ولم يوردا جواب الزوجة وضرب الرجل .
٨١٣ نثر الدر ٦ : ٤٧١ والعقد ٣ : ٤٧٠ وعيون الأخبار ٤ : ٤٤ .

٨١٥ - قامت امرأة من العرب تصلي فقالت : اللّهمَّ إني أعوذُ بك من شرِّ قريشٍ وثقيفٍ ، ومن شرّ ما جمعت من اللفيف ، وأعوذُ بك من حرٍّ مَلَكَ أمرَه ، وعبدٍ ملأً بطنَه ، الله أكبرُ .

٨١٦ - وقف أعرابيٌّ يسألُ شيئاً فقيل له : يا أعرابيُّ ، هل لك في خيرٍ مما تطلُبُ ؟ قال : وما هو ؟ قال : نُعلِّمُك سورةً من القرآن ، قال : والله اني لأُحسِنُ ما لو حفظتُه كفاني أحسنُ منه خمس سور . قال ، فقلنا : اقرأ ! فقرأ «الحمدُ لله» «وإذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ» «وإنّا أعطيْناكَ الكَوْثَرَ» ، ثم سكت . فقلنا له هذه ثلاثُ فأين الثنتان ؟ قال : إني وهبتُهما لابنِ عمٍّ لي (يُريدُ أنه علّمهما إياه) ولا والله لا أعودُ في شيءٍ وهبتُه أبداً .

٨١٧ - كان أعرابيّان يَطوفانِ بالبيتِ وأحدُهما يقول : اللّهمَّ هَبْ لي رحمتَك ، واغفرْ لي فإنك تجدُ من تُعذِّبُه غيري ولا أجدُ من يَرحمُني غيرَك . فقال له صاحبه : اقصِدْ قَصْدَ حاجتِك ولا تَغمزْنا بالناس .

٨١٨ - أصاب أعرابيٌّ سراويلَ وهو لا يدري ما هو ، فأخذه وأدخلَ يده في رجلِ السراويل ، وبقيَ رأسُه داخلاً ، وجعل يُقلِّبُه وليس يدري كيف يلبسُه . فلما أعياهُ رمى به وقال : ما أظنُّ هذا إلا من قُمُصِ الشياطين .

٨١٩ - سلّم أعرابيٌّ ابناً له إلى معلّمٍ فقال لابنه : في [أي] سورةٍ أنت ؟ فقال : في «قُلْ يا أيُّها الكافرون» ، قال : بئس العصابةُ أنت فيهم . ثم غاب فسأله فقال : في «إذا جاءَك المنافقون» ، فقال : والله ما تنقلبُ إلا على أوتادِ الكفرِ والنفاق ، عليك بنَعَمِك فارْعَها .

---

٨١٥ نثر الدر ٦ : ٤٧٧ .

٨١٦ نثر الدر ٦ : ٤٧٧ .

٨١٧ نثر الدر ٦ : ٤٧٩ .

٨١٨ نثر الدر ٦ : ٤٧٦ .

٨٢٠ – وخفَّفَ أعرابيٌّ صلاتَه فقام إليه عليّ عليه السلام بالدِّرَّة وقال : أعِدْها . فلما فرغَ قال له : أهذه خيرٌ أمْ الأولى ؟ فقال : بل الأولى ، قال : لِمَ ؟ قال : لأنّ الأولى صلّيتُها لله وهذه فَرَقاً من الدِّرَّةِ . فضحك علي عليه السلام .

٨٢١ – مرّ أعرابيٌّ بآخرَ فقال : من أين أقبلتَ يا ابن عمٍّ ؟ قال : من الثَّنِيَّة . قال : فهل أتيتَنا منها بخيرٍ ؟ قال : نعم ، سَلْ عما بدا لك . قال : كيف علمُك بحيِّي ؟ قال : أحسنُ العلم . قال : هل لك علمٌ بكلبي نفاع ؟ قال : حارسُ الحيّ . قال : فأمّ عثمان ؟ قال : بخٍ بخٍ ومن مثل أمٍّ عثمان لا تدخل من الباب إلا متحرمة بالثياب المُعَصفَرات . قال : فعثمان ؟ قال : وأبيك إنه حر [؟] الأسدِ ويلعبُ مع الصبيان وبيده الكسرة . قال : فجملُنا السقاء ؟ قال : إن سنامَه ليَخرجُ من الغبيط قال : فالدار ؟ قال : وأبيك إنها لحصينة الجناب ، عامرةُ الفناء والرِّحاب . ثم قام عنه وقعد ناحيةً يأكلُ ولا يدعوه ، فمرَّ كلبٌ فصاح به وقال : يا ابن العمّ ، أين كان هذا الكلب من نفاع ؟ قال : أسفاً على نفاع ، نفاع قد مات ، قال : وما أماتَه ؟ قال : أكَلَ من لحمِ الجملِ السقاء فاغتصّ بعظمٍ منه فمات . فقال له : إنا لله ، أوقد مات الجملُ ؟ فما أماته ؟ قال : عثر بقبرِ أمٍّ عثمان فانكسرتْ رجلُه . فقال : ويل أمِّك أماتت أمُّ عثمان ؟ قال : إي والله ، أماتها الأسفُ على عثمان ؟ قال : ويلك ، أمات عثمان ، قال : إي وعهدِ الله ، سقطت الدارُ عليه . فرمى الأعرابيُّ بطعامه ونَثرَه وأقبلَ ينتفُ لحيتَه ويقول : فأين أذهبُ ؟ قال الآخرُ : إلى النار . وأقبل على طعامه يلتقطه ويأكله ويهزأُ به ويضحكُ منه ويقول : لا أرغمَ الله إلا أنفَ اللئام .

---

٨٢١ ربيع الأبرار ٤ · ١٧١ والمستطرف مع بعض اختلاف ١ : ١٧٦ وفيه اسم الابن عمير والجمل زريق والكلب ايقاع .

٨٢٢ – كان المنصور ألزمَ أبا دُلامة المُقامَ في المسجدِ والصلاةَ فيه وملازمةَ الجماعة ، فضج من ذلك واستعانَ بالمهدي على أبيه ليُعفِيَه ، فقال : قد أطلَّ شهرُ رمضانَ فلا تدَعِ القيامَ معنا فيه ؛ فقال : أفعل والبليةُ في شهرٍ أصلح منها طولَ السنة . ثم شقّ أيضاً ذلك عليه فتشفَّعَ برَيْطةَ في إعفائه من القيام في شهر رمضان فقالت : تصبرُ حتى تجيءَ ليلةُ القَدْرِ ، فكتب إليها إني لم أسألك في إعفائي عاماً قابلاً وإذا مضَتْ ليلةُ القَدْرِ فقد فنيَ الشهرُ ، وكتب تحت ذلك : [من البسيط]

خافي إلهكِ في نفسٍ قد احتُضِرَتْ ... قامَتْ قِيامتُها بين المصلّينا
ما ليلةُ القَدْرِ من همّي فأطلُبَها ... إني أخافُ المنايا قبل عشرينا
يا ليلةَ القَدْرِ قد كسَّرْتِ أرجُلَنا ... يا ليلةَ القَدْرِ حقّاً ما تُمنّينا
لا باركَ الله في خيرٍ أُؤمِّلُه ... في ليلةٍ بعدما قُمْنا ثلاثينا

٨٢٣ – توفيت حَمَّادةُ بنتُ عيسى بن علي وحضرَ المنصورُ جنازتَها . فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة : ما أعدَدْتَ لهذه الحفرة ؟ قال : بنتُ عمِّكَ يا أميرَ المؤمنين حمّادةُ بنتُ عيسى يُجاءُ بها الساعةَ فتدفنُ فيها . فضحك المنصورُ حتى غُلِبَ وسترَ وجهَه .

٨٢٤ – وكان أبو دلامة يُحبُّ جاريةً للجُنَيْدِ ويُبغضُه فقال فيها : [من الكامل]

اني لأحسَبُ أن سأُمسي ميِّتاً ... أو سوف أُصبحُ ثم لا أُمسي
من حبِّ جاريةِ الجُنيدِ وبُغضِه ... وكلاهما قاضٍ على نفسي
فكلاهما يُشفى به سَقَمي ... فإذا تكلّمَ عاد لي نَكسي

---

٨٢٢ الأغاني ١٠ : ٢٦٠–٢٦١ .
٨٢٣ الأغاني ١٠ : ٢٧٣ ونهاية الأرب ٤ : ٤٤ .
٨٢٤ الأغاني ١٠ : ٢٨١ .

٨٢٥ – عطس سعيدٌ الدارمي عند عبد الصمد بن علي عَطسة هائلة ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً وغضب وقال : يا عاضّ كذا من أمّه أتفزّعُني ؟ قال : لا والله ولكن هذا عطاسي . قال : لا والله لأنقعنَّك في دمك أو لتأتيَنّي ببيِّنة على ذلك . قال : فخرج ومعه حرسي لا يدري أين يذهب به . فلقيه ابن الرّيّان المكّي فسأله فقال : أنا أشهدُ لك . فمضى حتى دخل على عبد الصمد فقال : ما تشهد لهذا ؟ قال : إني رأيته مرة عطس عطسة سقط ضرسُه . فضحك عبد الصمد وخلّى سبيله .

٨٢٦ – ومدح الدارميُّ عبدَ الصمدِ بنَ عليّ ، فلما فرغ من إنشاده أُدخل إليه رجلٌ من الشُّراة ، فقال لغلامه : أعطِ هذا مائةَ دينارٍ واضربْ عنقَ هذا . فوثب الدارميُّ فقال : بأبي أنت وأمي ! بِرُّكَ وعُقوبتُك قد جُمعا ، فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني ، فإني لن أريمَ من حضرتِكَ حتى يَفعلَ ذلك ! قال : لِمَ ويلك ؟ قال : أخشى أن يَغلطَ فيما بيننا ، والغلطُ في هذا لا يُستقالُ . فضحك وأجابه إلى ما سأل .

٨٢٧ – نظر ابنُ سيّابة إلى رجلٍ يمشي في القيظ وعلى رأسه قلنسُوةُ سمّور ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : هذا خيرٌ لي من كشفِ رأسي . قال : بل المشيُ بلا رأسٍ خيرٌ لك من هذا .

٨٢٨ – قيل لآخر : إن الحمار لا يدفأُ في السنة إلا يوماً . فقال : لا يعرفُ هذا إلا من كان حماراً .

٨٢٩ – وقيل : إن رجلاً عرض على الأصمعي شعراً زرياً فبكى الأصمعي . فقيل : ما يبكيك ؟ قال : يبكيني أنه ليس لغريب قدرٌ ، لو كنتُ في بلدي بالبصرة ما جسر هذا الكشخانُ أن يعرضَ عليّ هذا الشعر وأسكتَ عنه .

---

٨٢٥ الأغاني ٣ : ٤٧ .
٨٢٦ الأغاني ٣ : ٤٩ .

٨٣٠ – أهدى حمادٌ الراويةُ إلى صديقٍ غلاماً وكتب إليه : قد بعثت إليك بغلام تتعلّمُ عليه كظمَ الغيظ .

٨٣١ – قال الفرزدق : [من الطويل]

اذا ما مضَتْ عشرون يوماً تحركَتْ أراجيفُ بالشهرِ الذي أنا صائمُهْ
وطارَتْ رقاعٌ بالمواعيدِ بيننا لكي يلتقي مظلومُ دَيْنٍ وظالمُه
وإنْ شالَ شوّال تشيل أكفُّنا كؤوساً تُعادي العقلَ حين تُسالمُه

٨٣٢ – وقال ابن الرومي : [من البسيط]

شهرُ الصّيامِ وإن عظُّمتُ حُرمتَهُ شهرٌ طويلٌ ثقيلُ الظلِّ والحركَهْ
نمشي الهُوَينا وأما حين يَطلبُنا فلا السُّلَيكُ يُدانيهِ ولا السُّلكه
أذمُّه غيرَ وقتٍ فيه أحمدُهُ منذ العِشاءِ إلى أن تصقعَ الدِّيَكه
لو كان مولىً وكنّا كالعبيدِ له لكانَ مولىً بخيلاً سيِّءَ الملكَه

٨٣٣ – قال يعقوبُ بنُ الدورقي : كنّا يوماً عند أحمد بن نصر بن مالك ، فأطال من حضر الجلوس . فلما عِيلَ صبرُه دعا غلامَهَ فقال له : اضمَنّي من هؤلاء بنفسي .

٨٣٤ – قال أبو سعيدٍ السيرافي النحوي لبعض من كان يقرأُ عليه ، وكان رافضياً ، ما علامةُ النصبِ في عمرَ وعثمان ؟ قال : بغضُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

٨٣٥ – أنشد رجل عرّادة شعراً رديئاً ثم قال له : تراني مطبوعاً ؟ قال : إي والله على قلبك .

---

٨٣٠ الأغاني ١٤ : ٣٣٨ وفيه أن مطيع بن إياس أهدى غلاماً إلى حماد وكتب إليه ما جاء في الخبر .
٨٣٢ ديوان ابن الرومي : ١٨٣٧ .
٨٣٤ انظر محاضرات الراغب ١ : ٦٦ .
٨٣٥ محاضرات الراغب ١ : ٨٣ وربيع الأبرار ١ : ٦٩٨ .

٨٣٦ – قال أبو نواس : [من الخفيف]

أنتَ يا ابنَ الربيع علّمتَني الخيـ ـرَ وعودتنيـه والخير عاده[1]
فارعوَى باطلي وأقصرَ جهلي وتبدَّلـتُ عِفَّـةً وزَهـاده
لو تراني ذكرت بي الحسن البصـ ـريَّ في حال نُسكهِ أو قتَاده
من خشوعٍ أزينُه بنحولٍ واصفرارٍ مثلِ اصفرارِ الجراده
فإذا شئتَ ان ترى طُرفةً تعـ ـجب منها مَليحةً مُستفَاده
فادعُ لي لا عدمتَ تقويم مثلي وتفطَّنْ لموضع السَّجادَه
تَرَ أثراً من الصلاة بوجهي تُوقنُ النفسُ أنها من عباده
لو رآها بعضُ المُرائينَ يوماً لاشتراها يُعدّها للشهاده

٨٣٧ – أمر المنصورُ أصحابَه أن يلبسوا السَّوادَ وقلانسَ طوالاً تُدعَمُ بعيدانٍ من داخلها ، وأن يُعلّقوا السيوفَ في المناطقِ ، ويكتبوا على ظهورهم ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ (البقرة : ١٣٧) ؛ فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزِّيِّ فقال له : ما حالُك ؟ قال : شرُّ حالٍ : وجهي في نصفي ، وسيفي في استي ، وقد صبغتُ بالسوادِ ثيابي ، ونبذتُ كتابَ الله وراءَ ظهري . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال : إياك أن يسمعَ هذا منك أحدٌ . فقال أبو دلامة : [من الطويل]

وكنّا نُرجِّي منحةً من إمامِنا فجاءَ بطولٍ زادَه في القلانس

٨٣٨ – وقال عبدالله بن المعتز وهو يُعمِّر داراً : [من المتقارب]

---

٨٣٦ ديوان أبي نواس (الغزالي) عدا البيت الخامس : ٤٥٩ .
٨٣٧ الأغاني ١٠ : ٢٤٨ ونهاية الأرب ٤ : ٣٦–٣٧ .
٨٣٨ الأغاني ١٠ : ٢٩٢ وديوان ابن المعتز (صادر) : ٤٤٣ .

---

[1] الديوان : «النسك بلاً من الخير» .

ألا من لنفس وأحْزَانِها ودار تَداعَى بسكانها
أُسوِّدُ وجهي بتبييضها وأهدِمُ كيسي بعُمرانها

٨٣٩ – دخل رجل على الحطيئة وهو مضطجعٌ في فراشه وإلى جانبه سوداء فقال له الحطيئة : أتدري من هي ؟ قال : لا ، قال : هي والله التي أقول فيها : [من الطويل]

وآثرتُ إدلاجي على ليلِ حُرَّةٍ هضيمِ الحشا حُسَّانةُ المُتَجَرَّدِ
تُفرِّقُ بالمِدرَى أَثيثاً كأنه على واضحِ الذِّفرَى أسيلِ المُقَلَّدِ

٨٤٠ – قال رجلٌ مطعونُ النسبِ لأبي عبيدة لما عمل كتابَ المثالب : سَبَبْتَ العربَ جميعاً . قال : وما يَضرُّك أنت من ذلك ؟ فقال لأبي عبيدة : الأصمعيُّ دعيٌّ ؟ قال : ليس في الدنيا أحدٌ يدّعي إلى أصمع .

٨٤١ – قال أبو الغلالة الحمدوني : [من المنسرح]

يا سائلي عن حمار طيَّابِ ذاك حمارٌ حليفُ أوْصابِ
كأنـه والذبـــابُ يأخـذُه من كل وجهٍ بقيار دوشاب

٨٤٢ – دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك [الزيات] فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه ، فقال : إن من حقِّ نعمةِ الله تعالى عندَك أن تجعلَ البسطةَ لأهل الحاجة إليك ، فإن من أُوحش انقبض عن المسألة ، وبكثرة المسألة مع النُّجحِ يدومُ السرور . فقال لـه محمد : أما إني أعرفُك فضولياً كثيرَ الكلام . وأمر بـه إلى الحبس ، فكتب إليه : قد علمتُ أن الحبسَ لم يكنْ من جُرمٍ تقدَّم إليك ، ولكن

---

٨٣٩ الأغاني ٢ : ١٦٨– ١٦٩ وديوان الحطيئة (صادر) : ٤٥–٤٦ .
٨٤٠ نثر الدر ٧ : ١٥١ وانظر في نقيض ذلك هجاء الأصمعي في وفيات الأعيان ٦ : ١٨٨ .
٨٤١ ثمار القلوب : ٣٦٦–٣٦٧ والشعر فيه لأبي غلالة المخزومي .
٨٤٢ نثرالدر ٣ : ١٢ ، وانظر ترجمة أبي العيناء في وفيات الأعيان ٤ : ٣٤٣–٣٤٨ ومعجم الأدباء (عباس) : ٢٦٠٢–٢٦١٤ وتاريخ بغداد ٣ : ١٧٠– ١٧٩ .

أحبَبْتَ أن تُرِيَني مقدارَ قُدرتك عليّ ، لأن كلَّ جديدٍ يُستَلَذُّ ، فلا بأسَ أن تُرِيَنا من عفوك مقدارَ ما أرَيْتَنا من قُدرتِك . فأمر بإطلاقه .

ثم لقيَهُ بعد أيام فقال : يا أبا العيناء ما تزورنا حسب نِيَّتِنا فيك ؟ فقال : أما نيتُك فمتأكدة ولكن أرى أنّ الذي حدد الاستبطاء فراغ حبسك فأحببتَ ان تشغلَه بي .

فأبو العيناء اسمه محمد بن القاسم بن خلاّد بن ياسر بن سلمان ، وأصلهم من بني حنيفة من اليمامة ، لحقهم سبيٌ في أيام المنصور ، فلما صار ياسر في يده أعتقه ، فصار ولاؤه لبني هاشم ، وكنيتُهُ أبو عبدالله ، ومنشؤه البصرة ، وأستاذه الأصمعي . وهو من أهل الأدب ، له رسائل مشهورة مدوَّنة يشار إليها . وعُمِّر عمراً طويلاً ، وعَمِيَ في آخر عمره . وهو مطبوع جداً ، ونوادره كثيرةٌ مستحسنة قد أوردت في كل باب منها ما يليق به .

٨٤٣ – حضر رجلٌ بباب عضد الدولة وسأله تَرتيبَه في معيشة ، فتقدم بترتيبه صاحبَ خبرٍ بالمأزمين . فأقام بالموضعِ مدةً طويلةً لم يكتبْ بشيء . فتقدّمَ عضدُ الدولة بمكاتبته ، وتوعَّدَه على تأخُّرِ مطالعته . فكتب : [ما] فيهما خبرٌ يُذكر ، وقال : يطوى خبرُ المأزمين : [من المتقارب]

أأذكرُ أخبارَ وحشِ الفلاة ... أم الجنِّ فهي بها أكثرُ
كأنَّ السماءَ على المأزمين ... رصاصٌ وأرضهما مَرْمَرُ
وكلُّ مقيمٍ بها مُدبرٌ ... وصاحبُ أخبارِها أدبرُ

فرقَّ له ووصله واستخدمه في غير ذلك العمل .

٨٤٤ – لما رجع أمية [بن عبدالله] بن خالد [بن أسيد] معزولاً من خراسان مرّ بخيله من الأهواز وقد وُسِمَ عليها «عُدَّة» ، فحُبِسَتْ هناك . وكُتب

---

٨٤٤ العقد ١ : ١٤٢–١٤٣ .

إلى الحجاج بخبرها ، فقال : اكتبوا تحت «عدة» «للفرار» .

٨٤٥ – كتب رجل إلى الصاحب بن عبّاد رُقعةً قد أغارَ فيها على رسائله وسرقَ جملةً من ألفاظه ، فوقع فيها : هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا .

٨٤٦ – قال أبو العيناء لصاعد : أنت [خيرٌ] من رسول الله قال : كيف ؟ قال : إن الله سبحانه يقول : ﴿ولو كُنتَ فَظّاً غَليظَ القَلبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران : ١٥٩) وأنت فظٌّ ولسنا نَنفضُّ من حولك .

٨٤٧ – سُلِّم نجاحُ بن سلمة إلى موسى بن عبد الملك ليستأديَه مالاً ، فتلف في المطالبة ، فلقي بعض الرؤساء أبا العيناء فقال له : ما عندك من خبر نجاح ؟ قال : ﴿ فوَكَزَهُ موسى فقَضَى عليه﴾ (القصص : ١٥) . فبلغَتْ كلمتُه موسى بن عبد الملك فلقيَهُ فقال : أَبي تُولَع ؟ والله لأُقوِّمَنَّك ، فقال : ﴿أتُريدُ أنْ تَقتُلَني كما قتَلْتَ نَفْساً بالأَمْسِ ﴾ (القصص : ١٩) .

٨٤٨ – كان سببُ اتّصالِ ابنِ قريعة القاضي بالوزير أبي محمد المهلبي أنّ ابنَ قريعة كان قيِّمَ رحى له ، فرفع إليه حساباً فيه درهمان ودانقان وحبَّتان ، فدعاه وأنكرَ عليه الإغراقَ في الحساب ؛ فقال : أيها الوزير ، صار لي طبعاً فلستُ أستطيعُ له دفعاً ، فقال : أنا أُزيلُه عنك صفعاً . ثم استدناه بعد ذلك وقرَّبه .

وقد روي في سبب اتصاله به غير ذلك ، وذكر في باب السير . ولابن قريعة نوادرُ كثيرةٌ حقيقية أدبية هزلية تجيء متفرقة في مواضعها .

٨٤٩ – سكرَ هارونُ بن محمد بن عبد الملك بن الزيات ليلةً بين يدَيْ الموفَّقِ ، فقام لينصرف فغلبه السكر ، فنام في المَضرِب . فلما انصرف جاء

---

٨٤٥ يتيمة الدهر ٣ : ٢٣٤ ووفيات الأعيان ١ : ٢٣٠ .

٨٤٦ نثر الدر ٣ : ١٩٨ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٧٥ .

٨٤٧ نثر الدر ٣ : ٢٠٢ ومعجم الأدباء (عباس) : ٢٦٠٨ ووفيات الأعيان ٤ : ٣٤٦– ٣٤٧ .

٨٤٨ نثر الدر ٥ : ٢٦٧ .

٨٤٩ نثر الدر ٥ : ٢٧٣–٢٧٤ ونهاية الأرب ٤ : ١٣ .

راشد الحاجب فأنبهه وقال : يا هارون انصرف . فقال بسكره : هارون لا ينصرف . وأعاد راشد قوله ، فقال له هارون : سَلْ مولاك فإنه يعلمُ أنّ هارونَ لا ينصرف . فسمع الموفَّقُ فقال : هارونُ لا ينصرف . فتركه راشد . فلما أصبح وقفَ على أنّ هارونَ باتَ في مَضرِبه وقال : يا راشد أَيَبِيتُ في مضربي رجلٌ لا أعلم به ؟ قال : أنت أمرتَني بهذا ، قلتَ : إن هارون لا ينصرف . فقال : إنّا لله ! أردتُ الإعرابَ وظننتَ أنت غيرَه .

٨٥٠ – قال ابن الرومي : [من البسيط]

حيّا أبو حسنٍ وهبٌ أبا حسنٍ بضرطة صيَّرَتْ عُثنونَه خُصَلا
ثم استمرَّتْ فسارَتْ في البلاد له كأنما أُرسلَتْ من دُبرِهِ مثلا

٨٥١ – وقال أيضاً فيها : [من السريع]

يا وهبُ ذا الضرطة لا تَبتئسْ فإنّ للأستــاهِ أنفاســا
واضرط لنا أخرى ولا تحتشمْ كأنمــا خرّقــتَ قرطاســا

٨٥٢ – وقال الحمدوني : [من الخفيف]

قل لها لا تُمرتكيه فما ينـ ـفع ضرب بالطبل تحت الكساء

٨٥٣ – وقال آخر : [من الكامل]

ولقد مَرَرْتُ على سعيدٍ مَرَّةً فظنَنْتُه ممَّنْ يَضرُّ وينفعُ
وإذا سعيدٌ في الرجال كأنّه مشط يقلُّبه خصيٌّ أصلعُ

٨٥٤ – وقال بعض الأصحاب : [من الطويل]

---

٨٥٠ ديوان ابن الرومي : ٢٠٣٨ .
٨٥١ ثمار القلوب : ٢٠٧ وديوان ابن الرومي : ١٢١٩ .
٨٥٤ المستطرف ٢ : ٢٦٦ .

أيا ربِّ إن اليومَ أصبح بارداً   وأنت بحالي عالمٌ لا تُعلَّمُ
فإن تكُ يوماً في جهنَّمَ مُدخلي   ففي مثلِ هذا اليومِ طابَتْ جهنَّمُ

٨٥٥ - كتب البحتري إلى صديق له يعرض بغلامه فعاتبه : [من الخفيف]

نِكْ غلامي اذا اتَّخذْتُ غلاماً   واعْفُ إنّ المعروفَ كان قُروضا
وإذا ما أَرَدْتَ أَنْ تمنعَ النا   سَ وُرودَ الفراتِ كنتَ بغيضا

٨٥٦ - مر أبو نواس بغلام حسن الوجه خفيف العجز فسئل عنه فقال : [من السريع]

ما شئتَ من دنيا ولكنّه   منافقٌ ليستْ له آخرَه

٨٥٧ - وقال شاعر : [من الرجز]

عجبت للأمر الفظيع قد حدث   أبو تميم وهو شيخ لا حدث

قد حبس الأصلعَ في بيت الحدث

٨٥٨ - سمع رجلٌ قول عمر بن أبي ربيعة : [من المديد]

فأتتنــا طبَّــةٌ عالمــةٌ   تخلطُ الجِدَّ مراراً باللعب
ترفع القول إذا لانت لها   وتراخى عند سَوْراتِ الغضب

فقال : لو ادَّعَت النُّبوةَ بهذا الخُلُقِ لأُومن بها .

ورُويَ أنّ ابن أبي عتيق قال له : يا أخي الناسُ يطلبون خليفةً منذُ قُتلَ عثمانُ ابنُ عفان مثلَ قَوّادتِكَ هذه فلا يجدونَ .

---

٨٥٥ ديوان البحتري : ١٢١٢-١٢١٣ .
٨٥٦ محاضرات الراغب ٣ : ٢٥٠ .
٨٥٧ محاضرات الراغب ٣ : ٢٥٤ .
٨٥٨ الأغاني ١ : ١٣٨ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٥٨ .

٨٥٩ – ولآخر في مثل ذلك : [من البسيط]

في فمّها من رُقى إبليسَ مفتاحُ

٨٦٠ – وأجاد الآخر في قوله : [من الرمل المجزوء]

لا يَغُرَّنْك في مجـ ـلسه طولُ سكوتِ
وتسابيـحُ أُديـرَتْ في يديه بخفوتِ
لو يشأ ألّف ضبّاً حسنَ تأليفٍ بحوتِ
ويقود الجملَ الصعـ ـبَ بخيط العنكبوتِ

٨٦١ – قال ابن الرومي : [من الوافر]

يقودُ من الفراهة ألفَ بغلٍ بها حرنٌ بخيط العنكبوتِ

٨٦٢ – وسمع أبو الهذيل رجلاً ينشد : [من الكامل]

يُغْشَونَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم لا يَسألونَ عن السَّوادِ المقبلِ

فقال أوشك أن تكونَ هذه دارَ خمارٍ أو قوّاد .

٨٦٣ – بعض الأعراب : [من الطويل]

لقد سرَّني أنّ الهلالَ غُديَّةً مضى وهو محقورُ الخيال دقيقُ
طواهُ مُرورُ الشّهرِ حتى كأنّه عنانٌ لَواهُ باليدين رقيق

٨٦٤ – وقال ابن الرومي : [من الكامل]

---

٨٥٩ محاضرات الراغب ٣ : ٢٥٨ .
٨٦٠ محاضرات الراغب ٣ : ٢٥٨ .
٨٦١ لم نعثر عليه في ديوانه .
٨٦٢ محاضرات الراغب ٣ : ٢٥٨ وفي العقد ٥ : ٣٣٠ تعليق مشابه للأصمعي على بيت حسان هذا .
٨٦٤ ديوان ابن الرومي : ٢٠٤٠ .

شهرُ الصِّيامِ مباركٌ لكنّه جُعلَتْ لنا بركاتُهُ في طولِهِ
إنّي ليُعجبُني كمالُ هلالِهِ وأُسرُّ بعدَ كمالِهِ بنحولِـهِ

٨٦٥ – قال علي بن الصباح الكوفي : دخلتُ على بشار فقال : يا أبا علي ، أما إني قد أوجعتُ صاحبكم وبلغتُ منه ، يعني حماد عجرد فقلت : بماذا يا أبا معاذ ؟ قال بقولي فيه : [من الخفيف]

يا ابنَ نِهيا رأسٌ عليَّ ثقيلُ واحتمالُ الرأسَيْنِ خطبٌ جليلُ
فادعُ غيري إلى عبادةِ رَبَّيْـ ـنِ فإنّي بواحدٍ مشغولُ

فقلت : لِمَ أدَعُه في عماه ؟ ثم قلت : قد بلغَ حماداً هذا الشعرُ وهو يَرويه خلافَ هذا ، قال : فما يقول ؟ قلتُ : يقولُ إنّكَ قلتَ :

فادعُ غيري إلى عبادة رَبَّيْـ ـنِ فإني عن واحدٍ مشغولُ

فلما سمعه أطرقَ وقال : أحسنَ والله ابنُ الفاعلة . ثم قال : إني لأَحتشِمُكَ فلا تُنشِدْ أحداً هذين البيتين . وكان إذا سُئلَ عنهما بعد ذلك قال : ما هما لي !

٨٦٦ – قال الزبيرُ بن بكار : لما وَلِيَ أبي الحجازَ أخذ عبدَالله بنَ يونس الخياط بأن يُصَلّي الصلواتِ الخمسَ جماعةً في مسجدِ رسول الله ﷺ . فجاءني هو ومحمد بنُ الضحّاكِ وجعفرُ بنُ الحسين اللهبي وجماعةٌ معه ووقف بين يدي وأنشدني : [من الراجز]

قُلْ للأميرِ يا كريمَ الجنسِ يا خيرَ مَنْ بالغَوْرِ أو بالجلسِ
وعُدَّتِـي لولـدي ونفسي شغلْتَني بالصلواتِ الخمسِ

فقلت له : ويلَك ! أتريد أن أستعفيَه لك من الصلاةِ ؟ والله ما يعفيك ، وإن ذلك يبعثُه على اللجاج في أمرك ثم يَضرُّك عنده . فمضى وقال : إذن نصبرُ حتى يُفرجَ الله .

---

٨٦٥ انظر الأغاني ١٤ : ٣٠٨ و٣١١ .

٨٦٧ – دخل بعضُ الفُصحاء على بعض عمّال البصرةِ ، وكان يُعربُ في كلامه ، فقال له يوماً : إن لم تترك الإعرابَ ضربتُك . فقال : إني إذن أشقى الناس به ، ضُرِبْتُ صغيراً لأتعلَّمَ وضربْتُ كبيراً لأتْرُكَ .

٨٦٨ – صلى رجلٌ اسمه يحيى بأربعة نفر فأكثر اللحن في ﴿قل هُوَ اللهُ أحد﴾ (الاخلاص : ١) ؛ فلما فرغ قال أحدهم : [من الرجز]

أكثر يحيى غلطاً في قل هو الله أَحَدْ

فقال الثاني :

قام يصلّي قائماً حتى إذا أعيا قعدْ

فقال الثالث :

كأنما لسانُـــــهُ شُدَّ بحبلٍ من مَسدْ

فقال الرابع :

يزحر في محرابه زحير حُبلى للولد

٨٦٩ – دخل أبو النجم العجليّ على هشامٍ فأعطاه جاريةً ، فلما باتَتْ عندَه وراح عليه من الغدِ سأله عن حاله معها ، فأنشده أبياتاً منها : [من الكامل]

نظرَتْ فأعجبَها الذي في دِرعِها من حُسْنِه ونظرتُ في سرباليا
فرأَتْ لها كفلاً ينوء بخصْرِها وعثاً روادِفهُ وأُجْثَمَ جاثيا
ورأيتُ منقشر العجان مقبضاً رخواً حمائلُهُ وجِلداً باليا
أُدني له الرَّكَبَ الحَليقَ كأنما أدني إليه عقارباً وأفاعيا
فاذهبْ فإنك ميّتٌ لا يُرتَجى أبدَ الأبيدِ ولو عَمِرتَ لياليا

---

٨٦٧ محاضرات الراغب ١ : ٣٧ .

٨٦٨ محاضرات الراغب ١ : ١٤١ .

٨٦٩ الأغاني ١٠ : ١٦٦ وديوان أبي النجم : ٢٣٥ .

٨٧٠ – أبو سهل البوشنجي : [من الكامل المجزوء]

شهرُ الصِّيامِ مُباركٌ إن لم يكنْ في شهرِ آبْ
اليــومُ منـــه كأنّـــه في طوله يومُ الحسابْ
خفتُ العذابَ فصُمتُه فوقعتُ في عينِ العذابْ

٨٧١ – قال الفرّاء : أنشدني صبيٌّ من الأعرابِ أُرجوزةً فقلتُ : لمن هي ؟ فقال : لي . فزَبَرْتُه ، فأدخلَ رأسَه في فَروَتِهِ ثم قال : [من الرجز]

إنّي وإنْ كنتُ صغيرَ السنِّ وكان في العين نُبُوٌّ عنّي
فإن شيطاني أميرُ الجنِّ يذهبُ بي في الشعر كلَّ فنِّ

٨٧٢ – قيل : سمع أعرابي مؤذناً يقول : أشهدُ أن محمداً رسولَ الله بالنصب ، فقال : ويحك ! يفعل ماذا[1] .

٨٧٣ – وقيل لأعرابيّ : أتهمزُ إسرائيل ؟ قال : إني إذن لرجلُ سوءٍ .

٨٧٤ – وقيل لآخر : أتهمز الفارة ؟ قال : السِّنَّوْرُ يَهمزُها .

٨٧٥ – وقيل لآخر : أتجرُّ فلسطين ؟ قال : إني [إذن] لقوي .

٨٧٦ – أحمد بن أبي سلمة الكاتب : [من المتقارب]

حلفتُ بأنّك من حِمْيَرٍ وليس اليمينُ على المدعي

---

٨٧١ الرجز عدا الشطر الأخير في الحيوان ١ : ٣٠٠ والشطر الأول والثالث في محاضرات الراغب ٤ : ٦٣٠ .
٨٧٢ عيون الأخبار ٢ : ١٥٨ والبصائر والذخائر ٦ : ٦٦ .
٨٧٣ عيون الأخبار ٢ : ١٥٧ والبصائر والذخائر ٦ : ٦٧ .
٨٧٤ عيون الأخبار ٢ : ١٥٧ والبصائر والذخائر ٦ : ٦٨ .
٨٧٥ عيون الأخبار ٢ : ١٥٧ والبصائر والذخائر ٦ : ٦٨ .

---

١ في الأصل : لا تفعل ماذا ، ولا معنى له في هذا السياق ، والتصويب عن المصدرين .

٨٧٧ – أعرابي وذكر الحقنة : [من الطويل]

لقد سرّني – واللهِ وقّاك شرَّها – نِفارُك منها إذْ أتاكَ يَقودُها
كفى سَوْأةً إذ لا نراك مُجَبِّياً على شَكْوَةٍ وَفْراءَ في استِكَ عُودها[1]

٨٧٨ – قال رجل لأبي العيناء : تأمر بشيئاً ؟ قال : نعم بحذف الألف من شيء .

٨٧٩ – أنشد رجلٌ الفرزدق شعراً فقال : كيف تراه ؟ فقال : لقد طاف إبليسٌ على هذا الشعر في الناسِ فلم يجد أحمقَ يقبلُه سواك .

٨٨٠ – كان للمبرد ابن متخلف فقيل له يوماً : غطِّ سَوْأتَك ، فوضع يدَه على رأسِ ابنه .

نوادر الظرفاء

٨٨١ – كان أبو عيسى ابنُ الرشيدِ من أحسنِ الناسِ وجهاً وأجملِهم ، وكان المأمون مُقَبَّحاً . فقال الرشيد لابنه أبي عيسى وهو صبيٌّ : ليتَ جمالَك لعبدالله (يعني المأمون) . فقال أبو عيسى [على] أنّ حظَّه منك لي . فعجب من جوابه مع صباه وضمَّه إليه وقبّله .

٨٨٢ – وسأل إبراهيم بن العباس بن صول يوماً عن ابن أخيه أحمد بن عبدالله ابن العباس المعروف بطماس ، فقيل إنه مشغولٌ بطبيبٍ عنده ومُنجِّمٍ .

---

٨٧٧ عيون الأخبار ٣ : ٢٧٥ .
٨٧٨ نثر الدر ٥ : ٢٧٣ دون نسبة ومحاضرات الراغب ١ : ٦٦ .
٨٧٩ محاضرات الراغب ١ : ٨٣ .
٨٨١ الأغاني ١٠ : ١٩٨ .
٨٨٢ الأغاني ١٠ : ٥٦ .

---

١ مجبياً : منكباً على وجهه . شكوة : وعاء من جلد .

وكان إبراهيم يستثقله فقال : قل له يا غلامُ ، والله ما لك في السماء نجمٌ ولا له في الأرض طَبْعٌ فما هذا التكلف ؟

٨٨٣ – مرَّ أبو حفص الشطرنجي بأبي نواس ، وكان أبو نواس يستثقله ، فقال له : يا أبا علي ، ما لي أراك مصفرّاً ؟ قال : رأيتُك فذكرتُ ذنوبي ، فخشيتُ أن يمسخَني الله عزَّ وجلَّ في خَلقِكَ إذا عاقبَني ، فاصفرَّ وجهي .

٨٨٤ – قال أبو مجالد : كنا يوماً عند بعض الورّاقين ومعنا أبو الحارث جُمَّين . فنزل إلينا راكبٌ له جلالةٌ في العين ومنظرٌ ، فقال للورّاقِ : ههنا مصحفٌ جامعٌ للقراءات الثلاث : قراءة حمزةَ وعاصمٍ وأبي عمرو ، وقد نُسِخَ بالكوفة ، وعُرِضَ بالبصرة ، وحُمِلَ إلى المدينة ، صحيحُ الأخماسِ والعُشور والورق والدفتين . فقال الورّاق : كم تجد – أصلحك الله – في الثمن ؟ قال : ثلثا دينارٍ إلا ثلاثةَ أرباعِ دينار . قال : يقول أبو الحارث جمّين : لم يُرِدْ شيخنا مصحفاً على هذه الصفة بهذه القيمة إلا ليكفروا بما فيه .

٨٨٥ – وقال بعض الأمراء لأبي الحارث جُمَّين : أيسرُّك أنّك تخرا غالية ؟ قال : لا . قال : ولِمَ ؟ قال : أخافُ أن يَخْتِمَ الأميرُ على فقحتي فلا يَفتحُها إلا إذا أراد أن يتغلَّف .

٨٨٦ – قال أبو الفرج [نجاح بن سلمة] لأبي عَوْنٍ الكاتب : إن أخي قد باع ضَيعةً يدعو لثمنها القبان ، فقال : دعه ينهش للفقر .

٨٨٧ – دخل أبو حفص الكرماني على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن في المداعبة ؟ قال : وهل العيشُ إلا فيها ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ظلمتَني وظلمتَ غسّانَ بنَ عبّاد . قال : ويلَك ، كيف ذلك ؟ قال : رفعتَ غسَّانَ فوق قدرِهِ ووضعتَني دون قدري ، إلا أنّك في ذلك لغسّانَ أشدُّ ظلماً ، قال : لأنّك أقمته

---

٨٨٥ بهجة المجالس ١ : ٩٨ .

٨٨٧ البصائر والذخائر ٦ : ٦٩ .

مُقامَ هُزءٍ وأقمتَني مقامَ رحمة . [فقال المأمون : قاتلك الله ما أهجاك][1] .

٨٨٨ – ذكر قومٌ معاويةَ فلعنوه وفيهم رجلٌ من ولد أبي لهب مُمسِكٌ ، فقالوا : ما لك لا تلعنُه قال : ما أشغلني بتَبَّتْ !

٨٨٩ – قُدِّم إلى جماعةٍ فالوذجَةٌ حارَّةٌ ، فكاعَ القومُ عنها لحرارتها ، وفيهم رجلٌ من آل أبي مُعَيط ، فأهوى إليها وجعلَ يأكلُ . فقال أحدُهم : انظُرْ إلى صبرِ آل أبي مُعيط على النار .

٨٩٠ – كان عمرانُ[2] بنُ حِطَّان من أقبحِ الناسِ وجهاً وأسمجهم منظراً ، وكانت له امرأةٌ كأنها القمرُ ، أديبةٌ فصيحةٌ . فقالت له يوماً : أنا وأنت في الجنة جميعاً ، قال : وكيف ذاك ، وبِمَ علمتِ ؟ فقالت : لأني ابتُليتُ بك فصبرتُ وأُعطيتَ مثلي فشكرتَ ، والصّابرُ والشّاكرُ في الجنة .

٨٩١ – لعب رجلٌ بين يديْ بعض الملوكِ بالشّطرنج . فلما رآه قد استجاد لعبَه فاوَضَه الكلام : لِمَ لا تُولِّيني نهرَ بُوق قال : أولِّيك نصفه ؛ اكتبوا عهدَه على بوق . وقال له مرة أخرى : وَلِّني أرمينية ، قال : يُبطِىء على أمير المؤمنين خبرُك .

٨٩٢ – وقدم آخر على صاحب له من فارس فقال له : قد أتيتَ الأميرَ فأيَّ شيءٍ ولاك ؟ قال : ولاني قفاه .

---

٨٨٨ نثر الدر ٢ : ٢٠٥ .
٨٨٩ نثر الدر ٢ : ٢٠٨ .
٨٩٠ نثر الدر ٥ : ٢٢٨ والبصائر والذخائر ٥ : ٥٤ وربيع الأبرار ١ : ٦٧٩ .
٨٩١ البيان والتبيين ٤ : ٦ وانظر العقد ٦ : ٤٣ .
٨٩٢ البيان والتبيين ٤ : ٦ ونثر الدر ٢ : ٢٢١ .

---

١ زيادة من البصائر .
٢ في الأصل : عمرو .

٨٩٣ – جاء رجلٌ إلى بعض الأماثل فقال له : أنا جارُكَ وقد مات أخي فلان فمُر له بكفنٍ ، قال : لا والله ما عندي اليومَ شيء ، ولكن تعهَّدْنا وتعودُ بعد أيام وسيكون ما تُحبُّ . قال : أصلحك الله ، فنُملِّحُه حتى يَتيسَّرَ عندكم شيء ؟

٨٩٤ – خاصمَتْ مدينيةٌ زوجَها وكان في خَلَقٍ لا يُواريه فقالت : غيرَّ اللهُ ما بك من نعمة ، قال استجابَ اللهُ دعاءك لعلّي أصبحُ في ثوبين جديدين .

٨٩٥ – جاء رجلٌ إلى مديني فقال له : هل تدلُّني على من يَشتري حماري – وكان جرباً أجرد – فقال : والله ما أعرفُ من يشتري هذا إلا أنّ يجيء من يطلبُ حماراً يسمّنُه للعَتْق .

٨٩٦ – جاورَ إبراهيمُ بنُ سيّابةَ قوماً فأزعجوه من جوارهم . فقال : لِمَ تُخرجوني من جواركم ؟ قالوا : لأنك مَريبٌ ، قال : ويحكم ومن أذلُ من مريب أو أحسن جواراً ؟

٨٩٧ – وكان ابن سيّابة شاعراً ماجناً لطيفاً خليعاً ظريفاً أديباً . وعوتب في مجُونه فقال : ويلكم ! لأنْ ألقى الله بذلِّ المعاصي فيرحمَني أحبُّ إليّ أن القاهُ أتبخترُ إدلالاً بحسناتي فيَمقُتَني .

٨٩٨ – قيل لبعض الصوفية : أتبيع جبتكَ الصوف ؟ فقال : إذا باع شبكتَه الصّيادُ فبأيِّ شيء يصطاد ؟

٨٩٩ – أعدَمَ رجلٌ وأرادوا تفليسه فأركبه القاضي حماراً ونودي عليه : هذا

---

٨٩٣ البيان والتبيين ٤ : ١١ والبصائر والذخائر ٤ : ٧٢ .
٨٩٤ نثر الدر ٢ : ٢٢٣ .
٨٩٥ نثر الدر ٢ : ٢٢٦ .
٨٩٦ نثر الدر ٢ : ١٨٠ .
٨٩٧ الأغاني ١٢ : ٨١ .
٨٩٨ نثر الدر ٢ : ١٨٢ وربيع الأبرار ٣ : ٥٩٢ .
٨٩٩ نثر الدر ٢ : ١٨٢ .

مُعدِمٌ فلا يُعاملْه أحدٌ إلا بالنقد . فلما كان آخر النهار ونزل عن الحمار قال له المُكاري : هاتِ أجرتي . فقال له : فِيمَ كنّا منذُ الغداة ؟ !

٩٠٠ – كان الجمّازُ لا يدعو إلى بيته أكثرَ من ثلاثة لضعفه . فدعا ثلاثةً فجاءه ستةٌ ، وقام كلُّ واحدٍ منهم على رِجلٍ واحدة ، وقرعوا البابَ فعدَّ أرجلَهم من خلف الباب وأدخلهم . فلما حصلوا في بيته تذمَّر ، فقالوا : ما شأنُك ؟ قال : دعوت ناساً ولم أدع الكراكي .

٩٠١ – قيل لغلام : أتحبُّ أن يموتَ أبوك ؟ قال : لا ولكني أُحبُّ أن يُقتلَ لأرِثَ ديته فإنه فقير .

٩٠٢ – نظر فيلسوف إلى رجل يرمي وسهامه تقعُ يميناً وشمالاً ، فقعد موضعَ الهدف . فقيل له في ذاك ، فقال : لم أرَ موضعاً أسلمَ منه .

٩٠٣ – استقبل عمرو الخُوزيّ رجلاً من أصدقائه وقد شُجَّ وسالَت الدماءُ على وجهه فقال لعمرو : ليس تعرفني ؟ قال : ما رأيتك في هذا الزِّيِّ قطُّ ، فاعذُرْني إن لم أُثبِتْك .

٩٠٤ – كان في بعض السنين قحطٌ ، ووقع بين امرأة عمروٍ الخُوزي وبين جيرة لها خصومةٌ وضُرِبَتْ وكُسرَتْ ثَنِيَّتُها . فانصرفَتْ إليه باكيةً وقالت : فعل بي ما هو ذا تراه وكُسرَتْ ثَنِيّتي . فقال : لا تغتمّي ! ما دام الثغر على هذا يكفيك ثنية واحدة .

٩٠٥ – قيل لأدهمَ المضحكِ ، وكان أسود : قد أمر الوالي أن لا يَخرجَ أحدٌ إلى المصلّى إلا في سواد ، قال : فأنا أخرج عُريان .

---

٩٠٠ زهر الآداب ١ : ٢٠٦ .
٩٠١ نثر الدر ٥ : ٣٣٦ .
٩٠٣ نثر الدر ٦ : ٥٤٢ وفيه الخزرجي بدلاً من الخوزي .
٩٠٤ نثر الدر ٦ : ٥٤٢ .
٩٠٥ نثر الدر ٦ : ٥٤٥ .

٩٠٦ – قال المتوكلُ لبعض أصحابه : اطلُبْ لي نصارى يُسلمون . فغاب عنه أياماً ثم عاد إليه وقال : الإسلام – والحمدُ لله – في إقبال ، ولم أجدْ ما طلبتَ ، ولكن ههنا مشايخُ مشهورون من المسلمين يتنصرون إذا أردتَ .

٩٠٧ – قيل لبعضهم : ما بالُ الكلبِ إذا بال أشغر برجله ؟ قال : يخافُ أن تتلوَّثَ دُرَّاعتُه . قيل : وللكلبِ دُرّاعة ؟ قال : هو يَتوهَّمُ أن له دُرّاعة .

٩٠٨ – نظر بعضُهم إلى صبيٍّ بغيضٍ فقال : هذا والله من أولادِ الإيمان ؛ قال ، يقولُ أبوه : نحرتُ ابني هذا عند الكعبة ، أهديت ابني هذا إلى مقام إبراهيم ، ثكلتُ ابني هذا .

٩٠٩ – تزوَّجَ رجلٌ امرأةً قد ماتَ عنها خمسةُ أزواجٍ ، فمرض السادس فقالت : إلى من تَكِلُني ؟ فقال : إلى السابعِ الشّقيِّ .

٩١٠ – وماتَ زوجُ امرأةٍ فراسلَها في ذلك اليوم رجلٌ يَخطِبُها ، فقالت : لو لم يسبقْكَ غيرُك لفعلتُ . فقال الرجل : قد قلتُ لك إذا ماتَ الثاني فلا تَفوتِيني .

٩١١ – وكان ليهوديّ غلامٌ فبعثَه يوماً ليحمل ناراً يطبخُ بها قِدراً فأبطأ عليه ، ثم عاد بعد مدّة وليس معه نار . فقال : أين النار ؟ قال : يا سيّدي قد جئتُك بأحرّ من النار ، هذا صاحب الجوالي بالباب يطلبُ الجزية .

٩١٢ – قال ابن أبي عتيق لأشعب : أما تستحي – وعندك ما أرى – من أن تسأل الناس ؟ قال : معي والله من لُطفِ المسألةِ ما لا تَطيبُ نفسي بتركه .

---

٩٠٦ نثر الدر ٦ : ٥٤٥ .
٩٠٧ نثر الدر ٦ : ٥٤٧ وانظر محاضرات الراغب ١ : ١٣٦ .
٩٠٨ نثر الدر ٦ : ٥٤٨ .
٩٠٩ نثر الدر ٢ : ٢٠٢ .
٩١٠ نثر الدر ٢ : ٢٠٢ .
٩١١ نثر الدر ٢ : ٢٠٢ .
٩١٢ نثر الدر ٥ : ٣١٧ .

٩١٣ – وجلس أشعبُ يوماً في الشتاء إلى رجلٍ من ولد عُقبةَ بنِ أبي مُعَيط ، فمرّ به حسنُ بنُ حسنٍ فقال : ما يُقعدِكَ إلى جانب هذا ؟ قال : أُصطلي بناره .

٩١٤ – وقال أبو العيناء ، قلت لغلامي : قد رأيتُ في السوق مِشْجَباً فاشترِ لنا [هذا] المشجب ، قال : يا سيدي ما تلبسُ إذا ألقيت ثيابك على المشجب ؟

٩١٥ – وقال أبو العيناء لرئيس كان عنده وهو يخفض كلامه : قد طُفِّل بك في منزلك .

٩١٦ – وقدم إليه ابن مكرم جنب شواء فقال : ليس هذا جنباً ، هذا شرُّ لجة قصب .

٩١٧ – تزوّجَ بعضُ الخصيان في زمن شُرَيح بامرأة ، فأتَتْ بولدٍ ، فتبرّأَ الخصيُّ منه ، فترافعا إلى شريح فألحقَ الولدَ به وألزمه أن يحملَه على تلك الحال . فاستقبله خصيٌّ آخرُ ، فقال : انجُ بنفسك فإنّ شُريحاً يريد ان يُفرِّق أولادَ الزّنا على الخِصيان .

٩١٨ – تزوّج رجلٌ امرأةً ، فلما كان اليوم الخامسُ من زَفافِها ولدَتْ ابناً . فقام الرجل وصار إلى السوقِ واشترى لوحاً ودواة ، فقالوا له : ما هذا ؟ قال : من يُولَدْ في خمسة أيام يَذهبْ إلى الكُتّابِ في ثلاثةِ أيام .

٩١٩ – وجدَ رجلٌ مع أمِّه رجلاً فقتل أمَّه وخلَّى عن الرجل ، فقيل له : أما قتلتَ الرجلَ وخلّيْتَ أمَّك ؟ قال : كنت أحتاجُ أن أقتلَ رجلاً في كلّ يوم .

---

٩١٣ نثر الدر ٥ : ٣١٧ .
٩١٤ نثر الدر ٣ : ٢١٥ .
٩١٥ نثر الدر ٣ : ٢١٧ والبصائر والذخائر ٥ : ٣٨ .
٩١٦ نثر الدر ٣ : ٢١٧ .
٩١٧ نثر الدر ٣ : ٢١٧ ومعجم الأدباء (عباس) : ٢٦٠٦ .
٩١٨ نثر الدر ٤ : ٣٠٤ .
٩١٩ نثرالدر ٤ : ٣٠٥ .

٩٢٠ – سئل جحظة عن دعوة حضرها فقال : كل شيء كان بارداً إلا الماء .

٩٢١ – دخل أبو العيناء على عبيد الله بن عبدالله بن طاهر وهو يلعبُ بالشطرنج فقال له : في أيِّ الحَيِّزَيْنِ أنت ؟ قال : في حَيِّزِ الأميرِ أعزَّه الله . وغُلِبَ عبيدُ الله وقال : يا أبا العيناء قد غُلِبْنا ، وقد أصابك من البُدنِ خمسون رطلاً ثلجاً فكُنْ في حيلتها . فقام ومضى إلى ابن ثوابة وقال : إنّ الأميرَ يدعوك . فلما دخلا قال : أيَّدَ الله الأميرَ ، قد جئتُك بجبل هَمَذان وماسبَذان ، فخذْ منه ما شئتَ .

٩٢٢ – لما استَوْزَرَ صاعدُ بعقب دخوله من النصرانية في الإسلام صار أبو العيناء إلى بابه ، فقيل له : يُصلّي ، فعادَ فقيل له يُصلّي ، فقال : معذورٌ ، لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ .

٩٢٣ – وقال لرجل سلَّمَ عليه : مَن أنت ؟ قال : رجل من ولد آدم . فقال : ادنُ مني عانِقْني ، فما ظنَنْتُ أنّه بقيَ من هذا النسل أحدٌ .

٩٢٤ – حضر يوماً ابن مكرم فأخذ يُؤذيه . فقال ابن مكرم : الساعة والله أنصرف ، قال : ما رأيتُ مَن يَتهدَّدُ بالعافية غيرَك .

٩٢٥ – وأكل عند ابن مكرم فسُقيَ على المائدة ثلاثَ شَرباتٍ باردة ، ثم استَسْقى فسُقِيَ شَربةً حارَّة فقال : لعل مزمِّلَتكم تَعْتريها حُمَّى الرِّبْع .

٩٢٦ – صحبَ رجلٌ مُفلِسٌ جماعةً فقسموا له قِسماً ، فاشترى دابَّةً وكُسوةً . وكان إذا حلف يقول : وإلا فدابَّتي حبيس وثيابي صدقة وغلامي

---

٩٢١ نثر الدر ٣ : ١٩٧ ومعجم الأدباء : ٢٦٠٥ .
٩٢٢ نثر الدر ٣ : ٢٠٠ ومعجم الأدباء : ٢٦٠٦ .
٩٢٣ نثر الدر ٣ : ٢٠١ ومعجم الأدباء : ٢٦٠٨-٢٦٠٩ .
٩٢٤ نثر الدر ٣ : ٢٠١ ومعجم الأدباء : ٢٦٠٦-٢٦٠٧ .
٩٢٥ نثر الدر ٣ : ٢٠٤ ومعجم الأدباء : ٢٦٠٩ .
٩٢٦ نثر الدر ٣ : ٢٠٤ .

وداري مقبرة . فقال أبو العيناء : طالَتْ يمينه ابن الزانية .

٩٢٧ – وانتصف ابن مكرم من أبي العيناء ، فإنه صادفه ساجداً وهو يقول : يا ربِّ سائلُكَ ببابك ، فقال : تُمَنِّن على الله تعالى بأنّك ببابه سائله وأنتَ سائل لكل باب ؟ .

٩٢٨ – ووُلِدَ لأبي العيناء ابنٌ فأهدى إليه ابنُ مكرم حجراً ، يريد قول النبي ﷺ : للعاهر الحجر .

٩٢٩ – أكل أبو العيناء مرة ديكبريكةً وغسلَ يده عدة مرات فلم تَنْقَ ، فقال : كادَتْ هذه القِدْرُ أن تكونَ نسباً وصهراً .

٩٣٠ – ولقيَه رجل من إخوانه فقال له : أطالَ الله بقاءك وأدامَ عِزَّك وتأييدَك وسعادتَك ، فقال أبو العيناء : هذا العنوان وكتاب مَنْ أنت ؟

٩٣١ – صار أبو العيناء إلى باب أبي عبيد الله بن يحيى ، فقال له حاجبُه سعد : هو مشغولٌ يا أبا عبدالله . قال : ففي شغله أُريدُ ألقاه . قال : ليس إلى ذلك سبيل . فقال له : رزقكم الله العَودَ إلى بيته الحرامِ ، وانصرف ؛ فقال سعد : دعا علينا لعنهُ اللهُ واللهِ إن كنّا بمكة إلا حين نُفينا .

٩٣٢ – وقيل له : كيف أصبحت [قال : أصبحت] والله من المملقين الذين لا يطمع فيهم نجاح بن سلمة[1] .

---

٩٢٧ نثر الدر ٣ : ٢٠٤ .
٩٢٨ نثر الدر ٣ : ٢٠٤ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٥٢ .
٩٢٩ نثر الدر ٣ : ٢٠٧ ومعجم الأدباء : ٢٦٠٩ .
٩٣٠ نثر الدر ٣ : ٢٠٨ .
٩٣١ نثر الدر ٣ : ٢٠٨-٢٠٩ .
٩٣٢ نثر الدر ٣ : ٢٠٩ .

---

١ في الأصل : شملة .

٩٣٣ – قيل لبعضهم : أعطَيْتني بِرَّكَ تفاريقَ وعُقوقَك جُملةً .

٩٣٤ – وداس رجلٌ بنتاً له وقال : باسم الله . فقالت أُمُّها : لم ترضَ بذبحها حتى تُذَكِّيَها .

٩٣٥ – أخذ بعض الولاة مزبِّداً واتَّهمه بالشربِ فاستَنْكَهَه فلم يجدْ منه رائحة . فقال : قيّئوه ، قال : من يَضمنُ عشائي ، أصلحك الله ؟

٩٣٦ – وادّعى عليه رجلٌ شيئاً وقدَّمه إلى القاضي فأنكره ، وسأله إقامة البيِّنَةِ ، فقال : ليس لي بيِّنَةٌ ، قال : فأستحلفُهُ لك ؟ قال : [وما يمين مزبِّد أصلحك الله ؟ فقال مزبِّد : ابعث ، أصلحك الله ، إلى ابن أبي ذئبٍ فاستحلفه له][1] .

٩٣٧ – قيل لمزبد : أيسرك أن هذه الجُبَّةَ لك ؟ قال : نعم وأُضرَبُ عشرين سوطاً . قيل : ولم تقولُ هذا ؟ قال : لأنه لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ .

٩٣٨ – سمع مُزبِّد رجلاً فقال له : من أنت ؟ قال : قرشي والحمدُ لله . فقال مزبِّد : الحمدلله في هذا الموضع ريبة .

٩٣٩ – وقيل له : ما ورثَتْ أختُك عن زوجها ؟ فقال : أربعةَ أشهرٍ وعشراً .

٩٤٠ – وقال لامرأته يوماً : اتّخذي لي قريصاً فقد اشتهيتُه ، قالت : فأين

---

٩٣٣ نثر الدر ٣ : ٢١١ والبصائر والذخائر ٦ : ١٤ والقول لأبي العيناء .
٩٣٤ انظر نثر الدر ٣ : ٢١٢ .
٩٣٥ نثر الدر ٣ : ٢٣٢ والبصائر والذخائر ٥ : ١٩٣ .
٩٣٦ نثر الدر ٣ : ٢٣٢ .
٩٣٧ نثر الدر ٣ : ٢٣٣ وعيون الأخبار ١ : ٢٦٣ .
٩٣٨ نثر الدر ٣ : ٢٣٧ .
٩٣٩ نثر الدر ٣ : ٢٣٧ .
٩٤٠ نثر الدر ٣ : ٢٣٨ .

---

[1] زيادة من نثر الدر .

حوائجه ؟ قال : قد حضر البردُ لعقده حتى ننظر في باقي الحوائج .

٩٤١ – واشتهَتْ امرأتُه فالوذجاً فقال : ما أيسرَ ما طلبتِ ، عندنا من آلته أربعةُ أشياءَ ، بقي شيئان تحتالين فيهما أنت . قالت : وما الذي عندنا قال : الطحينُ والاسطام[1] والنارُ والماءُ وبقيَ الدُّهنُ والعسلُ وهما عليك .

٩٤٢ – ووضعَتْ امرأتُه المُنخُلَ على فراشه فلما جاء ورآه تعلَّقَ بالوتد ، فقالت امرأتُه : ما هذا ؟ قال : وجدتُ المنخلَ في موضعي فصرتُ في موضعه .

٩٤٣ – وقيل له وقد عضّه كلبٌ : إن أردتَ أن يسكن فأطعمه الثريد قال : إذن لا يبقى في الدنيا كلبٌ إلا جاءني وعضَّني .

٩٤٤ – وقيل له : قد بيَّضَ الناسُ جميعاً في سائرِ الآفاق ، وذلك عند خروج محمد بن عبدالله بن الحسن ، فقال : وما ينفعنا من ذلك وهذا عيسى بن موسى بعقوبنا ، اعملوا على أن الدنيا كلها زبدة . قيل : فبهذا سُمِّيَ مزبِّداً .

٩٤٥ – وقال مُزَبِّد لرجلٍ : كم تعلف حمارك ؟ قال : نخسة بالغداة ونخسة بالعشي ، قال : اتق الله لا يُحمَر عليك .

٩٤٦ – قيل لأبي الحارث جُمَّين : هل سبقت بِرذَونكَ هذا قطُّ ؟ قال : لا إلا مرّةً دخلنا زقاقاً لا منفذ له ، وكنت آخرَ القوم ، فلما رجعت كنت أوّلَهم ، أوّلَ الموكب .

---

٩٤١ نثر الدر ٣ : ٢٤٣ .
٩٤١ نثر الدر ٣ : ٢٤١ .
٩٤٣ نثر الدر ٣ : ٢٤٤ .
٩٤٤ نثر الدر ٣ : ٢٤٥ .
٩٤٥ نثر الدر ٣ : ٢٤٦ .
٩٤٦ نثر الدر ٣ : ٢٤٧ .

---

[1] الاسطام : المسعار .

٩٤٧ - ونظر جُمَّين يوماً إلى بِرذَونٍ يُستقَى عليه فقال : [من الطويل]

* وما المرء إلا حيث يجعل نفسه *

لو هملج هذا ما كان كذا .

٩٤٨ - ودخل إلى بعض أصدقائه فقال له : ما تشتهي ؟ قال : أمّا الآن فما حضر وأمّا غداً فهريسة .

٩٤٩ - وقيل له : ما تقول في جَوذَاب بَطٍّ في يومٍ صائِفٍ قال : نعم في يومٍ من أيام تمّوز في حمام حارّ بمنى .

٩٥٠ - وقيل له وقد رأى سوداءَ قبيحةً : [لو] ابتلاكَ الله بها تُحبُّها ؟ قال : يا بغيضُ ، لو ابتلاني بحبِّها كانت عندي من الحُورِ العين ، ولكن ابتلاكَ الله بأن تكونَ في بيتك وأنت تُبغضُها .

٩٥١ - وقال له الرشيد : اللوزينجُ ألذُّ أم الفالوذج ؟ فقال له : أحضِرْهما يا أمير المؤمنين . فأُحضرا فجعلَ يأكلُ من هذا وهذا ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين كلما أردتُ أن أشهدَ لأحدهما غمزني الآخرُ بحاجبه .

٩٥٢ - ودخل إلى الجَمّازِ يوما بعضُ إخوانه وهو يَطبخُ قِدراً ، فقال : لا إله إلا الله ، ما أعجب الرزق ! فقال له الجمّازُ : أعجب منه الحرمانُ ، امرأتُه طالقٌ إن ذُقتَها .

٩٥٣ - صلّى رجلٌ صلاةً خفيفةً فقال له الجمّازُ : لو رآك العجّاجُ لسرَّ بك .

---

٩٤٧ نثر الدر ٣ : ٢٤٨ وعيون الأخبار ١ : ٢٣٥ والبيان والتبيين ٣ : ٢٢٨ والبيت لمنقر بن فروة المنقري وعجزه : ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعلِ .

٩٤٨ نثر الدر ٣ : ٢٤٨ وفيه «ماء حصرم» بدلاً من «ما حضر» .

٩٤٩ نثر الدر ٣ : ٢٥٠ .

٩٥٠ نثر الدر ٣ : ٢٥١ .

٩٥١ نثر الدر ٣ : ٢٥١ ويحكى مثل هذه الحكاية عن شخصيات أخرى كالقاضي أبي يوسف والقاضي شريح .

٩٥٢ نثر الدر ٣ : ٢٥٢ .

٩٥٣ نثر الدر ٣ : ٢٥٢ .

قال : وَلِمَ ؟ قال : لأن صلاتَك رَجَز .

٩٥٤ – قال رجل من وَلَدِ عبيد الله بن زياد [إنه رأى] النبي ﷺ وعلياً وفاطمة عليهما السلام فصامَ وتصدَّقَ تبرّكاً برؤياه . وقصَّها والجمّاز حاضرٌ ، فقال له : أتدري لم جاءوك ؟ قال : لا ، قال : جاءوك ليشكروك على فعلِ أبيك بابنهم . فانخزَلَ الرجلُ وودَّ أنه لم يذكُرْ من ذلك شيئاً .

٩٥٥ – وقال ابن عمار : تذاكر [جماعة] ضيقَ المنازل ، فقال الجمّاز : كنّا على نبيذٍ لنا وكان أحدُنا إذا دخلَ الكنيفَ وجاء القدحُ مدّ يدَه إلى الساقي فناوله إياه .

٩٥٦ – دفع الجمّاز إلى القصّار قميصاً ليغسلَهُ فضيَّعه وردّ عليه قميصاً صغيراً ، فقال : ليس هذا قميصي . قال : بلى هو قميصُكَ ، ولكنه توَّزيٌّ في كل غَسلة ينقص ويقصر . قال : فأُحبُّ أن تعرّفَني في كَم غسلة يصيرُ القميص زرّاً .

٩٥٧ – حضر الجمّاز دعوةً فجعل ربُّ البيت يدخل ويخرج وهو يقول : عندنا سِكْباجَةٌ تطيرُ طيراناً ، عندنا قَلِيَّةٌ تطيرُ في السماء . فلما طال ذلك على الجماز جاع وقال : يا سيدي أُحبُّ أن تُخرجَ إليّ رغيفاً مقصوصَ الجناحِ إلى أن تقعَ ألوانُكَ الطائرات .

٩٥٨ – قال بعض المؤدِّبين : حضرتُ لتعليمِ المعتزِّ وهو صغير فقلتُ له : بأي شيء نبدأ اليومَ ؟ قال : بالانصراف .

٩٥٩ – صُرِعَتْ امرأةُ بعضِ المطبوعين ، فقرأ عليها مثلَ ما يقرأ المعَزِّم ثم

---

٩٥٤ نثر الدر ٣ : ٢٥٣ .
٩٥٥ نثر الدر ٣ : ٢٥٤ .
٩٥٦ نثر الدر ٣ : ٢٥٦ .
٩٥٧ نثر الدر ٣ : ٢٥٦ .
٩٥٨ نثر الدر ٥ : ٣٣٤ ومحاضرات الراغب ١ : ٥٦ .
٩٥٩ نثر الدر ٦ : ٥٤٤ .

قال : أمسلمٌ أنت أم يهوديٌّ أم نصرانيٌّ ؟ فأجابه الشيطان على لسانها كما يقولون ويزعمون : أنا مسلمٌ . قال : فكيف استحلَلْتَ أن تتعرَّضَ لأهلي وأنا مسلمٌ مثلُك ؟ قال : لأني أُحبُّها . قال : ومن أين جئتَ ؟ قال : من جُرجان . قال : ولِمَ صرَعْتَها ؟ قال : لأنّها تمشي في البيتِ مكشوفةَ الرأسِ ، قال : فإذا كنتَ بهذه الغَيْرَةِ ، هلا حملْتَ لها من جرجان وقاية تلبَسُها ولا تنكشف .

٩٦٠ – دعا حمّاد بن الزبرقان أبا الغول النهشلي إلى منزله ، وكانا يتقارضان ، فانتهره أبو الغول ، فلم يزل المفضل به حتى أجابه . وانطلق فلما رجع إلى المفضَّل قال له : ما صنعتَ أنت وحمّاد ؟ قال : اصطلحنا [على] ألا آمرَه بالصلاة ولا يدعوني إلى شرب الخمر .

٩٦١ – سقط لمطيع بن إياس حائط فقال له بعض أصحابه : احمدِ الله على السلامة ، فقال مُطيع : احمدِ الله [أنت][1] الذي لم ترعك هِدّتُه ، ولم يُصبْكَ غُبارُه ، ولم تَغرمْ أجْرَ بنائه .

٩٦٢ – وقيل لاسماعيل بن حمّاد : أي اللحميْنِ[2] أطيبُ ؟ قال : لحومُ الناسِ ، هي أطيبُ من الدجاج والدُرّاج .

٩٦٣ – قيل لبعضهم : كيف أنت في دينك ؟ قال : أُخرِّقُه بالمعاصي وأُرقِّعُه بالاستغفار .

---

٩٦٠ أمالي المرتضى ١ : ١٣٣ وفي نثر الدر ٢ : ٢٠١ حكاية مقاربة عن حمزة بن بيض وحماد الراوية .

٩٦١ الأغاني ١٣ : ٣٠٢ .

٩٦٢ الحيوان للجاحظ ٥ : ٢٧ .

٩٦٣ نثر الدر ٢ : ٢١٩ .

---

١ زيادة من الأغاني وبها يستقيم المعنى .

٢ الحيوان : اللُحمان .

٩٦٤ – قيل لسهل بن هارون : خادمُ القومِ سيِّدهُم ، قال : هذا من أخبار الكسائي .

٩٦٥ – رأى محمد بن سعيد كتاباً بخطٍّ دقيقٍ ، فقال : هذا كتابُ من يَئِسَ من طول حياته .

٩٦٦ – دخل أبو بكر بن مكرم على أبي العيناء فرأى عنده مُنجِّماً فقال : ما يصنعُ هذا ؟ قال : يعملُ مولد ابني ، قال : فسَلْهُ قبلُ هو ابنُك حقيقةً .

٩٦٧ – دعا يحيى بن أكثم عدوله فقدم إليهم (. . . .) صغيرة فتضامّوا عليها حتى كان أحدُهم يتقدَّمُ فيأكل اللقمة ثم يتأخَّرُ حتى يتقدَّمَ الآخرُ . فلما خرجوا قيل لهم : فيمَ كنتم ؟ قالوا : كنّا في صلاة الخوف .

٩٦٨ – قال رجلٌ للجمّاز : خرج بي دمل في أقبحِ موضعٍ ، قال : كذبتَ هو ذا أرى وجهَكَ ليس فيه شيءٌ .

نوادر مواجن النساء

٩٦٩ – طُلِبَتْ جاريةُ محمودِ الورّاقِ للمعتصم بسبعة آلاف دينارٍ فامتنع من بيعها ، وشُرِيَتْ له بعد ذلك من ميراثه بسبعمائة دينار . فذكر المعتصمُ لها ذلك يوماً فقالت : إذا كان الخليفة ينتظرُ لشهواتِهِ المواريثَ فسبعونَ ديناراً في ثمني كثير ، فكيف سبعمائة ! .

٩٧٠ – وقالت شاعرة فيهن : [من الرجز]

---

٩٦٤ البصائر والذخائر ١ : ١٦٦ .

٩٦٦ نثر الدر ٢ : ٢٠٢ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٥٢ والعقد ٦ : ٤٠٤ .

٩٦٨ نثر الدر مع بعض اختلاف ٣ : ٢٥٢ .

٩٦٩ نثر الدر ٤ : ٢٤٨ .

٩٧٠ البيان والتبيين ٣ : ٢٠٧ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٦٥ واللسان (فتخ) والرجز للدهناء بنت مسحل زوج العجاج كما في اللسان والبيان والتبيين .

والله لا تُمسكُني بضمٌّ ولا بتقبيلٍ ولا بِشَمٍّ
إلا بزَعْزاعٍ يُسلّي هَمّي يَسقطُ منه فَتَخي في كُمّي

٩٧١ – قيل : تزوّجَ الوليدُ بن عبد الملك ثلاثاً وستينَ امرأةً ، وكان أكثرَ ما يقيمُ على المرأة ستةُ أشهرٍ . وكان في من تزوّجَ إبنةُ عبدالله بن مطيع العدوي ، وكانت جميلةً ظريفةً . فلما أهديت إليه قال لسُمّاره الذين يَسمُرون عنده : لا تبرحوا إن أبطأتُ حتى أخرجَ إليكم . ودخل بها وانتظروه حتى خرج إليهم في السَّحَرِ ، وهو يضحك ، فقالوا : سَرَّكَ الله يا أميرَ المؤمنين . فقال : ما رأيتُ مثلَ ابنة[1] المنافق (يعني عبدَالله بنَ مطيع ، وكان في من قُتلَ مع ابن الزبير ، وكان بنو مروان يُسمُّوْن شيعةَ ابنِ الزبير المنافقين) لما أردتُ القيامَ أخذَتْ بردائي وقالت : يا هذا إنّا قد اشترَطْنا على الحمّالين الرجعةَ ، فما رأيك ؟ فأُعجبَ بها وأقامَ عليها ستةَ أشهر ، ثم بعث إليها بطلاقها .

٩٧٢ – حمَلَتْ ابنةُ [الخسّ] من زنا فسُئلَتْ ممّنْ حملَتْ فقالت : [من الطويل]

أشَمُّ كغصنِ البانِ جَعدٌ مرجَّلٌ شُغِفْتُ به لو كان شيئاً مُدانيا
ثكلتُ أبي إذ كنتُ ذُقتُ كريقه سلافاً ولا ماءً من المُزنِ صافيا
فأُقسِمُ لو خُيِّرتُ بين فِراقِه وبين أبي لاخترت أَنْ لا أبا ليا
فإن لَمْ أُوسِّدْ ساعدي بعد رَقدةٍ غلاماً هِلاليّاً فشَلَّتْ بنانيا

٩٧٣ – حدّث أبو محمد الحسنُ بنُ محمد ، وكان دَميماً ظاهرَ السماجة ،

---

٩٧١ انظر فوات الوفيات ٤ : ٢٥٥ .
٩٧٢ الأغاني ١٩ : ١٧٥ وعنه أتمّ النقص .

[1] في الأصل : ابن .

قال : كنت واقفاً عند الجسر ببغداد أُحدِّثُ صديقاً لي ، فوقفَتْ امرأةٌ مُقابلي طويلاً تتأمَّلُني ولا ترفعُ ناظرَها عني حتى استربت بها . فقلت لغلامي : انظرْ ما تريدُ هذه المرأةُ . فدنا منها فقال : ما وقوفُكِ وما تريدين ؟ قالت : كانت عيني أذنبَتْ ذنباً فأحببت أن أُعاقبَها بالنظر إلى هذا السمج[١] .

نوادر في التعصب والتحزب

٩٧٤ – قال عُروةُ بنُ سليمان : كان عندنا رجلٌ من بني نُمير يدعو لأبيه ويدعُ أمَّه فقيل له في ذلك فقال : إنها كلبيّة .

٩٧٥ – ركب شيخٌ من بني نمير في سفينة ومعه ابنُ له ، وفي السفينة جماعة ، فنسَبَهم الشيخُ فإذا كلُّهم من الأزدِ . فأخذ الشيخُ حديدةً وجعلَ ينقُبُ بها ، فقال له ابنه : ما تصنع ؟ قال : أخرقُها ، قال : إذن نغرقُ ، قال : يا بُنيَّ ، أما ترضى أن أغرقَ أنا وأنت وثمانيةَ عشرَ رجلاً من الأزد ؟

٩٧٦ – وقال رجل من بني أسد يمدح يحيى بن حيان النخعي : [من الطويل]

أَلا جعلَ اللهُ اليَمانِينَ كلَّهم فِدى لفتى الفتيانِ يحيى بنِ حيَّانِ
ولولا عريق فيَّ من عصبيَّة لقلتُ وألفاً من معدِّ بنِ عدنانِ
ولكنّ نفسي لم تَطِبْ بعشيرتي وطابَتْ له نفسي بأبناء قحطانِ

٩٧٧ – وزُعِمَ أنّ ناسكاً من بني الهُجَيمِ بن عمرو بن تميم كان يقولُ في قَصَصِه : اللّهمَّ اغفرْ للعربِ خاصة وللموالي عامة ، فأما العجمُ فهم عبيدُك

٩٧٤ البيان والتبيين ٣ : ٢٨٢ .
٩٧٥ نثر الدر ٦ : ٤٧٠ .
٩٧٦ البيان والتبيين ٣ : ٣٠٩ .
٩٧٧ نثر الدر ٦ : ٤٩٠ .

[١] الأغاني : القبح .

والأمرُ إليك .

٩٧٨ – وزَعم الأصمعي أنه سمع أعرابياً يقول لآخر : أتُرى هذه العجَمُ تَنكحُ نساءَنا في الجنَّة ؟ قال : أرى ذاك والله بالأعمال الصالحة ، قال : تُوطَأُ رقابُنا والله قبلَ ذلك .

٩٧٩ – سُمعَ رجلٌ يقرأ : الأكرادُ أشدُّ كفراً ونفاقاً ، فقيل له : ويحَك ! الأعرابُ ، قال : كلُّهم يقطعون الطريق .

٩٨٠ – كان للحسنِ بن قيس بن حصن ابنٌ شيعيٌ وابنةٌ حَروريَّةٌ وامرأةٌ معتزِلَة وأختٌ مرجئة وهو سُنِّي ، فقال لهم ذات يوم : أراني وإيَّاكم طَرائقَ قِددَاً .

٩٨١ – قيل لمدني : كيف رغبتكم في السّواد ؟ قال : لو وجدنا بيضاءَ لسَوَّدْناها .

٩٨٢ – أُحضر رجلٌ رُميَ بالرفض عند الوالي ، فقيل له ما تقولُ في أبي بكر ، خليفةٌ هو ؟ قال : لا ؛ قال : فعمر ، قال : لا ؛ قال : فعثمان قال : لا ؛ قال : فما تقول في عليّ رضى الله عنه ، قال : ليس بخليفة ؛ قال : ويحَك ! من الخَليفةُ ؟ قال : معاوية ، قال : كيف ؟ قال : لأنّ الله تعالى قال حاكياً عن الملائكة قال : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعلُ فيها من يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدِّماءَ﴾ (البقرة : ٣٠) وهذه صفةُ معاوية .

نوادر المخنثين

٩٨٣ – نظر مُخنَّثٌ إلى رجلٍ دميمِ الوجه ، فقال : وجهُكَ هذا نموذجُ جهنَّمَ أُخرِجَ إلى الدنيا .

---

٩٧٨ نثر الدر ٦ : ٤٩٠ والكامل للمبرد : ١٣٧٥ .
٩٧٩ انظر نثر الدر ٧ : ٣٧٩–٣٨٠ .
٩٨٠ البصائر والذخائر ٥ : ٩٤ .
٩٨٣ نثر الدر ٥ : ٢٨٠ .

٩٨٤ – دخل مخنَّثٌ على العُريانِ بن الهيثم ، وهو أمير الكوفة ، فقالوا : إنه يفعلُ ويصنعُ . فقال له العريان : يا عدوَّ الله لِمَ تفعلُ هذا ؟ قال : كذبوا عليّ أيها الأميرُ كما كذبوا عليك . فغضبَ العريانُ وقال : ما قيل فيّ ؟ قال : يُسمُّونك العُريان ، وعليك عشرون قطعة ثياباً . فضحك وخلاه .

٩٨٥ – مرَّتْ امرأةٌ بمخنَّثٍ حسنِ الوجه ومعها ابنةٌ لها ، فقالت : ليت لابنتي حسنَ وجهك ، قال : وحلاقي[1] ؟ قالت : تعستَ ! قال : فتأخذين من ما صفا وتدعين ما كَدُر ؟

٩٨٦ – تاب مخنَّثٌ فلقِيَه مخنَّثٌ آخر فقال : يا فلانُ ، أيْشْ حالك ؟ قال : قد تُبتُ ، قال : فمن أين معاشُك ؟ قال : بقِيَتْ لي فَضلةٌ من الكسب القديم فأنا أُمزمِزُها ، قال : إذا كانت نفقتُك من ذلك الكسبِ فلحمُ الخِنزيرِ طَريٌّ خيرٌ منه قديد .

٩٨٧ – قال الجمّازُ : مات مخنَّثٌ يُقال له قَرُنفُل ، فرآه في النوم إنسانٌ وكأنه يقول : أيْشْ خبرك يا قرنفل ؟ قال : إلى النار ، قال : ويلَك فمن يودك في النار ؟ قال : ثَمَّ يزيدُ بن معاوية ليس يُقصِّر في أمري .

٩٨٨ – كان سكران يبكي ويقول : لو عرفتُ قَتَلةَ عثمان . فقال له مخنث : وما كنتَ تصنعُ بهم ؟ قال : كنت أنيكُهم . فقال المخنث : أنا قتلتُهُ ، فامتطاه وقال : يا ثاراتِ عثمان ! فقال المخنَّثُ من تحته : إن كنتَ وليَّ الدمِ وهذه

---

٩٨٤ نثر الدر ٥ : ٢٩١–٢٩٢ .
٩٨٥ نثر الدر ٥ : ٢٧٨ .
٩٨٦ نثر الدر ٥ : ٢٧٩ .
٩٨٧ نثر الدر مع بعض اختلاف في العبارة ٥ : ٢٨٠ واسم المخنث فيه نويفل .
٩٨٨ محاضرات الراغب ٣ : ٢٥٣ .

---

[1] نثر الدر : وطلاقي .

عقوبتُك فإني أقتلُ كلَّ يومٍ عثمان .

٩٨٩ – ومرّ الطائفُ بالمدينة بمخنَّثَيْنِ فأراد أن يقولَ خذوهما فقال : نيكوهما ، ثم قال : اضربوهما . فقال أحدُهما : قد سبقَتْ رحمتُك عذابَك فلا تَرجعْ .

٩٩٠ – قال مخنث لأبي عبّاد وكان قبيحاً ومعه أخٌ صبيحٌ : ما أُمُّك إلا شجرةُ البَلُّوطِ تحملُ سنة بلّوطاً وسنةً عَفْصاً .

٩٩١ – باع مُزَبِّد حماراً فأقبلوا يقلِّبونه فقال : والله لو قلَّبْتُم عينَ الشمس هذا التقليبَ لأخرجتُم منها صدأ .

٩٩٢ – كسا مُزَبِّد امرأةً له ثوباً فقالت : هذا حسنٌ ، فقال : الطلاقُ أحسنُ منه ، قالت : فطلِّق ، فقال لها : فأنت طالقٌ ثلاثاً . فسجدت . فقال لها : إن كنتِ وضعْتِ جبهةً خاشعةً فقد رفَعْتِ إستاً نادمة .

٩٩٣ – حَجَّ مخنَّثٌ فرأى رجلاً قبيحَ الوجه يستغفرُ ، فقال : يا حبيبي ما أُرى لك أن تبخلَ بهذا الوجهِ على جهنَّم .

٩٩٤ – قيل لقَرقرٍ المخنَّث : أبو مَنْ ؟ قال : أبو محمد .

٩٩٥ – رقي مخنَّثٌ جبلَ لكام على أن يتعبَّدَ فيه . فأخذ زادَه وصعدَ وسار على مَهْلٍ ، فنفِدَ زادُه وتطلَّعَ إلى أسفل فإذا هو قد قطع أكثرَه . فنظر إلى الجبل وقال : اشماتتي بك يومَ أراكَ كالعهنِ المنفوش !

٩٩٦ – نظر مخنَّثٌ إلى رجلٍ يغسل استَه ويستقصي جداً ، فقال له : عافاك

---

٩٨٩ محاضرات الراغب ٣ : ٢٥٣ .
٩٩٠ محاضرات الراغب ١ : ٣٦٥ .
٩٩٢ قارن بنثر الدر ٢ : ٢٢٤ .
٩٩٤ نثر الدر ٣ : ٢٧٩ وجواب قرقر فيه : أم أحمد .
٩٩٥ نثر الدر ٣ : ٢٨١ .
٩٩٦ نثر الدر ٣ : ٢٨٢ .

الله ! تريدُ أن تَشربَ بها سويقا ؟ .

٩٩٧ – حَجَّ مخنَّثٌ فرأى إنساناً قبيحاً يرمي الجِمارَ ، فقال له : بأبي أنت ! لستُ أُشيرُ عليك أن تعودَ إلى هذا المكان . قال : ولِمَ ، ألستُ مسلماً ؟ قال المخنَّثُ : بلى ، ولكن لا أرى أن تبخلَ على أهلِ النار بهذا الوجه .

٩٩٨ – ونظر رجلٌ إلى أيرِ ابنه في الحمام ، وهو كبيرٌ ، فضربه وقال : إنما طالَ أيرُك من كثرةِ ما يُفعَلُ بك . فقال مخنَّثٌ كان معه في الحمام : لا تفعَلْ ، فلو كان هذا حقّاً كان أيري وبظرُ أمِّه قد بلغا مكةَ طولاً .

٩٩٩ – جمعَ مخنَّثٌ بين نَفْسَيْنِ فأُخذوا جميعاً ، وأفرِجَ عنهما ورُفِعَ المخنَّثُ إلى السلطان ، فسأله عن قصّته ، فقال : هؤلاء وجدوا طائرين في قفصٍ فخلّوا الطائرينِ وحبسوا القفص .

١٠٠٠ – رأى عُبادَةُ دينارَ بنَ عبدالله وقد وَلِيَ مصرَ فقال : يا فرعونُ ارفعْ رأسَكَ وانظُرْ مَنْ نُدِبَ مكانَك .

١٠٠١ – سمع مخنَّثٌ رجلاً يقرأُ قراءةً قبيحةً ، فقال : أظنُّ أنّ هذا القرآنُ الذي يزعمُ ابن أبي دواد أنّه مخلوق .

١٠٠٢ – قيل لمخنَّثٍ : كيف ترى الدنيا ؟ فقال : مثلَنا ، يوماً عندَ الأسخياء ويوماً عند البخلاء .

١٠٠٣ – طلب رجلٌ منزلاً يَكْتَريهِ ، فجاء إلى بابِ دارٍ ودفعه وقال : لكم

---

٩٩٧ نثر الدر ٣ : ٢٨٤ .
٩٩٨ نثر الدر ٣ : ٢٨٦ .
٩٩٩ نثر الدر ٥ : ٢٨٨ .
١٠٠٠ نثر الدر ٥ : ٢٨٨ .
١٠٠١ نثر الدر ٥ : ٢٨٩ .
١٠٠٢ نثر الدر ٥ : ٢٨٩ .
١٠٠٣ نثر الدر ٥ : ٢٩٠ .

منزل للكرا ؟ وإذا في الدار مخنّثٌ وفوقه رجلٌ ، فصاح المخنّثُ : أليس ترانا بعضُنا فوق بعض من ضيق المكان ؟ من أين لنا منزل نكريه ؟

١٠٠٤ – رأى إنسانٌ مخنّثاً يَنتفُ لحيته ، فقال له : ويلَك ! لأيِّ شيء تَنتفُ لحيتَك ؟ قال : أيسرُّك أن مثلَها في استك ؟ قال : لا ، قال المخنْثُ : فشيءٌ تأنفُ منه لاستك ، لا آنَفُ لوجهي منه ؟

١٠٠٥ – ألزمَ المتوكلُ عُبادةَ في يومٍ من شهر رمضان أن يَقرأَ في المصحفِ . فقرأ وجعل يُصحِّفُ ويغلطُ حتى بلغَ إلى قوله عزَّ وجلَّ : ﴿وبَشِّرِ المُخْبِتينَ﴾ (الحج : ٣٤) فصحَّفه وقرأ : وبشّر المخنثين ، فطرده .

١٠٠٦ – قال حمزة النوفلي : صلى الدّلال المخنّثُ إلى جنبي في المسجدِ فضرط ضرطةً كبيرة هائلة ، فسمعها من في المسجد فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد يقول في سجوده : سبَّحَ لك أعلايَ وأسفلي ، رافعاً بذلك صوتَهُ ، فلم يَبْقَ في المسجدِ أحدٌ إلا فُتِنَ وقطعَ صلاتَهُ بالضحك .

١٠٠٧ – وقال رجل للدلالِ أن يُزوِّجَه امرأةً فزوَّجَه . فلما أعطاه صَداقَها وجاء بها عليه ودخلَتْ عليه قام إليها يواقِعُها ، فضرطت قبل أن يطأها ، فكسِلَ عنها ومَقَتَها وأمرَ بها فأُخرِجَتْ وبُعِثَتْ إلى الدلال ، فعرَّفَه ما جرى عليه ، فقال له الدلال : فديتُك ! هذا كلُّه من عِزَّة نفسِها . فقال : دَعْني منك فإني قد أبغضتُها ارددْ عليّ دراهمي . فرد بعضها فقال له : لِمَ رددتَ بعضَها وقد خرجَتْ كما دخلَتْ ؟ قال : للروعة التي أدخلتَها على استها . فضحك وقال : اذهبْ وأنت أقضَى الناسِ وأفقهُهم .

١٠٠٤ نثر الدر ٥ : ٢٩٠ .
١٠٠٥ نثر الدر ٥ : ٢٩٠ .
١٠٠٦ البصائر والذخائر بايجاز ٦ : ٢٢٩ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٧٥ .
١٠٠٧ الأغاني ٤ : ٢٨٣–٢٨٤ .

١٠٠٨ – قيل : كان مُزَبِّدٌ يسبقُ الحاجَّ في كلِّ عام ، وكان يَجيءُ في ثلاث على رجليه . قال : فتزوّجَ بامرأةٍ ولها صديقٌ صرَّافٌ يَختلفُ إليها في غيبةِ مُزَبِّد . وتأخَّرَ مُزَبِّدٌ عن وقته الذي كان يجيءُ فيه لعِلّةٍ أصابَتْه . فظنَّ الصرافُ أنه قد ماتَ أو أصابَتْه بَلِيَّةٌ ، فأقام في ذلك اليوم عندها ولم يبرَحْ . وجاء مزبِّدٌ ودخلَ على الوالي وخبَّـرَه بقصة الحاجّ وانصرفَ إلى منزله ، فدنا من الباب واطَّلَعَ من كُـوَةٍ فيه ، وإذا الصرّافُ مع امرأتِهِ في البيت ، فلم يستفتح البابَ ، ومضى من وقته إلى المخنَّثين – وكانوا لا يَعصونه – فدعاهم فأجابوه ، فوقف على بابه وأمرهم فضربوا بطبولهم وزمروا ، واجتمع الناسُ فأقبلوا يقولون له : يا أبا إسحاق ما حدثَ ؟ فيقول : تزوَّجَتْ امرأتي . فيقولـون : ما بك ؟ وما هذه القصة ؟ فلا يُخبرُهم باسمه . قال : فجاء الصرَّافُ إلى الباب فقال : يا أبا إسحاق ، فأْذَنْ لي أن أُكلِّمَكَ . فدنا فقال : اتّقِ الله من الفضيحة وأنا أفتدي . قال : فافعل ، واردُدْ عليَّ نفقتَها ومَهرَها نقداً فقد أفسدتَها . قال : وكم ذاك ؟ قال : خمسون ديناراً . قال : فكتب رُقعةً إلى غلامـه في السوق ، ودفعها إليـه من تحت الباب ، فانطلقَ وأخذ الخمسينَ ، وقال : أيْ بني أُمِّي ، تفرّقوا فإنما كنتُ أمزح . فتفرقوا ، ودخل فقنّع رأسه وأدخله سرّاً وقعدَ على امرأته وسكت .

١٠٠٩ – قيل لأشعب : لو تركتَ النوادر ورَوَيْتَ الحديثَ لكان أنبلَ لك . قال : والله لقد سمعتُ الحديث . قال : فحدثنا . قال : حدثنا نافعٌ عن ابنِ عمر أن النبيّ – ﷺ وعلى آله – قال : خصلتانِ مَن كانتا فيه كان من خالصةِ الله . قالوا : هذا حديث حسنٌ فهاتهما . قال : نسيَ نافعٌ واحدةً ونسيتُ أنا الأخرى .

١٠٠٩ عيون الأخبار ٢ : ٥٥ والعقد مع بعض اختلاف ٦ : ٤٣١ وربيع الأبرار ٣ : ٢٢٩ والذي يروي عنه أشعب ي هذه الحكاية هو أحياناً نافع وأحياناً عكرمة .

نوادر ذوي العاهات والأدواء

١٠١٠ – كان الحكَمُ بن عَبدَل الأسدي أعرجَ ، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرجُ ، وكان صاحب شرطته أعرج . فقال ابن عبدل : [من الكامل]

ألقِ العصا ودَعِ التخاذُلَ والتَمِسْ ... عملاً فهذي دولةُ العُرجانِ

لأميرنا وأميرُ شرطتنا معاً ... لكليهما يا قومَنا رِجْلانِ

فإذا يكون أميرُنا ووزيرُنا ... وأنا فإنّ الرابعَ الشيطانُ

١٠١١ – وأنشد الأعور : [من الوافر]

ألم تَرَني وعمراً حينَ نغدو ... إلى الحانات ليسَ لنا نظيرُ

أُسايُره على يمنى يديه ... وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ

١٠١٢ – دخل آخرُ إلى بعضِ الرؤساء فسارَّهُ بشيءٍ فتأذَّى ببَخَرِه . فلما فرغ من حديثه فَسا وزادَ البلاءُ على الرجل ، فقال له : قُمْ بالله فإنّك عارمُ الطرفين .

١٠١٣ – قال بعضهم : خرجتُ في الليل لحاجةٍ فإذا أنا بأعمى على عاتِقِه جرّةٌ وفي يده سِراجٌ ، فلم يَزلْ يمشي حتى أُتى نهراً فملأَ الجرَّةَ ورجع . فقلت له : أنت أعمى والليلُ والنهارُ عليك سواء ، فما معنى هذا السراج ؟ قال : يا فُضولي ، حملتُه معي لأعمى القلبِ مثلِكَ يَستضيءُ به ولا يعثرُ بي في الظُّلمة فيقعَ عليَّ ويكسرَ جرتي .

١٠١٤ – جلس كسرى للمظالم فتقدم إليه رجل قصير ، فأقبل يَصيحُ أنا

١٠١٠ الأغاني ٢ : ٣٦٢ والحيوان ٦ : ٤٨٥–٤٨٦ والأول والثاني في كتاب البرصان : ٣٣٣ وفي الأول «التخامع» وفي الثاني « التعارج» وفي الثالث « التخادج» بدلاً من «التخاذل» .

١٠١١ عيون الأخبار ٤ : ٥٧ مع بعض اختلاف ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٩٠ .

١٠١٢ نثر الدر ٦ : ٥٥٦ .

١٠١٣ نثر الدر ٢ : ٢١١ .

١٠١٤ نثر الدر ٧ : ٧٨ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٨٧ .

مظلومٌ ، وهو لا يلتفت إليه ؛ فقال له الموبذان : أنصِفْه قال : إنّ القصيرَ لا يظلمُهُ أحدٌ ، فقال : الذي ظلمني أقصرُ مني ، فضحك وأشكاه .

١٠١٥ – سارّ سعيدَ بن حميد رجلٌ به بَخَرٌ فقال : مثلُكَ لا يُسارُّ وإنما يُكاتَبُ . وأنشد : [من الخفيف]

كلَّمتني فقلت خراً وخيرٌ

١٠١٦ – ورأى فيلسوفٌ قملةً تدبُّ على رأسٍ أصلعَ فقال : هذا لصٌّ يَرومُ القطعَ في خَرِبَة .

١٠١٧ – اتفقَ في مُلْكِ محمود بن مَلِكشاه توجيهُ القضاةِ الثلاثةِ ، الهرَوي والشَّهرَزُوري والهيتي ، رُسُلاً إلى الأطرافِ ، وكانوا أعيانَ عصرهم إلا أنهم عُور ، فقال فيهم محمد بن الحسين الآمِدي : [من البسيط]

أرى العراق بمحمودٍ على خطرٍ ظمآن أن رويت فيه السيوف روي

ولست أرجو له صلحا يهذبه بالشهرزوريٍّ والهيتيٍّ والهروي

عورٌ وأُخلِقْ بملك رسْلُه طير أن لا يروم وهذا قد بري ودوي[١]

١٠١٨ – كتب بعضُهم إلى محمد بن عبد الملك الزيات : نعّمتني بوطء المطهَّماتِ حتى أصابني الفالجُ ، وأتخَمْتَني بأكلِ الطيِّباتِ حتى أصابني النِّقْرِسُ ، ولولاك لكنتُ أبعدَ من النقرسِ من فيج ، وأسلمَ من الفالج من مُكارٍ ؛ وأين شرفُ أدوائي من جَرَبِ الحسن بن وهب ودود أحمد بن أبي خالد ؟ وأين أدواءُ الملوكِ والأنبياء من أدواءِ السِّفْلةِ والأغبياء ؟ فمن كان داؤه أفضلَ من صحَّةِ غيرِه ، وعيبُه أحمدَ ممّا تراه ضدّه ، فما ظنُّك بغير ذلك من أمره ؟ !

١٠١٥ محاضرات الراغب ٣ : ٢٨٨ وعجز البيت : جعل الله بين فكيك دبرا .

---

١ هذه الأبيات غير واضحة في الأصل ولم نعثر على مصدر لها لضبطها .

١٠١٩ – أبو حكيمة : [من الطويل]

أيحسدني إبليس داءين أصبحا　　برأسي ورجلي دُمَّلاً وزكاما
فليتهمـا كانا به وأزيـدُه　　زمانة شيء لا يريد قياما

١٠٢٠ – رجل من بني عجل : [من الطويل]

وشى بيَ واشٍ عند ليلى سفاهةً　　فقالَتْ له ليلى مَقالةَ ذي عقلِ
وما بي من عيبِ الفتى غير أنني　　جعلتُ العَصَا رِجلاً أُقيمُ بها رجلي
وخبر أني قد عرِجْتُ فلم تكُنْ　　كوَرْهاءَ تجري بالملامة للبعـلِ

١٠٢١ – آخر : [من الرجز]

ليس يضرُّ الطِّرفَ تَوْليعُ البَلَقْ　　إذا جرى في حَلْبَةِ الخيلِ سَبَقْ

١٠٢٢ – لما شاع في بلعاء بن قيس الوضح قيل له : ما هذا يا بلعاء ؟ فقال : سيفُ الله جَلاه .

نوادر البلغاء

١٠٢٣ – وصفوا غلاماً عندَ بعضهم فقالوا : هو فاسدٌ ، قال : في فساده صلاحي .

١٠٢٤ – وقال ابن وهب في مُردِ التحَوْا : [من المنسرح]

١٠١٩ محاضرات الراغب ٣ : ٢٧٠ .

١٠٢٠ البيان والتبيين ٣ : ٧٦ والحيوان ٦ : ٤٨٣ وفيهما جاء البيت الثاني ثالثاً وربيع الأبرار ٤ : ١١٣ .

١٠٢١ الحيوان ٥ : ١٦٦ لأبي مسهر وعيون الأخبار ٤ : ٦٥ دون نسبة ، والشطر الأول من الرجز : يا أخت سعد لا تعرّي (عيون : لاتعيبي) بالزرق .

١٠٢٢ الحيوان ٥ : ١٦٧ .

١٠٢٤ نثر الدر ٥ : ٢٩٥ والبيت الثالث في طبقات ابن المعتز : ٢٦٠ لسعيد بن وهب .

ما بالُكُمْ يا ظباءَ وَجَرة أم ما غَالَكُم يا جـآذِرَ البَقَرِ
ماتوا فلم يُدفنوا فيُحتَسبوا ففيهـــمُ عبـرةٌ لمُعتَبِـرِ
كأنّهم بعدَ بهجةٍ دَرَسَتْ ركبٌ عليهمْ عمائمُ السَّفَرِ

١٠٢٥ – وقال ابن بسام في مثله : [من البسيط]

يا من نَعَتْهُ إلى الإخوانِ لحيتُه أدبرتَ والناسُ إقبالٌ وإدبارُ
حَانَتْ منيّته واسوَدَّ عارضُهُ كما تُسوَّدُ بعد الميِّتِ الدّارُ

١٠٢٦ – وقال آخر : [من الوافر]

وعِلْقٍ لو تَنسَّكَ يومَ حجٍّ لواحر بين زمزمَ والحَطيمِ
ولو يومَ المعادِ رأى لُواطاً لنامَ على الصِّراطِ المستقيمِ

١٠٢٧ – قيل لأعرابي : أغلمةُ الرجلِ أشدُّ أم غلمةُ المرأة ؟ فقال مُرتجلاً : [من الطويل]

فوالله ما أدري وإني لخَابِرٌ أَالأيرُ أدنى للفجورِ أم الحرُ
وقد جاء هذا مُرخِياً من عِنانِهُ وأقبلَ هذا فاتحاً فاهُ يَهدِرُ

١٠٢٨ – وقال أبو العيناء لرجل دخل من النصرانية في الإسلام : أتشربُ الخمرَ ؟ قال : بلى . قال : لقد أصَبْتَ عينَ الرأيِ إذ دخلتَ في عزِّ هذه الدعوةِ وثبَتَّ على شرائطِ تلك النِّحْلة .

١٠٢٩ – قال ابن مكرّم لأبي العيناء : أحسبُك لا تصومُ شهرَ رمضان ،

١٠٢٥ البيتان مع ثلاثة أبيات أخرى في مجموع شعر ابن بسام ضمن شعراء عباسيون ٢ : ٤٣٢ وفيه تخريج .
١٠٢٧ محاضرات الراغب ٣ : ٢٦١ .
١٠٢٨ نثر الدر ٣ : ٢٠٠ .
١٠٢٩ نثر الدر ٣ : ٢٠٧ .

فقال : ويحَك ! وتدعُني امرأتُك ان أصومَ ؟

١٠٣٠ – قال أبو العيناء : مررتُ بسرٍّ مَنْ رأى فقال لي غلامي : يا مولايَ في الدَّرْبِ حَمَلٌ سمينٌ والدَّربُ خالٍ . فأمرته أن يأخذَه ، وغطَّيتُه بطيلساني وصرتُ به إلى منزلي . فلما كان الغدُ جاءتني رُقعةٌ من بعض رؤساء ذلك الدَّرب مكتوبٌ فيها : جُعِلْتُ فِداك ! ضاع لنا بالأمسِ في الدَّربِ حَملٌ ، فأخبرَني صبيانُ دربنا أنّك أنت سرقتَه ، فتأمرُ بردِّهِ مُتفضِّلاً ؟ قال أبو العيناء : فكتبتُ إليه : يا سبحانَ الله ، ما أعجبَ هذا الأمرَ ! مشايخُ دَربنا يزعمونَ أنّك بغَّاءٌ وأُكذِّبُهم أنا ولا أُصدِّقُهم ، وتُصدِّقُ أنت صبيانَ دربكم أني أنا سرقتُ الحَمَلَ ؟ فسكتَ وما عاودني بشيءٍ .

١٠٣١ – قال ابن مكرَّم يوماً : ما في الدنيا أعقلُ من القحبة ، لأنها تُطعَمُ أطايبَ الطعام وتُسقَى أَلذَّ الشرابِ وتأخذُ دراهمَ وتتلذَّذُ . فقال له أبو العيناء : فكيف عقلُ والدتِك . فقال : أحمقُ من دُغَة يا عاضٌّ كذا .

١٠٣٢ – قيل لرجل كانت امرأتُه تشارُّه : أما أحدٌ يُصلحُ بينكما ؟ فقال : لا ، قد مات الذي كان يُصلحُ بيننا ، فقال : [من الطويل]

وكنتُ فتى من جندِ إبليسَ فارتقَتْ ... بي الحالُ حتى صار إبليسُ من جُندي

١٠٣٣ – أشرفَ قومٌ كانوا في سفينة على الهلاكِ ، فأخذوا يدعون الله تعالى بالنجاة ، ويتضرَّعون ، ورجلٌ منهم ساكتٌ لا يتكلَّمُ . فقالوا له : لِمَ لا تدعو أنت أيضاً ؟ فقال : هو مني (وأومأ إلى نفسه) وإن تكلَّمْتُ غرّقكم .

١٠٣٠ نثر الدر ٣ : ٢٠٧ .

١٠٣١ نثر الدر ٣ : ٢١٠ وانظر معجم الأدباء (ترجمة الجاحظ) : ٢١٠٧ ، والمثل «أحمق من دغة» في كتب الأمثال ، انظر مثلاً الميداني ١ : ٢١٩ .

١٠٣٢ نثر الدر ٢ : ٢٠٦ .

١٠٣٣ نثر الدر ٦ : ٥٤٧ .

١٠٣٤ – مرَّ بعضُهم في طريق فعيي من المشْي ، فرفع رأسَه إلى السماء وقال : يا ربِّ ، ارزُقني دابَّةً . فلم يَمشِ إلا قليلاً حتى لحقه أعرابيٌّ راكباً رَمْكَةً وخلفه مُهرُها صغيرٌ قد عيي . فقال للرجل : احمل المُهرَ ساعةً . فامتنعَ فقنَّعَه بالسَّوْطِ حتى حملَه . فلما حمله نظرَ إلى السماء فقال : الذنبُ لي حيث لم أفسِّرْ دابَّةً تَحملني أو أَحملُها .

١٠٣٥ – قام بعضُهم من مجلسٍ ليُصَلّي فقيل له : أيُّ صلاةٍ تُصلِّيها : الأولى أو العصر ؟ فقال بعضُ المُجَّانِ الحاضرين : أيُّ صلاةٍ صلاها فهي الأولى فإنه ما صلّى قبلها .

١٠٣٦ – اشترى بعضُهم جاريةً فقيل له : اشترَيْتَها لخدمتِكَ أو لخدمةِ النساء ؟ فقال : بل لنفسي ، ولو اشتريتُها للنساء لكنتُ أشتري مملوكاً فحلاً .

١٠٣٧ – لما أُخرجت جنازةُ الصُّريمية المغنية كان أشعبُ جالساً في نَفَرٍ من قريش فبكى عليها وقال : اليومَ ذهبَ الغناءُ كلُّه وترحم عليها ، ثم مسح عينيه والتفتَ إليهم وقال : وعلى ذلك فقد كانت الزَّانيةُ شَرَّ خلقِ الله ؛ فضحكوا وقالوا : يا أشعبُ ما بينَ بُكائكَ عليها ولَعْنِك إيّاها فرق . قال : نعم ، كنّا نَجيئُها الفاجرةَ بكبشٍ إذا أردنا أن نَزورَها فيُطبَخُ لنا من دارنا[1] ثم لا نَتعشى – شهد الله – إلا بسِلق .

١٠٣٨ – نزل على مدينيٍ أضياف فتسترت امرأتُه منهم وتخفَّرَتْ ، فقال لها زوجها : لَودِدْتُ أنّ في الدنيا عيناً تَشتهيك وأنّك أُثقلتِ في كلِّ يومٍ بتوأَمَيْنِ .

١٠٣٤ نثر الدر ٦ : ٥٤٩ .
١٠٣٦ نثر الدر ٦ : ٥٤٩ .
١٠٣٧ الأغاني ١٩ : ١٠١ ونثر الدر ٥ : ٢١٧–٢١٨ .
١٠٣٨ نثر الدر ٢ : ٢٢٢ .

---

١ الأغاني : دارها .

١٠٣٩ – نظر مديني إلى قوم يستسقون ومعهم الصبيانُ فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : نرجو بهم الإجابةَ ، قال : لو كان دعاؤهم مُجاباً لما بقيَ في الأرض معلِّمٌ .

١٠٤٠ – كان يترافقُ اثنانِ أحدُهما يقود بالصبيانِ الصغارِ والآخرُ بالبالغين الكبار ، وكلُّ واحدٍ يَعيبُ صاحبَه ويُعنِّفُه ، حتى أُخذَ في بعض الأيّام صاحبُ الصغارِ مع صبيٍّ ، ورفع إلى السلطان فضُربَ وحُملَ الصبيُّ على عاتقه لِيُطافَ به في البلد ؛ فلقيه رفيقُه في تلك الحالِ فقال : قد كنتُ أنهاكَ عن الصغارِ حَذَراً عليك من مثلِ هذا ولو كان كبيراً لم يُنكرْ عليك كونَه معك في البيت . فقال : اسكُتْ يا أحمق ! فلو قبلتُ منك كان مكانَ هذا الصغيرِ ذاك الكبيرُ ، وكان يدقُّ عنقي بثقْلِه .

١٠٤١ – نظر الحسن البصري إلى رجل عليه بِزَّةٌ سَرِيَّة ، فقال : ما يصنعُ هذا ؟ قالوا : يَضرِط ، قال : ما طلبَ الدنيا بما تَستحقُّ غير هذا .

١٠٤٢ – كان سعيد بن حميد الكاتب يُذكَرُ بالضُّراط ، فقال لأبي هفان : لئن ضَرَطتُ عليك لأُبلغنَّك إلى فيد في دفعة . فقال : الله الله يا مولاى ! زِدني أخرى وبلِّغني مكةَ فإني صَرورة[1] . فضرط عليه ضرطةً أصعقَتْ أبا هفان ، فقال : رُدَّني من الثَّعلبيَّةِ فقد كفاني .

١٠٤٣ – مَشَتْ فتاةٌ في الطريقِ وإلى جانبها شيخٌ . فاستعجلَتْ فضرطَتْ ، فقال الشيخ : سبحانَ الله ! فوقفَتْ وقالت : سبَّحتَ في غلٍّ وقيدين يا بغيضُ يا

١٠٣٩ نثر الدر ٤ : ٢٩٨ .
١٠٤٠ نثر الدر ٦ : ٥٥٤ .
١٠٤٢ نثر الدر ٦ : ٥٥٢ .
١٠٤٣ نثر الدر ٦ : ٥٥١ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٧٦ عن العتابي .

---

١ الصرورة : الذي لم يحج أو لم يتزوج .

مقيت ، لِمَ تُسبّح ؟ قطعتُ عليك الطريقَ ؟ تعلقتُ لك بثوب ؟ شتمتُ عِرضَك ؟ رميتُك بفاحشة ؟ حبستُك عن حاجة ؟ امضِ على حالك لا محفوظاً ولا مصحوباً . فخجل الشيخُ حتى كأنه قد ضرط .

١٠٤٤ – دخل أعرابيٌّ إلى الحجاج فجعل يشكو إليه جَدْبَ السّنةِ . فبينما هو مفرطٌ في ذلك إذْ ضرط فقال : أصلح اللهُ الأميرَ وهذه أيضاً من بليّةِ هذه السنة . فضحك وأجازه .

١٠٤٥ – وقد رُوِيَ أنّ المغيرةَ صعدَ المنبرَ فضرطَ ، فحرّكَ يدَه وضرب بها استَهُ وقال : كل استٍ ضَروط . ثم نزل وتوضّأ وعاد إلى مكانه .

١٠٤٦ – وقيل لبعضهم : لا تَضرِطُ فإن الضُّراطَ شُؤْمٌ ، قال : فأحرى أن لا أدعَه في جوفي .

١٠٤٧ – تزوّجَ رجلٌ بامرأة فضرَطَتْ ليلةَ الزّفافِ فخجلَتْ وبكَتْ فقال لها الزوج : لا تبكي فقد قيلَ إنّ المرأةَ إذا ضرطَتْ ليلةَ الزّفافِ كان دليلاً على خِصبِ السنة ، قالت : فأضرِطُ أخرى ؟ قال : لا فإن بيتَنا الذي ندَّخرُ فيه الغلّةَ بيتٌ واحدٌ صغيرٌ لا يسعُ أكثرَ من هذا .

١٠٤٨ – مرَّ ابنُ أبي علقمةَ على جماعةٍ من عبد القيس ، فضرطَ بعضُ فتيانهم فقال : يا عبدَ القيس ، فسَّائينَ في الجاهلية ضراطين في الاسلام ، إن جاء دينٌ آخر خَريتم .

١٠٤٩ – صلّى أشعبُ يوماً إلى جانب مروانَ بنِ أبانَ بن عثمان ، وكان

١٠٤٤ نثر الدر ٦ : ٥٥٢ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٧٦ .
١٠٤٥ نثر الدر ٦ : ٥٥٥ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٧٥ عن الحجاج .
١٠٤٦ نثر الدر ٦ : ٥٥٤ وانظر محاضرات الراغب ٣ : ٢٧٤ .
١٠٤٧ نثر الدر ٦ : ٥٥٤ .
١٠٤٨ نثر الدر ٦ : ٥٥٦ والبصائر والذخائر ٦ : ١٩٧ .
١٠٤٩ نثر الدر ٦ : ٥٥٨ .

مروان عظيم العجيزة والخَلْفِ فأفلتَتْ منه ريحٌ عند نهوضه لها صوتٌ . فانصرف أشعبُ من الصلاة يوهِمُ الناسَ أنّه هو الذي خرجَتْ الريحُ منه . فلما انصرفَ مروانُ إلى منزله جاءه أشعبُ فقال له : الدِّية ! فقال له : الدِّية ، لماذا ؟ قال : الضَّرطةَ التي تحملتُها عنك وإلا شهَّرتُك والله . فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

١٠٥٠ – خرجَتْ من أعرابيٍّ ريحٌ وحضرت الصلاة ، فقام يُصلّي فقيلَ له في ذلك ، فقال : لو أُوجبتُ على نفسي الوضوءَ لكلّ ريحٍ تخرجُ مني لخلتموني ضفدعاً أو حوتاً .

١٠٥١ – شرب الهفتيّ دواءً فأشرفَ عليه حتى أنحلَه وأذهبَ جسمه ، فأتاه إخوانُه يَعودونَه فقال : ما علمت أنّي من خرا حتى اليوم .

١٠٥٢ – كتب بعضُ المُجّانِ إلى صديق له : أما بعد ، فقد أضلّنا هذا العدوُّ (يعني شهر رمضان) . فكتب إليه الجواب : لِيكنْ أهونَ عليك من شوّال .

١٠٥٣ – قيل لابنِ مضاءٍ الرازي : قد كبرتَ فلو تُبتَ وحجَجْتَ كان خيراً لك . قال : ومن أين لي مالٌ أحُجُّ به ؟ قيل : تَبيعُ دارَك . قال : فإذا بعتُ ورجعتُ فأين أنزلُ ؟ قيل : تُجاورُ . قال : فإذا جاورتُ بمكةَ ، أليس الله تباركَ وتعالى يقولُ : يا صفعانُ ، بعتَ بيتَك وجئتَ تنزلُ على بيتي .

١٠٥٤ – وتزوّجَ بامرأة وأمهرَها أربعةَ آلاف درهمٍ ، فاستكثر ذلك بعضُ أصدقائه فقال : الأمرُ يَسهلُ مع غريمٍ كلما لَقِيتُه نكتُه .

١٠٥٥ – صار إلى عمرو الخُوزيِّ جماعةٌ من جيرانه وسألوه أن يُعطيَهم

١٠٥٠ نثر الدر ٦ : ٥٩١ .
١٠٥١ نثر الدر ٦ : ٥٤١ .
١٠٥٢ نثر الدر ٦ : ٥٤٢ .
١٠٥٣ نثر الدر ٦ : ٥٤٢ .
١٠٥٤ نثر الدر ٦ : ٥٤٢ .
١٠٥٥ نثر الدر ٦ : ٥٤٣ .

شيئاً يصرفونه في ثمن بواري مسجدٍ يُجاوره فقال لهم : إن كنتم رأيتموني في المسجدِ يوماً من الأيامِ أو دخلته لحاجةٍ فضلاً عن الصلاة فكلّفوني أن أفرُشَه بزَلالي جَهْرَميةٍ .

١٠٥٦ – قال بعضهم : دعوتُ أصدقائي فجاؤني معهم بصفعانٍ ، فمددت يدي إليه ، فقال : يا ابنَ البظراء هذا مزحُ مَنْ دارُه على دجلةَ ، وفي بستانه طاووسٌ ، وفي اصطبله فيلٌ ، وعلى باب داره زَرافةٌ ، ليس مَن داره بِكراء ، وخبزُه شِراء ، ودوابه في زنقة ، وفي حُجرته ديكٌ ، وعلى بابه كلب .

١٠٥٧ – قيل لبعضهم : اللّواطُ إذا استحكم صار حُلاقاً ، قال : هذا من إرجافِ الزّناة .

١٠٥٨ – سمع صبيٌّ أمَّه تبكي وقت السحر ، فقال : لم تبكينَ ؟ قالت : ذكرتُ أباك فأحرقَ قلبي ، قال الصبيُّ : صدقتِ ، هذا وقته .

١٠٥٩ – أُخذَ رجلٌ مع غلامٍ فرفع إلى صاحبِ الشرطة فأَدَّبه ، ثم وُجدَ بعد ذلك مع امرأةٍ فعوقب ، وبعد ذلك مع مُخنَّثٍ فأُدِّب ، ثم وجد في خِرْبَةٍ مع أتان ، فقال له صاحبُ الشرطة : ويلَك ! لِمَ لا تغمد أيرك ؟ قال : يا سيدي هذا غِمدُه ولكن ليس تتركوني أن أُغمدَه .

١٠٦٠ – قيل لابن[١] سوّار : قد امتهنك غلامُك الأسودُ ، قال : ما امتهنني ولكن امتَهنْتُه ، عمدْتُ إلى أكرمِ عرقٍ فيه فاستعملتُه في أقذرِ مدخلٍ فيّ .

١٠٥٦ نثر الدر ٦ : ٥٤٤ .
١٠٥٧ نثر الدر ٥ : ٢٩٨ .
١٠٥٨ نثر الدر ٥ : ٣٣٦ .
١٠٥٩ نثر الدر ٥ : ٢٩٩ .
١٠٦٠ نثر الدر ٥ : ٣٠٤–٣٠٥ والبصائر والذخائر ٣ : ٩٨ .

١ في الأصل : لأبي .

١٠٦١ – اشترى مدينيٌ عَرْصَةً وأحضرَ من يَبنيها . فذرعها وقال : ابنِ ههنا صُفَّةً ، وههنا . (. . . .) وهذه خزانة . ثم ضرط فقال بالعجلة : وههنا كنيفاً فقد اختاره الثِّقةُ العالمُ به . فضحك هو ومن حضره وزالَ خجلُه .

١٠٦٢ – كان بعض الفقهاء ، ويُعرفَ بالخُضَيْرِي[١] ، يحضر مجلسَ النّظرِ للصاحب بالليل ، فغلبَتْهُ عيناه مرَّةً وبدرَتْ منه ريحٌ لها صوتٌ ، فخجل وانقطعَ من المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني : [من البسيط]

قل للخضيري لا تذهبْ على خجلٍ حادثٍ كان مثلَ الناي والعودِ
فإنها الريح لا تَستطيعُ تحبسُها إذ أنتَ لستَ سليمانَ بنَ داود

١٠٦٣ – التقى مدينيّان فقال أحدُهما لصاحبه : علمت أنَّ امرأتي حامل قال : ممن ؟ قال : مني ، قال : سررتَني والله .

١٠٦٤ – سمع العنبري القاضي صبيّاً يقول لآخر : وإلا فأيرُ القاضي في حر أمِّ الكاذب . فقال القاضي : ولِمَ يا صبيُّ ؟ قال : لأن عليه أيراً مردوداً في حِرِ أمّه مثلَ ساريةِ المسجد ، فقال القاضي : الاستقصاءُ شُؤْمٌ .

١٠٦٥ – راودَتْ أعرابيةٌ شيخاً عن نفسه ، فلما قعد منها مقعدَ الرجلِ من المرأة أبطأ عليه الانتشار . فأقبلَتْ تستعجلُهُ وتوبِّخُه فقال : يا هذه إنك تفتحين بيتاً وأنا أنشرُ ميِّتاً .

١٠٦١ نثر الدر ٢ : ٢٢٩ وانظر محاضرات الراغب ٣ : ٢٧٦ .
١٠٦٢ يتيمة الدهر ٣ : ٢٠٢ وانظر محاضرات الراغب ٣ : ٢٧٦ .
١٠٦٣ نثر الدر ٢ : ٢٣٢ .
١٠٦٤ البصائر والذخائر ٤ : ٥٠ .
١٠٦٥ نثر الدر ٤ : ٣٠٠ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٦٩ .

---

[١] اليتيمة : ابن الخضيري .

١٠٦٦ – أتى نوفلٌ إلى ابنِ أخيه وقد أحبلَ جاريةً لغيره ، فقال : يا عدوَّ الله هلا إذا أبْتُليتَ بالفاحشةِ عزَلْتَ ؟ قال : بلغني أنّ العزلَ مكروهٌ ، قال : فما بلغك أن الزّنا حرامٌ ؟

١٠٦٧ – جاء رجلٌ إلى عابدٍ فسأله عن القُبلةِ للصّائم ، قال : تُكرَهُ للحدَثِ ، ولا بأسَ بها للمُسِنِّ ، وبالليل له فُسحةٌ . فقال : إنّ زوجَها يعودُ إلى منزله ليلاً ، فقال : يا ابنَ أخٍ ، هذه تُكرَهُ في شوّالٍ أيضاً .

١٠٦٨ – قال رجلٌ لقَيْنةٍ في مجلسٍ : أشتهي أن أضعَ يدي عليه ، قالت : العَتَمة . قال : يا ستّي إذا كان العَتَمة وأطفىء السِّراجُ يكون الزحامُ عليه أكثرَ من الزّحامِ على الحجرِ الأسود .

١٠٦٩ – كان في جوار ابن المُعذّلِ قحبةٌ تزني بالنهارِ وتصلّي بالليل وتدعو وتقول : اللهم اختم لي بخير . فلما طال ذلك على ابن المعذّلِ قال : ما ينفعُك هذا الدعاء ، هو يَختمُ بالليل وأنت تكسرين الخَتمَ بالنهار .

١٠٧٠ – وقيل لرجل : إن فلاناً وفلاناً حملا السُّلَّمَ البارحةَ ونصباه على حائطِ دارك يريدان امرأتَك ، قال : على كلّ حال إذا حملاه هما أَوْلى من أن يكلّفوني حملَه وحدي .

١٠٧١ – قيل لرجلٍ رؤي يُكلّمَ امرأةً في شهر رمضان : أتكلّمُها في مثل هذا الشهر ؟ قال : أُدرِّجُها لشوّال .

١٠٧٢ – أدخلَ الجمّازُ غلاماً ففعل به . فلما خرج سُئلَ الصبيُّ فقال :

١٠٦٦ نثر الدر ٤ : ٣٠٠ وانظر حكاية مماثلة في المستطرف ١ : ١٥٥ .
١٠٦٧ نثر الدر ٤ : ٣٠٠ .
١٠٦٨ نثر الدر ٤ : ٣٠١ .
١٠٦٩ نثر الدر ٤ : ٣٠٢ .
١٠٧٠ نثر الدر ٤ : ٣٠٥ .
١٠٧١ نثر الدر ٤ : ٣٠٥ .
١٠٧٢ نثر الدر ٣ : ٢٥٣ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٤٥ .

أدخلني الجمّازُ ههنا لأفعلَ به . فبلغ ذلك الجمّازَ فقال : قد حَرُمَ اللّواطُ إلا بوليٍّ وشاهدين .

١٠٧٣ – وخصم أمردُ من شعره لما بَقَلَ وجهُه ، فقيل له في ذلك فقال : ﴿تجارةٌ تخشونَ كسادها﴾ (التوبة : ٢٤) .

١٠٧٤ – أسلم نَصراني ثم تعاطى ركوبَ الفواحشِ واستحلالَ المآثِمِ . فقال له نصرانيٌّ آخر : ما زدتَ على أن أسخَطْتَ عيسى ولم تُرضِ محمداً ﷺ .

١٠٧٥ – قال أبو العيناء : كان بالرَّيِّ مجوسيٌّ مُوسرٌ فأسلم ، وحضر شهر رَمَضان فلم يُطِق الصَومَ ، فنزل إلى سردابٍ له وقعدَ يأكلُ . فسمع ابنُه حِسّاً من السِّردَابِ فاطَّلعَ فيه وقال : من هذا ؟ فقال الشيخ : أبوك الشقيُّ يأكل خبز نفسه ويفزعُ من الناس .

١٠٧٦ – تبعَ أشعبُ مرَّةً امرأةً فقالت له : وما تصنعُ بي ولي زوجٌ ؟ قال : فتَسَرَّيْ بي فديتُك .

١٠٧٧ – وكان يقول : كلبي كلبُ سوءٍ يبصبصُ الأضياف وينبح لأصحاب الهدايا .

١٠٧٨ – وقع بين مُزبِّدٍ وبين رجلٍ كلامٌ ، فقال له الرجل : تكلِّمُني وقد نكتُ أمَّك . فرجع مزبّدٌ إلى أمِّه فقال : يا أمّاه ، تعرفين مليك ؟ قالت : أبو علية ؟ قال : ناكك ، شَهِدَالله ، أنا أسألُكِ عن اسمه وتجيبينني عن كنيته .

١٠٧٣ محاضرات الراغب ١ : ٢٤٦ .

١٠٧٤ نثر الدر ٣ : ٢٣٧ والخبر فيه منسوب إلى مزبد .

١٠٧٥ البصائر والذخائر ٦ : ٢٣٦–٢٣٧ وربيع الأبرار ٢ : ٤٦١ والمستطرف ٢ : ٢٧٤ .

١٠٧٦ نثر الدر ٥ : ٣١٨ .

١٠٧٧ نهاية الأرب ٤ : ٢٦ .

١٠٧٨ نثر الدر ٣ : ٢٣٥ واسم الرجل فيه بلبل ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٤١ وفيه «فلان» في السؤال والجواب .

١٠٧٩ – وسمع رجلاً يقولُ عن ابن عباس : من نوى حَجَّةً وعاقه عائقٌ كُتِبَ له . فقال مُزَبِّدٌ : ما خرج العامَ كراء أرخصُ من هذا .

١٠٨٠ – ونام مرَّةً في المسجدِ فدخل رجلٌ يُصلِّي ، فلما فرغ قال : يا ربِّ أنا أصلّي وهذا نائم ! فقال : يا ابنَ أمٍّ سَلْ أنت حاجتَكَ ولا تحرِّشْهُ علينا .

١٠٨١ – وسمع رجلاً يقولُ لآخرَ : إذا استقبلَكَ الكلبُ بالليلِ فاقرَأْ في وجهه ﴿يا مَعْشَرَ الجنِّ والإنسِ إنْ استطَعْتُمْ أنْ تنفذُوا من أقطارِ السَّمواتِ والأرضِ فانْفذُوا لا تَنْفُذونَ إلا بسُلطانٍ﴾ فقال مزبِّدٌ : الوجهُ عندي أنْ يكونَ معك عصا أو حجرٌ ، فليس كل كلبٍ يحفظُ القرآن .

١٠٨٢ – ووقعت بينه وبين امرأته [خصومة] فحلف لا يجتمعُ رأسي ورأسُكِ على مخَّدة سنةً . فلما طال ذلك عليه قال : نقنعُ باجتماع الأرجلِ إلى وقت حلولِ الأجلِ .

١٠٨٣ – وغضب عليه بعضُ الولاةِ وأمرَ بحلقِ لحيتِهِ ، فقال له الحجَّامُ : افتح فَمَكَ حتى أحلقَ . قال : يا ابنَ الفاعلة ، أمركَ أن تحلِقَ لحيتي أو تعلمني الزَّمْر ؟

١٠٨٤ – وسئل يوماً عن عدد أولاده فقال : عهدُ الله في رقبته إن لم تكن امرأتُه تلِدُ أكثرَ ممّا يَنيكُها .

١٠٨٥ – وقال يوماً : قد عزمتُ في هذه السنة على الحجِّ وأصلحتُ أكثرَ ما

١٠٧٩ نثر الدر ٣ : ٢٣٧ .
١٠٨٠ نثر الدر ٣ : ٢٣٨ .
١٠٨١ نثر الدر ٣ : ٢٤٢ .
١٠٨٢ نثر الدر ٣ : ٢٤٢–٢٤٣ .
١٠٨٣ نثر الدر ٣ : ٢٤٣ .
١٠٨٤ نثر الدر ٣ : ٢٤٣ .
١٠٨٥ نثر الدر ٣ : ٢٤٣ .

أحتاج إليه ، قالوا : وما الذي أصلحتَ ؟ قال : حفظت التَّلبية .

١٠٨٦ – ودخل إلى بعضِ العلويَّة فجعل يعبثُ به ويُؤذيه . فتنفس مزَبِّدٌ الصعداءَ وقال : صلواتُ الله على المسيحِ ، أصحابُه منه في راحة ، لم يخلِّفْ عليهم وَلَداً يُؤذيهم .

١٠٨٧ – وجاء غريمٌ له يُطالبُه بحقٍّ عليه ، فقال له : ليس لكَ اليومَ عندي شيءٌ ، وحشرني الله كلباً عقوراً ينهشُ عراقيبَ الناسِ في الموقفِ ولو علقتني من الثريا بزُغبةِ قِثّاءة ما أعطيتُك اليومَ شيئاً .

١٠٨٨ – وقيل له : صومُ يومِ عَرفة يُعادلُ صومَ سنةٍ . فصام إلى الظهر ثم أفطرَ وقال : يكفيني صومُ نصفِ سنة فيه شهرُ رمضان .

١٠٨٩ – وكان لامرأةِ مزَبِّدٍ صديقٌ فضربها وشجَّها . ودخل مزبِّدٌ فرآها على تلك الحال ، فقال لها : ويلَكِ ! ما لك ؟ قالت : سقطتُ عن الدَّرجة ، قال لها مزبِّدٌ : أنت طالقٌ ، لو أنك سقطتِ من بناتِ نعشٍ ما أصابك هذا كلُّه .

١٠٩٠ – وزُفَّتْ إليه امرأةٌ قبيحة ، فقالت له الماشطة : بأي شيء تصبحها ؟ قال : بالطلاق .

١٠٩١ – وجلس مرَّةً على الطريق يَبولُ وهو سكران ، وعليه طيلسانٌ خَلَقٌ ، فمر به رجلٌ فأخذ طيلسانه فالتفت إليه مزبِّدٌ وقال : يا فتى ، صرفَ الله عنك السُّوء .

١٠٩٢ – وقيل لمزبِّد : وقد أدمنَ الحلفَ بالطلاق وجلس مرة على الطريق

١٠٨٦ نثر الدر ٣ : ٢٤٣ .
١٠٨٧ نثر الدر ٣ : ٢٤٣ .
١٠٨٨ نثر الدر ٣ : ٢٤٤ ومحاضرات الراغب ٤ : ٤٥٨ .
١٠٨٩ نثر الدر ٣ : ٢٤٥ .
١٠٩٠ نثر الدر ٣ : ٢٤٥ .
١٠٩١ نثر الدر ٣ : ٢٤٥ .
١٠٩٢ نثر الدر بإيجاز ودون نسبة ٢ : ٢٠٦ .

يبول وهو سكران : ويحك ! لِمَ تحلفُ بالطلاق ؟ فقال : قوموا معي حتى أُرِيَكم امرأتي ، فإن كانت تصلحُ [إلا] للحَنْثِ فاصنعوا بي ما شئتم .

١٠٩٣ – دخل على مُطيعٍ صديقٌ له فرأى تحته غلاماً وفوقه آخرُ ، فقال : ما هذا ؟ قال : اللذَّةُ المضاعفة .

١٠٩٤ – وعُوتب ابن مُكرَّمٍ على حبٍّ غلامٍ كان يُعرفُ به ، فأومى بيده إلى خلفه فقال : [من الطويل]

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكمُ ... من اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا

١٠٩٥ – قيل لآخر : أتنبطح مع شرفك ؟ فقال : ذوقوا ثم لُوموا .

١٠٩٦ – رُفعَ شيخٌ مأبونٌ مع أمردَ إلى السلطان ، فقالت امرأتُه : أما تستحي أن يُرفع ذلك إلى السلطان ؟ فقال : لو استقبلَكِ بمثلِ ما استدبرني لم تُبالِي أن تُرفعي إلى ملكِ الروم .

١٠٩٧ – دعا الأمينُ يوماً عبدَالله بن عفان ليصطبحَ فأبطأ . فلما جاء قال : أظنُّك أكلتَ ، قال : لا والله ، قال : والله لتصدقَنْ ، قال : نعم يا أميرَ المؤمنين . فدعا بحكّاك فحكَّ أضراسَه السفلى ، فلما ذهب ليحُكَّ العليا قال : يا أميرَ المؤمنين . دَعْها لقضية أخرى . فضحك وخلّاه .

١٠٩٨ – هبت ريحٌ شديدةٌ فصاح الناس : القيامةَ ! القيامةَ ! فقال مزبِّدٌ : هذه قيامة على الريق بلا دابّة الأرضِ ولا الدَّجال ولا القائم .

١٠٩٩ – سمع الجمّازُ محبوساً يقول : اللّهمَ احفظني ! فقال : قل اللهم

١٠٩٣ الأغاني ١٣ : ٣٢٩ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٥١ .

١٠٩٤ محاضرات الراغب ٣ : ٢٥٢ والبيت للحطيئة في ديوانه (صادر) : ٤٠ .

١٠٩٥ نثر الدر ٥ : ٢٧٨ .

١٠٩٨ نثر الدر ٣ : ٢٣٤ .

١٠٩٩ نثر الدر ٣ : ٢٥٣ .

ضيّعني حتى تُفلتَ .

١١٠٠ – طالب رجل امرأته بالجماع فقالت : أنا حائضٌ ، وتحرَّكَتْ فضرطَتْ . فقال لها : قد حرَمْتِنا خيرَ حركِ فاكفينا شرَّ استِكِ .

١١٠١ – وأدخل [الجمّاز] غلاماً فلما بطحه فسا فسوةً منكرةً ، فقال الجمّاز : ويلَك ! هو ذا تُذرِّي قبل أن تدرس .

١١٠٢ – وقال الجمّاز : اجتزتُ بباب دارٍ وصاحبُ الدار يُقابلُ امرأتَهُ ويقول : لأحملَنَّ عليك اليومَ مائةَ رجلٍ . فجلس شيخٌ كان خلفي على الباب ينتظر . فلما طال للشيخ الانتظارُ ، دقَّ البابَ وقال : تريدُ أن تحملَ على هذه القحبة أو أنصرف ؟

١١٠٣ – تحدّثَ ابنُ سيَّابة ، وأنشدَ شيئاً من شعره ثم تحرَّكَ فضرط ، فضرب بيده على استه غير مكترثٍ وقال : إما أن تسكتي حتى أتكلَّمَ وإما أن تتكلّمي حتى أسكتَ .

١١٠٤ – قال رجل بحمص : إذا كان يومُ القيامةِ يُؤتى بالذي فَجَرَ بامرأةِ جارِه ويُؤخذُ من سيِّئاتِ الجار فتوضعُ على سيِّئاته ، ويؤخذ من حسناته فتوضع على حسناتِ جاره . فقال الحمصيّ : واللهِ إن كان هذا هكذا فما في القيامة أحسنُ حالاً من الكشاخنة بعد المخنثين .

١١٠٥ – قال ابن رشيق المغربي : دخلتُ الجامع فرأيتُ أبا بكرٍ الورَّاقَ التميمي الشاعرَ في حَلْقَةٍ يقرأُ المواعظَ ويذكرُ أخبارَ السّلفِ الصالحين ، وقد بدا

١١٠٠ نثر الدر ٣ : ٢٥٤ عن الجماز .
١١٠١ نثر الدر ٣ : ٢٥٥ .
١١٠٢ نثر الدر ٣ : ٢٥٧ .
١١٠٣ الأغاني ١٢ : ٨٢ ونهاية الأرب ٤ : ٥٧ .
١١٠٤ نثر الدر ٧ : ٣٧٨ .
١١٠٥ الأنموذج : ٢٥٥ .

خشوعه وترقرقت دموعه . فما كان إلا أن جئتُه عشيةَ ذلك اليوم إلى داره ، فوجدتُه في يده طنبورٌ وعن يمينه غلامٌ مليحٌ ، فقلت : ما أبعد ما بين حالَيْكَ في مجلسَيْكَ . فقال : ذلك بيتُ الله وهذا بيتي أصنعُ في كلٍّ واحدٍ منهما ما يليقُ به وبصاحبه .

١١٠٦ – نظر أبو قصيصة – [وكان] ماجناً من أهل الحجاز – إلى هلالِ شهر رمضان فقال : قد جئتَني بقرنَيْكَ ! قطعَ الله أجلي إن لم أقطَعْك بالأسفار .

١١٠٧ – قال رجلٌ مشوَّهٌ للجمّاز : وُلدَ لي ابنٌ كأنه دينار ، فقال له : لاعِنْ أُمَّه ، والله أعلم .

نوادر الأغبياء والجهلاء وتصحيفهم وأغلاطهم وغيِّهم

١١٠٨ – يقال إن كيسانَ مُسْتَمْلي ابنِ الأنباري كان أعمى القلب ، وسُمِعَ ابنُ الأنباري وهو يقول : كيسانُ يَسمعُ غيرَ ما أقولُ ، ويَكتبُ غيرَ ما يَسمعُ ، ويَقرأُ غيرَ ما يَكتبُ ، ويَحفظُ غيرَ ما يَقرأُ .

١١٠٩ – وحكي عنه أنه كان يكتبُ ما يسمعُ في خزفٍ ويجمعُهُ في حُبٍّ . فاشترى راويةَ ماءٍ ، فغلطَ السقَّاءُ بين حُبِّ الماء وحُبِّ الخزفِ ، فصبَّ الماء في حُبِّ العلم فرأينا [كيسان وقد وضع يديه على رأسه وذهب علمه كله] .

١١١٠ – [سأل] كيسان خلفاً ، فقال : يا أبا مُحرِز ، علقمةُ بنُ مُحرِز جاهليٌّ أو من ضَبَّة ؟ فقال : يا مجنون صحِّحِ المسألةَ حتى يصحَّ الجوابُ .

١١٠٧ نثر الدر ٣ : ٢٥٢ والبصائر والذخائر ٢ : ٤٦ .
١١٠٨ نثر الدر ٥ : ٢٤٢ وربيع الأبرار ١ : ٦١٩ وقارن بمحاضرات الراغب ١ : ١٠٦ وفيه أن كيسان مستملي أبي عبيدة .
١١٠٩ نثر الدر ٥ : ٢٤٢ ومنه أكمل الخبر .
١١١٠ قارن بالبصائر والذخائر ٨ : ١٩٧ .

١١١١ – دخل شيخٌ على هشامِ بن عبد الملك فقال له : ما اسمُك ؟ قال : أبو الحسن والبهاء ، فقيل له : أما تكفيك واحدة ؟ فقال : إن ضاعَتْ واحدةٌ كانت الأخرى .

١١١٢ – كان في يزدانفاذار لُكْنَة ، وكان يجعلُ الحاءَ هاء . فأملى على كاتبٍ له : والهاصلُ ألفُ كرٍّ فكتبها الكاتبُ بالهاء . [فأعاد عليه الكلام][1] ، فأعاد الكاتب الكتاب مثله . فلما فطِنَ لاجتماعهما على الجهل قال : أنت لا تهسنُ أن تكتبَ وأنا لا أُهسنُ أن أملي ، فاكتب الجاصل ، فكتبها بالجيم معجمة .

١١١٣ – كان عبد الملك بن هلال الهنائي عنده زِنبيلٌ ملآنٌ حصى ، وكان يسبح بواحدة ، فإذا ملَّ شيئاً طرح ثنتين ثنتين ، ثم ثلاثاً ثلاثاً ، فإذا فَضَلَ[2] قبضَ قَبضةً قَبضةً ، وقال : سبحانَ الله بعددِ هذا ، فإذا ضجر أخذَ بعُروتَيْ الزّنبيلِ فقلبَهُ وقال : سبحانَ الله عددَ ما فيه .

١١١٤ – وسُمعَ بمكّةَ رجلٌ يدعو لأمِّه فقيل له : ما بالُ أبيك ؟ قال : إنها ضعيفةٌ وهو رجلٌ يَحتالُ لنفسه .

١١١٥ – كان الوليدُ بن القعقاعِ عاملاً على بعضِ الشّامِ ، وكان يستسقي في كل خطبة ، وإن كان في أيامِ الشِّعرى . فقام إليه شيخٌ من أهلِ حمص فقال : أصلحَ الله الأميرَ ، إذنْ تَفْسِدُ القطاني (يعني الحبوب واحدتها قطينة) .

١١١٢ نثر الدر ٥ : ٢٤٣ .
١١١٣ البيان والتبيين ٣ : ٢٨١ .
١١١٤ نثر الدر ٦ : ٤٩٢ والكامل للمبرد : ٤٣٧ والعقد ٣ : ٤٧٩ .
١١١٥ البيان والتبيين ٤ : ١٩ .

---

١ زيادة ضرورية من نثر الدر .
٢ البيان والتبيين : ملّ .

١١١٦ – قالت أمُّ ولَدٍ لجرير لبعض ولدها : وقع الجردان في عجان أمكم ، تريد الجرذان في عجين أمِّكم .

١١١٧ – كان الوليدُ بن عبد الملك لحّاناً . فدخل عليه يوماً رجلٌ من العرب فقال له الوليد : ما شانَك ؟ قال : أَوَدٌ في أنفي واعوجاج . فقال له رجلٌ من أصحابه : إن أمير المؤمنين يقول لك : ما شأْنُك ؟ قال : كذا وكذا .

١١١٨ – ودخل إليه آخرُ فتظلَّمَ منْ خَتَنٍ له فقال : من ختنَك ؟ قال : معذِّرٌ في الحيّ يا أمير المؤمنين . [وهذا] يشبه الخبر الأول .

١١١٩ – وحُكيَ أنَّ امرأةً تقدَّمَتْ إلى قاضٍ فقال لها القاضي : جا معَكِ شهودُك كلُّهم ؟ فسكَتَتْ ، فقال لها كاتبُه : القاضي يقولُ لك : جاء شهودُك معك ؟ قالت : [معي] . ثم قالت للقاضي : ألاَ قلتَ كما قال كاتبُك ؟ كبُر سنُّك ، وذهب عقلُك ، وعظُمَتْ لحيتُك فغطَّتْ على عقلك ، وما رأيتُ ميِّتاً تكلَّمَ بين الأحياء غيرَك .

١١٢٠ – وقال الوليد يوماً : يا غلام رُدَّ الفرَسانِ الصادَّانِ عن الميدان .

١١٢١ – ومات لعبد الملك ابنٌ فجاء الوليد فعزَّاه ، فقال : يا بُنيّ ، مُصيبتي [فيك أكبر من مصيبتي] بأخيك ، متى رأيتَ ابناً عزّى أباه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أمِّي أمرتْني بذلك . قال : هو من مشورةِ النساء .

١١٢٢ – قام بعضُ الجهَّالِ إلى عالِمٍ وسأله عن قول الشاعر : [من الخفيف]

١١١٦ انظر البيان والتبيين ٢ : ٢١٣ .

١١١٨ العقد باختلاف في العبارة ٢ : ٤٨٠ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٦ .

١١١٩ ربيع الأبرار ٣ : ٦١٠ .

١١٢٠ البيان والتبيين ٢ : ٢٠٤ .

١١٢١ محاضرات الراغب ٤ : ٥١٤ .

١١٢٢ نثر الدر ٥ : ٢٤٣–٢٤٤ والمثل« زاحم بعود أو دع» في كتب الأمثال ، انظر مثلاً الميداني ١ : ٣٢٠ .

يوم تُبدي لنا قتيلةُ عن جيـ   دٍ . . . .

فقال : ما العنجيد ؟ وسأله عن قوله تعالى : ﴿ والهَدْيَ معكوفا﴾ (الفتح : ٢٥) قال : من كان كوفا من أصحابِ النبيّ ﷺ ؟

وسأل عن قوله : «زاحم بعَودٍ أو دَعْ» ما الأَوْدَعْ ؟

١١٢٣ – وكان أحمد بن موسى بن إسحاق من قضاة أصفهان ، فأملى يوماً على أصحاب الحديث : حدّثني فلان عن فلان عن هند أن المعتوه ، يريد : عن هند أن المغيرة . . . .

١١٢٤ – وروى آخرُ : لا بأسَ أن يُصلّيَ الرجلُ وفي كُمِّهِ سِنَّوْرة [وإنما هي سبّورة] وهي الألواحُ من الأبنوس يُكتَبُ فيها للتذكرة .

١١٢٥ – وروى أنّ أعرابياً أتى النبي ﷺ وعلى يده سخلةٌ تَبْعر وإنما هي تَيْعُر ، من اليعار وهو صوتها .

١١٢٦ – كان للمتوكل صاحبُ خبرٍ يقال له ابنُ الكلبي ، وكان يرفعُ إليه كلَّ ما يسمعه من غَثٍّ وسمينٍ وهَزلٍ ، ليمين كان حلَّفه بها . فرفع إليه يوماً : إن امرأتي خرجت مع حُبّة لها إلى بعضِ المتنزّهات فسكرَتْ حُبّتُها وعَرْبَدت عليها وجرحتها في صدغها ، ولم ينقط الغين ، فقرأه المتوكل : «في صدعها» ثم قال : إنا لله ، تعطَّلَ على ابن الكلبيّ مناكحُه .

١١٢٧ – وجَّهَ رجلٌ ابنه إلى السوقِ ليشتريَ له حَبْلاً للبئر ويكون عشرين ذراعاً . فانصرف من بعض الطريق وقال : يا أَبي في عرضِ كم ؟ قال : مصيبتي بك .

١١٢٣ نثر الدر ٥ : ٢٤٤ .
١١٢٤ نثر الدر ٥ : ٢٤٤ .
١١٢٥ نثر الدر ٥ : ٢٤٥ .
١١٢٦ نثر الدر ٥ : ٢٤٧ .
١١٢٧ نثر الدر ٥ : ٣٣٦ والمستطرف ٢ : ١٢ .

١١٢٨ – وقال آخرُ لابنه وهو في المكتب : في أيِّ سورةٍ أنت ؟ قال : لا أُقسِمُ بهذا البلدِ ووالدي بلا وَلَد . فقال : لَعَمْري من كنتَ ولدَه فهو بلا ولد .

١١٢٩ – عُلِّقَ سترٌ على بابِ أمِّ جعفر ، وكان أمر أن يُكتبَ للسيدة الميمونة المباركة فأغفلَ الناسخُ الراء . ودخل الرشيدُ فقرأه المُناكة فأمر بتمزيقه .

١١٣٠ – كان الصاحبُ بن عباد يكرهُ أن يكونَ في مُخاطبةِ النساء حراستُها وعقلُها ونظرُها ، ويقول : لا يُؤمَنُ أن يُصحَّفَ .

١١٣١ – استأذنَ ابنُ الجصَّاص يوماً عل بعضِ الوزراء ، وعرضَ عليه شيئاً من الجوهر ، وقال : وقع هذا في السيق . فضحك الوزير ، فقال : أعزَّ الله الوزير ، إنَّ «في» تَخفضُ ما بعدها .

١١٣٢ – قال الصوليّ : عُدتُ بعضَ الرؤساء في عِلَّة وسمعتُه يقول للطبيب : أكلتُ فراريج ، فقال له : كان يكفيكَ فروجٌ واحدٌ . فقال : إنّ الفراريجَ لا تضرُّ ، فقال الطبيبُ : يا سيِّدي ، إذا لَبِسَ الانسانُ عشرَ غلائلَ قصبٍ يكون قد لبس لباداً .

١١٣٣ – قال ابن ماسويه : قال لي عبيدالله بن يحيى : أخبرني عن الطبائع الأربع ، هيَ من عقاقيرِ الجبل ؟ فضحكتُ ، قال : ممَّ تضحك ؟ قلت : أخو وزيرٍ لا يعرفُ الطبائع ؟ قال : أنا طبيب ؟

١١٣٤ – قال رجلٌ لطبيب : يا سيّدي ، إن أمِّي تجدُ في حَلقها ضيقاً

١١٢٨ نثر الدر ٥ : ٣٣٦ والمستطرف ٢ : ١٢ .
١١٢٩ نثر الدر ٥ : ٢٤٠ ومحاضرات الراغب ١ : ١١٠ .
١١٣٠ نثر الدر ٥ : ٢٤٠ .
١١٣١ نثر الدر ٧ : ٣٩١ .
١١٣٢ نثر الدر ٧ : ٣٩٩ .
١١٣٣ نثر الدر ٧ : ٤٠١ والبصائر والذخائر ٦ : ٢٣٠ .
١١٣٤ نثر الدر ٧ : ٤٠٢ وقارن بمحاضرات الراغب ٢ : ٤٣٦ .

ويَبَساً وحرارةً . قال الطبيب : ليتَ الذي في حَلْقِ أمك في حرِ امرأتك ، وأنّ على حَلقِ أمِّك السكين .

١١٣٥ – جاء رجلٌ ماجنٌ إلى الطبيب فقال : أجدُ في أطرافِ شعري شِبهَ المغصِ وفي بطني ظلمة ، وإذا أكلتُ الطعامَ تغيَّرَ في وجهي وبطني . فقال الطبيب : أما ما تجدُه في أطرافِ شعرك فاحلِقْ رأسَكَ ولحيتَكَ فإنك لا تجدُ منه شيئاً ، وأما الظلمة في بطنك فعلِّقْ على باب استِكَ قِنديلاً حتى لا تجدها ، وأما تغيُّرُ الطعامِ في بطنك فكل خراء واربح النفقة .

١١٣٦ – مَرَّ طبيبٌ بابن عبد الواسع المازني ، فشكا إليه ريحاً في بطنه فقال : خذ صعتراً . فقال : يا غلامُ ، الدواةَ والقرطاسَ ثم قال : أصلحك الله ، ما أكتب ؟ قلت : قال : خُذْكَفَّ صَعترٍ ومكُّوكَ شعير . قال : لم تذكر الشعيرَ أوّلاً ، قال : ولا علمتُ أنّك حمارٌ إلا الساعة .

١١٣٧ – جاء رجلٌ إلى بعضِ الأطباء فشكا إليه وجع بطنه ، فقال له : ما أكلتَ ؟ قال : خبزاً محروقاً . فدعا الطبيب بذُرورٍ ليكُحِّلَه ، فقال الرجل : أنا أشكو بطني وأنت تَكحُلُ عيني ؟ قال : قد علمتُ ، ولكّني أكحلُك لتبصرَ الخبزَ المحترق فلا تأكله بعد هذا .

١١٣٨ – كتب بعض الوزراء بالرَّيِّ في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد – وكان أبوه قد حجَّ – : هذا الكتابُ يوصلُه فلانُ بنُ فلان وهو والدي وقديم الصحبة لي ، وواجب الحق علي ، ولي بأمره عناية .

١١٣٩ – حكي أبو هِفّان قال : رأيتُ بالكوفة شيخاً قاعداً على باب دار

١١٣٥ نثر الدر ٧ : ٤٠٢ .
١١٣٦ نثر الدر ٧ : ٤٠٢ .
١١٣٧ نثر الدر ٧ : ٤٠٤ .
١١٣٨ نثر الدر ٣ : ٣١٣ .
١١٣٩ نثر الدر ٣ : ٣١٣ .

وله زيٌّ وهيئةٌ ، وفي الدار صراخٌ ، فقلتُ : يا شيخُ ، ما هذا الصراخُ ؟ قال : هذا رجلٌ افتُصِدَ أمس فبلغ المرضع شادروانه فمات ، يريد : بلغَ المِبضَعُ شريانه .

١١٤٠ - حُكيَ عن حمزة بن بَصير ، مع جلالَتِهِ عند سلطانه وموضعِهِ من ولايته ، أنه دخل على امرأته وعندَها ثوبُ وِشْيٍ ، فقالت له : كيف هذا الثوب ؟ قال : بكم اشتريْتِهِ ؟ قالت : بألف درهم . قال : فوالله لقد وضعوا في استِكِ مثلَ ذا (وأشار بكفِّه مقبوضةً مع ساعده) فقالت : لم أزن الثمن بعد ، قال : فخصاهم بعد في يدك . قالت : فأختُكَ قد اشترَتْ شرّاً منه بألفين . قال : إنّ اختي تَضرِط من استٍ واسعة . قالت : ولكن أمَّك عُرِضَ عليها فلم تردَّه ، قال : لأن تلك في استها شعر .

١١٤١ - كان بالريِّ ورّاقٌ حسن الخط ، وكان إذا كتبَ بسم الله تعالى أو اسمِ النبي ﷺ في قرآنٍ أو شعرٍ كتبَ بعدهما ما يكتبُه الانسانُ في سائرِ المواضعِ . فكان يكتبُ في القرآن إنّ الله عزَّ وجلَّ يأمرُ بالعدلِ والاحسان . وما محمد - ﷺ -إلا رسولٌ قد خلَتْ من قبله الرسل . وكان يكتبُ في الشعر :

إنَّ تقوى ربِّنا - عزَّ وجلَّ - خيرُ نَفَلْ وبإذنِ الله - تباركَ وتعالى - رَيْثي وعَجَلْ

ويكتبُ :

هجوتَ محمداً - ﷺ - فأجبتُ عنه وعندَ اللهِ - عزَّ وجلَّ - في ذاكَ الجزاءُ

١١٤٢ - قال الجاحظ : قال لي ابن بركة : يا أبا عثمان لا تثقن بقحبة ولو كانت أمَّك . فلم أرَ تأديباً قطُّ أبعدَ من جميعِ الرشدِ من هذا .

١١٤٣ - قال بعضُهم : جئتُ إلى كاتبٍ وسألتُه كتابَ شفاعةٍ إلى بعضِ

١١٤٠ نثر الدر ٣ : ٣١٢-٣١٣ واسم الرجل فيه حمزة بن نصير وفي البصائر والذخائر ٦ : ١٠٦ ابن نصر وابن النصرانية .

١١٤١ نثر الدر ٣ : ٣١٤ والبيت الأول بعد إسقاط ما زاده الكاتب للبيد (ديوانه : ١٧٤) والثاني لحسان بن ثابت .

١١٤٢ نثر الدر ٣ : ٣٠٧ .

١١٤٣ نثر الدر ٣ : ٣٠٨ .

أصدقائه . فكتب : يجبُ أن تصونَه وتحوطَه ، وتردَّ عليه خطوطَه . قال ، قلت : الرجلُ لم يعرِفْني قطُّ ، وليس معه شيءٌ من خطوطي . فقال : إن أردتَ أن تأخذَ الكتابَ فخُذْه ، وإلا فإنّي لا أُضيِّعُ سجعي .

١١٤٤ – وكانت علامة أبي الحمار[1] لما تولّى ديوانَ الخراجِ : لا إله إلا الله ما أعجبَ ما نحن فيه .

١١٤٥ – وعلامةُ بعض أكابرِ كتّابِ عَضُدِ الدولة : الحمد لله فتّاح المغاليق .

١١٤٦ – وكتب رجلٌ إلى أبيه من البصرة : كتابي هذا ولم يحدث علينا بعدك إلا خيرٌ والحمدُ لله إلا أنّ حائطنا وقع فقتل أمّي وأختي وجارتَيْنا ونجَوْتُ أنا والسِّنَوْرُ والحمارُ فقلت : إن شاء الله .

١١٤٧ – قرأ سابقٌ الأعمى : ﴿ولا تُنكحُوا المُشْرِكينَ حتى يُؤْمِنُوا﴾ (البقرة : ٢٢١) [بفتح تاء تنكحوا] . فقال ابن خاقان : وإن آمنوا أيضاً لم نَنكحْهم .

١١٤٨ – كان الشيرجي إماماً من أئمَّةِ الحنبليّة ، اجتازَ بمسجدٍ فيه مَعزى . فخرج عليه منه نَحْويٌّ بَغيضٌ فقال له الشيرجي : من المُتوَفِّي (بكسر الفاء) فقال النحويُّ : الله ، فلبّبه وقال : زنديقٌ والله ، ورفعه إلى صاحبِ الجسر .

١١٤٩ – قال رجل لآخر : تأمر بشيئا فقال : بتقوى الله وإسقاط الألف .

١١٤٤ نثر الدر ٣ : ٢١٢ .
١١٤٦ نثر الدر ٣ : ٢١١ والبصائر والذخائر ٦ : ١٨٩ .
١١٤٧ نثر الدر ٥ : ٢٧٣ .
١١٤٨ نثر الدر ٥ : ٢٧٤ .
١١٤٩ نثر الدر ٥ : ٢٧٢ وقد وردت هذه الحكاية في ما تقدم منسوبة إلى أبي العيناء .

---

[1] في الأصل : أبي الجمار والتصحيح عن نثر الدر وتاريخ الطبري ٥ : ٣٧٢ .

١١٥٠ – كان الوليد بن يزيد ينادم أبا رُقيَّةَ ، وكان أبو رُقيَّةَ يُمسكُ المصحف على أمِّ الوليد لتقرأ . فغنّى يوماً عُمرُ الوادي بحضرةِ الوليدِ وأبو رُقيّةَ نائمٌ سُكراً ، وكان مضعَّفاً . فطربَ الوليدُ وقال : أحسنتَ يا جامعَ لذّاتي – وكان يُسمِّيهِ لشغفِهِ به – فرفع أبو رُقيَّةَ رأسَه من نومه وقال : وأنا جامعُ لذَّاتِ أمِّكَ . فغضبَ الوليد وهمَّ به حتى كَفَّهُ عنه عمرُ الوادي .

قال : واللهِ ما يعقلُ أبو رُقية وهو صاحٍ ، فكيف يَعقلُ وهو سكران ؟ !

١١٥١ – قال الحريش بن موسى : قلت لرجل : ما بلغ من نسيانك ؟ قال : أؤذن من رقعة .

١١٥٢ – جاء رجلٌ إلى عالِمٍ يَستفتيه فقال : أفطرتُ يوماً من شهرِ رمضان سهواً ، فما عليّ ؟ قال : تصومُ يوماً مكانَه . قال : فصُمْتُ يوماً مكانه وأتيتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً ، فسبقتني يدي إليه فأكلتُ منه . قال : تقضي يوماً آخر ، قال : لقد قضيتُ يوماً مكانَه وأتيتُ أهلي وقد عملوا هريسة ، فسبقَتْني يدي إليها فأكلتُ منها ، فما ترى ؟ قال : أرى أن لا تصومَ إلا ويدُك مَغلولةٌ إلى عنقك .

١١٥٣ – قدَّمَ رجلٌ امرأتَهُ إلى القاضي فقال : أعزَّ اللهُ القاضي ، أنا رجلٌ من دورق وهذه امرأةٌ من دربِ عَوْن ، وفي قلبي حبٌّ وهي تغارُ عليّ وأريدُها [صاغرة . فقال القاضي : اذهب عافاك اللهُ إلى دار بانوكة حتى يعمل لك قاض من دنٍّ يحكم بينكما][1] .

١١٥٤ – [. . . . .] وريحان وفاكهة من فواكه أصفهان وتفاحِ لبنان

١١٥٠ الأغاني مع بعض اختلاف ٧ : ٨٤ .
١١٥٢ نثر الدر ٤ : ٢٨٧ والمستطرف ٢ : ٢٦٨ .
١١٥٣ نثر الدر ٤ : ٢٩٣ .

---

١ يبدو أن الناسخ خلط حكايتين ، وما بين قوسين تتمة من نثر الدر . ولم نعثر على الحكاية الثانية فقد بترت بدايتها .

وصواني صندلٍ وزعفران . ثم أتانا غلمانٌ أقرانٌ كأنهم خيطانُ بانٍ ، فمن حاملٍ طستاً ومتناولٍ إبريقاً ومناولٍ منديلاً ، وقُدِّمَتْ إلينا مائدةٌ من الخلنج ذات أفانين وتجزيع بديع ، وعليها كرمازك كأنه قِطَعُ المُروطِ ، في خلاله دجاجُ كَسْكَر ، ثم محفوفةٌ بالبزماورد والهُلام وجاماتُ البواردِ في وسطها جامٌ لطيفٌ مخروطٌ كالماء رقَّةً وصفاءً ، فيه ملح همذاني النسبة . . . . . النقبة كثير الأفاويه ، عَطِرِ الأبازير ، مقرون بجامٍ مثلِهِ فيه خلٌّ ثقيفٌ ذكيٌّ ، كأنه عقيقٌ سائلٌ وأرجوانٌ ذائبٌ ، حواليهما بقلٌ جنيٌّ غضٌّ يشعشع وطرخون وسذَابٌ وباذروج . فتناولنا لُقماً . ثم أتينا بسِكْباجَةٍ تَضحكُ فوق الخِوانَ ، قد أُحْكِمَتْ بالخلِّ الحاذقِ العَطِرِ ، ونُصبَتْ بورقِ السَّذابِ النضرِ . ثم تلَتْها أرزَّةٌ بيضاءُ مكينة ، يَتبعُها إوزَّةٌ سمينة وجَديٌ قد غاصَتْ أضلاعُه في شحم كُلاه ؛ ثم أُتينا بمَضيرة نقيَّةِ الوجهِ من الكَلَفِ ، فائقةِ المنظرِ والمخبرِ ، لها وميضٌ وبصيص ، لو رآها صائمٌ لأفطرَ ، والعليلُ ما كلَّ وما صبر . ثم أُتِيَ بالقطايف كمُتُونِ الحيّاتِ ، يَضطربُ بين الطبرزد وبين اللوز . فسبحان خالقِ هذه الألوان ، لأهلِ الطاعة والعِصيان . نعم أيها القاضي . فقال له القاضي : أصلحَك الله ، إن كانت عندك شهادةٌ فأخِّرها إلى مجلس آخر ، فبالناس حاجةٌ إلى المجلس . فقال : أنا أشهد بما علمتُ ، فإن شئتَ شهدتُ وإن شئتَ انصرفتُ . فقال : هاتِ شاهدَيْكَ فقال : أشهدُ أيّها القاضي أن فلان بن فلان الفلاني . . . قال : عزمك أن تعودَ إلى أوّل القصة . قال : نعم لأنك قطعتَ عليّ . قال القاضي : إن كان ولا بُدَّ فمن موضعِ المضيرة . والتفتَ إلى صديقه وقال له : وضح العذرُ ؟ قال : نعم .

١١٥٥ – كان مسلمةُ بنُ عبد الملك يَعرضُ الجندَ فقال لرجل : ما اسمُك ؟ قال : عبدَالله (بالنصب) قال : ابنُ مَن ، قال : ابنِ عبدِ الرحمن (بالجرّ) فأمر بضربه ، فقال : باسمُ الله (بالرفع) . فقال : دعوه لو كان تاركاً اللّحنَ لتركه تحت السياط .

١١٥٦ – وكان الوليد بن عبد الملك لحَّانةً ، فقرأ في خطبته : يا ليتها كانت القاضية (بالرفع) فقال أخوه سليمان : عليك .

١١٥٧ – كان رجلٌ ينسى أسماءَ مماليكه ، فقال : اشتروا لي غلاماً له اسمٌ مشهورٌ لا أنساهُ . فاشتُرِيَ له غلام وقالوا : اسمُه واقد ، فقال : هذا اسمٌ لا أنساه ، اجلِسْ يا فرقد .

١١٥٨ – قال رجل : إن أبينا هلك وإن أخينا غصبنا على ميراثنا . فقال : يا هذا ، ما ضيعتَ من نفسك أكثرُ ممّا ضاع من مالِكَ .

١١٥٩ – ادّعى مؤدِّبٌ أنه قد علَّمَ صبيًّا النحو والفرائض ، فامتحَنَه أبوه ، فقال : كيف تقول ضربَ زيدٌ عمراً ؟ قال : كما تقول . قال : فما إعرابُهما ؟ قال : زيد رُفِعَ بفعله ، وما بقيَ للعَصَبَة .

١١٦٠ – وأمر آخر معلماً أن يعلِّمَ ولدَه الفرائضَ ، فامتحنه يوماً فقال : ما تقولُ في رجلٍ ماتَ وخلَّفَ بنتيْنِ وابْناً ؟ فقال : اما الابنُ فيُسقَط . قال : نعم إذا كان متخلِّفاً مثلَك .

١١٦١ – مرّ رجلٌ بأديب فقال : كيف طريق البغداد ؟ قال : بالحذاء ، ثم مرَّ به آخر فقال : كيف طريق كوفة ؟ قال : ههنا ، وبادِرْ فمع ذلك المارِّ أَلِفٌ ولام تحتاج إليهما ، وهو مُستَغْنٍ عنهما فخُذْهما منه .

١١٦٢ – قصد الحجاجَ رجلٌ فأنشده : [من الرجز]

أبا هاشم [ببابك] قد شمّ ريح كبابك

١١٥٦ نثر الدر ٥ : ٢٧٤ .
١١٥٨ ربيع الأبرار ٣ : ٢٤٨ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٧ .
١١٥٩ محاضرات الراغب ١ : ٥٨ .
١١٦٠ محاضرات الراغب ١ : ٥٨ .
١١٦١ محاضرات الراغب ١ : ٦٦ .
١١٦٢ محاضرات الراغب ١ : ٦٧ .

فقال : ويحك لم نصبتَ أبا هاشم ؟ فقال : الكنيةُ كنيتي إن شئتُ رفعتُه وإن شئتُ نصبتُه .

١١٦٣ – وكتب محمد الأمين على ظهر كتاب : [من المجتث]

عشقت ظبياً رشيقاً في دارِ يحيى بنِ خاقا

وكتب تحته : أردتُ خاقان ، وخاقانُ مولى لي ، إن شئتُ أثبتُّ نونه وإن شئتُ أسقطتُه .

١١٦٤ – قال بعض العلوية الكبار لقاضي القضاة عبد الجبّار : ما بهذا الذي يقولُ التجار[١] في كتبه : الكس بالكسب ؟ أراد الكسب . فضحك القاضي وكلٌّ من كان عنده . وأنشد بعض الحاضرين : [من الطويل]

إذا الغصنُ لم يُثمرْ وإن كان شعبةً من المثمراتِ اعتدَّه الناسُ في الحطبْ

نوادر المتنبئين والقصاص والممخرقين

١١٦٥ – تنبأ رجلٌ في أيام المتوكل فأحضرَهُ وقال له : ما صناعتُك قال : روّاس . قال : صناعةٌ قذِرَةٌ ، فقام المتنبيء ينفُضُ ثيابه . فقال : إلى أين ؟ قال : أذهبُ أقولُ لهم : القوم متقذرون يُريدونَ نبيًّا عطَّاراً .

١١٦٦ – وجاء آخرُ إلى المتوكل وادّعى النُّبُوَّةَ ، فقال له بعض من حضر : صِفْ لنا جبريلَ . فوصفه ولم يذكر جناحَهَ . فقال له : ويلَك ! لم تُعلمْنا خبرَ

١١٦٣ محاضرات الراغب ١ : ٦٧ .
١١٦٤ محاضرات الراغب ١ : ١١٠ .
١١٦٥ نثر الدر ٢ : ٢١٧–٢١٨ .
١١٦٦ نثر الدر ٢ : ٢١٨ .

١ محاضرات : النحار .

جناحه ، ولسنا نشكُّ في أنّ له جناحاً . قال : أظنُّه يأتي وهو في القرنصة .

١١٦٧ – أُلقيَ إلى أبي سالمٍ القاصِّ خاتَمٌ بلا فَصٍّ ، فقال : إن صاحبَ هذا الخاتَم يُعطى في الجنة يومَ القيامةِ غرفةً بلا سقفٍ .

١١٦٨ – وقال يوماً في حَلْقَةٍ : من صلى ليلةَ الجمعةِ اثنتي عَشْرَةَ ركعةً وقرأ في كلِّ ركعةٍ كذا وكذا بنى الله له في الجنة بيتاً . فقام إليه رجل نَبَطيٌّ فقال : يا فديتُ وجهك ! إن صلَّيتُ أنا فعلَ بي هذا ؟ قال : يا عاضَّ بظرَ أمِّه ، ذاك لبني هاشم والعربِ وأهلِ خراسان ، وأما أنت فيُبنَى لك لوح [اقرأ : كوخ] بعُكْبَرَا .

١١٦٩ – قيل لأبي سالمٍ القاصِّ : ادع الله تعالى لفلان أن يردَّه علي ، وأعطي درهمين . قال : وأين هو ؟ قيل : بالصين ، قال : يردُّه من الصين بدرهمين ؟ بلى ، لو كان بسيرافٍ أو تُسْتَر .

١١٧٠ – قصَّ قاصٌّ ، فلما ابتدأ يسأَلُ أُقيمَتِ الصلاةُ ، وخاف أن يتفرَّقَ الناسُ ، قال : يا فتيان ، العجائب بعد الصلاة .

١١٧١ – قال بعضُهم لصوفيٍّ : بعني جُبَّتَكَ . فقال : إذا باعَ الصيادُ شبكته فبأي شيء يصيد ؟

١١٧٢ – ورُويَ أن قاصاً أنشد : [من الطويل]

أمِنْ ذكرِ خَوْدٍ دمعُ عينيكَ يسفَحُ

ولطمَ وجهَهُ وبكى . فسُئِلَ عن «خَوْدٍ» فقال : وادٍ في جهنَّم يا حمقى !

١١٧٣ – وقال بعضُ القُصّاص : إن ممّا أُكرِمَ به الكَبْشُ أن جعله الله

١١٦٧ نثر الدر ٤ : ٢٨٢ ومحاضرات الراغب ١ : ١٣٤ وربيع الأبرار ٢ : ٥٩٠ .
١١٦٨ نثر الدر ٤ : ٢٨٢ ومحاضرات الراغب ١ : ١٣٥ .
١١٦٩ نثر الدر ٤ : ٢٨٤–٢٨٥ .
١١٧٠ نثر الدر ٤ : ٢٧٤ .
١١٧١ نثر الدر ٢ : ١٨٠ والفقرة ٨٩٨ .

مستورَ العَوْرةِ من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ ، وممّا أهانَ به التَّيْسَ أن جعله مهتوك الستر مكشوفَ القُبُلِ والدُّبُرِ .

١١٧٤ – وسُئِلَ بعضهُم عن نصرانيٍّ قال لا إله إلا الله . قال : يُؤخَذُ بنصف الإسلام ، وإن ماتَ دُفِنَ بين مقابر المسلمين [ومقابر النصارى][1] .

١١٧٥ – وقال رجلٌ لمفتٍ بالبصرة : أَسلمتُ ثوباً إلى الحائكِ ، فالدقيق على من يجب ؟ فقال : الدقيقُ ولعنةُ الله على الحائك .

نوادر المجانين

١١٧٦ – سأل رجلٌ بُهلولاً فقال : ما تقول في رجلٍ ماتَ وخلّف زوجةً وأمّاً وبنتاً ، كيف تقسم التركة بينهم ؟ فقال : هذه مسألة لا تخفى على أحد من أهل الفقه والعقل : الثُّكلُ للأمّ واليُتْمُ للبنتِ وخرابُ البيتِ للزوجة .

١١٧٧ – جمحت بجُحا بغلته يوماً فأخذت به غيرَ الطريق الذي أراده . فلقيَه صديقٌ له فقال : أين عزمت يا أبا الغصن ؟ فقال : في حاجةِ البغلة .

١١٧٨ – وباتَ ليلةً مع صبيانٍ له فجعلوا يَفسون ، فقال لامرأته : هذا والله بليَّةٌ . [قالت :] دَعْهم يفسون فإنه أَوْلى [اقرأ : أدفى] لهم . فقام وخرىء وسط البيت ثم قال : انبهي الصبيانَ حتى يصطلوا بهذه النار .

١١٧٩ – وكان بُهلولٌ يتشيَّع ، وهو من مجانين الكوفة ، فقال له إسحاق

١١٧٤ محاضرات الراغب ١ : ١٣٥ والمستطرف ٢ : ٢٧٤ .
١١٧٥ محاضرات الراغب ١ : ٥٨ .
١١٧٦ نثر الدر ٢ : ٢٧٤ .
١١٧٧ نثر الدر ٥ : ٣٠٨ .
١١٧٨ نثر الدر ٥ : ٣١١–٣١٢ .
١١٧٩ نثر الدر ٣ : ٢٥٩ .

---

١ زيادة من محاضرات الراغب .

ابن الصباح : أكثرَ اللهُ في الشيعةِ مثلَك . قال : بل أكثرَ اللهُ في المُرجِئَة مثلي وأكثرَ في الشيعة مثلَك .

١١٨٠ – ودعاه الرشيدُ ليضحكَ منه . فلما دخل دعا له بمائدة فقُدِّم عليها خبزٌ وحدَه . فولى بُهلولٌ هارباً فقال له : إلى أين ؟ فقال : أجيئكم يوم الأضحى فعسى أن يكونَ عندَكم لحمٌ .

١١٨١ – ورمى بُهلولٌ رجلاً فشجَّه ، فقُدِّم إلى الوالي فقال له : لِمَ رميتَ هذا ؟ قال : ما رميتُه ولكنه دخل تحت رَمْيَتي .

١١٨٢ – رُؤيَ بُهلولٌ مغموماً يبكي ، فقيل له : ما يُبكيك ؟ فقال : كيف لا أبكي وقد جاء الشتاء ، وليس لي جبَّةٌ . فقيل : لا تبكِ لأن الله تعالى لا يدَعُك بلا جُبّة . قال : بلى والله ، عامَ أوّلَ تركني بلا جُبّةٍ ولا سراويلَ وأخافُ أن يَدعَني العام بلا جُبّة ولا سراويلَ ولا قَلنسُوة .

١١٨٣ – قال بعضُهم : مررتُ يوماً ببُهلولٍ وهو يأكل فُرنيّة حُوّارَى مع دجاجةٍ ، فقلت : يا بُهلولُ ، أطعْمني ممّا تأكلُ ، قال : ليس هذا لي ، وحياتك ، هذا دفعَتْه إليّ أمُّ جعفر آكلُه لها .

١١٨٤ – وحضر بُهلولٌ مجلسَ قومٍ يتذاكرون الحديث فرَوَوا عن عائشة أنها قالت : لو أدركتُ ليلةَ القَدْرِ ما سألتُ ربّي تعالى إلا العفوَ والعافية . فقال بُهلول : والظفَّرَ بعليٍّ يومَ الجمل .

١١٨٥ – حجَّ موسى بن عيسى ومعه بُهلولٌ ، فأقبل موسى يدعو عند

١١٨٠ نثر الدر ٣ : ٢٦٠ .
١١٨١ نثر الدر ٣ : ٢٦٠ .
١١٨٢ نثر الدر ٣ : ٢٦٤ .
١١٨٣ نثر الدر ٣ : ٢٦٤ .
١١٨٤ نثر الدر ٣ : ٢٦٥ .
١١٨٥ نثر الدر ٣ : ٢٧٠

البيتِ ويتضرَّعُ ، وبهلولُ يقول : لا لَبَّيكَ ولا سَعدَيْك ! فقال له ابنُه العباس : ويلك ! أتقول هذا للأمير في مثل هذا الموقف ؟ فقال : أقولُ له ما أعلمُ أنّ الله تعالى يقولُ له .

١١٨٦ – هرب مجنونٌ من الصبيان ودخل دِهليزاً ، وأغلقَ الباب في وجوههم ، وجلس . فخرج إليه صاحبُ الدار فقال : لِمَ دخلت داري ؟ قال : من أيدي هؤلاء أولادِ الزّنا . فدخل صاحبُ الدار وأخرجَ إليه رُطَباً ، فجلس المجنونُ يأكلُ والصبيانُ يصيحون على الباب . فأخرج المجنونُ رأسه إلى صاحب الدار وقال : ﴿فضُرِبَ بَيْنَهم بِسورٍ له بابٌ باطنُهُ فيه الرَّحمةُ وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذابُ﴾ (الحديد : ١٣) .

١١٨٧ – قيل لمجنونٍ بالبصرة : عُدَّ لنا مجانينَ البصرة . فقال : كلَّفتُموني شططاً ، أنا على عَدِّ عُقلائهم أقدَرُ .

١١٨٨ – كان ببغداد مجنونٌ يلبس فروتَهُ مقلوبَةً ، فإذا قيل له في ذلك قال : لو علم الله أن الصوفَ إلى داخلٍ أجودُ جعل الصوفَ إلى داخل .

١١٨٩ – نظر رجلٌ إلى جماعةٍ من المُجَّانِ حولَ مجنونٍ ، فقال له : أدخلْ إلى بعض المواضع حتى يتفرَّقوا عنك . قال : إذا جاءوا انصرفوا .

١١٩٠ – وقع الصبيانُ بغباوةِ المجنونِ وصاحوا عليه ورمَوه ، وهرب منهم ، واستقبلَتْه امرأةٌ ومعها صبيٌّ صغيرٌ ، فدنا منها ولطمَ الطفلَ لطمةً كادَتْ تأتي عليه ، فقالت المرأة : قُطِعَتْ يَدُك ! أيْشْ أذنب هذا إليك ؟ قال : يا قحبة ! هذا غداً يكون شرّاً من هؤلاء الكشاخنة ، لعنهم الله !

١١٨٦ نثر الدر ٣ : ٢٦٢ .
١١٨٧ نثر الدر ٣ : ٢٦٢ .
١١٨٨ نثر الدر ٣ : ٢٦٢ والبصائر والذخائر ٧ : ٩٩ .
١١٨٩ نثر الدر ٣ : ٢٦٤ .
١١٩٠ نثرالدر ٣ : ٢٦٧ واسم المجنون فيه عيناوة .

١١٩١ – نظروا إلى ماني الموسوس يأكلُ تمراً ويبتلعُ النوى . فقيل له : لِمَ لا ترمي بالنوى ، قال : كذا وزنُوه عليّ .

١١٩٢ – كان مجنونٌ يؤذيه الصبيان ، فقال له رجلٌ : تريد أن أطردهم عنك ؟ قال : نعم وتنطردُ أنت أيضاً معهم .

١١٩٣ – قال أبو العيناء : قلتُ لمعتوه عندنا مليحٍ في يوم مطر : أخرج معنا إلى المصلّى ، قال : على أن تُعيرَني صلعتَك أتترَّسُ بها من الصبيان .

١١٩٤ – كان بحرَّانَ مجنونٌ يقال له لغدان ، فمرَّ يوماً بقومٍ من بني تَيْم الله ابن ثعلبة فعبثوا به وعذَّبوه ، فقال : يا بني تيمِ الله ، ما أعلمُ في الدنيا قوماً خيراً منكم ، قالوا : وكيف ذلك يا لغدان ؟ قال : بنو أسد ليس فيهم مجنونٌ غيري وقد قيّدوني وسلسلوني ، وكلّكم مجانين ليس فيكم مقيَّد .

١١٩٥ – وكان بديْرِ المعاقل مجنونٌ يُقال له طَبَرزَد ، فأخذه الشُّرَطُ وهو على بابِ المسجد يبولُ ، فجعلوا يضربونه ، فقال : أرأيتم لو بال ههنا حمار أكنتم ضاربيه [قالوا : لا ،] قال : فلا عقلَ لي فهبُوني حماراً ، فتركوه .

١١٩٦ – شهد سلمي الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجلٍ فقال : هو أصلحك الله ناصبيٌّ رافضيٌّ قَدَريٌّ مجبريٌّ يشتم الحجَّاج بنَ الزبير الذي هدم الكعبةَ على عليٍّ بن أبي سفيان . فقال له جعفر : ما أدري على أيٍّ أحسدُك : على علمك بالمقالات أم على معرفتك بالأنساب . قال : أصلح الله الأميرَ ، ما خرجتُ من الكُتّاب حتى حذقْتُ هذا كلّه .

١١٩١ نثر الدر ٣ : ٢٦٧ .
١١٩٢ نثر الدر ٣ : ٢٧١ .
١١٩٦ نثر الدر ٧٦ : ٣٩٤ .

١١٩٧ – سرق رجل نافَجةَ مِسكٍ فقيل له : إن كلَّ من غلَّ يأتي بما غَلَّ يومَ القيامة يحملُه على عنقه . قال : إذن والله أحملُها طيِّبةَ الريح خفيفةَ المحمل .

١١٩٨ – اشترى مدينيٌّ رُطباً ، فأخرج صاحبه كَيْلَجَةً صغيرة ليكيلَ بها فقال المديني : لو كِلتَ بها حسناتٍ ما قبلتُها .

١١٩٩ – جاء رجلٌ به وجعُ الضِّرسِ ليقلعَه . فقال القلاّعُ : أريدُ درهماً فقال له : أحسن قال : أقلعُ ضرساً آخر إن أردتَ ولا أنقصُ من الدرهم شيئاً .

١٢٠٠ – واستدعى آخرُ قلاعاً ليقلعَ له ضرساً ، وكان الرجلُ أبخر ، فلما فتح فاه قام القلاع وقال : ليس هذا من عملي ، إنه من عمل الكناسين .

١٢٠١ – وقال آخر : سمعتُ واحداً يقول لآخر : إن كنتَ كناسَ ابن كناسْ فقل لي : كم رجلٍ لبنت وردان ؟

١٢٠٢ – قيل لقَرَّادٍ : كيف أصبحتَ ؟ قال : كيف يُصبحُ من يرجو خيرَ هذا ؟ وأشار إلى قرده .

١٢٠٣ – قال الواقدي رحمه الله : رأيتُ بقالاً بالمدينة وقد أشعلَ بين يديه سراجاً بالنهار ، فقلت له : ما هذا ؟ قال : أرى الناس يبيعون ويشترون ولا يدنو مني أحد ، فقلت : عسى لا يروني فأسرجتُ لهم حتى يروني .

١٢٠٤ – وتخاصم رجلان وكان أحدُهما ندَّافاً ، فقال له الآخر : والله لو

١١٩٧ البيان والتبيين ٢ : ١٠٢ ونثر الدر ٢ : ٢١٩ .
١١٩٨ نثر الدر ٢ : ٢٢٠ .
١١٩٩ نثر الدر ٧ : ٣٢١ .
١٢٠٠ نثر الدر ٧ : ٣٢١ ومحاضرات الراغب ٣ : ٢٨٨ .
١٢٠١ نثر الدر ٧ : ٣٢٢ .
١٢٠٢ نثر الدر ٧ : ٣٢٣ .
١٢٠٣ نثر الدر ٧ : ٣٢٣ .
١٢٠٤ نثر الدر ٧ : ٣٢٤ .

وضعتَ إحدى رجلَيْك على حِراءٍ والأخرى على ثَبير ثم أخذتَ قوسَ قُزَحٍ وندفْتَ الغيمَ على جناب الملائكة ما كنتَ إلا ندَّافاً .

١٢٠٥ – حجَّ رجلٌ من أهل العراق ، فتقدَّمَ إلى مزيِّنٍ وقال : احلقْ رأسي حلقاً جيداً ، واستقبل الشَّعَرَ بالموسى ؛ وأقبل يَصفُ له كيف يعملُ ، فقال له المزَيِّنُ : حسبُك ! هو ذا أحلِقُ رأسَك حلقاً لا يراه أحدٌ إلا اشتهى أن يصفعَك .

١٢٠٦ – سُرِقَ لرجل دراهمُ فقيل له : هي في ميزانك ، قال : من الميزانِ سُرِقَتْ .

١٢٠٧ – وسُرِقَ خُرجُ آخرَ وفيه ثيابُه وأسبابه ، فقيل له : وَجبَ أن تقرأَ سورة يس وتتعوَّذَ بها ، فقال : كان جامعُ القرآن كلّه في الخُرج .

١٢٠٨ – وكان بعضُ اللصوصِ لا يسرقُ إلا الحمير ، فقيل له في ذلك فقال : قد رُوي أنه إذا كان يومُ القيامة أحيا الله الناسَ والبهائمَ كلَّها ، فأنا أسرقُ الحمير حتى إذا جاءني أربابُها يومَ القيامة وطالبوني بها قلت : هو ذا حمارُك خُذه وانصرِف .

١٢٠٩ – سُرِقَ لبعضهم بغلٌ ، فقال بعض إخوانه : الذنب لك لإهمالك أمرك . وقال آخر : الذنبُ لغلامك لقلَّةِ تفقُّدِه لمنزلك . وقال الآخر : الذنب لسائسِكَ حين غاب عن اسطبلك . فقال صاحب البغل : إذن فاللص أبرؤنا من الذّنب .

١٢١٠ – سَرقَ رجلٌ حماراً ودفعه إلى آخر ليبيعَه فسُرِقَ منه ، فعاد إلى

١٢٠٥ نثر الدر ٧ : ٣١٧ .
١٢٠٦ نثر الدر ٧ : ٣٣١ .
١٢٠٧ نثر الدر ٧ : ٣٤١ .
١٢٠٨ نثر الدر ٧ : ٣٤٢ .
١٢٠٩ نثر الدر ٧ : ٣٤٤ .
١٢١٠ نثر الدر ٧ : ٣٤٤ والمستطرف ١ : ٢١١ والمسروق فيه قميص .

الأوّلِ فقال له : بعت الحمار ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : برأس المال .

١٢١١ - مرّ عِباديٌّ بين يديه حمار عليه قفص فيه زجاج ، فقيل له : أي شيء معك ؟ قال : إن عثرَ الحمارُ فلا شيء .

١٢١٢ - مرَّ سكرانٌ بمؤذّنٍ رديء الحنجرة ، فجلدَ به الأرضَ ، وجعل يدوسُ بطنَه . فاجتمع عليه الناسُ فقال : ما بي رداءةُ صوته ولكن شماتةُ اليهود والنصارى .

١٢١٣ - جاء رجلٌ إلى فقيه فقال : إن امرأتي قالت لي : يا سِفلَةُ ، فقلت لها : إن كنتُ سِفلةً فأنتِ طالق . فقال له : ما صناعتُك ؟ قال : سمّاك ، قال : سِفلةٌ والله ، سفلة .

١٢١٤ - شمَّ أعرابيٌّ إبطَيْه فقطّبَ وجهَهُ وقال : أخرجني الله من بينكما .

١٢١٥ - ساوم مدنيٌّ بدجاجةٍ بعشرة دراهم ، فقال : والله لو كانت في الحسنِ كيوسف ، وفي العِظَمِ ككبشِ إسماعيل ، وكانت كلَّ يومٍ تبيضُ وليَّ عهدٍ للمسلمين ما ساوَتْ أكثر من درهمين .

تم الباب بحمد الله وحسن توفيقه

١٢١١ نثر الدر ٦ : ٥٤٥ .
١٢١٢ المستطرف ٢ : ٢٧٣ .
١٢١٥ نثر الدر ٢ : ٢٢٤ .



محتويات الكتاب

الباب الخامس والأربعون

الباب السادس والأربعون

الباب السابع والأربعون

الباب الثامن والأربعون

DAR SADER Publishers
P.O.Box 10 - BEIRUT



MOḤ. b. AL-ḤASAN b. ḤAMDŪN
- 562 / - 1168

AL-TADKIRAH AL-ḤAMDŪNIYYAH

EDITED BY

IHSAN ABBAS BAKR ABBAS

VOL. 9

DAR SADER *PUBLISHERS*
P.O.Box 10
BEIRUT

AL-TAḎKIRAH
AL-ḤAMDŪNIYYAH